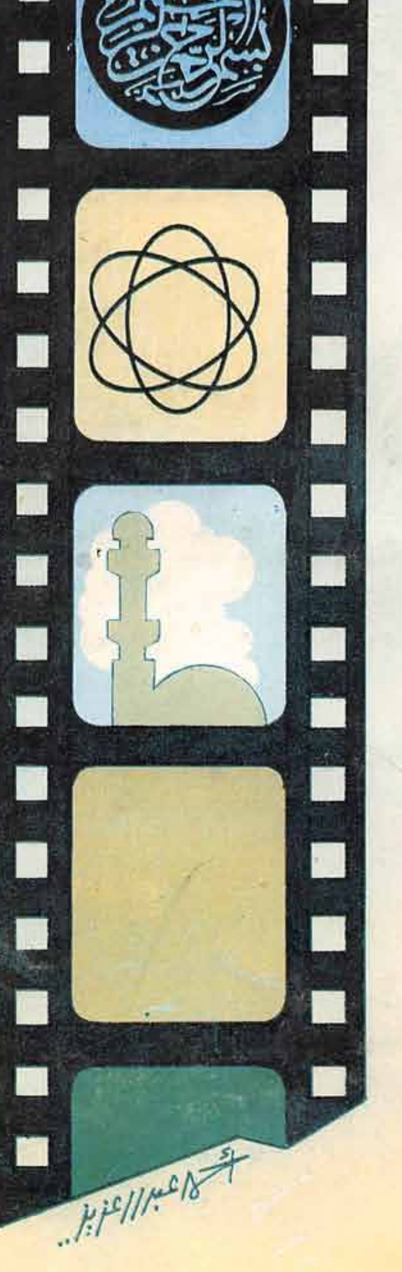
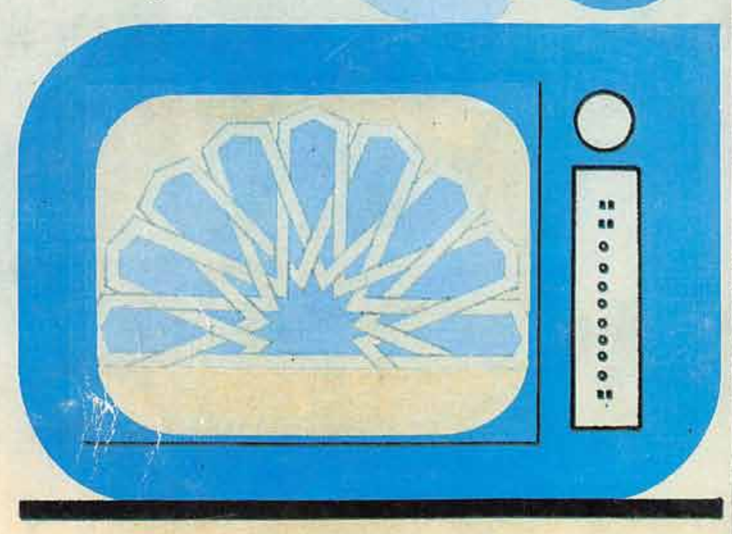
موسوعة العلوم الإسلامية





في مواجهة الحملة على الإسلام

أنور الجندي

دار الاعتصام

موسوعة العلوم الإسلامية

في مواجهة الحملة على الإسلام

(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) .

(قرآن كريم)

أنور الجندي

دار الاعتصام

مدخـــل إلى البحث

أولا :

ان ابرز عناصر الكتابة فى قضية من القضايا هى سلامة القصد وحســن الوجهة والقدرة على اكتساب ثقة القارىء الذكى العارف بأبعاد المخطط ، الذى لا يخــدع . فاذا اســتوفت الكتابة هــذه الوجهه واستطاع الــكاتب ان يكون صادقا امينا لا مطمع له الا اداء الأمانة التى اؤتمن عليها لهــذه الأمة ولخيرها وللوصول بها الى المرفأ الأمين ، فقد ربح البيع وتحقق الهدف .

أما اذا كانت الأغــراض متخفيـــة وراء الكلمـــات ، والأهواء بارزة فى ثنــايا الكلام ، ليدل على ان الغاية ليســت هى الوصــول الى الحق اذا ظهر ، او قبوله اذا تبين ولكن الغــاية هى المراوغة والتضليل واثارة الشبهة حول النور الطالع والشمس المشرقة ، هل رايت مسلما يشكك فى دينه ويثير الشبهات حول عقيدته وينكر الحقائق الواضــحة كفلق الصــبح ، الا فليعلم هؤلاء ان المغــالطة لا تجدى فقد شبت الأجيال الجديدة عن الطوق فلم يعد يخدعها اسم لامع ولا صحيفة كبرى، كما ان الاســتعلاء وادعاء الحكمة والحــديث الى الناس من برج عاجى او من منطق الخبرة والحكمة لا يزيد صــاحب القول الا مهــانة وازدراء فى نظر قارئه كما ان البضــاعة المزجاه التى طالمــا رددها المستشرقون وكشفت الحقائق زيفها لم تعد تصلح لأن تقدم عن طريق اسماء عربية لأنها اصبحت من نافلة القول لا تثير الا السخرية والاحساس بالغثيان . ان على الذين يريدون مهاجمة الاسلام او النيل منه او انتقاصه ان يتعبوا انفســهم فى البحث عن شبهات جديدة غير تلك التى لأكتها السنة ورددتها الاقلام، انني اشعر بالرثاء لهؤلاء الدين يسخر بهم اقل مثقف مســلم، لأن قدرة هؤلاء الأقزام غلمــان المستشرقين على الخداع اصبحت داهية واهنة .

* * *

ثانيــا :

هذه الحملة التى يطرحها التغريبيون والعلمانيون والمــاركسيون من خــلال مخطط فى الجــدل والمغالطة والاخفاء والاظهار والتلاعب بالألفــاظ ، هذا الأسلوب الذى لا يعرفه الاســلام الواضح الصريح الذى يواجــه الأمور فى ضوء النهــار وفى اسلوب الصدق والسماحة ودون مواربه او لف او دوران ، او تلبيس للأمور او سخرية بالقيم او استهانة بالمقدرات الاساسية .

هذه اللعبة التى اتقنها دعاة الفكر الغربى لايعرفها الاسلام الواضح المضيء الذى يقول للحق حقا وللباطل باطلا دون مواربه .

ان الهدف هو بلبلة الأذهان واثارة الشبهات وخلق جو من التضـارب والاضطراب وذلك هدف أساسي متعمد يرمي الى الحرب النفسية وقد تضاعفت هذه المحاولات في هذه المرحلة بالذات بعد ان اتسع نطاق الصحوة الاسـلامية وزحفت قواها لتحتـل الأماكن التي كان التغريب يملأها برجاله خصوم كل فكر سليم حر وكل هدف كريم قوى .

***

ثالثـا :

ان هذا الهجوم ليس امرا عشوائيا وانما هو أمر مخطط وموجه الى غايات غريبة عن عقـائدنا وتراثنا ومقدساتنا .

يقول حسن احمد امين : ان الاجتهاد يجب ان تفتح ابوابه وانا أقول له واسأله : ومتى اغلق باب الاجتهاد . أن باب الاجتهاد لم يغلق وما زال مفتوحا ولكن ليس لـكل من هب ودب ، انه باب مفتوح لمن يتمتع باهلية الاجتهاد التي تقوم على اساس من العلم بالكتـاب والسنة ودراسـة لآيات واحاديث الأحكام ومعرفة ما قاله المفسرون وما قاله شراح الأحاديث والاستيعاب لما ادلى به الفقهاء والمجتهدون في هذه المجالات .

وكذلك بمصطلح الحديث ، كما لابد للمجتهد من ان يكون حافظا للقرآن الـكريم كله وأن يكون عالما بالمسائل التي انعقد عليها اجماع العلمـاء في شتى الأزمنة عالمـا بلسان العرب ، عالما بدلالة الألفاظ وان تثبت له القدرة على تفسير ما ورد في كتاب الله وسنة رسـوله ، قادرا على اسـتنباط الأحكام استنباطا قويا منطقيا ، عارفا بالناسـخ والمنسوخ ، بحيث لا يخفى عليه شيء من هذا ، كما لابد ان يكون عالما باصول الفقه ومقاصد الشريعة وان يكون معايشا للناس عارفا بعاداتهم كما لابد من ان يكون كذلك من اهل التقوى والورع والغيرة على دين الله وهذا مهم .

كيف يمكن ان يقال انك مفكر اسلامي بينما انت تنادي بتعطيل كتاب الله وسنة رسوله ، وأنت تعرض العقل على الخروج على خالقـه بحجة ان عصيان الله عقل ، وكيف يقال انك مفكر اسلامي وانت تهاجم وتجرح المنادين بالاسلام ، ولا تفكر في دعوتهم الى تطبيق الشريعة التي هي من وحي الله لتنظم حياة خلقه ، وانت تتهم المنادين بشرع الله بانهم خونة وعملاء لدولة اجنبية .

***

رابعا : اننا لكي يفهم بعضنا البعض يجب ان نتفق على المصطلحات واهمها مصـطلح (الدين ، والوحي ، والغيب) ، فما هو الدين الذي يتحدث عنه فؤاد زكريا ، فرج فوده ، زكي نجيب محمود ، حسين احمد امين . ان سر الاختلاف بيننا وبينهم انهم يفهمون هـذه المصطلحات من خـلال الفـكر الغـربي ويفسروها من معين تصـوراته وجولته الطويلة مع الدين الذي عبر الى اوربا من الشرق وحمل معه مفاهيم مختلفة ، ليست بالطبع هي مفاهيم الدين المنزل .

***

وما هو مفهوم الموروث والوافد ، وما هـو مفهوم القديم والجديد ، وما هو مفهوم الحـداثة والتغريب ، وما هى الهـوية التى يصـدر عنها المسلمون .

***

خامسا : ان الكتاب المتصدرون لا يوخذ منهم الا اذا كانوا موضع ثقة أمتهم ، أما الذين يكتبون فى دائرة وضع خاص او منصب خاص ، او لهم عقيدة مرتبطة بايديولوجية اخرى غير الاسلام فيجب ان يقراهم بحذر ولا ناخذ منهم كل شىء .

انهم يحاولون ان يجروا شوطا مع شعارات الصحوة او مع مفاهيم الاسلام ثم يخدعون الناس فى منتصف الطريق .

***

سادسا : ان مدارسنا وجامعاتنا تغفل تماما عن تدريس الثقـافة الاسلامية بجوانبهـا الثلاث (العقدية والسياسية والاقتصادية) وما تزال تجرى على منـاهج التعليم التى وضـعها النفوذ الاستعمارى ، القائمة على انفصال الدين عن الدولة ، وما تزال كتابات الصحافة والثقافة تنمى هذا المفهوم فى عقول الشباب المتعلمين وتحاول اقنـاع المسلمين بان الاسلام مجرد عبادة وقربى وصـلاة وصيام فحسب .

كذلك فان هذه المناهج ما تزال تحمل فى طياتها التناقض بين مفاهيم العلم العلمانية وبين مفهوم الاسلام وخاصة فيما يتعلق بقضية الخلق ، والايمان بالله .

***

سابعا : ان البؤرة الصديدية (الشيوعية ـ الماركسية ـ اليسارية) التى تسـيطر الآن على بعض وسائل الاعلام وخاصة الصـحافة ما تزال تعطى طابعا بشرعية الكلمات المضللة والمتهـافتة التى تخدع النـاس وهى تتجه اساسا الى تحقيق غايات اساسية :

اولا : الهجوم على الاسلام من خلال الهجوم على الأزهر والعلماء .

ثانيا : الهجـوم على الاتجـاه الاسلامى فى الاقتصاد .

ثالثا : محاولة فرض مفاهيمهم من خلال مسرحيات ومسلسلات تعرض فى المسرح والتليفزيون .

وهى تحاول ان تصور عالم الدين بصورة منتوجهه مفـاهيم الاسـلام لصالح الاشـتراكية او العلمانية ومهاجمة الشباب المسلم بتصويره بصورة الولد العاق الذى يعق والديه .

ولا ريب ان الماركسيين اليوم يمسكون بزمام الحملة على الاسلام والشريعة الاسـلامية فقد اندفعوا فى قوة وحقد شديدين للحملة على الاسلام والتشـكيك فيه ، فهم يرون ان الاسـلام يزحف ليكتسح مواقعهم سلما .

***

ثانيا :- المنهج الربانى الذى أضاء هذا الكوكب منذ أربع عشر قرنا هو الذى تتركز الحملة عليه ، وعندما تتضاعف محاولات التركيز من مختلف القوى فى وقت واحــد من أجل الحملة على الاســلام ، نحس نحن المســلمون بصدق رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم وبصدق الدعوة الى الله وتؤمن ايمانا فوق ايماننا باننا على الحق (وقالوا هــذا ما وعدنا الله ورسوله) .

واذا كانت هذه الحملة ما زالت مثاره ومستمر ه ويوقد لها أعداء الاسلام النار عاما بعد عام ويوما بعد يوم دون أن تزلزل شعره واحدة من رأس اى مسلم فان ذلك ليؤكد لنا عظمة هذه الرسالة وكانها الطود الأشم ، والجبل الراسخ .

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره) وان هذه الموجة من ضرب جدران الاسلام بالمعاول فى العصر الحديث هى أشد قوة من تلك الموجة التى واجهها المسلمون فى القرن الثــالث عند ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية ، فقد انطلقت اليوم من خلال أمة تمر بمحلة الضعف والتخلف بعــد جولة طويلة تزيد على الف عام من اقتحام آفاق اوربا وآســيا وافريقيا تحمل النور والهدى والحضارة للبشرية جميعا ، تعطى ولاتأخذ تبنى ولا تهدم ، تضىء القلوب والنفوس والعقول بزاد الهى ربانى لا تتوقف عن العطاء .

* * *

تاسعا : كان من اخطر ما ترتب على الغــاء الخلافة فى تركيــا (الدولة الاســلامية الجامعة) الحامية للمسلمين والعرب لمدى أربع قرون كاملة ،محاولات كمال اتاتورك من اجل بناء الدولة اللاكية (العلمانية) فى العالم الاسلامى وهى التجربة التى باءت بالفشل تماما وتجنبها الدول الاسلامية بعد تركيا حتى لا تقع فى ذلك المنزلق الذى سقطت فيه تركيا وقد كتب (جب) يقول ان العرب لن يقعوا فى تجربة تركيا وقال (توينبى) ان تركيا دخلت عالم الغرب من باب الخدم فلم تقدم للعــالم الأوربى اى اضافة للحضارة او العلوم .

ولقد كانت محاولات (على عبد الرازق) لادخال هذه الفكرة قد تكشفت حين عرف أن كتــابه منقول من نص لمستشرق يهودى هو (مرجليوث) وان الدعوة الى ان الاسلام دين عبادى وانه لم يكن دين حكم قد تكشف فسادها تماما وعاش الشيخ على عبد الرازق بقية عمره فى عزلة عن النــاس ، وفى ندم شديد .

واذا كان بعض الكتاب من العلمانيين والماركسيين قد اعتبر كتــاب على عبد الرازق منطلقــا للعلمانية فقد واجه الفكر الاسلامى كله ذلك بقوة ودحض فساده وزيفه وأكد أن الاســلام نظام حكم وتصدى للرد على على عبد الرازق أقطاب بارعون فى الفقه والفكر والتاريخ : الطاهر بن عاشــور ومحمــد لطفى جمعــة وفريد وجــدى والخضر حســين وضياء الدين الريس وكانت الاســلامية التى انطلقــت عــلى أثر ســقوط الخــلافة بمثــابة الدعامة الــكبرى لقضــية الاســلام دين ودولة وهى التى قادها الامام حسن البنــا .واتصل بها ابو الأعلى المودودى وعبد القادر عودة ومصطفى السباعى وأبو الحسن الندوى .

وقد انهدم التصور الذى وضعه على عبد الرازق تماما لأنه منذ بزوغ فجر الاسلام لم يجرؤ فقيه

مسلم على أن يذيع مثل هذه الدعوى المدعاة التى رتبها أئمة الاستشراق والغزو الفكرى وأوقعوا فيها عالما أزهريا من رجال القضاء الشرعى .

ومن العجيب أن قام رجال من أهل القـــانون الوضعى ليدافعون عن عظمة الشريعة الاسلامية ويدحضو هذه الدعوى المدعاة التى لم تلبث أن وجدت من يحمل لوائها من أمثال مصطفى مرعى ووحيد رأفت .

ولكن جيلا جديدا من رجال القانون قاموا يدفعون عن الشريعة الاســلامية الاتهــام البــاطل ويصدرون أحكاما موافقة للقرآن .

* * *

عاشرا : هذه الحملة المركزة على الصحوة الاســلامية انما تريد أن تخلق روح اليــأس والقنوط والتشكيك فى صدق الطريق الى الله تبارك وتعالى باثارة شــبهات وأباطيل لا تثبت أمام ضــياء منهج الاسلام .

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمنوره) . ذلك أن المسلمين لا ييأسون :
(قل لعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) .

ولكن حركة اليقظة الاسلامية ــ حتى فى أشد أيام سيطرة النفوذالأجنبى حلوكةوظلاما ، لمتمنع هؤلاء الأبرار الذين وجه الله تبارك وتعالى أقلامهم الى الدفاع عن كلمتــه فشرعوها فكانت حرابا فى عيون الظالمين فلقد كان من أكبر منجزات الدعوة الاســلامية التى حققتها مرحلة اليقظة فى مواجهة تلك الحملات الضارية على الاسلام وشريعته وتاريخه وثقافته ومنهجه ، ذلك الرعيل الأول من القضـــاة والمستشارين المكرمين الذين حملوا لواء الدفاع عن الشريعة فى دوائر القضاء نفســـه وقدموا احكاما اسلامية .

وقد تنامى هذا التيار واستوى على سوقه فرأينا احكاما قضائية تلتزم بتطبيق الشريعة وتنادى أولى الأمر بالتدخل لتطبيق احكام الشريعة كما انزلهـــا الله تبارك وتعالى وذلك درءا للاثم الذى يقع على القضاء من جراء اضطرارهم الى الحكم بغير ما انزل الله وفى مقدمة هؤلاء المستشار عبد الحميد غراب (الذى أصدر موسوعة كاملة باحكام اســلامية فى القضايا وكذلك المستشار محمود عبدالحافظ هريدى الذى رفض حكما بجواز التعامل بالربا وقالت المحكمة فى حيثيات الحكم) :

انه لا خلاف على أن الشريعة الاسلامية تعلو وتســمو فوق كل التشريعـــات الوضعية ولذلك يتعين أن يكون ما دونها من تشريعات متفقا معها ،وكل ما يتعارض معها او يخالفها باطل ..

نعم كسبت الدعوة الاسلامية الى جانب هذا العدد الضــخم من المســتشارين والقضـــاة ، المســتشار يحيى الرفاعى ، مختـــار نوح ، أولئك العلماء الباحثين من ابناء الدعوة الاسلامية الذين دحضوا ما روجه حسين احمد أمين وفرج فوده وفؤاد زكريا ، ومن قبـــل توفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوى وكمال المـــلاخ ولويس عوض فى مختلف ميادين الفكر الاسلامى .

* * *

الباب الأول
الحملة على القرآن الكريم

١ ـ الحملة على القرآن (مدخل الى البحث)

٢ ـ التفسير اليهودى للقرآن

(١) علاقة القرآن بالتوراه

(٢) القرآن الكريم والحفريات

(٣) ما قدمه علمــاء الغرب

(٤) القرآن وعصر الاعجاز العلمى

الفصل الأول

مدخل إلى البحث

ليس من المبالغة فى شىء أن نقول : ان القرآن الكريم (بوصفه كتاب الله تبارك وتعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والنص الموثق الباقى على الزمان ما بقى الزمان بعد أن أصاب الكتب القديمة كلها التزييف والتحريف بشهادة أهلها) . كان الهدف الأساسى والأكبر للحملة على الاسلام يتركز حول اثارة الشبهات والسموم والشكوك حول القرآن ومحاولة تأويله ، والادعاء من وراء كلمات مضلله اثارة القول ببشرية وتزييف وجهته ومن هنا كانت تلك الحملة الضارية عليه من قوى متعددة : على مدى تاريخ الاسلام وفى العصر الحديث من قوى اليهودية والصهيونية والمسيحية والشيوعية جميعا فى محاولة للنيل من هذا المنار الثابت المستعلى على كل منارات الدنيا فى طموح مردود وهوى ممعود فى سبيل اطفاء نوره وقد ردت كل سهام أعدائه الى صدورهم وبقى القرآن فوق كل الشبهات قائما الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد أدرك خصوم الأسلام (أن القرآن الكريم هو سر قوة المسلمين ودافعهم الأساسى الى الجهاد والدوحة التى تفرعت منها أغصان العلوم الاسلامية وانه الكاشف لكل أضاليلهم وأوهامهم) ولذلك فقد كان عليهم أن يسرعوا الى ترجمته الى اللاتينية ثم البحث فى نصوصه عن ثغرات ينفذون منها لاثارة الشبهات حوله ، أولا بالنسبة لقومهم الذين تكشفت لهم فى العصور الحديثة شكوك كثيرة حول قدسية الكتب القديمة .

ولا ريب أن ما كشفه علماء اللاهوت الغربيين حول الكتب المقدسة وتباين النصوص فيها هو باب واسع خطير ، كان لمنهج العلم التجريبى نفسه الأثر فى كشفه ، فى نفس الوقت الذى حقق هذا العلم التجريبى مكانة كبرى لنصوص القرآن التى لم تختلف مع متغيرات العلم ومعطياته ، بل على العكس من ذلك زادت قوة وثباتا بما يؤكد أنه من عند الله ، وان هذه الكتب المقدسة هى من كتابات الأحبار والرهبان .

ومن ناحية أخرى فان القرآن بدأ يأخذ مكانة أكبر قدرا من حيث معجزاته التى تكشفت فى العصر الحديث وخاصة فى العلوم الطبية حيث أكدت هذه العلوم فى معطياتها التى وصلت اليوم الى ما جاء به القرآن الكريم منذ أربعة عشر عاما فى مواقع كثيرة وخاصة فى (خلق الكون ، خلق الانسان) .

وقد كان من أكبر ما دعا الغربيين (خاصة خصوم الاسلام فى مجال الكنيسة واللاهوت أو فى مجال الاستعمار وسياسة السيطرة على الأمة الاسلامية ذات الموارد والطاقة) الى حرب القرآن ما كشفه عن تحولات الديانتين عن مصدرهما الأصيل حيث أشار القرآن الى تحريف الكتب المنزلة فى أكثر من موضع :

- (قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) .
- (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله) .
- (وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء) .
- (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) .
- (ما اتخذ الله من ولد) .
- (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم بل رفعه الله اليه وما قتلوه يقينا) الى عشرات من هذه الآيات التى كشفت زيف وجهة أهل الكتاب وتحريفهم للنص الحقيقى المنزل للتوراة والانجيل .

وقد جاء القرآن مصححا لهذه الوقائع، واضعاإياها فى موضعها الصحيح ، كاشفا عن تحريفات الكتب القديمة والمفاهيم اليهودية والمسيحية وخاصة فى مفهوم الرب عند اليهود (رب الجنود) ومفهوم الصلب والتثليث والخطيئة عند النصارى .

كذلك فقد كان من اخطر ما دفع خصوم الاسلام الى محاربة القرآن ١ ــ كشفه عن مختلف تزييفات الوثنية القديمة وخاصة عبادة النار والكواكب . ٣ ــ كشفه عن أخطاء الفلسفات القديمة وموقفها من الله تبارك وتعالى ومن التوحيد والوحى والنبوة والغيب . ٣ ــ لعل اكبر الأخطار التى واجه بها الأديان القديمة والوثنيات تحطيم (فكرة التجسيم) التى لم يستطع أهل الأديان السابقة التخلص منها واستطاعت أن تحتويهم وكان لها دورها الخطير فى تحوير وتأويل حقائق الدين المنزل عليهم .

ومن اخطر ما كشفه القرآن الكريم للمسلمين حتى لا يخدعوا بمقوله اهل الكتاب :

اولا : أعلن القرآن انه مهيمن على كل الكتب السابقة ، مصدقا لها ومصححا لأخطاء الذين تولوها ، وأغنى المسلمين عنها بأن قدم لهم مجموع الحقائق الثابتة التى تضمنتها كل الرسالات والصحف (صحف ابراهيم وموسى) والكتب السماوية (الزبور والتوراه والانجيل) ثم زاد عليها عددا من الحقائق والوقائع فيما يتعلق بنبوات الأنبياء السابقين لما لم يرد فى كتبهم ولا يعرفوا عنه شيئا .

* * *

ثانيا : حاج القرآن (اهل الكتاب) وصحح عقائدهم وسلوكهم ، وصرح بأن النصارى نسوا الكثير مما ذكرهم به نبيهم عيسى عليه السلام (فما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا فاعف عنهم واصفح) .

(يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون فيه من الكتاب) .

ثالثا : كشف القرآن الكريم فساد بنى اسرائيل وعجزهم عن حمل امانة الرسالة ولذلك فقد انتزع الملك منهم وسلمه الى بنى اسماعيل وكشف القرآن كذلك ما رفعه اهل الكتاب مما ورد فى الكتب القديمة من النص على ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) هو خاتم الأنبياء وان على كل من يؤمن بأى دين وكتاب أن يؤمن بمحمد اذا جاء وان يتبعه (النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) .

* * *

الفصل الثانى

التبشير اليهودى للقرآن

ان كل كتابات المستشرقين والمبشرين كانت تركز على أمر واحد هو الادعاء ببشرية القرآن وانه من صنع محمد صلى الله عليه وسلم او انه مأخوذ من الكتب السابقة : (الانجيل والتوراة) .

وتكاد تجمع دوائر المعارف الغربية (البريطانية والأمريكية) ودائرة معارف لاروس الفرنسية على هذا المعنى ، وكذلك ما تورده دائرة المعارف الاسلامية التى كتبها مجموعة من متعصبى اليهود والمسيحيين ولا ريب أن التركيز على هذه الفرية : فرية الادعاء بأن القرآن الكريم من كلام محمد هو مفتاح لكل محاولة للادعاء أو الاتهام أو اثارة الشبهات ، وهم يظنون انهم قادرون بترويج هذه الدعوة أن يهدموا الاسلام ، او أن يجعلوا الاسلام شبيها بالأديان الأخرى التى لا تملك اليوم كتبا سماوية منزلة ، وأن كتبها التى بين أيدينا هى كتابات بشرية كتبها الرهبان والأحبار أو على الأكثر كتبها حوارى الرسل وفى تصور رجال اللاهوت انها كتبت بعد عدة قرون وانه أضيف اليها وحذف منها .

ان الحملة على القرآن تبدأ من الفهم المنحرف ، الموازى على الاقل لفهم الكتب الأخرى دون تقدير لتميز القرآن عنها بأنه النص الموثق الوحيد الباقى الآن على الأرض ، فاذا كان المستشرقون أو كتاب الغرب حسنى النية فانهم عاجزون عن استيعاب الفوارق العميقة من تاريخ القرآن وتاريخ الكتب القديمة وحتى تكون الصورة واضحة تركز على مترجمات القرآن التى قام بها المبشرون والمستشرقون والتى بدأت منذ عام ١١٤٣ الى اللاتينية بهدف واضح (هو اقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الاسلام واجتذابهم الى النصرانية) كما قرروا ذلك وقد ادرك رجال اللاهوت النصرانى (ان القرآن هو سر قوة المسلمين وانه الدافع الأساسى الى الجهاد وانه المهدد الحقيقى للفكر السائد الذى خلط بين الدين المنزل والتفسيرات ، وهو الذى اطلع الأجيال الجديدة على الحقائق التى يريدون اخفائها أو كتمانها حتى لا يهتدى الناس الى طريق الله تبارك وتعالى .

حاولت هذه الترجمات دحض القرآن وتفنيده ، وتشويه محتوياته حتى لقد اكد الباحثون أن الترجمة اللاتينية هى العمدة فى تشويه محتويات القرآن الكريم .

والشبهة الخطيرة هى مقولة ان القرآن من وضع محمد (صلى الله عليه وسلم) وهى شبهة يظاهرها التفسير المادى للفكر والتاريخ فى الغرب حيث لا تزال فكرة الوحى بعيدة عن اذهان الكثيرين .

وقد بذلوا فى ذلك جهدا جبارا لزعزعة الاعتقاد الترجمات وقال بلاشير انها ترجمة فاسدة ولكنهم اتخذوها اساسا للجدل ضد الاسلام ظنا منهم انهم يستطيعون عن طريقها حجب حقيقة القرآن ومفهوم الاسلام عن أهل الغرب .

وقد بذلوا فى ذلك جهدا حياتها لزعزعة الاعتقاد فى مصدره ونفى الوحى عنه ، وقد وضعوا بدراساتهم للقرآن المنهج الذى ساروا عليه من بعد فى كل كتاباتهم ودعاواهم ، وهو اسلوب التحريف والتدليس والتضليل الذى برز بصورة واسعة فى دائرة المعارف الاسلامية وقد جاءت هذه الترجمة منطلق لحركة الاستشراق ومنهج الاستشراق فى عمومه ولا ريب أن الزعب من انتشار الاسلام والفزع الأكبر من أن يقف الأوربيون على حقيقة النص القرآنى (ولقد ظلت الدوائر القيادية فى أوربا تحرص على ترسيخ تلك الصورة المشوهة للقرآن فى الذهنية الغربية وفى الوجدان الأوربى على مدى الأحقاب وحتى اليوم ، فقد زرعت الحقد المقيت والعداء المستميت لنسف كلام الله :

(ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى

الى الاسـلام والله لا يهدى القوم الظـالمين ، يريدون ليطفئـوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كـره الكافرون) واذا كانت الترجمة الأولى الى اللاتينية التى وضعت ١١٤٣ م ما تزال هى المرجع الأول والأساسى للحملة على القرآن فقد اعترف بطرس الموقر (المتوفى عام ١٩٥٦) بأن الدعاية ضد الاسلام ترمى الى محو آثار العقيدة الأولى من نفوس المسلمين (وقد ارتبط هـذا العمل بالحروب الصليبية واعتبربطرس الموقر الاسلام هرطقه نصرانية وأن غايته من العمل هو تزويد النصارى بحجج سليمة لتثبيت ايمانهم ، وهى وان كانت ترجمة فاسدة كما اعترف بذلك المستشرق بلاشير فقد اشعرت بخطورة نشر الاسلام عن طريق شيوع الترجمة ولذلك منعت من النشر ولكنها ظلت مرجعا لكل الترجمات التى جاءت بعدها . وقد بلغت المـائتين وثلاث وثلاثين وهى ترجمـات وصفت بأنهـا فى حاجة الى تنقيح كبير وتراجعة سواء من ناحية المضمون أو الشكل .

ولقد حاول بعض البـاحثين المسلمين فى العقـود الأخيرة تقديم ترجمات لها طابع الأصالة لمواجهة ما قدمته الترجمات الإستشراقية والتبشيرية من اخطاء وسـموم ولكن ما تزال الغلبة لهذه الترجمات لاتساع نطاق نشرها والترويج لها .

وقد تعددت الترجمات المحرفة ، وكان من اخطرها الترجمة التى قامت بها جماعة القاديانية لخدمة اغراضهم ومعتقداتهم .

* * *

ولقد كان للأحمدية القـاديانية فى العقود الأخيرة نشاط واسع فى هذا المجال حيث أوقفوا الأوقاف لهـذا الغرض حتى أنهم ترجموا معانى القرآن الى أغلب اللغات الأوربية ، كما ترجموه الى السواحلية لأهمية هذه اللغة التى تستعمل فى شرق ووسط افريقيا ، وقد امتلأ الميدان بترجمات فاسـدة قام بها صليبيون او يهود أو قاديانيون اغلبها مترجم عن غير العربية ـ وهناك ترجمة مأخوذة عن ترجمة ، فالنسخة البلغـارية مترجمة عن الإلمانية ، والألمانية مترجمة عن الانجليزية والانجليزية عن اللاتينية واللاتينية عن العربية .

وهناك ترجمات صحيحة سبق بها علماء المسلمين فى الهند :

(يوسف على ، وابو الأعلى المودودى ، بالانجليزية وحميد الله بالفرنسية) .

ولكن هنـاك ترجمات التبشير والاستشراق التى تعمل على طمس معالم الحقـائق ، وقد اتخذت ترجمة معانى القرآن وسيلتهم الى تحريف الكلم عن موضـعه أو لصرف اقليات اسلامية سقطت تحت حكمهم عن النص القرآنى الكريم .

ويقول الدكتور حسن المعايرجى : انه أمكن حصر (٤٣٥ ترجمة) فى اللغات الأوربية وحدها ، وما زالت فى تزايد ، ناهيك عن اللغات الآسـيوية والأفريقية ، حيث تناهز الترجمات فى اللغات الاسـلامية الكبرى : التركية والأردية والفارسـية ما يقرب من ١٢٠٠ ترجمة وكان لتراجع اللغة العربية عن الانتشار لواكبة انتشار الإسلام اثر كبير فى تزايد الحاجة الى تفاسير مترجمة ، ولعل من اخطر هذه المحـاولات التى تقوم على المؤامرة ترجمة بكثـال اليهودى الانجليزية التى منحهـا الأزهر الشريف موافقته ، وقام بوضعها المستشرق الصهيونى مردوك بكثـال والتى تبين أنها كانت بدافع من الحركة الصهيونية العالمية بغية اهدار المعنى الحقيقى للكلمات العربية بطريقة ملتوية تتمشى مع بعض ما جاء فى التوراة المحرفة ليخدم بها أهدافا ابعد ما تكون عن الحقيقة والدين وتضر بالمصـالح العربية (حسـب نص قرار محكمة القضـاء الادارى بمجلس الدولة . الذى نشرته جريدة النور (٢٠ رمضان ١٤٠٠) .

وقالت المحكمة أن الترجمة ليست فى حقيقتها ترجمة لمعانى القرآن الكريم كما أطلق عليها من قام بها وانما هى ترجمة حرفية لسور القرآن الكريم ومن ثم فقد أضحى من الضرورى أن تكون هذه الترجمة على قدر من الدقة بحيث لا تعطى لآيات القرآن معنى أو مدلولا غير الذى قصده الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز ..

ومن هنا النفى القرار ومنع تداول هـذه الترجمة لانطوائها على العديد من الأخطاء .

وهكذا تبين أن ترجمة المستشرق اليهودى مردوك بكثال للقرآن الكريم ترجمة محرفة وماهى الا معول لهدم الاسلام باسلوب جديد ابتكرته الصهيونية العـالمية بطريقة لم تحدث على مر تاريخنا الاسلامى الطويل .

يقول الدكتور أبو الفتح شرف الدين : لقد ظـل بكثال يحاول منذ الأربعينات الحصول على موافقة الأزهر الشريف على صـلاحية ترجمته الحرفية هـذه ولـكن محـاولاته كانت تبوء كل مرة بالفشـل وبالاطلاع على الترجمة يتضح لأول وهلة انها حرفية ذهب بها صاحبها

بعيدا عن منطوقها ومعناها العربي ، حسبما اراد صاحب التنزيل العلي الكبير ، بل نجد انه قد تصرف في مواضع عدة وبطريقة متعمدة مليئة بالاخطاء المقصودة يلوى بها ذهن القارىء وعقليه وخاصة في البلدان الاسلامية التي لا يتكلم ابناؤها بالعربية ليقربه من بعض الذي اتت به التوراه ، ولم يخجل حينما لجا الى الاستشهاد في صلب ترجمته بتلك التوراة الموضوعة بأيديهم ليفسر بعض الآيات الكريمة ليجعل من التوراه مفسرا ومرجعا لنصوص القرآن الكريم الى الحد الذي يكمن معه الوقوع في الحظر بسبب تلك الترجمة .

* * *

وليست ترجمة بكتال سوى مخطط صهيوني استهدف تحريف القرآن الكريم : كتاب الكتب وآخر ارسال للسماء بغرض رفع شأن اليهود والنيل من الاسلام والمسلمين فلقد كانت الصهيونية تعمد الى طباعة القرآن الكريم وطمس بعض آياته للعمل على تحريفه خاصة الآيات التي تهاجم اليهود ، ولكن الصهيونية هذه المرة قد تعدت ذلك وعمدت الى اكبر عملية تكذيب للقرآن الكريم في التاريخ الاسلامي الطويل حتى الآن ١ — فنجده يدعي ان (الجن) او (الجان) الذين آمن بعضهم بالقرآن ، انهم فئة من مهرة البشر او الاجانب ويقول انهم من اليهود وقال ان الجان في اللغة العربية تنطبق في اغلب الاحيان على الاجانب المهرة وعمد الى تكذيب وجود الجان في سورة الاحقاف وفي سورة النمل ايضا ، ويقول ايضا من حشرة النمل بانها قبيلة عربية وبذلك فهو لا يكذب الآيات التي تتحدث عن الجن فقط وعليه فانه يكذب كل محتويات القرآن الكريم بطريقة نجحت فيها الصهيونية وتغافل قول الله تبارك وتعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقوله سبحانه (والجان خلقناه من نار السموم) .

٢ — ثم يدافع بكتال في ترجمته عن اليهود لما اتوه ضد الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم ويعمد الى تزوير الحقائق التاريخية اذ من المعروف انه صلى الله عليه وسلم قد تعرض لبعض اعمال السحر من يهوديات ، وان الله سبحانه وتعالى قد اخبره بذلك حيث تقول الآيات الكريمة (بسم الله الرحمن الرحيم .. قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد) .

ويحاول صاحبنا ان يلقي بالتهمة على نساء العرب في الوقت الذي تحدث فيه كل المفسرون عن اليهودي (لبيد بن عاصم) وبناته اللائي اتين السحر لرسول الله .

٣ — ويحاول بكتال ان يضع التوراه التي وضعها قدامى اليهود في ترجمته بمثابة المعيار الذي يقاس به مصداقية القرآن الكريم ومفسرا لنصوصه ، وذلك بقصد اعطائها الشرعية وبحيث تكون مكملة له .

وهذه دعوة صريحة للمسلمين بالعودة الى التوراه من اجل تفسير القرآن الكريم .

١ — فهو يحاول ان يفسر آيته (او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها (بانها القدس المخربة ، في حين ان هذه الكلمات تشير الى رؤيا حزقيال التي لا صلة لها بالمار على القارة الخاوية ولكنها تتحدث عن حلم احد انبياء اسرائيل (حزقيال) الذين نادوا الى اقامة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .

٢ — كما يحاول ان ينسب الآيات في موضع آخر الى سفر الخروج .

٣ — يحاول بكتال ان يحل كهنة التوراة محل الانبياء والرسل الذين جاء ذكرهم في نصوص القرآن الكريم فيقول عن شعيب انه (جيترو) ويقول عن هود بأن التوراه لم تذكر اسمه وهو بذلك يضرب القرآن بالتوراة ، وجترو هذا الذي اشار اليه بكتال هو ذلك الكاهن الذي يعمل في المعبد ويوكل اليه امر الاتصال بالجان الخبيثة للتعرف على اخبار السماء واستراق السمع وهو الامر الذي برع فيه اليهود .

ومن ذلك يتضح ان (جترو) الذي ورد اسمه في التوراه ليس هو نبي الله (شعيب) وهناك فرق شاسع بين هذا وذاك .

٤ — خرج بكتال على ما تعارف عليه العالم اجمع من ان القرآن يكتب بالحروف اللاتينية (كوران) ولكنه بكتال قال عنه (سكريبشي) وهذا الاسم يعني (الانبيفار المنزلة) وبذلك نمحي ترديد كلمة القرآن بكل ترجمة بكتال وبذلك يصعب على من يقرأ تلك الترجمة ان يحكم بأنها ترجمة للقرآن الكريم .

٥ — نعود الى مقارنة القرآن بالتوراه في شأن سورة يوسف وفي شأن انبياء الله ايوب ، وسليمان .

٦ — يحاول بكتال ربط الاسلام باليهودية ليجعل اليهودية الام بالاسلام بطريقة مفضوحة وذلك في مقدمته لسورة البقرة وهي التي تلعن اليهود بصورة على كفرهم

وعباداتهم الوثنية والأصنام في صفحتين خصصها للدفاع عن اليهودية وربطها بالاسلام .

٧ — ترجم كلمة الحشر بكلمة النفي في آية سورة الحشر « وهو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر » .. الآية ، وذلك ليعطي اليهود أحقية استيطانية في الجزيرة العربية .

٨ — ترجم كلمة المسجد بالجذع وكلمة سبح بترانيم المجد والمسجد الحرام بالمذبح المقدس ، وترجم (تبارك الله أحسن الخالقين) بعبادة تبارك الله أحسن الآلهة الخالقين وفى ذلك شرك بالله العلى العظيم وتحريف للكلم عن مواضعه .

٩ — ومن المبادىء التى وردت فى التوراة ان اليهود يعاملون الله (سبحانه وتعالى) معاملة الصديق وانه يزور الأرض وأحيانا يتجاوز .

هذه التوراة المحرفة حدود الأدب واللياقة حينما جعلت موسى يتحدث الى الله سبحانه ويلومه لأنه لم يخلص شعب اسرائيل من يد فرعون ، .

* * *

واذا كان قد تبين البعد المسيحى واليهودى للحملة على القرآن فان هناك البعد الشيوعى الماركسى (وهو من أصل يهودى أساسا) وقد تبين على مدى هذا العصر تعاظم تلك الحملة الروسية ضد القرآن الكريم وكان فى مقدمتها كتاب (محى الدنيوف) : (القرآن عقيدته وتعاليمه) الذى يشير الى ان الحملة على الأديان عامة والاسلام خاصة وعلى القرآن على وجه الخصوص ما زالت مستمرة الاوار فى البلاد الروسية (وخاصة بعد الثورة الحمراء ١٩١٧) وخاصة فى الفترات المتقاربة التى جرى فيها الالتقاء بين الشيوعية واليهودية والفاتيكان ، والارتباط الجذرى بينهما جميعا وبين الماسونية .

ويقود الكتاب حملة ضخمة ضد القرآن الكريم والاسلام كله انتقاما من هذا الدين .

فهم يرون ان هذا الدين هو المعوق لحركة التاريخ وان مهمة الشيوعية هى أساسا القضاء على الدين حتى تندفع حركة التاريخ الى الأمام دون توقف .

وفى عشرات من المناسبات تتحدث كتابات كنسية وعلمانية عن القرآن الكريم وتثير حوله الدعاوى الباطلة .

أولا : حول علاقته بالتوراة (العهد القديم)

ولقد كان لحركة اليقظة الاسلامية أثرها الواضح فى كشف علاقة القرآن بالكتب القديمة . ولقد ظهر فى أواخر القرن الماضى مجموعة من رجال اللاهوت والباحثين يمثلون جرافى ، كواهين ، وويلهاوزن ، حيث دفعهم حبهم للاستطلاع لدراسة القرآن الكريم بحثا وراء ما يلقى الضوء على العهد القديم الذى كانوا يدرسونه بقصد تفهمه تفهما علميا نقدا وتحليلا ، وفى دراستهم للقرآن الكريم تشبعوا بالمبدأ القرآنى القائل بأن بنى اسرائيل تلاعبوا فى كتابهم المقدس وأنهم حرفوه حاذفين منه ما حذفوا ومضيفين اليه ما أضافوا لطمع غير خلقى فى نفوسهم فزعزع هذا المبدأ ما نشأوا عليه من ايمان بأن التوراة فى نفسها فى كل حرف من حروفها من صنع الله وأخذوا عندئذ بدلا من الحيرة فى تفسير النزعات المختلفة التى تنم عليها نصوص التوراة يتبينون مختلف الأيدى وراء هذه النصوص فراحوا يبحثون أصولها وعن الأحوال التاريخية التى ادخلت هذه المواد فى التوراة تحت ظروفها فكانت علوم التوراة النقدية التى عرفها القرن الأخير .

وهذه هى بداية نقد الكتاب المقدس ومنها تفرعت العلوم النقدية جميعا فنشأ علم الآثار القديمة وعلم التاريخ القديم ومنذ أخذ (ويلهاوزن) وعلماء العهد القديم يقيمون النظرية تلو النظرية والتفسير التوراتى تلو التفسير ويهدمون ما حققه أسلافهم من قبل تبعا لمكتشفات الآثار التى أخذت تتزايد بشكل عظيم سنة بعد سنة ، وتمشيا مع ما كانت تجلو عنه هذه المكتشفات من حقائق تاريخية ، ومع أن المبدأ القرآنى بقى وأكد مبدأ هذه العلوم كلها فهى جميعا بكل ما حققته من تقدم للفكر الانسانى تعتبر حواشى ما تزال لم تدرس .

« ان الايمان بأصل التوراه الالهى زعزع ، والغى ، وبهذا أكمل القرآن الكريم مفهومه الأصيل الذى كشف به فساد النظريات التى قدمها مفسرو الأديان القديمة وشراحها ، جاء الاثبات العلمى ليكشف النصوص المحرفة ثم جاء علم الآثار يقدم دليله (فآثار فلسطين ورأس شمرا يوتل الحريرى فى دار الشام ثم آثار العمارنة والفنطية وغيرها فى مصر وآثار بابل وآشور فى شمال العراق وجنوبه كل هذه لها علاقة ماسة بالتوراه والتاريخ اليهودى القديم .

* * *

ثانيـــا : القرآن الكريم والحفريات

صدقت الحفريات الحديثة ما جاء فى القرآن الكريم فقد كشف علم الحفريات أن العبادات التى مارسها سكان ما بين النهرين القدماء تدرجت من عبادة النجوم فعبـادة القمر فعبادة الشمس قبل أن تتطرق الى عبادة الأصـــنام وفى هذا الأمر أراد سيدنا ابراهيم عليه السلام أن يسفه احلام قومه وأن يستدرجهم بالمنطق والحجة بأن ما سبق أن عبدوه الى تلك الساعة لا يستحق أن يعبد فتدرج من البداية ، (فلما جن عليه الليل رأى كوكبـا قال هـذا ربى) لكن افل الكوكب ثم فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، وافل القمر أيضا فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال : يا قوم انى برىء ممـا تشركون .

٢ ــ كذلك أورد القرآن الكريم اسم (عاد الأولى) وأن عاد الآخرة هى الأحقاف فلما ذكرها قال (واذكر اخا عاد) اى أن عادا كان اسما مشتركا لحضارتين قديمتين احداهما فى الأحقاف أما عاد الأولى والتى أهلكت بالريح الصرصر ، وكان نبيها هودا فكانت تقطن آرم (آرم ذات العماد) .

وهذا ما عرف أخيرا من الحفريات فى جنوب العراق حيث اكتشف أن المـدينة المدعوه (أور) حاليا كانت تدعى قديما (آرم) وليس (أور) .

وقد اكتشفت هناك قطع حجر كتبت فى الأجيــال اللاحقة عليها باللغات القديمة قصيدة يعنى الشاعر فيها مدينة (آرم) ويصف كيف دمرت الريح الجبارة هياكلها وبيوتها .

٣ ــ كان لقب فرعون يطلــق على حــكام مصر القديمة ، وأن لقب هامان كان يطلق على الرجل الثانى فى الحكم ومعنــاه حامل الأختــام الفرعونية ولكن الأمر اختلف فى قصـة يوسف عليه الســلام حيث أن القرآن الكريم أورد كلمة الملك وليس فرعون وأورد اسم العزيز وليس هامان حتى أن يوسف عليه السلام قد تولى منصب العـزيز فى آخر الأمر فلم يعرف أحـد السر فى اختلاف التســمية فى هذه المناصب حتى كشــفت الحفريات أن الهكسوس هم الذين يستعملون لقب الملك والعزيز وأن لقب فرعون قد غاب عن مصر فى فترة حكم الهكســوس لها وأن يوسف بدأ دعوته فى ابان حكم الهكسوس .

٤ ــ فى الوثائق التى كشــفت عنها بعثــة الآثار الفرنسية فى مصر ظهر بأن فرعون الذى جرت أحـداث قصته مع موسى عليه الســلام ظهر من فحص خشـبة المومياء انه مات غرقا بعد ان ارتطم جســده فى قعر النهر مع الأمواج فحدثت له رضوض كثيرة ثم أخرجت الأمواج جثته بعد ذلك (فاليوم ننجيلك ببدنك لتكون لمن خلفت آيه) (عن بحث زياد عمر) .

ومرة أخرى تتحدث الآثار وتؤكد بالدليل المـادى ما ورد فى القرآن الـكريم ــ قال أحمـد نصر الدين فى رسالة من صنعاء : اعلن الأثريون هنا فى اليمن الشمالية انبهارهم الشـديد بدقة وعظمة الوصف القرآنى لهـذه الحضارة التى تفوق كل النصوص المسجلة والمحفورة من خلال الآثار القديمة التى تقع فى انحاء اليمن كله .

يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

(لقد كان لسـبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشـكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضـوا فأرسلنا عليهم سـيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط واثل وشىء من سدر قليل) .

* * *

يقول الدكتور عبد الحليم نور الدين (رئيس قسم الآثار بجامعة صنعاء) أن هذه الأشياء التى ذكرت فى الآية الـكريمة لا تزال آثارها موجودة حتى الآن وباقية والوصف القرآنى عظيم ودقيق فيما يتعلق بما أصـاب منطقة مأرب وسدها فى وقت يظن أنه من أعوام (٥٥٥ ــ ٥٧٥ قبل الميلاد) مع ملاحظة أن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى عام ٥٧٠ ميلادية . ورغم الانهيارات المتتالية لسـد مأرب الا أن الصـورة لا تزال واضحة من خلال آخر ترميم للسد قام به أبرهه الحبشى فى عام ٥٤٢م وقد ورد على نص مسجل ومنقوش بالأحجار القـائمة بجوار السد يراه المشاهد حتى اليوم كأن هذا السيل العرم عنيفا من خلال طبقات الطمى المتراكمة التى يصل ارتفاعها الى عشرة امتار بالاضـافة الى ملاحظة وجود الشجيرات البرية مثل الاثل والخمط والســدر ، بدلا من الفواكه والخيرات الاخرى ثم يستطيع المشاهد أن يرى السد الرئيسى ومجموع من الســدود الأخرى ثم منطقة المعابد ثم سور المدينة وبواباتها وآثار ملـكة بلبيس ، وكانت دولة سبأ من اشد دول بلاد العرب الجنوبية التى حكمت البلاد زهاء تسـعة قرون بعد انقضاء دولة معين وسميت باسم مؤسسها الأول عبد شمس شبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطــان بن عابر وهو الذى غــزانائل

وارمينيه وبنى بعض مدن مصر وقنطره طنجه ثم عاد الى اليمن » .

* * *

ثالثا : فتح علماء الغرب الطريق الى آخرين :

الأمر الأول : الاعجاز العلمى والاعجاز الطبى (وقد افردنا له فصلا مستقلا .

الامرا الثانى : تفوق القرآن على الكتب السابقة السابقة .

يقول الدكتور رونالية الين أستاذ الأجتماع بجامعة وكلاهوما أن اكبر المـزايا التى يتفوق فيها القرآن على التلمود والعهد الجديد من الكتاب المقدس هو أنه فى أعلى درجات القبول بالنسبة للعقل البشرى ، كما أن كل من يصغ الى رسـالة القرآن يتولد فيه الأحسـاس بالفهم العلمى القيم لها والوصول الى ما يسـعى لتحقيقه بكل سهوله ويسر .

« انى افهم جيدا أسباب نجـاح القرآن الكريم فى اقناع مئات الملايين الى اعتناق الأسلام الذى هو بالتأكيد أكثر تخصصا وملائمة لمعالجة العديد من القضايا الهامة : (مثل حقيقة الله سبحانه وتعـالى) من سائر الأديان التى سبقته أن مسألة القرآن والأسلوب العلمى الذى اتبعه محمد صلى الله عليه وسلم فى تبليغ هذه الرسالة السماوية قد أثرت فيه تأثيرا كبيرا تاركا الانطباع العميق فى نفسه » .

ويقول الدكتور فاندريك نائب رئيس محكمة العدل الدولية أنه درس القانون فى جامعة بروكسل وحصـل على الدكتوراه فى القانون الجنائى ثم عمل رئيسا لمحكمة العدل الدولية :

اقتنعت بأن القرآن الكريم كتـاب متفرد ليس من وضع البشر بل هو بحق كتاب الحياة والموت ومنهـاج السـماء للأفراد والجماعات ، فيه كل شىء بدءا من السلوك الشخصى للانسان الى المنـاهج الأجتماعية والاقتصادية والسـياسية الرائعة للانسانية كلهـا .

واسـتطيع أن أؤكد عن يقـين أننى ادركت ذاتى الحقيقية حق الأدراك وأنا أقرأ القرآن فلقد وجدت فى كل آية فيه فـكرة متكاملة لا يرقى الى قولهـا بشر ، لهذا جعلت فى نظام حيـاتى اليومية أن أقـرأ كل يوم آية وأتدبرها وكلما حررت عقلى من شوائبه قوى احساسى بأن هذا القرآن انما جاء من ذات عليا سامية أعلم من كل البشر ، وهى تتحدث للانسـان وهى تحترم ذاته واذا استعاقت فترشده الى المسلك الصحيح فى حياته . ان اهم مقومات المسلم الصحيح هو الأيمـان وفهم القرآن ويعيش حياة اسـلامية صحيحة ، يجب على المسلمين جميعا الالتزام بأحكام دينهم فان فيه سعادة الدنيا والفوز بالجنة وحلا لجميع مشكـلاتهم لأن منهج القرآن اعظم المناهج وأيسرها للبشرية .

أن القرآن الكريم علمنى حقيقة أن العقل له حدود وبالتالى فان على الانسان اما أن يؤمن بما جاء فى القرآن وهو غير منكره أو لا يؤمن به وفى الحالتين فالانسان حر مختار ، وهذه هى عظمة الاسلام .

بعد كل هذا قوى شعور الأيمـان بداخلى وتأملت مسار حياتى وكيف يعيش الانسان وما نهـايته وما هى النتيجة حيث لم تمدنى الحياة المادية بشىء يفيدنى بعـد الموت ، فضاقت نفسى بهذه الحياة وركزت تفكيرى على الهدف الذى يضـمن لى أن تمتد النهاية السـعيدة بعد الموت ولم أجد الا الله وبصدق لم أجد الله الا فى الاسلام فهو من عند الله .

لقد استمد المسلم من روح الإسلام حياته فسار فى خط مسـتقيم . كل شىء عنده مرتبط بالسـماء فعاش حياته بقوة الايمان مدركا أن قدره بيد الله الخالق الأعظم ، وهذا فى تصورى سر قوة المسلم وهو سر قوة كلمة (ان شاء الله) التى يرددها دائما .

كذلك فان تركيز القرآن الـكريم على السـلوك الانسانى يجعله اكثر اتصالا بالنـاس وقد أحسست أن الصلاة التى يؤديها المسلم فى أى مكان بأن المسلم يحيا بهذه الصلاة وكان فى عقلى دائما أن أؤمن بدين يرتضيه الله ، وأن يكون فيه الخير واضحا بين الايمـان وعدمه ضمانا للصدق فى الاعتقاد وهذا ما وجدته فى الأسلام .

أما محمد الرسول الأمين فذلك الانسـان العظيم الذى لم يعط نفسه أى ميزة برغم التفاف الناس حوله ، وانما اكد على كونه بشر متساويا معهم امام الله (تبارك وتعالى) فى العبودية ، لقد احترم كل النـاس واحترم ذاته واستحق عن جدارة احترام الجميع » .

* * *

وإذا مضينا نستعرض عطاء القرآن فى نفوس علماء الغرب نجد تعمقا شديدا ، ربما لا يلتفت اليه الباحث المسلم أو العربى ، وانما يصل اليه من قرأ الكتب القديمة أولا وأحس بما ينقصها .

١ – يقول (كارادى) أن القرآن عرض لأحد عشر مشكلة هى من المؤمن مشكلات الفلسفة وأعظمها خطرا هما :

١ – الالوهية . ٢ – الوحدانية . ٣ – القدرة المنزهة من الانسان . ٤ – مخالفة واجب الوجود لكل ما غداه من الموجودات . ٥ – علم الله بجزئيات الكون المجردة وأجزائه المتميزة . ٦ – استحالة ادراكه بحاسة البصر . ٧ – أزلية البارى . ٨ – ثباته . ٩ – بدء الخلق . ١٠ – مصير العالم فى الحياة الأخرى

وقد اشتمل القرآن دون غيره من أى كتاب سماوى أو دينى آخر سابق له منذ آلاف السنين على مشاهد القيامة وكيفية فساد الكون وانتهائه والبعث والحساب ووصف الجنة والنار فى تصور مخالف لأى تصور فى الذهن سابق على نزول الوحى المحمدى .

٢ – ويقول فارس الخورى (القانونى المسيحى السورى) أن القرآن اشتمل على أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ، ولم يستطع علماء القانون المنصفون الا الاعتراف بفضل الشريعة الاسلامية وبأنها متفقة مع العلم ومطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية .

٣ – ويقول الدكتور موريس بوكاى :

القرآن معجزة متجددة ، فان الله سبحانه وتعالى حين قال : انه خلق السموات والأرض فى ستة أيام وأن معنى يوم هنا هو مرحلة وذلك لأن القرآن حدد بعد ذلك (وأن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وقال (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) اذن : فقد أراد الله (تبارك وتعالى) أن يلفت نظرنا الى أن اليوم عنده مخالف للأيام عندنا ، فهو يوم لا يبدأ بشروق الشمس وينتهى بغروبها ، تلك أيام الدنيا ولكن اليوم عند الله مختلف لا يعرفه الا هو ، فاذا استخدمنا المنطوق البشرى فى التفسير فان ذلك المبدأ يمكن أن يطلق عليه فترة زمنية محددة ، وتحديد الله (تبارك وتعالى) لخلق السموات والأرض ست مراحل : ينطبق على أحدث النظريات التى لا يزال العلم يلهث وراءها فالعلم الحديث يرى أن خلق السموات والأرض فى أربع مراحل ظهر الانسان فى المرحلة الرابعة منها وأن تكوين الاجرام السماوية تم على مرحلتين أما تحديد اليوم بفترة زمنية محدودة أو معينة وليس بيوم من أيام الأرض لم يرد الا فى القرآن .

* * *

واذا كانت ترجمات معانى القرآن التى قام بها المستشرقون قد ظهرت أهدافها والأهواء القائمة وراءها، فقد قيض الله تبارك وتعالى لكتابه من أهل الغرب من هم أصفى نفسا وأعمق ايمانا ، على النحو الذى يظهر فى قوة وعمق فى الترجمة التى قدمها (محمد اسد : ليوبولد فايس) حيث يقول :

لقد هز القرآن الجزيرة العربية هزا ، وجعل من قبائلها التى كانت فى حروب ومنازعات لا تنقطع (أمة واحدة) وفى بضع عشرات من السنين امتدت نظرته العالمية للانسان بعيدا خارج الجزيرة العربية ، وأتيح له أن يخلق أول مجتمع قائم على العقيدة عرفه التاريخ ، وبسبب من حض القرآن أتباعه على ابتغاء المعرفة وتنمية المدارك ، ولد فى أتباعه روح البحث وحب الاستطلاع والتقصي الحر ، وهى الروح التي نتج عنها ذلك العصر الرائع : عصر الاكتشافات العلمية والبحث العلمى اللذين وضعا العالم الاسلامى فى قمة شموخه الحضارى : تلك الحضارة التى احتضنها القرآن ورعاها حتى تغلغلت بطرق متعددة فى عقل أوربا فى القرون الوسطى وكان من ثمراتها احياء الحضارة الغربية على الصورة التى نسميها (عصر النهضة) لقد أصبح القرآن الكريم مع تطور الزمن مسئولا عن ميلاد ما يسمى (عصر العلم) وهو العصر الذى نعيش فى ظله اليوم .

كل ذلك – عند التحليل النهائي يرد فضله الى رسالة القرآن والى الأقوام الذين قاموا به ، وهم الذين تأثروا بدعوة القرآن واستمدوا منه الأساس الذى يقيمون عليه قيمهم الأخلاقية ويهتدون بهديه فى نشاطهم الدنيوى

اننا لا نعرف كتابا – بما فى ذلك الانجيل نفسه – أتيح له أن يقرأه مثل هذا العدد من الناس بنفس القوة وبنفس الاحترام . كذلك فانه لم يوجد كتاب آخر أتيح له أن يقدم لمثل هذا العدد من الناس – وعبر مدة زمنية مماثلة – جوابا شافيا يماثل جواب القرآن عن السؤال القديم وهو :

ماذا ينبغى على الانسان أن يفعل ليحظى بحياة طيبة فى هذا العالم وبالسعادة فى الحياة الآخرة فى نفس الوقت .

وبغض النظر عن عدد المرات التى اخطأ فيها الأفراد العاديون من المسلمين ادرك الجواب على هذا السؤال ؟ وبغض النظر من القدر الذى يبعد به الكثيرون عن فهم روح رسالة القرآن ، فان الحقيقة الثابتة هى أنه بالنسبة لمن آمنوا ويؤمنون به ، فان القرآن يمثل المظهر النهائى لنعمة الله التى أسبغها على الانسان ، والحكمة النهائية وقمة الجمال فى التعبير وباختصار فانه (كلمة الله الحقيقية للبشر) وان موقف المسلمين تجاه القرآن يحير — كمبدأ عام — الغربيين الذين سيرسلون الى مهمة من خلال احدى ترجماته المعاصرة ، ففى الوقت الذى يلمس فيه المؤمن عند قراءة القرآن باللغة العربية ما فيه من روعة وجمال فان القارىء غير المسلم كثير ما يزعم أنه يرى فيه نوعا من (الفجاجة) كذلك فان انسجام عناصر النظرة القرآنية الانسانية وارتباطها بحالة الانسان من حيث هى لا تحظى بملاحظته على الاطلاق ومن هنا تأخذ — خطأ — طابع ما يسميه بعض المستشرقين فى أوربا وأمريكا (بالتشويش) وفقدان التناسق . كذلك فان الآيات التى تبدو فى نظر المسلم معبرة عن أروع صور الحكمة قد تبدو للأذن الغربية (سطحية) أو خالية من عنصر الايحاء وعلى الرغم من ذلك فانه حتى أشد الخصوم من بين نقاد القرآن لم يجرؤ على انكار الحقيقة ، وهى أن القرآن كان بالنسبة لملايين لا يحصيها العدد من الناس المصدر الأول للالهام بالمعنى الدينى والفكرى لهذه الكلمة ، وان هؤلاء الناس بمجموعهم قد ساهموا مساهمة بارزة فى حقل العلوم الانسانية والحضارة والمنجزات الاجتماعية فكيف اذن يمكن تفسير هذا التناقض . لا يمكن فى الواقع تفسيره باللجوء لنظريات سهلة خالية من العناء من ذلك النوع الذى يميل اليه كثير من مسلمى العصر الحديث ، حين يريحون أنفسهم بالقول بأن المترجمين الغربيين يشوهون ما فى القرآن الكريم عن قصد وسابق تصميم ، اذ انه بالرغم من الحقيقة التى لا يمكن نكرانها ، وهى أنه بين التراجم المعدودة حاليا للقرآن الكريم فى كافة اللغات الأوربية توجد الكثير بما كان الحافز وراءه تعصب حاقد على الأسلام وحماس تبشيرى مضلل ولا سيما بين ما ظهر منها فى العصور السابقة نقول بالرغم من ذلك فانه مما لا نكران له أيضا أن بعض الترجمات الحديثة للقرآن الكريم كانت من عمل علماء متحمسين للحقيقة حاولوا باخلاص وبدون أن تتحكم فيهم دوافع من الغضب المقصود أن يقدموا معانى القرآن العربى فى هذه اللغة الأوربية أو تلك ، كذلك يوجد عدد من الترجمات الحديثة للقرآن الكريم وضعها مسلمون لا يمكن أن يخطر بالبال أن يقدموا على تشويه معانى القرآن الذى هو بالنسبة اليهم كتاب سماوى منزل من عند الله .

على أننا نستطيع القول أنه لا (التراجم الحديثة) التى وضعها مسلمون ولا تلك التى وضعها الأجانب قد استطاعت أن تضع القرآن الكريم فى موضع أقرب لقلوب وعقول أقوام نشأو فى مناخات دينية ونفسية تختلف عن المناخ الاسلامى أو تكشف شيئا ولو قليلا من العمق الحقيقى للقرآن الكريم وما ينطوى عليه من حكمة رفيعه بالغة . ويمكن رد هذه النتيجة — الى حد ما — الى التعصب الواعى أو اللاواعى ضد الاسلام والذى سيطر على التفكير الغربى منذ نشأة الحروب الصليبية وشكل ميراثا خالط الفكر والشعور فى الغرب ، وترك بصماته واضحة على كل موقف ازاء كل ما له صلة بالاسلام ليس فقط بالنسبة لرجل الشارع ولكن وربما بصورة أكثر دهاء — على العلماء المختصين بدراسات يفترض فيها أن تكون موضوعية بين أنه حتى هذا العمل النفسى لا يشرح بالقدر الكافى فقدان التقدير للقرآن فى عالم الغرب ، ذلك على الرغم من اهتمام الغربيين المتزايد بكل ما له علاقة بالعالم الاسلامى وهو اهتمام لا يستطيع أن يجحده أحد من الناس .

ومن المحتمل أن يكون من بين الأسباب الرئيسية لعدم توفر التقدير الكافى للقرآن الكريم فى الغرب ، تلك الصفة التى تميز القرآن — جذريا — عن شائر الكتب المقدسة ، هذه الصفة هى تركيزه على أهمية (العقل) باعتباره الطريق الوحيد الذى يفضى الى الايمان وكذلك اصراره على ترابط المجالات الروحية والمادية والاجتماعية للنشاط الانسانى ، أى ارتباط عمل الانسان اليومى وسلوكه الدنيوى بحياته الروحية ومصيره ، وهكذا فان عدم تقسيم القرآن للحياة الانسانية الى (روحى ومادى) يجعل من الصعب على الذين نشأوا فى ظل ديانات أخرى تشدد عادة على عنصر خارق للطبيعة وتزعم أنه لابد وأن يكون موجودا فى كل تجربة دينية أصيلة ، أن يفسروا النظرة (العقلية) التى ينظر بها القرآن لجميع القضايا الدينية ، وبناء على ذلك فان تداخل التعاليم الروحية مع التشريعات العملية للحياة فى القرآن ، يحير العقل الغربى الذى اعتاد على قرن التجربة الدينية بنشوة الانفعال الوجدانى ازاء الأشياء الخفية المستترة بعيدا عن ادراك الحس والعقل ، ولهذا تتولاه الحيرة حين يجد نفسه فجأة فى مواجهة المفهوم القرآنى الذى يتولى مهمة الدليل ، ليس فقط للسعادة الروحية فى الآخرة ، ولكن للسعادة فى الحياة الدنيا بكل مجالاتها المادية والروحية والاجتماعية .

وباختصار فان الغربى لا يستطيع أن يستقبل بسهولة (نظرية القرآن) القائلة بأن الحياة (باعتبارها

هبة من الله تبارك وتعالى) هى وحدة كاملة لا يمكن تجزئتها وأن مشاكل الجسد والعقل ومشاكل الجنس والاقتصاد ومشاكل الصلاح الفردى والعدالة الاجتماعية هى مشاكل مرتبطة ارتباطا وثيقا مع مساعى الانسان وآماله فى حياة رضية بعد الموت .

هذا فى تقديرى هو احد الاسباب الرئيسية الكامنة وراء الموقف السلبى الجاهل الذى يقفه معظم الغربيين تجاه القرآن . وهو أن القرآن نفسه لم يقدم حتى الآن فى أى لغة أوربية بطريقة تجعله مفهوما بوضوح ، ونحن حين ننظر الى القائمة الطويلة من الترجمات ، مبتدئين بالترجمات اللاتينية التى ظهرت فى القرون الوسطى المتأخرة ، ومنتهين بالترجمات الموجودة الآن على كل لسان غربى ، نجد صفة مشتركة بين جميع الذين قاموا بهذه الترجمات — مسلمين كانوا او غير مسلمين — وهى انهم جميعا قد عرفوا اللغة العربية عن طريق الدراسة الاكاديمية وحدها أى عن طريق الكتب ولم تتح لأى منهم — مهما علا كعبه فى الدراسة أن يعرف العربية ويفهمها كما يعرف الانسان لغته الأصلية — أى عن طريق الاتصال (بروح) مصطلحاتها وتعابيرها اتصالا ايجابيا يتفاعل مع نفسه ويسمعها باذن مضبوطه على وقع الأنغام الداخلية الكامنة تحت القشرة السماعية للكلمات والجمل ، ذلك أن الكلمات والجمل فى أى لغة ليست سوى (رموز) للمعانى المتعارف عليها لاشعوريا وعن طريق التصور بين هؤلاء الذين يعبرون عن تصوراتهم للحقيقة بتلك اللغة ، وما لم يكن المترجم قادرا على أن يعيد فى داخل نفسه تركيب الرموز التصورية للغة موضوع البحث ، وبمعنى آخر ما لم يسمعها (ترن) فى أذنه بطريقة أصيله وطبيعية وفورية ، فان ترجمته ستفوت — بقدر قليل أو كثير — ادراك المعانى الدخلية للأصل الذى يترجم عنه ، وكلما كان ذلك الأصل عميق الغور كلما بعدت الترجمة عن روحه الحقيقية .

ومما لاشك فيه أن بعض مترجمى القرآن الكريم الذين أصبحت ترجماتهم فى متناول أيدى الغربيين يمكن اعتبارهم اساتذة بارزين من حيث أنهم أتقنوا دراسة قواعد النحو فى اللغة العربية وحصلوا على قدر كبير من المعرفة بالأدب العربى ، ولكن مثل هذا التمكن من قواعد اللغة والمعرفة بآدابها لا يكفيان وحدهما المترجم عن اللغة العربية (ولا سيما القرآن الكريم) ولا يجعلانه فى غنى عن ذلك (الاتصال الشعورى) بروح اللغة ، وهو الاتصال الذى لايتحقق الا بوسيلة واحدة فقط ، هو العيش مع لغة فى صميمها باستمرار ذلك أن اللغة العربية لغة سامية ، وفى الحقيقة أنها اللغة السامية الوحيدة التى بقيت حيه بدون انقطاع لآلاف من السنين ، بل انها اللغة الوحيدة الحية التى لم يتناولها أى تغيير خلال القرون الأربعة عشر الماضية ، وهذان العاملان لهما صلة قوية بالمسألة التى نبحثها هنا ، اذ ما دامت كل لغة هى مجموعة من الرموز التى تعبر عن الإحساس الخاص لشعب ما بقيمه الحيائية ، وعن طريقته الخاصة فى التعبير عن تصوره للحقيقة ، فان من الواضح أن لغة العرب (وهى اللغة السامية التى لم يطرأ عليها أى تغيير لعدة قرون) لابد وأن تختلف اختلافا واسعا عن كل ما اعتاد عليه العقل الغربى . ان الفرق بين الاصطلاحات العربية وايه اصطلاحات أوربية ليس فقط مسألة قوالب نحوية وحرفية ، كما أنه لا ينحصر فى الطريقة التى يعبر عنها بالأفكار ولا فى الحقيقة المعروفة عن اللغة العربية ونعنى بها المرونة العجيبة التى تتميز بها قواعدها ، ونظامها الفريد فى الاشتقاق الكثير من مصادر الأفعال ، ولا حتى تلك الثروة الضخمة من المفردات التى تحتويها العربية ، ان الفرق فى الحقيقة فى (روح اللغة) وفى احساس أصحابها بالحياة وهو الاحساس الذى ينعكس بطبيعة الحال على اللغة باعتبارها وسيلة التعبير .

وما دامت لغة القرآن العربية ، هى اللغة التى بلغت نضجها الكامل فى الجزيرة العربية منذ (١٤ قرنا) فانه من الطبيعى أنه لكى يستوعب المرء (روح) هذه اللغة بصورة صحيحة فلابد من أن (يسمع) هذه اللغة وأن (يحس) بها تماما كما سمعها وأحس بها العرب فى الوقت الذى نزل فيه القرآن الكريم ، وأن يفهم المعانى التى أعطوها هم للرموز اللغوية التى استخدموها فى التعبير بهذه اللغة .

اننا نحن المسلمين نؤمن ايمانا قطعيا بأن القرآن الكريم هو (كلمة الله) التى القاها الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم بلسان بشرى هو لسان الجزيرة العربية، لسان أقوام منحتهم الصحراء بأمادها الفسيحة الواسعة ما تمنح سكانها عادة من صفات الذكاء وسرعة البديهة الفذة ، لسان قوم تتابع الصور الذهنية فى عقولهم بدون عناء ، موجة فى أثر موجة ، وفى تلاحق سريع يقفزون معه أحيانا — بطريقة اضمارية — عن بعض الأمور المتصلة بالحديث وكأنها مفهومة من تلقاء نفسها الى حيث ينتهون الى الفكرة التى يريدون التعبير عنها . هذا الاضمار الذى يعرفه اللغويون العرب (بالانجاز) هو ميزة أصيلة ثابتة فى اللغة العربية وبالتالى فى عربية القرآن الكريم الى الحد الذى يجعل من المستحيل على المرء أن يفهم أساليبها ومضامينها الداخلية دون أن تتوفر

لديه القدرة على أن يستعيد لنفسه وبطريقة غريزية استيعاب نفس (الأخطار الاضمارية) المتصلة بالموضوع

وهذا كله لا يعنى — بطبيعة الحال — ان غير العربى لا يستطيع مطلقاً أن يفهم العربية (بروجها الأصيلة) انه يعنى فقط انه لا يستطيع التمكن من اللغة العربية من خلال الدراسة الأكاديمية وحدها ، ولكنه يحتاج ، الى جانب هذه الدراسة الى (احساس) عزيزى بمعانيها وقد يحدث كثيرا ألا يستطاع الحصول على هذا الاحساس بمجرد العيش مع العرب المعاصرين الذين يسكنون المدن ، أو على الرغم من أن كثيرا منهم — ولا سيما المثقفين — ربما يستطيعون تحقيق الاتصال الوجدانى بروح اللغة ، فان من النادر أن تتوفر لديهم القدرة على نقل هذه (الروح) للآخرين وذلك لسبب بسيط هو انهم — بغض النظر عن المستوى الرفيع الذى بلغوه فى دراسة اللغة ، فان اللهجات العامة التى ظلوا يتخاطبون بها عبر قرون من الزمن قد أفسدت ألسنتهم ، وابعدتهم عن العربية الفصحى » .

* * *

وهكذا تخطى القرآن الكريم مرحلة محاكمته فى الغرب من قبل المستشرقين والمبشرين ورجال اللاهوت والمستعمرين، باثاره الشبهات والاتهامات حوله واستطاع أن ينتقل فى قوة الى مرحلة العطاء لذوى العقول ونوابغ المفكرين الغربيين الذين استطاعوا أن يتحرروا من ربقة التقليد والتبعية للفكر اللاهوتى بعد أن تكشف اضطرابه وسقوطه فى هوة المتغيرات بالحذف والاضافة وبعد أن تكشف مجافاته لحقائق الكون والفطرة وتعارضه مع معطيات العلم الحديث نفسها .

* * *

رابعا : القرآن وعصر الاعجاز العلمى .

كان الاعجاز العلمى والاعجاز الطبى من أكبر ظواهر عطاء القرآن الكريم فى العقدين : الأخير من القرن الرابع عشر والأول من القرن الخامس عشر الهجرى .

ولقد تفجرت هذه الظاهرة فى عديد من المؤتمرات التى عقدت فى بعض العواصم الاسلامية وحضرها عدد من علماء التجريب والطب الغربيين الذين دخل كثير منهم فى الاسلام ايمانا واقتناعا بأن حقائق العلم الحديث التى اكتشفت القرن الأخير قد وردت فى القرآن منذ أربع عشر قرنا مفصلة وفى عشرات المواضع وأبرزها فى مجال خلق الانسان واطوار نموه وقد شغل عدد من العلماء المسلمين بهذه الدراسات وفى مقدمتهم الشيخ عبد المجيد الزندانى الذى القى عديدا من المحاضرات فى الجامعات ودوائر العلم وقام بعدد من المساجلات والمناظرات مع المتخصصين فى مجال العلوم المختلفة من المسلمين وغير المسلمين حول مواضيع الاعجاز العلمى فى القرآن وقد اتسعت دائرتها بصورة ملحوظة بانعقاد المؤتمر الطبى عن الاعجاز العلمى فى الرياض والقاهرة وكراتشى .

وقد أدى هذا الأسلوب الى ايمان كثير من الباحثين من علماء الغرب الذين تأكدت لهم حقيقة الايمان بصحة ما جاء فى القرآن الكريم عن طريق بحوثهم التجريبية وخبرتهم العلمية .

* * *

وقد تمكن العلماء المسلمون من ابراز آيات الاعجاز فى كثير من المجالات العلمية والكونية مما لفت الباحثين الى هذا الموضوع واصبحوا يقارنون ويوازنون بين ما جاء به الاسلام وما بين أيديهم من علوم عصرية .

فتحدثوا عن علوم الأرض — الأجنة — لحوم الخنزير — الصيام ، قدرة الخالق على ايجاد توازن خاص لمستوى الجلكوز فى الدم ، بصمة الاصبع ، كفاءة عضلات القلب عند المصلين بالمقارنة مع الذين لا يقيمون الصلاة وعن أشياء كثيرة أثبتها القرآن منذ ١٤٠٠ سنة ولم يعرف الانسان عنها الا قليلا فى عصرنا الحديث وقد دعا هذا الى تكوين أول هيئة تأسيسية للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة ليكون تركيزا جديدا للدعوة الاسلامية فى مجال العلوم بمختلف أنواعها وقطع الطريق أمام العلمانيين الذين أرادوا عزل الدراسات الاسلامية عن بعثة العلوم ويكون حقا للمسلمين أن يزدادوا ايمانا على ايمانهم ويكون حقا للبشرية الجائرة بعيدا عن الدين ليصلوا اجيالهم بدين هو الحق يدعو الى العلم ويكرم العلماء ، وقد تعالت الدعوة بالتروى والتثبت بحيث لا يعلن للعالم الا ما يتفق مع ما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة على نحو ما تحدث الشيخ بابكر ادريس

* * *

نشر الدكتور كيث مور رئيس قسم التشريح بجامعة تورينو بكندا كتابه (عن الاعجاز العلمى فى القرآن) أبدى فيه دهشته البالغة ازاء التصور الدقيق الذى وصف به القرآن مراحل تطور الجنين منذ أربعة عشر قرنا وهو أمر لم يتمكن الخبراء الغربيون من معرفته الا منذ السنوات القليلة الماضية : قدمه فى دراسة الى

جامعة الملك عبد العزيز عن اسهام الأحاديث النبوية الشريعة فى تقريب الفجوة بين الدين والعلم) .

ولكن العجب هو ما قوبلت به هذه الأبحاث فى الغرب من حملة ضارية شرسة ، ازاء مجموعة من الحقائق التى كشف عنها العلم مما أثبته القرآن قبل أربعة عشر قرنا مما هو ليس من قبل النظريات بل هو من الحقائق العلمية المؤكدة التى مهما تحول العلم أو واجهته المتغيرات فانه لن ينقض هذه الحقائق .

وقد نشرت مجلة الدراسات العربية والاسلامية عام ١٩٨٥ (التى يصدرها المعهد البابوى) حملة ضارية على الاعجاز العلمى للقرآن الكريم حيث تقول ان الحديث عن الاعجاز العلمى للقرآن بدعة اختلقها دكتور موريس بوكاى وان المسلمين اعجبتهم هذه البدعة المساعدة فطاروا بها هنا وهناك .

يقول الشيخ محمد الغزالى فى التعليق على هذا الخبر : هذا كلام باطل فما كتبه موريس بوكاى أواخر السبعينات من هذا القرن لم يات بجديد يفاجئنا بروعته بل أكد ما كان معروفا لدينا والحديث عن الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم كان شائعا قبل ذلك بنصف قرن وقد كان الأستاذ محمد احمد الغمراوى سنة ١٩٣٧ يدرس كتابه (سنن الله الكونية) فى السنة الأولى من كلية أصول الدين بالقاهرة وما أدرى أكان موريس بوكاى ولد أم لا فكيف يقال انه صاحب (مودة) الاعجاز العلمى .. كذلك فقد صدر كتاب احمد حنفى أواخر الخمسينات قبل بوكاى بزمن طويل .

ويؤكد الشيخ محمد الغزالى أن القرآن وحده من بين الكتب الأخرى هو الذى ينسب اليه الاعجاز . ويتساءل هل وصف أهل دين ما سوى المسلمين كتابهم بأنه معجزا ، أن التحدى لم يقع الا بالقرآن وحده (قل لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أما الكتب الأخرى فلم ينسب الى نفسها اعجازا علميا ولا بلاغيا ولا نفسيا وعرضت ما بها وكفى ومن ناحية أخرى فان النظريات العلمية لا تفسر بها الآيات القرآنية ذلك ما رآه علماؤنا فان النظريات قبلة للتعبير ولا تعرض القرآن لظنون رجراجة أما الحقائق العلمية فانها اذا وافقت كتابنا كانت تفسيرا حسنا له ، بل كانت تفسيرا علميا لقوله تعالى :

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

ويزد الشيخ محمد الغزالى على دعاوى المعهد البابوى حين يقول أن التفسير العلمى الذى ظهر بين المسلمين هو محاكاة للمحاولة المسيحية التوفيقية بين التوراة والعلم التى وقعت فى القرن التاسع عشر ، ويقول : ان هذا الادعاء جراه بالغة فليست بين القرآن والعلم فجوة تحاول ردمها ولا مسافة نبقى تقريبها أو محوها ، انما الفجوة العميقة والمسافة الشاسعة هى بين العلم وبين التراث الدينى الذى تركه كاتبوا العهد القديم ويستحيل عقلا ونقلا أن تنجح أى محاولة للتوفيق بين الطرفين ذلك أن الخلاف بينهما علمى وعقائدى واخلاقى وتاريخى واكاد أجزام بأن مؤلفى هذه الكتاب جمعت بينهم نيةمشتركة فى تلطيخ مسيرة الأنبياء ونسبة المناكر اليهم وابراز حقيقة الدين — بعد سقوط قادته — كالحة رديئة ويشير الشيخ الغزالى الى مدى الفارق البعيد بين صور التجسيم التى جاء بها العهد القديم والتى جرت مصالحتها مع العلم وبين مفهوم الاسلاللعلم .

وأشار الى ما تأخذ به الآخرين من تخبط فى فهم الالوهية والنبوة ومعنى الوحى ومعنى التاريخ ، ويكفى أن يقال لمحرر مجلة الفاتيكان أن يعلم ان مفكرى أوربا أحصوا مئات الأغلاط فى هذه الكتابات ورفضوا نسبة قداسة ما اليها هل من قداسة النص أن يقال : ان الله صنع قوس قزح عند نزول الأمطار كى يتذكر فلا يترك المطر يهطل حتى لا يحدث فيضان آخر فانه ندم على الفيضان القديم (آله ذاهل يحتاج الى منبه) .

ويتساءل الشيخ محمدالغزالى : ترى ماهى محاولات التوفيق بين العلم والتوراه التى بدأت مع القرن التاسع عشر وهل هذه المحاولات هى التى نقلدها نحن المسلمين عندما نتحدث عن اعجاز القرآن ونجعل التفسير العلمى نوعا من التفاسير الخادمة للوحى الأعلى ويؤسفنا أن محرر صحيفة الفاتيكان يهزل وهو يهاجم القرآن وراء نسيج من بيوت العنكبوت .

***

وكأنما شاءت الأقدار أن يشار للكتاب الذى افترى عليه المفترون وهو يعرض فى مؤتمر عالمى فى القاهرة حضره علماء من نيف وعشرين دولة وقدم فيه نحوثلاثمائة بحث ورأينا الراسخين فى أهم علوم العصر يستمعون فى وعى الى ما يقال فلما رأو الصوت الذى انبعث منذ خمسة عشر قرنا يتحدث اليهم حديثخبير بأسرار الحياة عليم بقوى الكون والانسان لانت قلوبهم لذكر الله فمنهم من ذهب الى الأزهر ليعلن اسلامه ومنهم من قرر متابعة الدراسة مع اخوانه وهو مبهور بما أفاد .

الدكتور بريسو أستاذ التشريح يقول : ان تحقيقه لبعض الآيات والأحاديث أشعره بأن القرآن وحى الله الى محمد يقينا فمن اين أتت هذه المعارف التى صدقتها كشوف العصر الحديث ويتساءل الدكتور مارشال جونسون : لماذا لا يكون محمد نبيا ومعه هذا الكتاب المشحون بالنظريات الصائبة الى العالم وقواه وأسراره التى تجلت لنا القرن العشرين .

نقول : هل أحق منه بالنبوة من تقرأ التراث المنسوب اليهم فلا تجد به الا محنة العقل والضمير ودسائس الحقد والجهل .

يقول الدكتور كيث مور أستاذ علم التشريح وأحد الخمسة الأوائل من علماء الأجنة وله مؤلف مترجم الى ثماني لغات : تصنيفنا لأطوار الجنين لم تعرفه الا فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرآن وقد أعطيت مراحل التخلق فى بطن الأم أرقاما وحروفا أبجدية لها معنى لها ولكن الدراسات الحديثة المقارنة لعلم الأجنة وللقرآن والسنة أسفرت عن مصطلحات أصلح وأنفع تعتمد على الشكل الذى يمر به الجنين شكل النطفه والعلقة والمضغة والعظام وكسوة العظام باللحم ، ثم طور النشأة الأخرى ، وعرض الدكتور صورا تبرز هذه الأطوار وفق ما ذكر القرآن الكريم من خمسة عشر قرنا.

يقول : وبحوث اليوم كثيرة وبحوث الغد أكثر انى احسن الظن بالفطرة الانسانية ما دامت تسترشد بالوحى الالهى وتتحرى مرضاة خالقها .

***

وحول الاعجاز العلمى للقرآن الكريم ، أثبت الدكتور التونسى زهير قرامى فى المؤتمر الدولى للاعجاز الطبى محرم ١٤٠٦ — ١٩٨٥ (القاهرة) بأن المكانة الرئيسية لصلاة العصر فى القرآن والسنة ، وان عدم صلاة العصر تعد سببا من أسباب الاصابة بعدة أمراض نفسية وجسدية ومن بين الأمراض التى يكون اهمال صلاة العصر سببا فى حدوثها : ضغط الدم ، عصاب القلب ، السمنة المفرطة ، الغدة الدرقية ، الاجهاض المبكر ، العجز الجنسى ، عسر الحيض ، الصداع النصفى .

قال الدكتور زهير قرامى : ان احد الأسباب التى جعلتنى أدخل فى الاسلام هو معجزة (الصلاة الوسطى) تقدمت عنها بحثا وهى أن صلاة العصر تعالج أمراضا عضوية عويصة وهى الأمراض النفسية الجسدية بدلالات طبية قاطعة .

(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) (والعصر ان الانسان لفى خسر) .

هذا التخصيص لصلاة العصر — ذكرت الصلاة مقرونة بالصبر والقنوت والذكر والخشوع فى أكثر من ٦٠ موضعا فى القرآن الكريم واشير هنا الى الترابط بين صلاة العصر والساعة البيولوجية للجسم والساعة البيولوجية هى مركز فى المخ أو النواه فوق البصرية ، ونجد أن كثيرا من النشاطات العصبية والفردية تتوافر حسب نظام ثابت فى الزيادة والنقصان وتتكامل فيما بينها حتى يؤدى الجسم وظائفه فى ملامسه التغيرات الخارجية المؤثرة فيه وقد وجد أن هناك هرمونين رئيسيين دورهما احداث التحولات اللازمة لمواجهة حالات الطوارىء وآثارها البيئية والنفسية وان كانت لهما أوقات مختلفة فى الساعة البيولوجية وهى الكورتيزن والأردينالين ينشط فى حالات الحركة والحيوية والانفعال وغيرها ، وتمنع صلاة العصر تلك الأمراض التى تحدث لارتفاع الهرمون حيث تخفضه ، حيث تحدث صلاة العصر حالة استرخائية تنبه (حصان البحر) وهو جزء من المخ وتستطيع صلاة العصر أن تغنى عن ما تستهلكه المستشفيات وهو ما يعادل ٥٠٠ طن من المسكنات للأعصاب سنويا .

كيف واجه القرآن الكريم الفكر البشرى وكشف زيفه .

(ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون) (ونزلنا عليك القرآن لتبين لهم الذى اختلفوا فيه) .

وهكذا تناول القرآن عديدا من القضايا التى كانت مثارة بالنسبة للوثنيين وعبدة الأصنام والرد على الدهريين ، والرد على أهل الكتاب وتعرض لمسائل عديدة كانت مثارة على منابر الجدل والخلاف فحسم الأمر فيها جميعا .

وخاصة ما جاء فى الفلسفة اليونانية وتصور فلاسفة الاغريق للألوهية ، وكذلك تصور بعض الكتب القديمة وخاصة ما يتعلق بانتظار علم الله تبارك وتعالى للجزئيات أو ما يتردد من أنه سبحانه خلق العالم وادار له ظهره أو ما قبل من أنه خلق العالم فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع .

وقد اورد القرآن الكريم ردودا حاسمة على هذه الشبهات :

ـــ ويعلم ما فى السموات والأرض وما تسقط من ورقه الا يعلمها .

ـــ (ولقد خلقنا السموات والأرض فى ستة أيام ومامسنا من لغوب) اول وقد جاء الاسلام مهيمنا على الأديان وجاء القرآن مهيمنا على الكتب .

وقد رفع الله تبارك وتعالى الكتب القديمة بعد أن عجز أهلها عن المحافظة عليها ، وجاء القرآن بخير ما كان فيها (ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها اومثلها) .

وقد اشار القرآن الحكيم الى ان الأديان كلها جاءت مقدمات للدين الخاتم وقد أخذ العهد على الأنبياء ان يؤمنوا بالنبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراه والانجيل . (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنين به ولتنصرنه) الآية كما أشار القرآن الى ظاهرة (تحريف الكتب المنزلة) .

ومحاولة سيطرة الفكر البشرى : الوثنى الاباحى بمفاهيمه عن المراة والمجتمع وانبعاث الأساطير والخرافات القديمة .

وقد رد القرآن الكريم كل شبهات الوثنية وفصل ذلك تفصيلا جامعا .

اولا : عبادة الأوثان وعبادة القمر والشمس والكواكب (الم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) الآيه .

ثانيا : الخضوع للقوى الطبيعية وهى من خلق الله تبارك وتعالى وانها خاضعة للانسان بأمر من الله .

(الم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره) ـــ (وهو الذى سخر البحر) .

ثالثا : ركز القرآن الكريم على عبادة الكواكب حيث كانت قيس تعبد كوكب الشعرى فقال تعالى (وهو رب الشعرى) .

وكانت كنانة تعبد القمر والشمس (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) .

وكانت سبأ تعبد الشمس .

رابعا : كانت بلاد العرب وقت نزول القرآن تعبد ديانات متعددة . اليهودية والنصرانية والمجوسية الصابئة والحنيفية وقد ذكر الله هذه الاديانات كلها فى القرآن ما عدا الحنيفية وفى مواضع كثيرة من سور : البقرة والحج والمائدة .

* * *

خامسا : اليهود والنصارى (اهل الكتاب) .

رد القرآن على جميع معتقداتهم ومقولاتهم فى أربع مواضع :

١ ـــ سورة النساء .

٢ ـــ ثلاث مواضع فى سورة المائدة .

٣ ـــ كشف القرآن القناع عن اخلاقهم بشىء من التفصيل فى سورة التوبة : (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) اى انهم تبنوا مقولات الأمم الوثنية وان الأمة التى احتفى النصارى اثرها فى تبنى هذه المقولات هم المصريون القدامى .

وقد كشف القرآن عن غلو النصارى واليهود فى مقولاتهم :

١ ـــ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله غير الحق .

٢ ـــ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم .

٣ ـــ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة .

٤ ـــ يا عيسى بن مريم : أانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله (الآيه) .

الآية الأولى ترد على الطائفة المثلثة التى تعتقد فى استقلال الأب والأبن وروح القدس بالالوهية .

الآية الثالثة ترد على النسطوريين والملكانيين (الكاثوليك) الذين يزعمون أن الأب اله تام والابن مزدوج من اللاهوت والناسوت ، اما روح القدس فهو اقنوم ثالث للالوهية .

والآية التى فيها الوهية مريم ترد على الطوائف التى كانت تعبد مريم مع الاقانيم الثلاثة على انها ام الاله . وقد اختلفت الطوائف المسيحية حول الاقانيم الثلاثة قبولا لها او لبعضها وآيه (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون ، وقالوا آالهتنا خير ام هو) تكشف فساد دعوى النصارى بأن النصرانية كان لها قبول فى بلاد العرب .

٣ — كما رد القرآن الكريم على العقيدة المجوسية وكان المجوس يؤمنون بالهين اثنين ، الشر والخير والنور والظلمة (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد) .

(الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) .

٤ — الصابئة : وقد نشأت هذه الطائفة فى بابل على عبادة الكواكب وعبادة الأرواح ، ثم تسربت الى بابل يهودية بنى اسرائيل ومجوسية الفرس وفلسفة اليونان ومسيحية الروم وكانوا يؤمنون بالله الواحد ولكنهم يرون ارواح الكواكب وسائط بين الله وعباده ، كانوا يعبدون الكواكب صباحا حتى مطلع الشمس وفى الظهيرة عندما تزول الشمس . قال القرطبى : دينهم مركب من اليهودية والمجوسية (موحدون يعتقدون بتأثير النجوم) وكان دين الصابئة قبل ظهور النصرانية فيهم ثم ظهرت النصرانية فيهم مع بقاء أولئك الصابئة المشركين حتى جاء الاسلام واصل ديانة الصابئة هى الكلدانية التى تقوم على اساس عبادة الكواكب وقد وردت كلمة الصابئين فى القرآن (فى سورة البقرة ، المائدة ، الحج) وأول رسول جاء لهداية الصابئين هو ابراهيم (أور — حران) وقد وردت قصة ابراهيم مع الكواكب فى سورة الأنعام .

(الكواكب — الشمس — القمر) ولم يكن الصابئة ينكرون الله بل يشركون به وكان العرب قد نسبوا كل حادثة طبيعية من حوادث العلم الى الكواكب وكانوا يزعمون انه اذا سقط نجم طلع نجم آخر ، وكانوا يسمونهم الأنواء ، قال صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال أمطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب واما من قال أمطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب .

٥ — وقد اقسم الله تبارك وتعالى بـ (مواقع النجوم) (فلا أقسم بمواقع النجوم) [سورة الواقعة] (الشمس وضحاها والقمر اذا تلاها) (الشمس) (والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب) (الطارق) (والنجم اذا هوى) (النجم) (والقمر اذا اتسق) (الانشقاق) (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) (التكوير) .

اقسم الله بهذه النجوم والكواكب لأنها تشهد بنفسها لوجود الله تبارك وتعالى وصنعته وعبوديتها وخضوعها فهذه الآيات تنكر العقيدة الباطلة .

والفرق بين عباد الكواكب والصابئة : انهم يرون الكواكب آلهة بذاتها والصابئون يقرون بالله تبارك وتعالى ويرون الكواكب مظاهر له .

وقد حرر القرآن هذه المواقف تماما .

(الم تر أن الله يسجد له من فى السموات والأرض) (الآيه) (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن) (السجده) .

(وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى) (لقمان) .

وقد تواترت الآيات القرآنية تذكر تسخير الشمس والقمر ولاسيما فى سور (الرعد — الزمر — العنكبوت، ابراهيم) وهذا التكرار ينم على أن العرب كانوا متهالكين على عبادة الشمس والقمر وكان الصابئون يعبدون الملائكة والأرواح . (ملخص عن بحث لأحد علماء الاسلام) .

***

وأبرز العلاقات بين الكتب السماوية السابقة على القرآن :

أولا : حملت الكتب السماوية السابقة للقرآن بشارة محمد صلى الله عليه وسلم ودعوتهم الى الايمان به اذا لقوه (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) . (آل عمران)

ثانيا : ان القرآن جاء مطابقا لما ورد فى الكتب السابقة (والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه) .

ثالثا : ظهور الاسلام علامة على اظهاره على الدين كله (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وأن يكون كتابه القرآن مهيمنا على الكتب كلها (وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) المائدة .

* * *

تميز أسلوب القرآن وبروز ذاتيته الخاصة فى جميع مجالات الفكر .

أولا : لقد ناقش القرآن الكريم اهل الكتاب فيما انحرفوا فيه حول العقيدة وما اثاروه من خلافات واساطير ومن أباطيل وترهات . ورد على افتراءات اليهود الذين حاولوا أن يلصقوها بعيسى بن مريم وأمه الطاهرة وحسم التضحية فى مسائل الصلب والتثليث والخطيئة وصحح العقيدة من كل ما يثار حولها من تعدد أو تثليث أو وثنية وقرر حقيقة التوحيد الخالص الذى يدين به المسلمون وبرأ ذات الحق تبارك وتعالى عن الولد والشريك .

ثانيا : قدم القرآن الكريم الأسس العامة للتقدم فأعلن :

١ — أن التقدم أساس التوجيه القرآنى .

٢ — تحرير الانسان من الخوف .

٣ — قيام العقل البشرى بواجبه ومسئوليته .

٤ — الأخاء الانسانى .

٥ — جماعية التقدم : روحيا وماديا .

٦ — الأصالة والتجدد معا .

٧ — تكامل الثوابت والمتغيرات .

٨ — ترابط الروح والمادة .

ثالثا : الفرق بين أسلوب القرآن واسلوب الفلسفات .

فقد نزل القرآن الكريم على أسلوب من الكلام لا يضارعه اسلوب قبله ولا بعده من كلام البشر فلا هو شعر ولا سجع ملتزم ولا هو مزاوجه دائرة ولا هو نثر مرسل ارسال الحديث ولا هو خطابه ، وتتنوع طرقه فى الاقناع تنوع طباع المخاطبين به ، فهو اما استدلال على حقائق الأمور بالأمور المشاهدة فى خلق السموات والأرض أو بقياس الغائب على الحاضر أو البرهانات النظرية ولذلك فقد اختلف أسلوب القرآن عن الفلسفة والمنطق السفسطائى ٢ — وعن الأساطير والقصص ٣ — وعن لغة السحر والطلاسم .

* * *

رابعا : قدم القرآن الكريم :

١ — المنهج التجريبى فى مواجهة منهج القياس اليونانى .

٢ — منهج الغيب (الميتافيزيقا) .

٣ — منهج تحرير الانسان من العبودية اليونانية والفارسية .

٤ — منهج بناء الأمم والحضارات وسنن الله فيها .

٥ — منهج التوحيد الخالص .

٦ — منهج المعرفة ذى الجناحين فى مواجهة الانشطارية .

* * *

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١ — [illegible]

٢ — [illegible]

٣ — [illegible]

٤ — [illegible]

٥ — [illegible]

٦ — [illegible]

٧ — [illegible]

٨ — [illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

١ — [illegible]

٢ — [illegible]

٣ — [illegible]

٤ — [illegible]

٥ — [illegible]

٦ — [illegible]

* * *

الباب الثانى

الحملة على الشريعة الإسلامية والسنة

١ ــ مدخل الى البحث

٢ مصطفى مرعى : التشكيك فى اصالة الشريعة

٣ ــ حسين احمد أمين

٤ ــ الشبهات المثارة حول الشريعة

١ ــ الحكومة الدينية

٢ ــ تطوير الشريعة

٣ ــ قصة الحدود

٤ ــ الحكم الاسلامى

٥ ــ دحض دعاوى باطلة

٦ ــ تساؤلات اعداء الشريعة

[illegible]

[illegible]

الفصل الأول

مدخل إلى البحث

ان هـذه الحملة المسعورة الموجهة الى الشريعة الاسلامية فى هذه المرحلة من حياة امتنا هى من علامات الصحة والوعى ، ذلك ان صيحة المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية هى الآن مطلب قومى بالاضافة الى انه مطلب اسلامى محض لمصر التى حملت لواء الدعوة الاسلامية والحضارة ورائدة الشرق كله فى مختلف المجالات وعلى مدى العصر خلال اربعة عشر قرنا لا يجوز لها أن تتخلف فى أمر هو عز للوطن وللعرب وللاسلام .

ولما كانت مصر قد خطت فعلا خطوات واسعة فى مجال تقنين الشريعة الاسلامية وليس من الحق أنها تراجعت عن هذا الطريق ، بل هو الطريق الوحيد الذى يؤمن لها اقامة المجتمع الكريم القادر على حمل أمانة العمل والانتاج والذى يحل لها كل مشاكل الاقتصاد والتجارة والتنمية والتعامل الداخلى والخارجى .

ومن ثم فان هذه الحملة المسعورة التى تحفل بها الصحف اليوم والتى تحاول أن تشوه نضارة هذا الوجه الكريم والتى تحمل سموم التشكيك والاثارة وتتحدث عن مخاطر موهومه ، انما هى حملة غير صادقة الوجهة فى خدمة هذا الوطن أو الدفاع عنه أو حمايته من الأخطار الخارجية وهى غير راغبة فى أن يمتلك ارادته أو يحقق وجوده القوى القادر على بناء الحضارة المتجددة ذات الأصالة وهى تهدف الى تعويق الوطن (المصرى والعربى والاسلامى) عن الخطوة المرتقبة التى تتطلع اليها البشرية كلها للخروج من المأزق الذى تقاسى منه الحضارة الغربية حين دفعت الانسانية الى هوة الانحلال والتمزق والاغتراب ، هذا الامتداد الاسلامى الذى يقدم للبشرية منهجه الكريم الأصيل من خلال التجربة المصرية : هذه الأمة التى تنبأ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها تقدم خير أجناد الأرض وأنها فى رباط الى يوم القيامة .

واذا كانت قضية (تطبيق الشريعة) هى الورقة الرابحة فى كل تمثيل نيابى فان كل هذه الصيحات المثبطة والمشككة لن تستطيع أن تؤثر فى هذا التيار الأصيل المؤمن بعظمة الشريعة الاسلامية وبسلامة الوجهة الى العمل لتطبيقها وحسن القصد الى التطلع لمجتمع ربانى أصيل .

واذا كانت هناك اقطار اسلامية كثيرة قد بدأت فى تطبيق الشريعة الاسلامية (المملكة العربية السعودية ، والسودان وباكستان وايران) فاننا نعتقد أن مصر بفضل الله قادرة على أن تقدم للعالم كله الصورة المثلى والتجربة الثرية وكذلك كانت فى كل مجالات النهوض والتقدم على مدى العصور .

والمجتمع المصرى الآن مستعد تماما ليقبل هذه الخطوة وليس فى حاجة الى مرحلة اعداد كما تروج بعض المثبطين وأن هناك قدرا كبيرا من الوعى القادر على سد جميع الثغرات التى يتعلل بها البعض ويرونها وسيلة للتعويق أو التشكيك ولا ريب أن هناك أناسا وقوى كثيرة لا يرضيها هذا الاتجاه وهى من أجل ذلك تثير الشبهات ولكن الأمر فى الحقيقة هو أمر هذه الأمة والمسئولية الكبرى المعلقة فى رقاب الجميع ايمانا بأن الاسلام هو الحل وأن الشريعة الاسلامية هى المخرج الوحيد لما يواجه مجتمعاتنا من أزمات وما يرتطم بها من معوقات .

وقد تبين أن هذه الوسائل التى تجرى من أجل قطع داء الجريمة والفساد لا فاعلية لها وأن الوسيلة الحاسمة الوحيدة هى تنفيذ قانون الله تبارك وتعالى .

ومن البديهيات أن الأمر فى تطبيق الشريعة الاسلامية ليس هو الحدود (قطع يد السارق ورجم الزانى) وحدها ولكن هو اعادة بناء هذا المجتمع على

كلمة الله ، ليشمل جميع جوانبه وأموره فى قوانين مدنية ، وتجارية ، وعقوبات وكلها متكاملة وانه ليس من الحق ان تقطع يد السارق فى مجتمع لا يتوافر فيه الكفاية ، او أن الشريعة الاسلامية هى محاولة للعقاب والتعذيب . ان الشريعة الاسلامية ترمى فى حقيقتها الى حماية المجتمع من وقوع الجريمة وليس تنفيذ العقوبة بعد وقوعها ، أنها ترمى الى الحيلولة دون الجراة على حدود الله وأن ذلك كله يجرى فى اطار واسع من الرحمة والسماحة ، أما الذين يهاجمون الشريعة ويتهمونها بالغلط والجهامة فانهم يثيرون الغبار من أجل اهواء وغايات خاصة وليس من اجل حماية هذه الأمة او سعادتها ، وهى محاولات مضللة لن تصل الى شئ فان الوعى بعظمة الشريعة الاسلامية المبثوث فى النفس المسلمة اليوم قوى وعميق ولن تستطيع هذه المحاولات ان تقضى عليه او تخلق حوله جوا من الشكوك والأراجيف ، فليكف هؤلاء الموقدون للنار أيديهم وليعلموا انهم انما يعترضون على أمر يرضى عنه الله تبارك وتعالى ويحقق لهذه الأمة نهجا طيبا مباركا ويفتح للمسلمين عصرا جديدا من امتلاك الارادة واقامة المجتمع الربانى والانطلاق الى بناء الحضارة الاسلامية المتجددة .

(مايو — يوليو ١٩٨٥)

* * *

(٢)

استأنف الكتاب التغريبيون جولة اخرى هذه الأيام ليشنوا حملة ضارية على الشريعة الاسلامية تحت ستار حرية الصحافة ، ويحمل لواء هذه الحملة الصحف القومية ويقودها المشرفون عليها واهمها : الأهرام وروزاليوسف والمصور وهى تتسم بالحقد والرعونة والتشفى والكراهية الشديدة للاسلام .

جاءت هذه الحملة بعد أن وجه رئيس مجلس الشعب مسألة قوانين الشريعة التى جرى اعدادها سبع سنوات كاملة وجهه الاغراق والتمييع بدعوى أنه لم تكن هناك قوانين وانما كانت دراسات وبالرغم من أن أعضاء مجلس الشعب حملوا معهم الى المجلس صورا من هذه القوانين ، جاء ذلك الموقف بعد تغير الوضع فى السودان حيث بدأت الحملة فى صحف الغرب على الوجهة الاسلامية بدعوى أن تطبيق الشريعة فى السودان هو الذى عجل بالقحط والفساد وانهيار الوضع وهو اتهام باطل وظالم . وقد جردت أقلام كثيرة سلاحها لمواجهة مطلب تطبيق الشريعة بألوان مختلفة من ردود الفعل الحاقدة التى يبدو انها تحمل وجهة نظر الماركسيين والعلمانيين والماسون والتغريبيين جميعا كأنما وجهت اليهم دعوة من خصوم الاسلام فى الغرب لتحقيق هذا الهدف فى الوقت الذى لا يملك فيه أصحاب الدعوة الاسلامية منابر موازية تمكنهم من الرد واقرار الحق ، وبالرغم من أن البارزين على الساحة من العلماء الذين يتحركون ضمن وضع معين والذين لا يستطيعون حرية الحركة ولا يملكون القدرة للدخول فى هذه المعركة مع منظرين ماركسيين مدربين على الجدل والقفز على الحبال والتنقل بين المواضيع واثارة الشبهات دون أى تقدير للمنهج العلمى فى البحث .

والظاهرة العجيبة أن الذين يحملون لواء هذه المعركة هم اما ماركسيون أو علمانيون لم يدرسوا الاسلام دراسة صحيحة ولم يفهموه الا فى اطار رفضهم له

فهم فى الأغلب يحاولون أن يصوروا الاسلام على انه دين لاهوتى ، لا صلة له بقضايا المجتمع والسياسة ويذهب بعضهم الى دعاوى باطلة يعتمدون فيها على نصوص من كتب الأدب أو كتب الشعوبية كالقول بأن الحجاب ليس من الاسلام ، أو من يستطيعون حول تفسير النصوص بالتشكيك فى الصلة بين الشريعة والفقه ، ومنهم من يحاول أن يفسر تاريخ الخلفاء والاسلام وفق نظرية التفسير المادى للتاريخ فنتصور ان الحياة الاجتماعية ليست الا لقمة عيش منهوبه .

ان كل واحد من هؤلاء الكتاب له منطلقه فى الثار من الاسلام .

واسلوب الجدل الذى يصطنعه هؤلاء هش مخزى مضطرب مراوغ ، كأسلوب الثعالب ، ولكن خير ما يقال فى هذا المطروح كله ، أن الاسلاميين والجماهير العريضة لا تقبله وتنظر اليه فى سخرية واحتقار لأنها تعرف الأهواء الكامنة وراءه واكثر الحاقدين على الشريعة الاسلامية الذين كانوا مع آمن الدعوة فى أول الطريق انهم يندفعون كالطيور الجارحة يضربون بأجنحتهم ويناوشون دون أى تقدير لأمانة الكلمة ومسئولية القلم وكأنما هى محاولة لتصفية أحقاد مع نمو التيار الاسلامى وفى مجال الحديث المثار عن التطرف ، جاءت كلمة الحق على لسان مسئول : ليس فى مصر تطرف ولكن هناك حماس فى الدين « لا اكون مبالغا اذا قلت ليس عندنا فى مصر تطرف ولكن مجرد تحمس فى الدين ، فالتطرف كلمة غوغائية مخطوطة تسىء الى كل المصريين ولكن ما نراه الآن هو من قبيل التحمس فى الدين » .

* * *

ولقد وجدنا خلال هذه الجولات المتوالية من خصوم الاسلام والمفتوح لها أبواب الصحف القومية اقتحاما شديدا من جماعة يدعون الموضوعية والالتزام بالمنهجية والدليل والبرهان .

والواقع أنه قد تأكد من خلال هذا الحصاد الضخم المتوالى خلال هذه السنوات أنه اقتحام لنظام الاسلام فى جراة وعنف ودون رصيد حقيقى من الدراسة والفهم لأولويات الموضوع أو لالتزام مبادىء الحوار وذلك تحقيقا لهدف معروف فى الدعوات المعارضة للاسلام وهى ضرب الاسلام من داخله متى توافرت لها وسائل النشر والأعلام يقصد إثارة الشكوك ومن العجب أن ينضم لهذه الجماعة بعض رجال القانون الذين يدعون على الشريعة الاسلامية دعاوى تكشف عن أنهم لم يقرأوا قراءة مستوعبة ، أو أنهم هم معارضون اساسا ، نتيجة عوامل نفسية أو إجتماعية فهم يلتمسون أسبابا للهجوم برأى مسبق وبعض الكتاب يصدر عن عقلية علمانية أساسا نشأت فى كنف مفهوم الدين بمعنى اللاهوت الغربى ويتصور تاريخى لعلاقات الكنيسة برجال العلم والصراع الذى دار بينهما ، ودون القدرة على التفريق بين الدين الغربى (بكل تطوراته التاريخية) وبين الاسلام فهى ترى أن فصل الدين عن الدولة أمرا طبيعيا لأنها لم تقرأ الاسلام ولا تعرف عنه الا أنه دين عبادى (لاهوتى) وترى أن الفصل بين القيم هو أمر طبيعى جريا وراء ايمان الفكر الغربى بالفصل أساسا بين البشرى والالهى وبين الروح والمادة وبين العقل والقلب بينما يقرر الاسلام تكامل هذه القيم لا تعارضها وأن هناك (تلاقى) الأجيال ، العناصر ، لاصراعها .

وأن فكرة صراع الطبقات وصراع الأجيال وصراع العناصر فى الطبيعة هى نظرية مادية ، اعتمد عليها الغرب فى تقرير مفاهيم فكره ولكنه بدأ يتراجع عنها الآن واشد خطرها عليه فصله بين المناهج والتطبيق (هذا الذى أصاب الحضارة الغربية بتلك الأزمة الخطيرة التى تواجهها الان) .

* * *

ولو أنصف هؤلاء لاستوعبوا القضية ونظروا اليها فى جدية ، ولعرفوا الفارق العميق بين دين هاجر الى الغرب وخرج عن طابعه الأساسى ولم يكن الادينا مكملا لليهودية جاء لبنى اسرائيل وبين دين عالمى انسانى جاء للبشرية كلها .

ان من يراجع كتابات المتصدرين للحملة على الاسلام يجد أنهم يتنحمون حمى الاسلام بغير دليل ، وكتاباتهم تؤكد أمرين اساسيين :

الأمر الأول : هو التحامل نتيجة الخلاف فى الراى أو نتيجة اعتناق مذاهب وايدلوجيات وعقائد يدافعون عنها ويخشون من سيطرة الاسلام عليها ، فهم يقتحمون الحمى بغير زاد ولقد تخدع كلماتهم بعض الذين لايفهمون الاسلام حق الفهم .

ثانيا : ان يكون خلافهم ناتجا عن نية حسنة وعن رؤية محايدة ، وهم فى هذا لم يستوعبوا أبعاد القضية التى يدافعون عنها ولذلك فان مرافعتهم ساقطة ودعواهم منقوضة . ولقد يخيل الى أحدهم حين يقول عن الدعوة الاسلامية انها (دعوى) أنه قد انتصر وانه قد أسقط الجبل ولكن هذا من ضآلة النفوس ونقص الوعى ، فما كان الاسلام هو الذى يسقط ابدا وما كان اصحاب السخرية بالشريعة الاسلامية هم المنتصرون ، وان بدأ ذلك ظاهرا يوما ما ، أو فترة ما ، تحت حصار القوى المعادية .

* * *

كيف يحاور فى الاسلام من لا يفهمه ومن لا يعرف ركائزه ولا قيمه الأساسية وكيف يجادل فى الاسلام من يفهم الاسلام كما يفهم الأديان البشرية أو الأيديولوجية فيرى انه قابل للتطور والتغيير وتعديل الأسس أو يرى انه يبرر أوضاع المجتمعات الفاسدة والمنحلة .

(ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون ورائهم يوما ثقيلا) وفى عديد من المواضع يتجاهلون الفرق بين مفهوم الدين فى الغرب وبين مفهوم الاسلام ، فالاسلام يحمل مفهوما جامعا بين الروح والمادة تترابط فيه القيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ويربط بين العلم والدين وليست له خلافات كتلك الخلافات التى قامت بين المسيحية فى الغرب وبين العلم أو بينها وبين الدولة ، ذلك أن فكرة فصل الدين عن الدولة فى الغرب نشأت نتيجة ظهور سيطرة الكنيسة على الحياة السياسية والاقتصادية وما كان من تأثيرها فى الحكومات المختلفة بل وقيام حكومات رجال الدين (الحكومات الثيوقراطية) التى لم يعرفها الاسلام وهم يتجاهلون تاريخ الاسلام الذى لم يشهد أى صراع بين (علماء الدين) وليس رجال الدين ورجال الحكم اذ لم يكن فى الاسلام اصلا طائفة تسمى رجال الدين .

هذا الخلاف فى شأن الدين والدولة .

وهناك الخلاف فى مفهوم العروبة والاسلام ومفهوم القومية العربية . وهناك الخلاف فى مفهوم الديمقراطية الغربية وبين مفهوم الشورى . وهناك الخلاف فى مفهوم الاشتراكية وبين مفهوم العدل الاجتماعى ثم هناك آثار التبعية الغربية فى المجتمع الاسلامى .

وما اصابته القوانين الوضـــعية من انحلال خلقى واضطراب فى مجال التعامل الاقتصادى وفى مجـــال العلاقات الاجتماعية (الأسرة والزواج والمرأة) .

وجاء ذلك نتيجة اختفـــاء الشريعة الاســـلامية لضوابطها المحكمة وحدودها خاصة فى مجالى الربا والزنا والخمر .

* * *

الحدود فى مواجهة فساد المجتمع .

والربا فى مجال التعامل الاقتصادى .

ولماذا اصرار هؤلاء الكارهون للاسلام على تجاوز هذين الخطرين الشديدين تحت عبارة أن ما لم يطبق من الشريعة لا يتجـاوز الخمسة فى المائة (اى هذه القيمة المغمضة عنها الطرف اذا كانت ستعلق بهذه الأخطار كلها وماذا بقى بعد ذلك) .

كيف كان اثر الخمسة فى المـــائة فى المجتمع الذى لا يتوقف فيه عمليات الاغتصاب والاباحة ، المجتمع الذى يقدم أدوات شبة من القصص الجنسية والجريمة ويفتح الباب أمام المطاردة والاغتصاب .

هذه الخمسة فى المائة التى تتمثل فى ذلك الكيـــان القوى الذى تحميه القوى القـــادرة من ممثلين ومخرجين وفنانين وراقصين ومغنين تحت اسم مبهر خطير هو اسم (الفن) الذى يجب أن يقتحم الباحثون حماه لكشـــف اباحيته وفســـاده وآثاره الخطيرة وذلك الدعم المـــادى الموجه له باعتباره عاملا من عوامل تثبيت الأنظمة ، ثم هذا الكيـــان القوى من الكرة ومشجعيها والأموال التى تغدق عليها .

انهم يغضـــــون الطرف عن هاتين القضـــيتين الأســـاسيتين يمرون عليهما مرورا ساخرا ، بينما هما جزء أساسى من صميم التطبيق الأسلامى لاقامة مجتمع كريم .

ان اخطر سؤال هو :

هل تفكر هذه الأمة بمفهوم الاسلام فى حياتها الآن ام انها تفكر بأسلوب مغرب وافد .

فاقامة منهج الاسلام يقتضى التحرر من الأســـلوب الوافد والخـــروج من الدائرة المغلقـــة ، ومن أســـلوب العلمانيين والماديين فى مقايسة الأمور وفى الحكم عليهـــا وفى أمور كثيرة وكبيرة وخطيرة تتصل بمصير هذه الأمة فى حياتها وفى نضالها وفى مفهومها للجهاد وللأمر بالمعروف وفى الذود عن الوطـــن وفى تحرير الأرض وفى الاعـــداد والردع وحماية الثغور ، وفى التوجه النفسى والاجتماعى لتكون على مستوى مسئولية الأمة التى تحمى وجودها وقيمهـــا وموارينها أن هـــذا التحلل والترف الرخيـــص والاندفاع وراء المادة والاغراق فيها ومحاولة الكسب عن اى طريق والايغال فى الكسب الحرام ، وفى الاندفاع وراء الشهوات والرغبات والترف والتحلل ، كل هذا لا يقرب المسلمين من أسلوب الاسلام فى بناء الأمة القوية القادرة على حماية وجودها .

* * *

والسؤال هو لماذا تستخدم الصحافة هؤلاء الكتاب العلمانيون والماركسيون واليساريون وخصوم الاسلام فى شن هذه الحملة المسعورة على الشريعة الاسـلامية فى نفس الوقت الذى لا يملك فيهـــا التيار الأســـلامى من القـــدرة ما يمكنه من الرد على نفس مســـتوى الصحف القومية وبالرغم من أن الشريعة الاسلامية هى نص من نصوص الدستور يجب الاذعان له .

هذه الحملات تشـــكك فى أن الشريعة الاسلامية ستحقق شيئا أو تشـــكك فى تطبيق الشريعة نفسها أو تشكك فى النتائج التى ينتظر من هذا التطبيق .

ان الحوار الدائر اليوم كله والذى يجريه خصوم الأسلام يدور فى اطار غربى وبأساليب غربية ومن خلال نظـــريات الغرب فى التحليل النفسى والجـــدلية المنطقية والتفسير المادى للتاريخ .

فهل اصبح هذا الأســـلوب مفروضا على الـــفكر الاسلامى والسؤال هو : هل تريد الصحافة ان تقول أن هناك استحالة ازاء تطبيق الشريعة (والحدود بالذات) وقد اغرت بها خصـــوم الاسلام الذين ســـقط نفوذهم بسقوط الماركسية والناصرية .

ان هذه النماذج بكل مغالطتها وأحقادها وتمويهها

جديدة على المجتمع ، جديدة على الفكر الاسلامى فى مراوغاتها وصياحها ومداخلها ومخارجها فى الحوار :

أولا : استغلال المنابر الواسعة العريضة حيث أن الطرف المسلم لا يستطيع أن يجد الفرصة فى الرد أو عرض وجة نظر الاسلام .

وهى خطيئة ممتدة على أيدى توفيق الحكيم وزكى نجيب محمود من حيث تسمح لهم الصحف بالكتابة والاجتراء على الحقائق والقيم والمقدسات ثم تصل الصحف عشرات بل مئات الردود فلا تسمح الصحف بنشر شىء منها وتسد هذا الباب تماما وهو ليس من حقها قانونا ولا عرفا وما كانت هكذا تدار المعارك الفكرية التى يجب أن يسمح فيها للطرفين بفرص متوازيه .

ثانيا : الاستعلاء والتحدث باسم المجموع من حيث يعرف الجميع أن كل من هؤلاء المتحدثين لا يمثل الا نفسه وهى دعوى باطلة أن يدعى أحدهم انه يمثل جماعة أو وفدا أو هيئة وهو من باب الكذب والتضليل فما يمكن أن تمثل هذه البذور المسمومة التى ظهرها فى بلادنا منهجا له قيمته أو قوته أو له الجراة فى ان يقول « نحن » الا اذا كانت جراة على الحق ، تنتهز فرصة متاحة ربما أرادت بها أن تشفى حقدها فى نفس الوقت الذى ترضى فيه جهة ما .

ثالثا : اصول الحوار .

ان للحوار فى الفكر العالمى أسلوب وقواعد تقوم على تقديم البراهين والأدلة والنصوص الموثقة بالحق ، دون تضليل أو ايهام أو تزييف ، ولكن نبتت نابته جديدة مضللة منذ استشرى الفكر التلمودوى والماركسى وأساليب الماسونية يقوم على الجراة فى الحق والادعاء الباطل .

أين أحد هؤلاء أو مجموعهم من تيار الدعوة الاسلامية الذخار الذى يمثل اغلبية هذا الشعب والذى يسرى فى قلوب المسلمين بالأيمان حتى يتحدث أحدهم عن استخفاف وعن دعوة الى الحوار ، هل هو حوار مع المنهج الربانى أم مع تطبيقاته وكيف يفهم هؤلاء منهجا لم يقراوه واذا رأوه اشاحوا عنه كبرا وصلفا ، وهم أعداء له بالفطرة وهو مهما حمل من الخير والضياء فهو عليهم عمى ومن منطلق حقدهم غامض ومبهم .

انهم يتعاملون مع الاسلام وكأنهم لا يعرفوه ، مع أنهم ولدوا فى حجره ، ليس الجهل به بل وليس هناك استعداد لقبوله اذا كان صحيحا بل لابد من ايجاد الثغرات فيه والاستهانة به ، من منطلق حقد لا تعرف له مصدرا .

(أولئك الذين لم يرد الله انيجعل لهم حظا فى الآخرة) هل من الخير ان تخضع هذه الأمة للشيوعية الماركسية او الراسمالية الغربية فنفرح بذلك ونحس بالطمأنينة أو أنه من الخير لنا أن نفهم تاريخ أمتنا وأمانتها وميراثها الربانى ، وأن نكون من الذين يشرفهم أن يتبعوه أو يرغبوا فى تحقيقه .

واخطر ما هنالك هذه البهلوانية الشديدة التقفز أمام النصوص وأمام الحقائق ، هل هى طفولة فكر أم مكر شديد أم خبث حاقد .

انهم يحاولون أن يخلقوا فى نفوس الشباب المسلم غصه وتراجعا أمام ايمانه ودعواته ، ويثيرون فى صدره شبهات وشكو ولكنهم لا يتعجبون اذا قلنا لهم ان احدا لا يسمع اليهم لأنهم ليسوا موضع ثقة هذا الشباب .

انهم يهولون من شأن القيم الأساسية لأنهم يعرفون أنها تقطع الطريق على منهاجهم فى التحلل والاباحةوالالحاد وملأ الصدور بالشكوك والشبهاتوتلك قضيتهم الأولى ودعوتهم التى يحرصون على بثها ، والتى يزعجهم ان يؤمن الشباب الله وينصرف عنهم ولا يثق بهم، وانه يرفض مناهجهم ويزدرى مذاهبهم ويعرف زيفها ويعرض عن تلك المحاولات التى يثيرونها عن زخرف القول الذى يخدعون به البسطاء والسذج .

ولا تجد محاولاتهم فى تسمية بعض العلمانيين بالمفكر الاسلامى الا سخرية وهو كلام مردود عليهم .

* * *

تصنيف خصوم الاسلام :

أولا : اليساريون الماركسيون المهزومون الذين فقدوا نفوذهم بعد نكسة ١٩٦٧ والذين هم الخصوم الأساسيون لقيام مجتمع اسلامى وحرب على الشريعة الاسلامية أساسا .

ثانيا : العلمانيون الخاضعون للنفوذ الغربى والمتطلعون الى السيطرة وأولياء المستعمر والكذابون والمحرفون للنصوص الذين ينكرون الغيب والنبوة

وينكرون عوامل النصر التى تجىء عن غير طريق الوسائط المادية .

ثالثـا : خدام النفوذ الصـهيونى وأولياء اختراق مفاهيم الأمة الاسلامية عن طريق علم النفس أو وسـائل الخداع أو تزييف التاريخ .

المؤامـرات :

وتتركز المؤامرات فى التشـكيك فى قدرة الشريعة الاسلامية على تغيير المجتمع واثارة الشبهة فى أن ليس هناك منهج تطبيقى لدى الاسلامية ، ومحاولة نسـبة الأزمات والمتاعب التى مرت بها ايران والسـودان الى تطبيق الشريعة .

والادعاء الباطل بأن الشريعة هى ٥ فى المائة من الدين والباقى من عمل الفقهاء . وأن ما يطبق من القوانين يتفق مع الشريعة بمعدل ٩٥ فى المائة .

* * *

أن ابرز ظاهرة فى حوار العلمـانيين هو « الخلط والتمويه » .

١ ـــ فهم دائما يخلطون بين مفهوم الاسلام السنى وبين مفاهيم قد يختلف فى بعض الفروع .

٢ ـــ وهم دائما يشيرون الى (تجربة السودان) على انها تجربة فاشلة دون أن يتصوروا مدى الفوارق العميقة .

٣ ـــ وهناك الأتهام الموجه دائما بأن اختفـاء أثر السـنة فى الملبس والزى وغيره هـو عامل من عوامل الانغلاق على الذات مما يحول دون التطور أو التغير أو تقبـل حركة المجتمع بينما أن هـذه الظاهرة لا تمثل الا قطاعا ضئيلا .

* * *

٤ ـــ محـاولة الايهام بأن تيـار المتحمسـين أو المتطرفين هم الغـالبية الغـالبة ، وكان يجب وضـع التصور الصحيح والتفرقة بين المجموعة الكبرى العريضة المعتدلة والأجنحة التى توجد فى كل التجمعات .

٥ ـــ الادعاء دوما بالتخلف والجمود منسـوبا الى الاسلام مع أن مفهوم الاسـلام فيه من المرونة والسعة وتقبل الجديد والانفتـاح على الحـاضر بما يحول دون الجمود والتخلف والاسلام لا يقر تغيير الثوابت والخروج عن الضوابط ويسمح بالحركة داخل اطار الثبات .

وأن علينـا أن نكون على وعى من تلك المحـاولة التى ترمى الى توظيف عدد من الذين يكتبون عن الاسلام فى السخرية والاحراج واثارة الشعور من أجل التشكيك فى ضوء أسلوب من الرصانة الخادعة . أن الذين يدعون انهم فى صفوف الاسلام ويسـخرون بالفكرة ويحاولون خلق صور من الأحراج والتهكم سـوف يلفظهم الضمير المسلم الصحيح ، لأنه يعرف أنهم خادعون .

وكم من اسـماء لامعة تكتب عن الاسـلام وعن معجزات العلم والطب وتتحدث عن الصحوة الاسلامية والشريعة وهم مضـللون خادعون انهم يفقدون أسلوب الحورا الاسـلامى ولذلك ظن يثق بهم أحد وسيوضعون فى قوائم المنافقين .

* * *

كذلك فان ظاهرة تكليف عدد من الأسـماء اللامعة التى تدعى العمل فى مجـال الاسلام لاسـتخلاص فكرة مسبقة على النحو الذى تم مرتين : مؤتمر احدى الصحف وفى مؤتمر احدى الأحزاب ، ومن يراجع هذين المؤتمرين يرى ظاهرة المغالطة واضحة ويشاهد المحاولة المستميتة لاثارة روح التشكيك والتشاؤم والتشوية فى طريقة تقديم الأسئلة ، فى المسـائل المثارة ، والمسائل المتجـاهلة ، التعليقـات المسـمومة من العلمـانيين الذين يديرون الجلسات .

الفصل الثانى

مصطفى مرعى
التشكيك فى أصالة الشريعة الإسلامية

● فى غمـرة الانطلاقة الطيبـة التى شـاهدتها الصحوة الاسلامية فى مطالع القرن الخامس عشر جاءت شبهات الأستاذ مصطفى مرعى (شيخ المحامين) معارضة لكل الحقائق المعروفة فقد انكر أن الاسـلام دين ودولة وادعى أن جماعة الاخوان هي التى ابتدعت هذا الشعار ثم ذهب الى أبعد من ذلك فأنكر الجـانب التشريعى فى الاسلام وقصره على الجانب العقدى والعبادى وقال أن البشرية حره فى النظم الاجتماعيـة التى تقيم عليهـا مجتمعاتها واتهم جميع العاملين فى حقل المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية بأنهم يسعون الى أغراض شخصية وسخر من النص الدستورى (الشريعة الاسـلامى هى المصـدر الرئيسي للتشريع) وحاول أن يحتمى بنـص لمحكمة النقض بالابقاء على القوانين المخالفة للشريعة ، وقال أن ما قدمة الأسلام الى شأن الحكم ليس بملزم وان نظم الحكم تركت للنـاس لأنها أمور تتعلق بمتغـيرات الزمان والمكان وسـخر من عقوبة السرقة ، ودعا الى الأخذ بغيرها مما طورة العالم ، وادعى انهلا توجد فى الاسـلام عقوبة للاختلاس وآثار الشـبهه حول الرجم والجلد فى قضية حد الزنا .

وقد تنـاول عدد من علماء الاسلام وأعلامه هـذه الشبهات بالرد والتنفيد .

* * *

١ ــ المستشار عبد العزيز هندى

ان الدعوة الى تطبيق الشريعة ليست وليدة ظرف طارىء وأنه قصد به الى محاولة التقرب الى الجماهير ذلك بأن الثابت بيقين هو أن مصر ظلت أكثر من الف عام تطبق الشريعـة وحدها بحـكم انتمائها الى الاسـلام وما توجبه قيمها ومصالحها الوطنية وتراثها العريق وظل الأمر كذلك حتى نهاية القرن الماضى تقريبـا حين تزايد النفوذ الأجنبى الذى يسـتهدف القضاء على اسـتقلال البلاد وافقادها ذاتيتها وصرفها عن أمر ربها .

وتحت عباءة هذا النفوذ الأجنبى بدأ دخول القوانين الأجنبية الى مصر حين انشئت المحاكم المختلطة ووضعت مجموعات القوانين التى تطبق أمامها وقد استمدت بصفة أساسية من القانون الفرنسي ، وكان ذلك بداية لاستمرار مجموعات كاملة من القوانين الأساسية كالقانون المدنى وقانون العقوبات من مصدر أجنبى لا يتصل بانتماء البلاد الاسلامية ولا بذاتها الثقافية والوطنية ، وبدأ تطبيق هذه القوانين فى مصر منذ عام ١٨٨٣ أثر احتلال الانجليز لمصر مواكبا لجحافله المسـتعمرة وقد كان هـذا الاستعمار القانونى مصدر ايلام نفسى للمصريين جميعا حاولوا رفع نيره عن كاهلهم فطالبوا بالغاء المحاكم المختلفة أولا ثم بدأ التفكير الجدى فى الأصول الحقيقية للمجتمع المصرى الذى ينبغى أن يعكسها القانون الذى يحمي مصـالح المجتمع فجاء دستور مصر ١٩٧١ مترجما لارادة الشعب فى تحديد المصدر الرئيسى للتشريع وتلاه التعديل الدستورى الأخير سنة ١٩٨٠ ينص على ان مبادىء الشريعة الاسلامية هى المصـدر الرئيسى للتشريع ولم يكن هـذا النص الدستورى منشئا لحقيقة اجتماعية وانما جاء كاشفا لها ذلك ان مصر دولة اسلامية عريقة بحكم الواقع والاسلام دين الدولة وفقا لكافة دساتير مصر المتعاقبة ومن المجافاة للحق والمنطق أن يكون هناك دولة اسلامية بغير قانون اسـلامى ونحمد الله فقد انزاحت الى غير رجعـة تلك الظروف التى كانت تكبل ارادة مصر الحرة فى التعبير عن ذاتيتها التشريعية .

ولا يخفى على الباحث المنصف ان التشريع الجنائى الاسـلامى قد تعرض قبـل غيره من القوانين الأجنبية للقواعـد والنظريات التى درجت قوانين العقوبات على

ادراجها فى القسم العام منها فقد تطرق الفقه الاسلامى على أساس من احكام القرآن والسنة والاجتهاد الفقهى الى مسائل فى نطاق القانون وتطبيقه فى الزمان والمكان ، وكذلك أركان الجـرائم وشروط المسئولية الجنـائية والاشتراك فى الجريمة وأسباب الاباحة كما عرض كذلك لأحكام عديدة فى موضوعات العقوبة واجراءات الحـكم بهـا .

* * *

وهو ما قررته المؤتمرات العلمية العالمية العديدة وهو ما حدا بالـكثير من المفكرين الأجانب الى الاشادة بالاسلام وما جاء به من تشريعات ناجحة فى علاج أمراض المجتمعات ومن المقرر أن درجة نجاح الشريعة انما يقاس بمدى فاعليتها فى علاج أدواء المجتمع .

ولنا أن نتساءل هل أفادت هذه القوانين المستوردة من الخارج فى علاج أمراض المجتمعات التى استوردناها منها ، أم أن الجريمة تزداد معـدلاتها الرهيبة يوما بعد يوم وأن سياسة تدليل المجرمين قد انعكست آثارها على المجتمعات التى انصرفت عن تطبيق شرائع الله فأذاقهـا الله لبـاس الجوع والخوف رغم ثرائهم المـادى وترفهم الثقافى جزاء ما كانوا يعملون .

وهل أصبح المجتمع الحـاضر ـ شرقا وغربا ـ مجتمعاً فاضلاً فى هذه التشريعـات الأجنبية حتى تحذوا حذوها ونعلن تمسكنا بها وعدم الرغبة فى تغييرها أم انه لا يحلو لنا الا استيراد مخلفات غيرنا .

٢ ـ أما القول بأن الاجماع فى الشريعة لا يعدو ان يكون رأى فقهاء لهم تلاميذ ، فان علينا أن نبدأ من حيث انتهى فقهـاؤنا الأجلاء ـ قدامى ومحـدثون ـ لتظـل مسيرتنا العلمية متتابعة الخطوات على هدى من كتـاب الله وسنة رسوله الثابتة والله جل جلاله يقول فى كتابه الكريم (وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) .

٣ ـ أما القول بأن القرآن جامع لكل شىء فى الدين أما ما عدا ذلك من أمور الدنيا فهو متغير غير ثابت ـ هذا القول هـو مقولة غير صحيحة ، فكل ما ورد فى القرآن الكريم والسـنة الشريفة القطعية الدلالة والثبوت من أوامر أو نواه هى من صحيح التشريع الاسلامى الواجبة الاتباع فكل من عند الله ولا تبديل لكلمات الله .

٤ ـ أما بالنسبة للجرائم التى لم يرد لها ذكر فى القرآن والسـنة ـ وهى الجرائم التعزيرية فأما هـذه فمتروك أمر تقدير العقوبة فيها للحكام على نطاق أصول مقررة للتجريم والعقاب بما لا يخالف شرع الله أو يجاوزه ولا خلاف ثمة بشأنها .

أما عن السرقة فى المال العام ـ وما تخوفه البعض من أن يحكم بقطع يد السارق فى السرقة العادية ولايحكم بالقطع فى سرقة مليون جنيه من المال العام فانى أطمئن الجميع الى أنه قد اخذ الحكم على مذهب مالك فنصـت صراحة فى المـادة ٨٧ من المشروع المقدم : يطبق حـد السرقة على من سرق مالا ممـلوكا للدولة ، أو لاحـدى الهيئات ـ أو المؤسسات العامة أو الشركات أو المنشآت اذا كانت الدولة أو احدى الهيئات تسـاهم فى مالهـا بنصيب متى اكتملت باقى الشروط المبينة فى (المادة ٨٥) وهى باقى الشروط الواجب توافرها فى جريمـة السرقة الجبرية .

٤ ـ ما قيل عن عقوبة الزانى المحصن بالرجم وأنها كانت خاصـة بتطبيق الشريعة اليهـودية على المرأة اليهودية الزانية فانه أن صح ما قال بالنسـبة للتطبيق عقوبة الرجم على المرأة اليهودية الزانية تطبيقا للشريعة اليهودية فان الثابت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين واجماع المسـلمين : أن النبى صلى الله عليه وسلم أقام حد الرجم على ماعز والغامدية وكلاهما مسلم وكان الدليل اقرارهما الصريح وقد أخذت اللجنة بهذا الرأى ولم تعتد بما ذهب اليه بعض الخوارج وبعض الشيعة وبعض المعتزلة من أنه لا عقوبة فى الزنا غير الجلد استثناء من اللجنة الى أن السـنة الصحيحة ثبت فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قد أقر بالرجم بالنسبة للزانى المحصن ، ونفذ ذلك فى حضـوره وكان ذلك بعد نزول سورة النور فكان حدا تشريعيـا وتحديدا لهذه العقوبة واستمر ذلك من بعده .

٥ ـ بالنسبة لنظام الحكم فى الاسلام :

ما دام الأمر لم يرد فيـه نص قاطع آمر أو مانع ـ كان محل الاجتهاد بشروطه وفى نطاق أن يرد الأمر فيه الى الله (تبارك وتعالى) والى الرسـول (صلى الله عليه وسلم) فقد ترك فينا عليه الصلاة والسـلام من بعده ما لو اتبعناه فلن نضل أبدا : كتاب الله وسـنته صلى الله عليه وسلم . (أ . هـ)

* * *

٢ ـ عمر التلمسانى

آثار الأستاذ مصطفى مرعى قضية هامة حين ذكر أن الاخوان المسلمين هم أول من اقحم الدين فى السياسة لأنهم قالوا : ان الاسلام ليس عقيدة فحسب وانما هو عقيدة وشريعة وقال : ان هناك رأيا يرى أصحابه أن الاسلام عقيدة فقط وان ما جاء به من شريعة ، شأنه شأن غيره من الشرائع يتغير بتغيير الزمان والمكان .

ولاننا نعرف من سيادتة الخبرة القانونية الدقيقة والاطلاع الواسع فاننا نسأل اذا كان الله جلت قدرته أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : وشاورهم فى الأمر ، وقوله تعالى (ان الحكم الا لله) .

ولقد قرأنا لسادتنا المفسرين ان المقصود بالحكم هو تنفيذ العدالة بين العباد (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وهل الحكم وتوابعه ومستلزماته الأساسية شئون الناس أجمعين من الذى يعقد المعاهدات الا الحاكم « وجاهدوا فى الله حق جهاده » من يتولى قيادة الجيوش (أن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) .

من الذى يعين القضاة ليحكموا بين الناس بالعدل هذا الذى يسمونه سياسة ونسميه نحن دينا ، اذا قلنا للحاكم لا تجعل الدولة والرعية يتعاملون بالربا واذا قلنا هذا الحاكم فهل نحن متدخلون فى سياسة المالية أم نحن نكاد نطبق شرع الله فى المسلمين (وأحل الله البيع وحرم الربا) وما اظنك الا آخاذا بكتاب الله واعيذك من غير ذلك لأنك مسلم .

* * *

انه لشرف كبير للاخوان المسلمين ان يرى الأستاذ انهم هم اول من اقحم الدين فى السياسة وان كنا لاندعى هذا الشرف أو نبتدع هذا القول ، أسوق اليك حديثا واحدا من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قل لى بعد ذلك : أهو من صميم السياسة كما تفهمونها ام انه اقحام للدين فى السياسة : يقول صلى الله عليه وسلم (ان أبتغى الوالى الريبة فى الرعية فقد افسدها) هل ترى أن هذا اقحام للدين فى السياسة ام تراه معى شريعة الله تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم لتستقيم الأمور على أمر سواء . أترى فى هذا اقحام من رسول الله صلى الله عليه وسلم للدين فى السياسة ، أم ترى أن هذه طبيعة هذا الدين الشامل المنظم لكل جوانب الحياة وهل يمكن ان يتصور انسان ان هذا الدين الذى لم يفرط فى شىء ، أترى أن هذا الرب العظيم يبحث فى شرعه عن كل شىء الا الحكم أو السياسة ، ألم تقرأ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة) . وكيف يحيط الوالى رعيته بالنصيحة أن لم ينصحهم ويأمرهم باتباع شريعة الله . الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذاحكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر . وفيم يخطىء الحاكم المسلم او يصيب، اليس فى ادارة شئون الرعية وفقكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، الم يرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله الى الملوك والرؤساء ليدخلوا فى دين الله وما يترتب على ذلك من الغاء تشريعات وضعية لتحل محلها تشريعات ربانية ، اذا طالبنا حاكما بمعاقبة الجائرين وحثثناه على الرفق بالرعية ونهيناه عن ادخال المشقة عليهم نكون قد خلطنا بين الدين والسياسة خلطا لا تقرونه ، اليس من حق كل مواطن أن يطلب من حاكمه ما يراه حقا له عنده لأنه مسئول عنه .

ما هى السياسة فى عرفكم غير هذا ، أن الاخوان المسلمين لم يكونوا مبتدعين ولكن ملتزمين ، انهم يقتدون برسولهم صلى الله عليه وسلم كحاكم ورئيس لدولة ، هل محاربة ابى بكر الصديق لأهل الردة سياسة أم دينا، هل المعاهدات التى عقدها عمر بن الخطاب مع النصارى فى القدس وحمص وغيرها سياسة أم دينا وما كتبه ابن تيميه فى كتابه (السياسة الشرعية) سياسة أم دينا ، والعز بن عبد السلام يوم الزم حكام مصر بما الزمهم به كان يباشر سياسة أم يطبق دينا وعندما قال الله تبارك وتعالى (وان هذه أمتكم أمة واحدة) استنكارا للقومية وما اليها أكان ذلك سياسة أم دينا .

ليت الاخوان المسلمين كانوا اول من قال ان الاسلام دين ودولة ومصحف وسيف ، وعبادة وجهاد ، وحكم وقضاء وتجارة واخلاق ، ليتنا كنا الأولين فى هذا المجال حتى نحظى بأجر من سن سنة طيبة ، فله أجرها وأجر من عمل بها دون أن ينتقص ذلك من أجورهم شيئا .

انى أرجو أن ترجع الى عشرات المؤلفات التى الفها جهابزة لا نصل الى عِلمهم فى دين الله عندما اشبعوا هذا الموضوع بحثا ودراسة .

* * *

(٣)

الدكتور عبد المنعم النمر

كانت الشريعة الاسلامية مطبقة فى مصر على مدى تاريخها الاسلامى حتى أواخر القرن الماضى حيث دهمنا الاستعمار بجيوشه وفرض علينا قوانينه ، وأبعد القوانين الشرعية — ما عدا الأحوال الشخصية — ولم تفتأ الأمة بعد ذلك تعمل على جلاء جيوش المستعمر وقوانينه ، لكن القوة كانت فوق الحق ، فظلت الجيوش كما ظلت القوانين المحتلة ثم رحلت وبقيت القوانين التى تعود عليها رجال القانون برغم ما فى بعض موادها من معارضة صارخة للشريعة وخروج على عاداتنا وتقاليدنا الأصيلة .

وخلال ذلك الوقت الذى مضى لم يفتر علماء الدين والشعب معهم عن مطالبة المسئولين بتطبيق الشريعة حتى صار هذا مطلبا عاما شاملا للشعب بجميع أجياله الشباب والشيوخ أن من الطبيعى والبديهى أن تكون القوانين منسجمة مع الدستور ومسايرة له وما دام الدستور قد نص على أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع فمن الضرورى أن تكون القوانين كلها متمشية مع الشريعة غير مختلفة معها ، لا يقف فى وجه ذلك كلام لهذا أو لذاك والذى قام عليه العمل لتطبيق الشريعة هو تمهيد لتغيير القانون القائم بقانون مقترح أو بالدقة تغيير لبعض مواده التى لا تتمشى مع الشريعة بمواد تتفق معها والقائمون بالعمل والاشراف عليه هم من رجال القانون الدستورى وغيره ويدركون تماما طريقة اصدار قانون مكان قانون ، واتخذوا لذلك الخطوات اللازمة لهذا التغيير بما عليه الدستور والقانون دون خروج عليهما ، وكلنا يدرك أن دواعى التغيير قائمة وملحة وأولها ضرورة اتفاق القوانين مع الدستور وكثيرا ما نرى بعض رجال القانون يطعنون فى قوانين بأنها مخالفة للدستور ، والدولة لم تبطل العمل بالقوانين المخالفة للدستور فجأة وعقب اقرار هذه العادة للتغيير وتركت القوانين المخالفة تعمل حتى يقع التغيير بشكل دستورى ، وقد مرت سنوات عدة على اصدار هذه المادة ولا تزال القوانين المخالفة للشريعة مخالفة صارخة نافذة كقانون هتك العرض مثلا . ولا أظن الأستاذ مصطفى مرعى ينكر أن الدواعى لتغيير قانون هتك العرض وأمثاله قائمة وملحة .

ان التغيير فى القوانين انصب اصلا على المواد المخالفة للشريعة المتنافية مع وضعنا وتقاليدنا ولو كان معمولا بها عند غيرنا فى بلاد غير اسلامية ، أما غير ذلك من المواد التى لم يوجد فيها مخالفة للشريعة بل وجد أن الشريعة تتحملها بنظرياتها وقواعدها العامة وتحقق المصلحة فانها لم تتغير . غاية الأمر أن اللجان عملت على ايجاد الرابطة بينها وبين الشريعة ومزاحتها وحرصت على النص على ذلك قدر المستطاع فى مذكراتها التوضيحية ليرجع اليها القضاة والمحامون واذا حصل تغيير ففى بعض الألفاظ التى لا تمس الجوهر .

ولكن الأستاذ مصطفى مرعى يقول أنه يعارض فى مبدأ وجود المادة التى تقول : ان الشريعة هى المصدر الرئيسى وله رأيه ولا شك ولكن لابد أن يحترم ويخضع لراى الشعب وممثليه وللاغلبية شريعتهم وهم الذين يرون مصلحة الأمة فى الالتزام بشريعتها وهى متسعة الصدر لكل اصلاح يراد تحقيقه فالمصلحة العامة وتحقيقها هى الهدف الأصيل للشريعة .

وقد ضرب لنا رسول الله وصحابته من الخلفاء من الشعب ايضا مثلا فى التطبيق نحن ملزمون به من حيث المبدأ وان كنا غير ملزمين به من حيث الشكل فلكل عصر ما يناسبه من اشكال التطبيق ويظل المبدأ الاسلامى والشورى هو المهم فلا تحكم الأمة برأى فرد واحد وعقل واحد لأن ذلك مخالف المبدأ القرآنى المنصوص عليه والمأمور به وهو الشورى .

***

(٤)

دكتور عبد العظيم المطعنى

لا ياشيخ المحامين .

أول ما استوقفنا فى حواره أن يتهم جميع الذين ينادون بتطبيق الشريعة الاسلامية ، انهم يسعون الى أغراض شخصية وهذا ظلم من شيخ المحامين الذى أمضى عمره فى البحث عن العدالة والمطالبة بها لمستحقيها فهذا التعميم فى الحكم لا يوافقه عليه منصف ، بل ان اكثر من ينادون بتطبيق الشريعة أناس مجردون من الهوى لايرون فى المناصب مغنما ولا فى الشهرة كسبا ، وانما يريدون ارضاء ربهم وانقاذ أمتهم من محن طحنتها طحنا لأنها لجأت فى علاج أمراضها الى غير طبيب والتمست الخلاص من غير جهته أكثرهم لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا لأنهم يعلمون ان العاقبة للمتقين .

وإذا كان رجل له وزن فى ميدان العدالة يرسل التهم هكذا بلا ضابط فممن ترجى العدالة اذن .

أوجه سؤال الى شيخ المحامين بأن الدستور قد نص على ان الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ، وكانت اجابة الشيخ بأن نص الدستور هنا لا يعنى أننا نلغى تشريعاتنا القائمة ، هذا رأيه وقد استشهد عليه بقرار الجمعية العمومية لمحكمة النقض ، الذى يقول : ان مجموعة القوانين المدنية القائمة لا غبار عليها ومن الخير أن تبقى كما هى بعد أن الفها الناس وإذا كان فيها ما يتعارض مع الشريعة الاسلامية فلتراجع المواضع التى يقع فيها هذا التعارض .

فهل يا ترى هذا النص مما يؤيد رأيه .

ان من له أدنى صلة بمرامى الكلام وفقه النصوص يقول لشيخ المحامين : لا ليس فى كلام محكمة النقض ما يؤيد رأيك لأن محكمة النقض اشترطت لبقاء هذه القوانين عدم تعارضها مع الشريعة الاسلامية وقسمها قسمين : ١ ــ قوانين لا تخالف الشريعة وهذه تبقى ولا تلغى . ٢ ــ قوانين تخالف الشريعة وهذه تراجع بما يزيل خلافها للشريعة ومن هنا فان محكمة النقض لا ترى رأيه وكيف يغيب عنه ذلك وهو محام ضليع ويحسن فهم النصوص ويستخرج منطوقها ومفهومها .

● كذلك فقد أبدى سخطه على المادة المعدلة فى الدستور : « وهى (الشريعة هى المصدر الرئيسى للتشريع » لأنها تسد المنافذ أمام المشرع ثم فصل فصلا تعسفيا بين ما أسماه الدين الاسلامى والتشريع الاسلامى فقال : وأحب أن أنوه هنا أن هناك فارقا كبيرا بين الدين الاسلامى والشريعة الاسلامية لأن ما جاء فى القرآن والسنة خاصا بالدين الاسلامى هو من قبيل الأحكام التى لا تتغير بتغيير الزمان والمكان أما ما جاء فى القرآن والحديث من نصوص تشريعية لا علاقة لها بالدين فهذه تتغير بتغيير الزمان والمكان) .

انه يقصد بالدين الاسلامى العبادات من صلاة وصيام وحج الخ . ويقصد بالشريعة التوجيهات الاسلامية فى الحكم والسياسة والمعاملات من بيع وشراء واجارة وتجارة الخ .

وأيا كان مراده فان هذه الثنائية فريه منكرة من حيث رتب عليها ما ارتآه ، فلا فرق فى الدين الاسلامى بين أسسه التشريعية وقيمه الدستورية فكلها دين اسلامى أبى الشيخ أو رضى . فكل ما جاء فى الاسلام سواء كان فى مجال العبادات والحكم والسياسة والمعاملات والعقوبات كلها صالحة لكل زمان ولكل مكان فليس فيها ما يتناوله التغيير فالواجب فى الاسلام واجب ما كانت الحياة والحلال حلال والحرام حرام ولكن شيخ المحامين يريد ان يعزل الاسلام عن مجال الحياة ويقصره على دور العبادة والخلوات والمحاريب وهو بذلك يشبه من يقص جناح الطائر ليلحقه بالدواب والزواحف .

ان الاسلام عقيدة وشريعة ودين ودولة وليست هذه مجرد (دعوى) وانما الحقيقة التى تؤيدها مئات البراهين من واقع الاسلام نفسه من حيث قيمه وأصوله وتوجيهاته وتؤيدها حقائق التاريخ يوم قامت دولة الاسلام فغيرت وجه التاريخ وأحديث فى مجرى الحياة آثارا خالدة بشهادة الأعداء والخصوم .

● قال شيخ المحامين : ان ما جاء فى غير أحكام الدين ، يعنى فى الشريعة الاسلامية وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بالحكم ــ يعنى السياسة ــ فليس بملزم أن يكون هو المرجع الوحيد لأنه ليس فى القرآن والسنة شىء يتعلق بشئون الحكم ، الذى يتغير بتغير الزمان والمكان ولذلك تركها الله للناس والدليل على ذلك حيرة الصحابة عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولو اراد الله نظاما للحكم لجاء ذكره فى القرآن أو جاءت به السنة ولكنه تعالى تركه للناس ليكون لهم حرية الاختيار .

ان دعوى شيخ المحامين من ان الاسلام خلا من شكل نظام الحكم ، واستشهاده باختلاف الصحابة حول خلافة أبى بكر ليس معناه أن منهج الحكم لم يكن معروفا ولكن شيخ المحامين خلط بين منهج الحكم وبين الاجراءات المؤدية اليه وهى طريقة تقليد المناصب ، اذ لا ضير فى الاسلام أن يكون تولى منصب القيادة العليا فيه بالبيعة العامة كما حدث مع أبو بكر أو العهد المشروط برضى جماعة المسلمين كما حدث مع عمر بن الخطاب أو الترشيح المحدود الشروط كما حدث فى تولى عثمان رضى الله عنه . ولا يمانع الاسلام فى أى شكل للحكم : ملكى أو رئاسى جمهورى وانما يطالب الاسلام من يتولى القيادة العليا فيه بتنفيذ منهج الله فى الحكم فى كل صغيرة وكبيرة فهو يهتم بالموضوع ولا يهتم بالشكل فكيف يطالب شيخ المحامين بورود نص معين فى القرآن يصرح فيه بأسماء الخلفاء ويجعل ذلك شرطا للتسليم بأن فى الاسلام نظام حكم .

* * *

● ويستطرد شيخ المحامين بعد أن سخر عفا الله عنه من عقوبة السارق ودعا الى الأخذ بغيرها مما طوره العالم ، فيشير الى صعوبة تطبيق الشريعة لكثرة اختلافات الفقهاء فيها ولأنها لم تنص على كل الجرائم كالاختلاس وهذه نغمة مردودة من عدة وجوه :

الأول : أن القوانين الوضعية التى يدعون الى التمسك بها يكثر الاختلاف فيها ولا يستقر على وتيرة واحدة ونحن لا ننكر أن بين الفقهاء المسلمين خلافات ولكن تلك الخلافات ترجع الى أصل واحد هو : مقاصد الاسلام وأصوله التشريعية ، وهى اما خلافات فى فهم النص أو فى مواضع لم يرد فيها نص والفقهاء جميعا متفقون على الاحتكام الى الدستور الاسلامى ، فالقاضى المسلم يوم يجلس للقضاء فى ساحة الحكم بما أنزل الله فانه يمكنه أن يأخذ بأرجح الآراء فى حفظ الحقوق وبأيسرها فى دفع الحرج على أن تقنين الشريعة قد صدرت عنه أعمال مدروسة للتيسير على القاضى وقد قام مجمع البحوث الاسلامية بمراجعتها وتهذيبها ، وللعلماء أعمال أخرى رائعة جدا فى هذا المجال ولا أظن أن شيخ المحامين لا يعرف عنها شيئا اما الاختلاف فى مجال القوانين الوضعية فيرجع الى اختلاف الأصول والفلسفات والمصادر المستقاة منها وهى اختلافات جذرية جوهرية فلماذا يعيب شيخ المحامين على التشريع الاسلامى ما يعتبره مباحا فى غيره .

وحد السرقة الذى سخر منه ، لو قدر تطبيقه لقضى قضاء مبرما على الارهاب الفردى والجماعى (العصابات) الذى أهدر قيمه المال فنحن نعاقب السارق بعقوبات وضعية ، فهل كان لها اثر فى تطهير المجتمع من ذئاب المال .

— اما الاختلاس فعقوبته اسلامية معروفة وان غابت عن شيخ المحامين فهى (أولا) استرداد المال المختلس وثانيا : تأديب المختلس بمبدأ التعزير وهو احيانا يصل الى حد الاعدام فليس فى الشريعة جريمة وليس لها عقاب يقرره الامام أو الفقهاء (السلطة التشريعية) وليس معنى أن الاسلام لم ينص الا على حدود (السرقة والزنا والقذف والحرابة والشرب وقطع الطريق) انه لا عقاب فيه لغيرها من الجرائم وانما نص الاسلام على هذه الجرائم الست بتحديد العقوبة ليوفر فى المجتمع الأمن على النسل والعرض والمال والنفس والعقل ، وترك تحديد العقوبة على غيرها بشرط عدم الافراط والتفريط .

● وينكر شيخ المحامين فى حد الزنا : الرجم ويقر الجلد لأن الجلد ورد فى القرآن الحكيم والرجم لم يرد فيه .

فالجلد فى القرآن صراحة هو عقوبة الزانى غير المتزوج من فاعل ومفعول ، أما الرجم فهو عقوبة المتزوجين .

وللتشريع هنا حكمة تشريعية عادلة فالشاب غير المتزوج معذور من ناحية وقد تاب من ناحية ، فروعى ظرف جريمته فخفف الشارع عقوبته بالجلد مائة ولم يهدر حياته .

أما المتزوج فلا عذر له فروعى ظرف جريمته فشدد عليه العقاب فى هدر الشرع دمه ليطهر المجتمع من هذا الصنف القذر من الناس لصوص الأعراض ومنتهكى الحرمات وهذا الرجم ثبت بالسنة الصحيحة ولكن شيخ المحامين يرد عمل السنة ....

* * *

الفصل الثالث

حسين أحمد أمين
الجرأة فى الهجوم على السنة والشريعة

الجراة فى الهجوم على السنة والشريعة

ردد (حسين أحمد أمين) شبهات كثيرة وشكوكا متضاربة فى حملة ضارية يقصد التشكيك فى جميع القيم الأساسية بالتماس نصوص مبتورة ، وأخبار ملفقة من كتب القصاصين والرواة وكتاب الأدب والأغانى وغيرها من كتابات الظرفاء والساخرين فى محاولة لانتقاص الاسلام .

وكان هجوم الباحث موزعا على نقاط عديدة أهمها :

١ ـ ان أحكام السنة ليست ملزمة فى التشريع .

٢ ـ أن السنة كانت قيدا على الاجتهاد وعقبة أمام تطور المجتمعات الاسلامية .

٣ ـ ان التمسك بالسنة ورفع أحكامها الى مرتبة الالزام كان هو السبب فى جمود الشريعة .

٤ ـ ادعى أن البخارى اهتم بصحة السند مهما كان مضمون المتن .

***

قطع يد السارق

الأستاذ السيد الغضبان

حاول بخليط غريب من السخرية وتصيد روايات ضعيفة أو مدسوسة ان يثبت ان قطع يد السارق حد لا يصلح للتطبيق فى عالمنا المعاصر ثم يوسع دائرة حكمه على الشريعة الاسلامية بأن علينا أن نأخذ بروح الاسلام لا التزام بأحكام معينة متناثرة .

كقوله : (لقد جاء الاسلام رحمة الله للعالمين وتطور شريعته على تتابع الحقب واختلاف الظروف هو الضمان الوحيد لاستمراره الى آخر الزمن) وقد جاء بعبارته يتنسف بها نسفا الكثير من العبادات والتشريعات التى جاء بها الاسلام فلو أننا سلمنا بهذا المبدأ الخطير الذى يقرره لأسقطنا الصلاة والصيام والحج وغيرها من العبادات ماسماه :

(الأخذ بروح الاسلام بأحكام معينة متناثرة) . الباب مفتوحا بهذا المنطق ليتول قائل : لماذا هذه الطقوس الغريبة من وضوء وركوع وسجود ما دامت روح الاسلام وحكمة الصلاة فى اتصال الانسان بربه تتحقق بوسيلة أخرى كالتأمل وأخلاص النية وحسن المعاملة .

واذا كان الهدف ان يجتمع المسلمون ليتعارفوا ويتدارسوا أمور دينهم وهم بلباس الاحرام فلماذا لايزيح الناس من كل هذا العناء فى السفر المضنى والطواف والصعود على عرفات وتوفر للمسلمين بوسائل الاتصال الحديث تلاقيا أوسع يتدارسون فيه شئونهم .

٢ ـ ويتسع القياس بمنطق (حسين أمين) لتتخذ بديلا جذريا فى طقوس العبادات وأساليبها ما دمنا سنحقق آخر الأمر روح الاسلام كما يقول .

هذا هو أخطر ما ذهب اليه ، وللمسلمين من هذا المنطق موقفا واضحا ، فاذا صح هذا المنطق فى المذاهب

الاقتصادية فانه لا يصلح بالنسبة للأديان التى تتطلب من المؤمنين بها أن تكون ركيزة ايمانهم يقين روحى يفرض بمسلمات غيبية علمها عند الله وحده وقناعة عقلية يتدعم بها هذا اليقين .

والمسلمون كل المسلمين يعرفون القاعدة الشرعية (لا اجتهاد مع النص) فيما ورد فيه نص قاطع لا سبيل للمسلم الا التسليم به بيقين المؤمن والا فليخلع رداء الاسلام ان أراد ويطلب (تطوير النص بما يوافق ما يراه مناسبا لمتطلبات العصر من وجهة نظره وتطوير الشريعة يعتبر مرفوضا تماما ، لأن التطوير يعنى امكانية الحاق تغيير فى الأصل والنص ، والمسلمون المستنيرون يعرفون تمام المعرفة أن الشريعة الاسلامية قادرة بنصوصها القرآنية سواء فى العبادات او فى التشريعات المختلفة أو الحدود قادرة على ان تقنع كل صاحب منطق سليم فى كل عصر وكل مكان .

٣ ــ ويرى (حسين أمين) ان الفقهاء أردوا التحايل على حد السرقة وكان بوسعهم أن يقولوا ان واجب المجتمع الاسلامى فى صورته الجديدة ومن حقه ان يجد عقوبة لجريمة السرقة غير العقوبة التى قصد بها المجتمع البدوى أو الجاهلى .

غير أن الأئمة والفقهاء والمجتهدين لم يكونوا أمناء مع انفسهم ، لقد استحق هؤلاء الفقهاء ووصفهم بعدم الأمانة لأنهم لم يرو رايه ويعلنوا أن حد السرقة قد شرع للمجتمع البدوى .

والواقع أن الفقهاء ليس كما صورهم (حسين أمين) وانما هم على هدى ايمانهم العميق وعلمهم الراسخ بأمور الاسلام رأو أن التشريع الذى نزل به (نص قرآنى) انما أراد الله به عموم البشر لا اسكان الجزيرة العربية من البدو وحدهم وقصد به الناس جميعا فى كل زمان ومكان منذ زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

انهم شوامخ وأنت ترميهم فى بساطة بعدم الأمانة مع انفسهم . ان جريمة السرقة تتغير فعلا من مجتمع الى آخر شكلا وأسلوبا ولكنها تبقى جريمة بكل المعايير وفى نظر كل القوانين ، بل هى فى المجتمعات الحديثة اشد خطرا .

انظر الى بلد طبق شريعة الله كيف اختفت أو كادت جريمة السرقة ، كيف يأمن الفرد على نفسه لأن القصاص الماثل امام المجرمين والمتمثل فى قطع يد السارق يشكل ردعا حاسما ولم يتجاوز عدد الأيدى التى قطعت الا أقل القليل . ويتحدث حسين أمين عن شروط عددها الفقهاء ليجعلوا اقامة حد السرقة أمرا مستحيلا وهى شروط بعضها مأخوذ من روايات مدسوسة على الاسلام وبعضها يسوقه على سبيل السخرية المضحكة ، وهذه هى الجراة فى الادعاء .

ان ما اوردته كتب الفقه من شروط وضعها الفقهاء لدرء حد السرقة ليست مما يؤخذ على الاسلام بل هو مفخرة لهؤلاء العلماء المجتهدين لأنهم وضعوا الضوابط التى تحمى البرىء . وهى معجزة لأن فقهائنا قبل أربعة عشر قرنا صانوا حقوق المتهمين قبل أن يعرف العالم المتحضر معنى صيانة حق المتهم .

ويرى حسين امين ان الفقهاء اخترعوا عقوبة التعذير هروبا من تطبيق حد السرقة لأنها عقوبة لم يذكرها القرآن ولم يعرض لها الحديث الا قليلا ، ونحن نقول له ان السنة الصحيحة متممة للكتاب فاذا ورد التعذير فى الحديث قليلا او كثيرا فهو تشريع واجب الالتزام فليست العبرة بكثرة أو قلة الأحاديث بل بثبوت صحتها أو ضعفها .

٤ ــ ويورد حسين امين صورة بشعة يلصقها بالاسلام وهو يتحدث عن طريقة قطع يد السارق .

* * *

٢ ــ اثارة الشكوك حول السنة

لا يعجب (حسين أحمد أمين) كون الأمام الشافعى قد رفع أحكام السنة الى مصاف الأحكام القرآنية واعتبارها مصدرا الهيا فى التشريع وهو مايعرف بحجية السنة والباحث فى بعض اقواله يضعف هذا العمل من جانب الشافعى بأنه (حميد) ثم لا يلبث ان يضعه فى خانة (العيب) نظرا للمواقف الوخيمة التى جفتها الأمة الأسلامية من حجية السنة واضطراد هذه الأمة بسبب تباين أجناسها واختلاف حضارتها والحاح مصالحها ــ الى الخروج على أحكام السنة .. !

نحن ازاء باحث لا يجرؤ على تحميل نفسه مسئولية الزعم بأن السنة كانت قيدا على حرية التشريع ولذا يضع هذه المسئولية فى عنق الشعوب الإسلامية وفقهائها الذين ضاقوا بأحكام السنة ــ كما يقول ــ فلجأوا الى

التحايل واختراع الأحاديث ونسبتها الى النبى لتكتسب الصيغة الشرعية ولم يكن هذا الفعل الفاضح بمقصورا على زمن معين وانماهو عمل متواصل تتوارثه الأجيال فكلما جاء جيل جديد ذو احتياجات جديدة اختلق هذا الجيل المزيد من الأحاديث التى تعبر عن هذه الاحتياجات التالية لاحتياجات الجيل السابق .

ماذا يعنى هذا الكلام الذى يفتقر الى السند فى ظل سلسلة من الأكاذيب التشريعية فكل ما لديها من أحكام انما مردها الى أحاديث مختلفة ومكذوبة والكاتب لا يعبر عن استنكاره لهذا الفعل — اذا صح — بل هو لا يخفى المجابه بهذا الأسلوب ويراه من الوسائل الفعالة التى مكنت الأمة الاسلامية فى نهاية الأمر من تجاوز العقبات والقوانين الصارمة التى يضعها الحكام أو الفقهاء فى طريقها .

أيه أمة اسلامية تلك التى لا ترى من وسيلة للحياة السعيدة غير الخروج على قيود السنة واختراع الأحاديث للضحك على ذقون العامة وخداعهم بما تتضمنه من صياغة قريبة من صيغة الحديث وتى كانت السنة قيدا على حرية التشريع وهى المصدر الثانى مع القرآن الكريم وماذا سيبقى من مصادر التشريع اذا أهمل المسلمون السنة وتحرروا من أحكامها كى يعيشوا سعداء متطورين .

* * *

سيقال : أن القرآن هو المصدر الأساسى للتشريع لأنه لم يتعرض لتبديل أو عبث أو اختلاف مثلما حدث للسنة وهذا القول نصفه حق ونصفه باطل فأما جانب الحق فيتمثل فى أن حجية القرآن هى الشريعة ليس فى حاجة الى دليل فى نظر المسلم والقرآن هو مصدر المصادر لهذه الشريعة وينبوع ينابيعها والمأخذ الذى اشتقت منه أصولها وفروعها وأما جانب الباطل فيتمثل فى الزعم بأن القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع لأنه ينكر حجية المصدر الثانى وهو السنة .

يقول الامام ابن حزم الظاهرى (كل أبواب الفقه ليس منها باب الا وله أصل فى الكتاب والسنة تعلنه) ولا يختلف عامة المسلمين وخاصتهم على أن السنة هى المفصلة لمجمل القرآن وهى المبينة لما يحتاج الى بيان ، فاذا خرج علينا صاحب رأى يدعو الى انكار السنة تلميحا أو تصريحا أو يحاول اثارة الشكوك من حولها فمن واجبنا أن نتصدى له لأنه يهدم الركن الثانى من أركان التشريع الاسلامى تحت ستار الدعوة الى تطوير الشريعة وتحريرها من الجمود .

والدعوة الى انكار حجية السنة ليست جديدة ولعل هذا الانكار هو الذى دفع الامام الشافعى الى التصدى لهذه الدعوة الخبيثة فرفع أحكام السنة الى مصاف الأحكام القرآنية وقد فعل الامام ذلك لأنه أدرك مخاطر انكار السنة على كيان الاسلام فنهض مدافعا ومكافحا حتى لقب بناصر الحديث ، ولقبه تاريخ الفقه ، بل تاريخ الفكر الاسلامى بملتزم السنة لا يحيد عنها ، وفى ذلك يقول الشيخ محمد أبو زهرة : أما السنة فقد وجد الشافعى من ينكر حجيتها فالتقى بناس ارتكبوا كبر هذا القول ووجد أناسا ينكرون أن تكون مثبتة أحكاما فوق أحكام القرآن لأنها تبين ولا تزيد ووجد أناسا انكروا حجية خبر الأحاد وجد الشافعى هؤلاء وأولئك فكان لابد أن يسوق الأدلة لاثبات أن للسنة حجية فى اثبات الأحكام وبعد أن يسوق أبو زهرة هذه الأدلة بالتفصيل يلقى الضوء على مقاله منكرى السنة فيقول : جملة قولهم أن الكتاب فيه تبيان لكل شىء وأن الكتاب عربى لايحتاج الى بيان غير معرفة اللسان العربى والأسلوب العربى الذى جاء به القرآن وليس وراء بيانه بيان ، وأن الأحاديث المروية يرويها رجال لا يبرءون فى نظر أحد من الكذب أو الخطأ أو النسيان ، ودراية أمثال هؤلاء الرواة لايصح أن تقرن بالكتاب القطعى فى ثبوته ودلالته ، ولكنكم أنتم معاشر الآخذين بالسنة فقد سلمتم أنها ليست فى مقامه حتى تبينه فتكون قاضية بتخصيص أو تقييد أو تفصيل ومن هذا نرى — يقول الشيخ أبو زهرة — أن ذلك الرأى يهدم السنة ولا يعتبرها أصلا من أصول الفقه الاسلامى قط .

* * *

ولقد تصدى الشافعى لفضح آراء هذه النحل وما يترتب عليها من خطر عظيم ، اذ يترتب عليها الاتفهم الصلاة والزكاة والحج وغيرها ، الفرائض المجملة فى القرآن التى تولتها السنة بالبيان الا على القدر اللغوى منها فيفرض من الصلاة فى اليوم ركعتين بزعم ما لم يكن فى كتاب الله فليس على فرضه ، وبهذا تسقط الصلوات والزكوات التى تواتر لدى الكافة فرضها حتى أصبح العلم بها من ضروريات العلم بالدين وقائل ذلك ليس من الاسلام فى شىء .

ونحن نتورع أن نتهم الكاتب فى دينه فمثل هذا الاتهام ليس مطروحا على الساحة للمناقشة .

(الأخبار ٣١/٣/١٩٨٤)

٣ ـ الامام الشافعى وحجية السنة

ان المسلمين على اختلاف ثقافاتهم وطوائفهم وانتماءاتهم يؤمنون بان السنة الشريفة هى المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم والمسلمون يعتبرون قول الرسول وفعله وتقريره حكما شرعيا لا يختلف فى ذلك احد ، فاذا جاء كاتب ليقول أن أحكام السنة ليست ملزمة فى التشريع ، فمن حقنا أن نناقش دعواه ونمحص أسانيده ، حتى ننتهى واياه الى وجه الحق ، أما اذا قال ان السنة كانت قيدا على التشريع وعقبة على امام تطور المجتمعات الاسلامية فان المناقشة تكون ألزم ويكون عليه أن يقدم الدليل على صحة دعواه فاذا لم يفعل وجب علينا أن نقول كلمة الحق والانصاف فى هذه القضية التى تتصل بالدعامة الثانية من دعائم الدين .

ولقد نشر حسين أحمد أمين سلسلة من الملاحظات حول الشريعة الاسلامية دعا فيها الى تخليص العقل من القيود حتى يتمكن المسلمون من مواكبة العصر وهو يرى أن اغلاق باب الاجتهاد أدى الى جمود الشريعة عند قوالب معينة صنعها السلف الصالح من الائمة المجتهدين لعصرهم ، وهذا كلام فيه نظر ولكن اشد ما فى هذا الكلام مما يستحيل تقبله فهو قوله :

أن التمسك بالسنة ورفع احكامها الى مرتبة الالزام كان هو السبب فى جمود الشريعة . وينسب الكاتب الى الامام الشافعى مسئولية القيام بهذة المهمة التى كانت الهدف منها فى الاصل معالجة ظاهرة الاختلاف فى الأحكام ولكنها تحولت الى قيد على حرية التشريع .

* * *

فماذا فعل الامام الشافعى

يقول الباحث : جاء الشافعى فانكر على أبى حنيفة امعانه فى التعقل وشدة اعتماده على اعمال الفكر والرأى الشخصى والاستحسان كما انكر على الامام مالك تاكيده لحق المسلمين فى استبعاد بعض الاحكام التى اسنتها الرسول متى نشأت اعتبارات فقهية عجيبة أو كان ثمة نص قرآنى يقضى بغيرها وكان أن دفع الشافعى أحكام السنة الى مصاف الأحكام القرآنية وذهب الى أن السنة شأن القرآن مصدرا الهيا وذهب الى ضرورة جمع اقوال النبى والروايات عن افعاله من أجل اتخاذها مصدرا ثانيا للشريعة .

بل وذهب الى ابعد من ذلك حين وافق قول الشيبانى بجواز أن تنسخ أحكام السنة أحكام القرآن ، ثم يمضى الكاتب فينعى على الامام الشافعى دعوته الى حجية السنة . اى ان يكون لها الزام كالزام القرآن ، ويرى ان هذا الموقف أدى الى عواقب وخيمة على امة المسلمين الذين ضاق أمامهم نطاق الرأى كمصدر للتشريع وسلب الشعوب حريتها فى تشريع ما يناسبها مما دفع العلماء الى التحايل على المصدر الثانى الجديد (أى السنة) عن طريق اختراع احاديث يضمنونها آراءهم المسايرة للتطور ثم نسبتها الى النبى مختلقين لها الأسانيد فى صياغة قريبة من الصياغة المالوفة للحديث ثم يقول : انه بالرغم من الجهد الذى بذل لتنقية الأحاديث فان هذا الجهد تركز على (التحقق من صحة الاسناد وليس معقولية المتن) ولم يحل ذلك دون قيام حالة من الفوضى الشاملة فى ميدان الحديث .

* * *

هذه القضية المتشعبة التى يطرحها (حسين احمد أمين) باسم الدعوة الى فتح باب الاجتهاد وتحرير الشريعة من الجمود تثير بعض القضايا الفرعية يمكن تلخيصها فيما يلى :

أولا : ان الامام الشافعى كان من أسباب الانغلاق الفقهى والتشريعى وهدم المنهج التحررى الذى سلكه ابو حنيفة ومالك فى مجال استخدام العقل والرأى .

ثانيا : ان الشافعى غالى فى تقدير حجية السنة لدرجة انه منحها سلطة (الغاء) أحكام القرآن .

ثالثا : أن أحكام السنة كبلت حرية الشعوب فى تشريع ما يناسبها .

رابعا : ان الائمة المجتهدين ــ للخروج من الورطة ــ اختلقوا الأحاديث المكذوبة و (فبركوا) لها الأسانيد .

خامسا : ان ميدان الحديث تعرض لفوضى شاملة بالرغم من حملة التنقية التى اهملت التحقق من معقولية الدين .

(باحث مسلم ــ الفكر الاسلامى ــ الأخبار ٨٤/٣/٢٤)

* * *

٤ ـ قضية إختلاق الأحاديث

يطعن (حسين احمد امين) حركة الاجتهاد فى الاسلام طعنة مسمومة حين ينسب الى الائمة المجتهدين ما هم منها براء وهى جريمة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزعم انهم صاغوا آرائهم فى قالب احاديث نسبوها الى النبى واختلقوا الأسانيد لها حتى تلقى قبولا من الأمة ، او على حد تعبير بعضهم (كنا اذا رأينا رأيا صيرناه حديثا) فاذا الأجيال التالية لاقفال باب الاجتهاد قد صدقت نسبة هذه الأحكام والآراء الى الرسول الخ .

* * *

ويهدف الباحث من وراء هذه الفرضية المزعومة الى التدليل على أن المجتهدين الأوائل كانوا من المرونة الى حد الخروج على قيود السنة وتزييفها كى تستقيم أمور الناس فوضعوا لهم احكاما فقهية فى قوالب شرعية .

ولن يناقش القواعد التى قام عليها الأجتهاد فى الاسلام والتى من اولى بدهياتها التقيد باحكام القرآن والسنة ، ولكنا نناقش الفرضية التى طرحها الباحث والتى تتعلق بعملية اختلاق الأحاديث ومن حقنا أن نطالبه بأن يذكر لنا اسم واحد من الأئمة المجتهدين وضع أحاديث كاذبة ونسبها الى النبى . هل فعل ذلك أحمد ابن حنبل أو الشافعى او ابو حنيفة أم مالك .

وكلهم يعرف قول النبى (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) وكلهم أوتوا من الفراسة فى فهم الرجال ما جعلهم يتورعون عن قبول روايات لم تتوافر لها عنصر الثقة فى الاستاذحتى قال مالك : ان هذا العلم (يعنى الحديث) دين فانظروا ممن تأخذون فقد أدركت سبعين ممن يقولون (لا اله الا الله) قال رسول الله عند هذه الأساطين ـ مشيرا الى أعمدة مسجد الرسول فما أخذت منهم شيئا وأن أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان امينا الا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن (أى علم الحديث) .

ان العبارة التى ذكرها الباحث على لسان (بعضهم) وقال فيها :

(كنا اذا رأينا رأيا صيرناه حديثا) لم يقلها واحد من الأئمة المجتهدين فى أى عصر من عصور الأجتهاد وانما الذى قالها واحد من رءوس الأفك والضلال ونعنى بهم (الرافضة) من غلاة الشيعة ، وكان الشيعة المعتدلون يعرفون هذه الحقيقة ويحذرون من المسلك الوعر الذى سلكه غلاتهم فى وضع الحديث .

فقد كان ميدان الحديث مجالا واسعا للوضع والوضاعين ولكن من هم الذين قاموا بهذه الجريمة ، هنا مربط الفرس ، ولو رجع الباحث الى كتاب والده أحمد أمين (فجر الاسلام ص ١١١ فسوف يجد قصة عبد الكريم ابن ابى العوجاء الوضاع الذى قال حين أخذ لتضرب عنقه : فقد وضعت لكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها واحلل ، وسيجد صفة هذا الوضاع بأنه كان يخفى اعتناقه للمانوية من الكذابين الوضاعين ، الذين ارادوا الكيد للاسلام وهدمه من الداخل على طريق (فبركة الأحاديث) بعد أن استحال عليهم العبث بالقرآن .

وكيف له أن ينسى الجهود الجبارة التى قام بها علماء الحديث لفضح هذه الحملة المسعورة وصيانة الحديث من عبث المفسدين ودس الدساسين ، فكان من ثمار هذه النهضة المباركة أن استقام أمر الشريعة بتدوين السنة وظهرت **علوم الحديث ومن أبرزها** علم مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل لتقويم الرجال الرواه) وتمييز الحديث الصحيح من الحسن والضعيف .

ومع كل ذلك يأبى الباحث الا أن يمضى فى حملته المريبة فيعيب على علماء الحديث أنهم ركزوا معظم جهدهم على التأكد من صحة الأسانيد ولو أدى الأمر الى قبول أحاديث تحتوى على خرافات أو تجافى المنطق أو التاريخ الثابت (الأخبار ١٩٨٣/٤/١٤)

٥ ـ اجتهاد مضلل

يقول حسين احمد امين أن الاجتهاد ثيجب أن تفتح أبوابه وأنا أسأله : ومتى اغلق باب الأجتهاد ، أن باب الأجتهاد لم يغلق وما زال مفتوحا ولكن ليس لكل من هب ودب ، انه باب مفتوحا لمن يتمتع بأهلية الأجتهاد تلك التى تقوم على أساس من العلم بالكتاب والسنة ودراسة لآيات واحاديث الأحكام ومعرفة ما قاله المفسرون وما قاله شراح الأحاديث والأستيعاب لما أدلى به الفقهاء والمجتهدون فى هذه المجالات . والعلم بمصطلح الحديث كما لابد للمجتهد أن يكون حافظا للقرآن الكريم كله ، وان يكون عالما بالمسائل التى انعقد عليها اجماع العلماء فى شتى الأزمنة عالما بلسان العرب ، عالما بدلالات الألفاظ .

وأن تتثبت له القدرة على تفسير ما ورد فى كتاب

الله وسنة رسوله قادرين على استنباط الأحكام استنباطا قويا منطقيا عارفا بالناسخ والمنسوخ بحيث لا يخفى عليه شىء من هذا ، كما لابد أن يكون عالما بأصول الفقه ومقاصد الشريعة وأن يكون معايشا للناس عارفا بعاداتهم كما لابد من أن يكون كذلك من أهل التقوى والورع والغيرة على دين الله .

كيف يقال انك مفكر اسلامى وأنت تنادى بتعطيل كتاب الله وسنة رسوله ، وأنت تحرض العقل على الخروج على خالقه بحجة أن عصيان الله عقل وكيف وانت تهاجم وتجرح المنادين بالاسلام وانت تتهم المنادين بتطبيق شرع الله بأنهم خونة وعملاء .

ما رأيك فى الحدود المهدره ، وهب ان رجلا دخل بيته فوجد رجلا مع امراته فهم بقتل الزانى فكانت يد الزانى أسرع فقتل الزوج فان القانون الوضعى يخرج هذا القاتل الزانى بريئا من كلتا التهمتين أما خروجه من تهمة القتل فلأنه كان يدافع عن نفسه أما خروجه من تهمة الزنى فلأن الوحيد الذى يملك حق رفع الدعوى على هذه الزوجة الزانية هو الزوج وقد قتل وليس هذا الحق لأحد غيره .

ارأيت انك تدافع عن قانون يهدر المال وهو يعطى الحق للمغتصب ، فمن يبسط يده على ما اغتصبه خمسة عشر عاما على الأكثر يكون مالكا لهذا الشىء الذى فى حوزته .

تقول ان الاستعمار البريطانى قد ابطل الشريعة الاسلامية ولم يعترض أحد وترى ان السكوت على عدوان الاستعمار البريطانى على شريعة الله دليلا فى نظرك وحجة فى يدك لتعترض على المطالبين بتطبيق الشريعة . وهل يمكن أن يكون الغناء الاستعمار للشريعة حجة يمكن أن يجنح بها فى وجه المنادين بتطبيق الشريعة وهل يعتبر السكوت على المنكر حجة لمعارضة من ينادى بالمعروف ويستنكر المنكر .

كيف ترمى الامام ابو حنيفة وتقول انه لم يكن من الورعين الأتقياء ، كيف ترمى الامام احمد بن حنبل بأنه لم يكن من الورعين الأوفياء ، كيف ترمى الامام الشافعى بأنه ليس من الورعين وهو واضع علم أصول الفقه ، كيف ترمى الامام مالك .

كيف تريد أن تكون مجتهدا ومفكرا اسلاميا وانت تجحد شرع الله وتتساءل فى تهكم كيف تعادل شهادة بواب لشهادة امينة السعيد وسنية القلماوى واقول لك ان الله هو الذى شرع والآية واضحة فى القرآن ولا تقبل شهادة حاسرات الرءوس السافرات ولا تقبل شهادة المستنكرات لشريعة الله . بلسان المقال ولسان الحال وتقول انك قرأت القرآن كله فلم تجد (كما تزعم) الا ان الحجاب قد فرض على زوجات الرسول بوصفهن الخاص واقول لك افتح المصحف فى سورة الأحزاب فقد شهدت على نفسك بالجحود أو بالغفلة واقرأ قوله تعالى :

(يا ايها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين)

اقرأ جيدا (ونساء المؤمنين) .

كيف تقول أن الحجاب لم يفرض الا على زوجات الرسول ولم يفرض على نساء الأمة مع أن الله تعالى يقول :

(يا ايها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين) ويقول للمؤمنات باطلاق (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن) والخمار غطاء الرأس والجيب فتحة الثوب عند العنق بستر العنق والأذنين والقرط حتى لا يبدو من المراة غير وجهها وكفيها (صلاح أبو اسماعيل)

٦ ــ ترديد لفكر المستشرقين العنصريين

عالج حسين أحمد أمين فكرة تطبيق الشريعة بأسلوب يثبت استحالة تطبيقها وتنطوى مقالاته على أخطاء شكلية وموضوعية فهو من ناحية الشكل يتناول موضوعات جليلة باستخفاف وسخرية ، الأمر الذى يوحى انه لا يتحلى بروح المسئولية التى ينبغى أن يتوافر لمن يكتبون فى هذا المجال ومن الناحية الموضوعية تخلو كتابته من التوفيق والتجريح وتفتقر الى الأمانة العلمية والدقة ، كما انه يخالف ــ دائما ــ ما استقر عليه الجمهور طمعا فى لفت الانتباه .

ويبدو الكاتب ضيق الصدر بمثالية السلف الصالح دائم البحث عن أخطاء يلحقها بهم حتى ينزلهم من سماء المثالية الى أرض الواقع . وهكذا كانت نظرية لسعد ابن أبى وقاص أما خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز فهو عنده جاهل ويرى أن جهله بالشئون السياسية كان سببا فى تدهور أحوال الدولة وفى نفس

الوقت يشيد بالكفاءة الادارية ليزيد بن معاوية السكير العربيد (الذي مات وهو يسابق قردا قيده على حصان) وهو يعتقد أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان واحدا من أعظم الاداريين في العالم (وهذا رأي المستشرق الألماني فلهوزن) وهو رأي متهافت من آثار المدرسة الألمانية التي كانت تقدس الدولة ولو كانت ظالمة باغية وهو يرى أن العقل العربي متطرف لا يرى في الحياة سوى لونين هما الأسود والأبيض بسبب طبيعة الصحراء (نفس رأي المستشرقين العنصريين) وهو يرى أن طبيعة العربي تكره كل جديد وهو يدعو الى الاكتفاء بروح الاسلام دون تطبيق حدوده وأحكامه .

انه يبدو كصورة بالألوان الطبيعية لفكر المستشرقين العنصريين وبالتالي فلا جديد فيما يقوله .

(أحمد بهجت)

* * *

٧ ـ دعاوى على الامام البخاري

ليس صحيحا ما ادعاه (حسين أمين) على البخاري من أنه يعول على الاسناد فقط بل أن البخاري عني بالاسناد والمتن معا ، وعني بالنقد النفسي وذلك كرد رواية المبتدع الداعي لبدعته ، وليس أدل على نقد البخاري وغيره من المحدثين للمتن من أنهم وضعوا علامات الوضع في المتن ، مثل مخالفته للعقل السليم أو المشاهدة أو الحس ، مع عدم امكان تأويله تأويلا محتملا ، كما ردوا من الأحاديث مايخالف القرآن والسنة المشهورة الصحيحة ، أو التاريخ مع تعذر التوفيق وهكذا مما هو مبسوط في كتب (أصول الحديث) .

هذا بالاضافة الى أن البخاري شرط أن يخرج الحديث المتفق على صحة نقله الى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات ويكون اسناده متصلا غير مقطوع وان يكون راويه مسلما صادقا غير مدلس ولا مختلط متصفا بالعدالة والضبط متحفظا سليم الذهن سليم الاعتقاد .

فاشترط في الاسناد (الاتصال) بنقل العدول الضابطة كما اشترط في المتن أن يكون خاليا من الشذوذ والعلة واشترط في المعنعنين اللقاء مع المعاصرة والثقة وعدم التدليس .

وليس في البخاري من الأحاديث ما يوصف بأنه يجافي المنطق أو العلم أو التاريخ اللهم الا اذا كانت فقط تجافي منطق الجاهلين بالسنة وبمعانيها .

وقد تدارس نقاد الحديث هذا الكتاب حديثا حديثا فشهدوا له بالصحة ، يقول أبو جعفر العقيلي :

لما صنف البخاري كتاب الصحيح عرضه على علي بن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة الا أربعة أحاديث قال العقيلي والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة لهذا كله اجمعت الأمة على تلقيه بالقبول واتفق العلماء على أنه أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى هما الصحيحان للامامين الجليلين : البخاري ومسلم .

وأن جميع ما في صحيح البخاري صحيح ليس فيه ضعف ، وانما كان نقد الناقدين موجها الى بعض أحاديث لم تصل في صحتها الدرجة العليا التي التزمها الامام البخاري وهما في الواقع ونفس الأمر صحيحة ولكنه يلتزم في كتابه بشروط غاية في الدقة والحيطة .

(أحمد عمر هاشم)

الشبهات المثارة حول الشريعة

أولا : الحكومة الدينية

من أهم الدعاوى التي يرددها العلمانيون والماركسيون القول بأن الاسلام يدعو الى الحكومة الدينية (التي يسمونها في الغرب الحكومة الثيوقراطية) وحقيقة الأمر أن الاسلام على طوال تاريخه لم يعرف هذا النوع من الحكومات .

فالحكومة الدينية لها مدلول تاريخي كهنوتي وقد كان الدين المسيحي في الغرب يستغل هذه السلطة ابشع استغلال فالحكومة الدينية الكنيسية مؤسسة تاريخية نهضت على سلطان ديني بينما كانت اغراضها سياسية وهي في المسيحية واضحة كل الوضوح بينما الاسلام لم يشهد في فترات تاريخه ما شهدته وما تكبدته المسيحية .

لقد حاولت بعض القوى نقل مجال المعركة الى الاسلام ، ولكن مفهوم الحكومة الاسلامية يختلف اختلافا كبيرا . فالاسلام دين ودولة وأنه من غير الصحيح أن نطلق على الحكومة الاسلامية اسم الحكومة الدينية فالاسلام ـ كما يقول الاستاذ عمر التلمساني ـ نظام كامل للحياة وهو دين نظام ليس في نطاق المعاملات

فحسب بل وفي نطاق العبادات كلها ، وقد أجمع فقهاء المسلمين على ضرورة قيام الدولة الاسلامية التى تعكس مبادىء الاسلام وقواعده وخصائصه .

وقد أثيرت مسألة الحكومة الدينية وحكم رجال الدين فى وقتنا الحاضر وأثير الغبار على الاسلام من أعدائه : الملاحدة والشيوعية والماركسيين ودعاة العلمانية والتغريب وقد أراد بعض الكتاب فى تصورهم للحكومة التى تلتزم بنظام الاسلام من منطلق عدائى لنظام الحكم الاسلامى ، أن يلصقوا بالحكومة التى تقوم على أسس اسلامية مساوىء الحكومة الدينية التى عرفتها أوربا فى القرون الوسطى والتى كانت فيها الكنيسة صاحبة سلطة التحليل والتحريم وصاحبة الحق الالهى المطلق فى التحكم والسيطرة على حركة المجتمع .

ان الحكومة الدينية شعار جديد بأقلام لا يجهل أحد اتجاهاتها الفكرية وميولها المذهبية ، شعار لا عهد للاسلام به ولا يعرفه بل وينكره مبنى ومعنى لأن الاسلام لا يعرف فى تعاليمه (رجل دين) وغير رجل دين يترائى لأصحاب هذا الشعار حال رجال السلطةالبابوية محللون ومحرمون يوم ان كانت صكوك الغفران والحرمان ، وسلطان الكنيسة فى عزل الملوك والأمراء ، هذه الصورة لا وجود لها فى الاسلام على الاطلاق لأن الله تبارك وتعالى ساوى فى الاسلام بين الناس جميعا رجالا ونساء وفى الحقوق والواجبات وبين الحاكم والمحكوم .

ولقد عرف المسلمون هذه الحقيقة وتعاملوا بهذا الميزان فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابنته فاطمة : (اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا) ويقول للناس (وانما أنا بشر مثلكم) وبهذه الصورة ينتفى تماما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحلل ولا يحرم الا طبقا لما يجيئه من الوحى من رب العالمين .

وعلى هذه الصورة سار الخلفاء الراشدون من بعده لم يدعوا لأنفسهم قداسة ولم يقولوا ان ذواتهم مصونه ولم يختلقوا لأنفسهم مزايا لا تتمتع بها الرعية بل انهم يعترفون صراحة بأنهم ليسوا خير المسلمين .

ان الاسلام فى تاريخه كله لم يعرف شعار الحكومة الدينية فلماذا يصر البعض على الصاق هذا الوصف على كل من يطالب الحكومة بتطبيق شرع الله فى هذا البلد المسلم .

انه الفزع من ظهور المد الاسلامى ويوم أن نادى الامام حسن البنا بأن أمتكم خير أمة أخرجت للناس تهدى وتصلح وترشد وتقوم وتقوى كي يستعيدوا مكانتهم فى الأرض ،منذ ذلك الحين وصرخات محمومة وأقلام مريبة تشكك فى كل ما هو اسلامى ان الحكومة الدينية تعبير مستحدث لم يرد فى كلام أو مؤلفات أحد من الفقهاء المسلمين الذين عنوا بالحكم ومقوماته ، لم يعترفوا الحكومة الدينية ولكنهم عرفوا الحكومة التى تطبق شرع الله وهو المطلب الذى ينادى به الاخوان المسلمين منذ قيام دعوتهم تأسيسا على ان كل مسلم هو رجل دين فحكومته حكومة اسلاميةلأن أشخاصها مسلمون متدينون .

فالحكومة الاسلامية هى التى تطبق شرع الله غير منقوص ، وليس من حق هذه الحكومة أن تستولى على مال أحد الا فى حدود ما أباح الله لها .

ثانيا : تطوير الشريعة

أثار خصوم الشريعة الاسلامية ما يسمى قضية تطوير الشريعة من منطلق علمانى خالص حيث تحتاج المناهج والأيدلوجيات الى التطوير فهم يرون أن الدين المنزل بالوحى يمكن أن يخضع لهذا الأمر .

والحقيقة أن علاقة الشريعة الاسلامية بفلسفة التطوير بمفهومها الشامل هى علاقة تضاد فقد جاءت الشريعة الاسلامية لتبقى الى الأبد فى حين تصر فلسفة التطور الشامل نبذ كل ما يمت الى الماضى والغاء كل الحقائق الثابتة كما جاء فى المانفستو الشيوعى ١٨٤٨ من هذا يصبح من واجب الفكر الاسلامى أن يناقش هذه الفلسفة بوصفها قلب الهجوم على الدين بعامة وعلى الاسلام بخاصة ـــ يقول الدكتور أحمد عبد الرحمن : وليس الهدف من المناقشة رفض كل تطور وانما تحديد الدائرة المشروعة لها وهذا التحديد يستحق العناء بحق لأنه كفيل باسقاط دعاوى عديدة حول اصلاح الدين ، تجديد الدين ، تعديل الشريعة ، تطوير القصة وقد كشف لنا المنهج الاسلامى عن طابقين :

الأول : التشريع وجوهره العدل (خذ ثمرة جهدك وتحمل تبعة أخطائك) .

الثانى : الأخلاق : وجوهره الايثار وشعاره (اعط غيرك من ثمرة جهدك) من عمل صالحا فلنفسه ، لاتزر وازرة وزر أخرى ، وان ليس للانسان الا ما سعى .

يقول ابن القيم : ان الأصل فى العقود كلها انما

هو العدل الذي بعثت به الرسل (ليقوم الناس بالقسط) والشارع جل شأنه نهى عن الربا لما فيه من الظلم وعن الميسر لما فيه من الظلم وكلاهما اكل اموال الناس بالباطل وكل معامله نهى عنها الاسلام فهى ظلم واغتصاب لثمرة جهود أخرى وكل معاملة اجازها فهو عدل : هـذا هو المبدأ الذى يراد تطويره لكى يوافق الفلسفة النسبية .

ثم (الايثار) كيف يمكن تطويره فالاسلام يقـدم فلسفة اجتماعية متكاملة وضعيت لاقامة حيـاة انسانية كريمة ، فضـلا عن حقوق الشـيوخ والمعدمين وجميع الفئات التى لا تسـتطيع ان تعمل بتوجيه على الحـاكم المسلم أن يأخذ لهم حقوقهم ، اذا لم يبادروا الى تقديمها عن طواعيه ورضا ولا يقف الاسلام عند حدود الزكاة بل بمديد بقوة الى مزيد من الفضـل والعطاء ، الى حيث البذل مع الخصاصة أو العطاء مع الحاجة ..

هذا هو المبدأ المطلوب تطويره بغية افساح المجال للأخـلاق النفعية الفـردية الأنانية التى تسـود اليوم المجتمعات الأوربية .

وهكذا نرى كما يقول الدكتور أحمد عبد الرحمن ان صيحة تطـوير الشريعة ترمى الى تغيير الأخلاقيـات وتطوير العقائد والغاء الثوابت وهى ليست بالفلسـفة الحديثة أو المعـاصرة فقد كانت تمثـل باب الفلسـفة السـوفسطائية التى ظهرت قبل سقراط والتى انكرت وجـود الحقيقة العلمية كما أنكرت القيم الخلقية الثابتة الدائمة المطلقة .

* * *

ومعنى ذلك ان كل شيء ينبغي أن يتغير بل يجب ان يتغير تبعـا لتغيير القوى الحـاكمة والمؤثرة فى المجتمع والنظم والتشريعات ليسـت استثناء من هذه القـاعدة فالتغيير والتبديل والالغاء والتطور يقع عليها .

ثم ماتت الفلسفة السوفسطائية النسبية واقيمت على انقاضها مذاهب اخرى ، شيدها سقراط وافلاطون وارسطو تعترف بثبات الحقائق العلمية والقيم الأخلاقية .

وفى العصر الحديث بعثت الفلسفة النسبية فى ثوب جديد على يد تشـارلس داروين (١٨٨٢) وتحت اسم جديد وفى مجال جديد هو علم الحياة او البيولوجيا ..

قال داروين : ان الانسان شكل متطور عن القرده والقرده شكل متطور عن حيوانات أدنى ، وهـذه بدورها شكل متطور من كائنات أدنى منها ويتسلسـل التطور حتى ينتهى الى ادنى اشكال الحياة على الاطلاق .

وتصور المناهضون للحقائق الثابتة والقيم المطلقة كما توهم اعـداء الدين بين الغرب والشرق ان نظـرية التطور هـذه هي السـلاح الذرى الذى يمكن أن يبيـد اعدائهم ويفتح الباب على مصراعيه لفلاسـفتهم النسبية التى تنادى بتطور كل شيء وتدين بالعداء والمقت كل ثابت وللدين على وجه الخصوص واذا كان العلم يقول : ان كل شيء يجب أن يتغـير ويتطـــور فان على الدين ان يسـتجيب لنداء العلم : هذه الاسـتجابة تبدأ بتعطيل الأجزاء البالية (فى نظرهم) من الدين وهى التشريع والأخلاق واحلال التشريع الوضعى والأخلاق والوضعية محلها ، واذا اقتنع المتدينون بهذه الخطوة الأولية تيسر اقناعهم بالنتيجة النهائية وهى نبذ الايمان بالله وبالكتب السماوية .

وقد انتشرت فلسـفة التطور بالطابع الحمـاسى الانفعالى ولكن الفلسـفة النسبية فى الأخلاق وفلسـفة نيتشـه أحد مذاهبها لم تلق رواجا كبيرا لدى فلاسـفة الأخـلاق وقد أرسى (عمانويل كانت) ١٨٠٢ قواعـد الأخلاق الثابتة المطلقة ، قبل ظهور داروين ورفض فكرة نسبية القيم وتطورها رفضا مطلقا ، فالأخلاق عند (كانت) لا يمكن أن تلزم احدا الا اذا كانت مبادئهـا ثابتة لا تتغير وانتهت الفلسفة الاخلاقية الأوربية المعاصرة الى الرفض القاطع للنسـبية واكدت على ثبات القيم مثل الحقـائق الرياضية فى ثباتها ورسوخها .

أما فى الشرق الاسلامى فقد شكلت فلسفة التطور تيارا قويا اسـتمد الطاقة من فلسفة داروين وفلسـفة أوجست كونت الوضعية المنطقية والفلسفة الماركسية وحركة الاستشراق المعادية للاسلام ، وفى الوقت نفسه ادار انصار التطور ظهورهم لكل المذاهب الأوربية التى تقول بثبـات الأخلاق واطلاقها وثبـات القيم الانسانية الأساسية وثبات التشريع تبعا لذلك وتجاهلوها تجاهلا تاما . ولقد كان واضـحا منذ البـداية وحتى اليوم ان انصار التطور فى الشرق الاسلامى لا هدف لهم سـوى احلال الافكار والنظم والعلم والتشريعات الأوربية محل الأفكار والنظم والقيم والتشريعات الاسـلامية ، وقد ادركوا ان هذا الهدف لا يمكن أن يتحقق الا اذا نجحوا فى اقناع الناس بان التطور الذى جاء به داروين مبدأ كونى شامل وليس خاصا بعلم الحياة وانه (ديانة) وليس مجرد نظرية ظنية بل حقيقة تجريبية معملية وعلى هذا يجب أن يخضع له الفكر والاعتقاد والتشريع والاخلاق وأن يطبق على كل علم وادب وفن بما فى ذلك تفسير

القرآن وعلوم الحديث فيؤخذ من كل شيء ويترك بميزان التطور الكوني الشامل ومع ذلك فان أنصار التطور لم يذكروا حيوانا واحدا تحول من نوع الى نوع بفضل الانجاب الطبيعي ، لم ير الناس اي تطور من اى نوع كان في الأحياء الموجودة على ظهر البسيطة من آلاف السنين . والسؤال (كيف ظهر الانسان عقب ظهور القرده) لا يزال يتردد حائرا على السنة العلماء .

وبالرغم من كل هذه الحقائق اندفع نفر من أدبائنا وكتابنا اندفاعا حماسيا الى تبنى فلسفة التطور الشامل وجرى فى اثرهم عدد من علماء الدين استهوته العبارة السهلة التى تقول : ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان، وجرت اقلام عديدة بعبارات مثلها او قريب منها ، فقال قائل : ان الاسلام دين لين يستطيع أن يوفق بين روحه وبين كل مظهر من مظاهر الحياة وأن تجد فى نصوصه ما يساير الأطوار المختلفة التى تتخطاها البشرية فى عصورها المختلفة . وقال القائلون ايضا : انه من الممكن ان نوفق بين الاسلام وبين حضارة الغرب وثقافته على خلاف الأصول والنصوص على اساس أن التطور هو روح الشريعة الاسلامية ومن هؤلاء : ضياء كول الب (تركى) السيد سيد أحمد خان (هندى) اسماعيل مظهر (مصرى) .

والغالبية الساحقة من أساتذة الفلسفة وعلماء الاجتماع بل أن جميع من اعتنقوا الفلسفة الشيوعية التى اعلنت الغاء الدين وكل الحقائق الثابتة مع الغاء الملكية الفردية فى المانفستو الشيوعى ١٨٤٨ .

لكن الحقيقة لم تعدم من يعرفها ويتبناها ويدافع عنها .

وقف فى المواجهة جمال الدين الأفغانى ، محمد رضا آل العلامة الأصفهانى ، الدكتور بشارة رازل ، ابراهيم الحورانى وغيرهم من النصارى والمسلمين وكانت معارك شرسة لا تزال نفعها عاليا فى حياتنا الثقافية ويحاول أنصار التطور اشعالها من جديد كلما الحت الأمة فى المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية وتفسح لهم مجالا .

***

(٢)

ويتحدث الدكتور يوسف القرضاوى عن مفهوم تطور الشريعة وكيف بدا وما هى حكمة اتاتورك وحكومته فى الغاء الأحكام الشرعية حتى فى الزواج والطلاق والميراث . ويقول : انها تدور حول محور اساسى هو ان القوانين الشرعية أساسها الدين والدين ثابت لا يتغير وعدم التغير فيه ضرورة من ضروراته وليس الأمر كذلك بالنسبة للحياة فهى معرضة لتحولات مستمرة ، ولهذا يجب أن يبقى الدين (وجدانيا) اى علاقة بين ضمير الانسان وربه لا صلة له بالحياة والمجتمع والدولة وأن تكون نظم الحياة مستلهمة من معطياتها فى التحول والتطور وليست قائمة على اسس دينية جامدة تحول دون ترقى الأمة وتطورها وتمشيا مع مقتضيات المدنية المعاصرة .

***

فهل هذا التبرير صحيح من جهة نظر العقل والعلم المحض : نقول لا ومنطق العقل والواقع يؤيدنا .

لقد افترض التقرير ان احكام الدين كلها ثابتة لا مجال فيها لتغير أو تطور بحال من الأحوال ، كما افترض أن الحياة متغيرة متحولة لا مجال فيها للثبات بوجه من الوجوه .

وكلا الافتراضين مردود .

(أولا) فليس صحيحا أن كل أحكام الدين ثابتة دائمة وغير قابلة لدخول الاجتهاد فيها وطروء التغيير عليها فمن احكام الدين ما يتعلق بالعقائد التى تحدد نظره الدين الى الله (تبارك وتعالى) والكون والحياة والانسان وهذه حقائق ثابتة لا تتغير .

ومنها ما يتعلق بشعائر العبادات الرئيسية التى تحدد صلة الانسان العملية بربه وهى التى تعتبر اركان الاسلام ومبانيه العظام وهذه فى أسسها العامة ثابتة ، وان كان الاجتهاد يدخل عليها فى كثير من التفاصيل ومنها ما يتعلق بالقيم الخلقية ترغيبا فى الفضائل وترهيبا من الرذائل وهذه تتميز بالثبات أيضا فى مجموعها .

وهذه الثلاثة لا يحتاج الناس الى تغييرها بل الى ثباتها واستقرارها لتستقر معها الحياة وتطمئن العقول والقلوب .

ففى أمر نظم الحياة الاجتماعية مثل نظام الأسرة والمواريث ونحوها ونظام المعاملات والمبادلات المالية ونظام الجرائم والعقوبات والأنظمة الدستورية والادارية والدولية ونحوها وهى التى يفصل أحكامها الفقه

الاسلامى بمختلف مدارسه ومذاهبه . وهذه ذات مستويين :

١ — مستوى يمثل الثبات والدوام .

وهو ما يتعلق بالأسس والمبادىء والأحكام التى لها صفة العموم وهو ما جاءت به النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة التى لا يختلف فيها الأفهام ، ولا تتعدد الاجتهادات ولا يؤثر فيها تغيير الزمان والمكان والحال .

٢ — ومستوى يمثل المرونة والتغير وهو ما يتعلق بتفصيل الأحكام فى شئون الحياة المختلفة وخصوصا ما يتصل منها بالكيفيات والاجراءات ونحوها وهذه قلما تأتى فيها نصوص قطعية بل اما ان تكون فيها نصوص محتملة أو تكون متروكة للاجتهاد رحمة من الله تبارك وتعالى من غير نسيان وهناك من الناس من يتوجس خيفة من المناداة بالرجوع الى الفكر الاسلامى واتخاذه أساسا تشريعيا وقضائيا .

ومصدر الارتياب والتوجس هو الأساس الربانى والصفة الدينية للفقه الاسلامى فمن المتفق عليه أن المصدرين الأساسيين لهذا الفقه هما كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضى أن يتسم هذا الفقه بالثبات أو الجمود وان تقف العقول البشرية أمامه موقف التسليم والاتباع لا وقفة الابتكار والأبدال اذ لا مكان للعقل أمام الوحى ولا مجال للاجتهاد فى مورد النص وهذا ما يجعل أسباب المرونة وقابلية التطور معدومة أو ضعيفة .

٣ — مجال الثبات والتطور فى الفقه

والعارفون يعلمون تمام العلم أن من يقول هذا الكلام لا علم له بالفقه الاسلامى وخصائصه ومميزاته التى هى ثمرة لخصائص الاسلام نفسه فان من أبرز هذه الخصائص أنه يجمع بين الثبات والمرونة معا فى تناسق محكم وتوازن فريد فلم يحل مع القائلين بالثبات المطلق الذين جمدوا الحياة والانسان ولم يجنح الى العاملين بالتغيير المطلق كذلك الذين لم يجعلوا لقيمه ولا لمبدا ولا لشىء ما ثباتا أو خلودا بل كان وسطا عدلا بين هؤلاء وهؤلاء . فالأصول الكلية ثابتة خالدة ، شأنها شأن القوانين الكونية التى تمسك السموات والأرض ان تزولا والفروع الجزئية مرنة متغيرة منها قابلية التطور شأن ما فى الكون والحياة من متغيرات لازمة لحركة الانسان والحياة .

وفى الفقه منطقة مغلقة لا يدخلها التغير أو التطور هى منطقة الأحكام القطعية وهذه هى التى تحفظ على الأمة وحدتها الفكرية والسلوكية ومنطقة مفتوحة هى منطقة الأحكام الظنية ثبوتا ودلالة ، وهى معظم أحكام الفقه . وهى مجال الاجتهاد ومنها ينطلق الفكر الى الحركة والتطور والتجديد .

يوسف القرضاوى

ثالثا : قضية الحدود

آثار خصوم الاسلام قضية الحدود واحدثوا حولها غبارا كثيفا وجدلا شديدا ، من حيث هى المخافة الخطيرة التى ترتعد لها فرائص الظالمين الذين يخافون تطبيق شريعة الاسلام ونسوا أن الحدود جزء صغير من الشريعة وقد أحاطها الشارع بضوابط شديدة وهى لم توضع لتكون عقوبة على عمل بقدر ما وضعت لتكون زاجرا عن الوقوع فى الخطأ .

وليست الشريعة الاسلامية هى الحدود وليست الحدود هى لب الشريعة ولكن الحدود وسائل لحماية المجتمع من التحلل والفساد ، والشريعة الاسلامية هى النظام الذى يقوم عليه المجتمع الاسلامى لحماية شخصية الفرد وتكوينه على انه جزء من المجتمع يعمل للسعى والكسب فى حدود الحلال الذى أحله الله تبارك وتعالى ولكل من الذكر والأنثى مهمته الخاصة التى حددها له النظام الاسلامى ومن شأن هذا النظام ان يتيح الفرصة المتكافئة للجميع بحيث لا يظلم أحد وعن طريق الزكاة (لا الصدقة) يقوم التوازن بين الأغنياء والفقراء وأن يأخذ من الأغنياء حقا (وليس صدقة) ليوزع على الفقراء فاذا استوى المجتمع وتوازن وتحققت فيه العدالة أصبح قابلا لتطبيق أحكام الله والعقوبة لمن يتجاوز سواء فى الزنا أو السرقة او الفساد الاجتماعى .

ومن هنا فانه يصبح من الضرورى أن يبدأ المجتمع خطوته الى اعداد وجوده الحقيقى الذى يستقبل فيه منهج الله .

ولابد من اعداد عدة أمور :

أولا : رد المراة الى مسئوليتها الحقيقية فى حماية الأسرة وبناء الأجيال (ايمانا بأن الدعوة الى تحريرها كان يراد بها هدم الأسرة وافساد هذه الأجيال) .

ثانيا : تحرير وسائل التسلية والأعلام من تقديم

المسلسلات والأفلام والمسرحيات التى تثير الغرائز او تدعو الى الفساد الخلقى او تحرض على الجريمة وسد الطريق على الاغراء والاباحة .

ثالثا : اقرار نظام الزكاة والغاء نظام الربا تطهيرا للمجتمع وتحريرا له من الفساد ومن الطبقات التى تحصل على المال عن طريق الحرام والتى تفسد المجتمع بانفاقه فى الفساد وسد الطريق الى الكسب الحرام والغنى الفاحش .

رابعا : فتح أبواب التيسير للشباب للزواج عن طريق تقديم المساكن اللازمة وتخفيض المهور وتيسير وسائل الحلال وتشجيع الجنسين على الزواج بالميزات الحق .

خامسا : تحريم السرقة من أموال الشعب وأداء حق الله الذى هو حق المجتمع فيما سوى الزكاة بما يمكن الدولة من الموارد اللازمة لها واقامة حدود الله على اساس كفاية المجتمع .

ومعنى هذا أن النظام الاسلامى والشريعة الاسلامية ليست هى قطع يد السارق او رجم الزانى ولكن هذه الحدود التى هى بمثابة وسائل الردع التى تحول دون وقوع الجريمة وليس عقابا عليها : أن تطبيق النظام الاسلامى من شأنه أن يحل جميع مشاكل بلاد المسلمين ويحميها من الاستدانة واستنزاف الموارد ويحميها من روح التحلل واللذات والاستعلاء والخطف والكسب والكلام . وهذا كله ينتهى تماما اذا ما طبق النظام الاسلامى .

ويقول المستشار الدكتور جمال الدين محمود : أن الحدود الاسلامية ليست من الأمور العينية ولا يختلف فى بحثها ودراستها عن السياسات الوضعية المعروفة فى التحريم والعقاب الا فى جوانب معينة وهذا الاختلاف حين يدرس دراسة جادة يؤكد قدرة المنهج الاسلامى فى السياسة الجنائية على تحقيق العدل والمصلحة الاجتماعية بطريقة اوفى مما تحققه المناهج المطبقة حاليا والتشريع الجنائى الاسلامى ليس هو الحدود — فهى جانب من جوانبه وتنحصر فى عقوبات محددة وضعها الشارع لجرائم معددة مما يمس بالدرجة الأولى من الأفراد فى المجتمع على انفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وهى جرائم الاعتداء على النفس أو ما دونها (القصاص) وجرائم السرقة والحرابه والزنا والقذف وشرب الخمر ، أما بقية الجرائم التى تحدث فى المجتمع وتخل بمصالحه او مصالح الأفراد فيه فهى فى النظر الاسلامى تقبل كل سياسة جنائية ملائمة بحسب الزمان والمكان بحيث تؤدى الى تقليل الظاهرة الاجرامية الى اقصى حد وعودة الجانى معا الى المجتمع بعد عقابه .

ولا شك أن جانب الحدود — بما فى ذلك القصاص — ليس اكبر الجوانب فى أى مجتمع حديث بل تكون الجرائم الأخرى — على اختلافها وهى التى تدخل فى الفقه الاسلامى تحت باب التعازير — اكبر جانب من قوانين العقوبات فى البلاد المختلفة والعقوبة فى هذا الجانب ليست محددة شرعا ووسائل اثباتها ليست مقيدة ، وهذا هو الخلاف الأساسى بين جرائم الحدود والقصاص وبين جرائم التعزير .

ولا شك أن عقوبة قطع اليد فى جريمة السرقة هى عقوبة جسيمة وقد جعلها القرآن الكريم (نكالا من الله) ولكنها ليست عقوبة اعتيادية لجريمة السرقة العادية كما يظن الكثيرون فهى عقوبة خاصة بجريمة سرقة معينة تقع فى مجتمع اسلامى وقد وضع لها علماء المسلمين شروطا لقيامها وقيودا فى وسيلة اثباتها لا يكاد يوجد لها نظير فى تاريخ الشرائع الدينية والوضعية قديما وحديثا فتخرج عن نطاق هذه الجريمة السرقات التى تقل قيمتها عن حد معين وانواع لا حصر لها من السرقات التى تحدث فى اماكن عامة او بين الأقارب المحارم او المترددين على المكان (كالضيف والخادم) .

كما يخرج منها ايضا كل جريمة سرقة تحوطها شبهه .

وقد احاط الفقه الاسلامى تطبيق هذه العقوبة الجسيمة بقيود شديدة حتى اجاز الفقهاء للمجنى عليه أن يتنازل عن المال المسروق ولو ظاهريا — للجانى او يكذب الجانى فى اقراره بالسرقة ويبلغ من مسارعة علماء المسلمين فى اسقاط حد السرقة لمجرد الشبهة — ولو كانت نظرية — انهم اجازوا (التحيل) لاسقاط الحد اخذا بالنصوص الشرعية وجمعا بينها وبين روح العدل والتسامح فى الشريعة .

ومن ناحية أخرى ينبغى الا يغيب عنا ما فعله عمر بن الخطاب حين امتنع عن اقامة حد السرقة فى عام المجاعة (الرمادة) فالحاجة الى ضروريات الحياة مثل السكن والغذاء والعلاج . شبهة تسقط الحد وشيوع الحاجة الى هذه الضروريات فى مجتمع اسلامى — يحملنا على التفكير فى ضرورة الوفاء بهذه الحاجات على المستوى

العام حتى تكون اقامة حد السرقة وفق ضوابط الشرع وتبقى العقوبة التعزيرية المقررة فى القانون وسيلة عادية لمواجهة جرائم السرقة العادية اذ أن قانون العقوبات لا يشترط فى توقيع العقوبة القيود والشروط التى تتطلبها اقامة حد السرقة . وتبدو عقوبة القصاص — سواء كانت الاعدام للقاتل عمدا أو القصاص بنفس الفعل من الجانى فيما هو اقل من القتل — من أكثر العقوبات عدلا كما ارتأى ذلك بحق العالم الانجليزى (بنتام) وقد نالت هذه العقوبة العادلة اهتماما شديدا من علماء المسلمين فوضعوا شروط وأوصاف الاعتداء الذى يجوز أن توقع فيه عقوبة القصاص فينبغى أن يكون التماثل بين الاعتداء وبين العقوبة مؤكدا وأى احتمال للتجاوز فى العقوبة أو لعدم امكان المماثلة الكاملة بينهما يجعل القصاص — كعقوبة — مستبعدا وتبقى (الدية) وهى عقوبة مالية — هى خيارا دائما للمجنى عليه أو ورثته بدل عقوبة القصاص ، ومن يتتبع القيود والشروط التى وضعها فقهاء المسلمين ولا سيما فى المذهب الحنفى — للجرائم التى تستحق عقوبة القصاص تبين له أن الغالبية العظمى من صور الاعتداء على الأشخاص تخرج من نطاق عقوبة القصاص ولا يكاد يتبقى منها سوى قطع أطراف شخص كالأيدى أو الأرجل أو افقاده حاسة من الحواس كالسمع والبصر عمدا واشترط العلماء أن يستعان بأهل الخبرة قبل الاقدام على تنفيذ العقوبة حتى لا يكون هناك تجاوز ولو كان محتملا أو مظنونا فحسب .

والأمر فى هاتين العقوبتين — قطع اليد والقصاص — مبناه سياسة جنائية خاصة يقوم على وضع عقوبة بدنية جسيمة تكفى لارهاب من يفكر فى ارتكاب جريمتى السرقة أو الاعتداء على حرمة بدن الانسان وقد أحيطت العقوبتان بقيود وشروط تجعل من النادر تطبيقهما .

فالهدف هو الردع المسبق والأثر النفسى المترتب على اعلان العقوبة تجنبا لشيوع الجريمة فى المجتمع وتلافيا لاحساس الملايين بالخوف من وقوعها عليهم فضلا عن تقليل الانفاق الهائل على محاربتها دون فائدة تذكر كما هو مشاهد فى كثير من المجتمعات المتقدمة ماديا ومن الخطأ أن تناقش قصة تطبيق الحدود فى نطاق الجدل الفقهى فحسب بل ستبقى قبل مناقشتها دراسة الظاهرة الاجرامية فى مصر وتطورها فى ظل السياسة الجنائية الحالية بما فى ذلك دراسة معدلات الجريمة سنويا فيما يتعلق بجرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال والنظر فى تكاليف الدفاع الاجتماعى ضدهما على المستويين العام والورثى بما يشمل اعداد المحكوم عليهم وأعمارهم وأثر تلك العقوبات عليهم وعلى أسرهم والاصلاح الذى تحقق نتيجة هذه العقوبات ونسبة العدد الى الجريمة .

ومن شأن هذا أن يوضح مايمكن أن يقدمه التشريع الاسلامى من تصحيح وترشيد لبعض جوانب السياسة الجنائية الحالية . . ا . هـ .

***

رابعــا : الحكم الاسلامى

فى كتابات الدكتور عمارة والدكتور خلف الله

عرض المستشار سالم البهنساوى لكتابات الدكتور عمارة (الاسلام والسلطة الدينية) ولخص رايه فى الحكم الاسلامى فى عدة نقاط :

١ ــ اذا قلنا ان السلطة لله كانت دينا روحيا ومن ثم كانت ســلطة دينية وكان متوليها حاكما بالحق الالهى المقدس ونائبا عن الله .

٢ ــ ان السلطة التى يزعم اربابها أن الحــاكم فى السياسة والاقتصاد هو الله تحدد بانها تحكم باسم الله ونيابة عنه لا عن الناس .

٣ ــ ان آيات الحكم فى القرآن والســنة النبوية تعنى القضاء والفصل بين الخصومات وليس نظام الحكم او السياسة .

يقول المستشار البهنساوى : ان مقالحة الدكتور عمارة فى أمر الحكم الاسلامى ومن قبله : خالد محمد خالد (من هنـــا نبدأ ــ ١٩٥٠) أوردا قول اليهــود الذين أسقطوا الخلافة الاســلامية بين كمال أتاتورك وحــزبه الماسونى وهى الأقوال التى تبناها الشيخ على عبدالرازق فى كتابه (الاسلام وأصول الحكم) .

قال خالد محمد خالد عام ١٩٨٢ ــ لعل أول خطأ تغشى منهجى كان تأثرى الشديد بما قرأت عن الحكومات الدينيــة التى قامت فى أوربا وما ابتــكروا من وســائل التعذيب التى لا تخطر للشيطان نفسه ، والاسلام حتى فى فترات اســتغلاله من بعض الخلفــاء لم يمنح اياهم سلطة بابوية كهنوتية ، ولكن محمد عمارة ومن قبله محمد خلف الله يصران على حمل هذه الرسالة التى قال عنهــا صاحبها أنهــا رسالة الشيطان حيث يزعمان أن الحكم الاسلامى هو حكومة دينية مثل حكومة الكهنوت فى أوربا واذا جاز للرجلين أن يحملا ما يريدان من الفكر اليهودى أو العلمانى او غير ذلك ، ولكن ليس لهما ان يزعمــا أن الحكم الاسلامى هو حكم الكهنوت وليس لهما ان يظهروا أنفسهما فى هذه المقالات بمظهر المدافع عن الاسلام وان يظهرا من خالف هــذا الخلط والتخبط فى مظهر المتطرف الذى يسىء الى الاسلام ويضر المسلمين .

* * *

(٢) تظاهر خلف الله بالدفاع عن الاسلام

قال خلف الله فى كتــاب أصدره مركز دراســات الوحدة العربية باسم (القومية العربية والاسلام) ١٩٨١

١ ــ قال خلف الله تعقيبــا على من يربط القومية العربية بالاسلام : ان هذا يؤدى الى أن يتنازل أصحاب القومية العربية عن استقلالهم عن الاســلام وهذا الأمر لا يمكن التنــازل عنه والا أضاع القوميون الجزء الأكبر والهام من مقومات القومية . وهى اللغة والتاريخ وهذا القول يفيد حتمية استقلال القومية العربية عن الاسلام فلا يلزم أصحابها بأخلاقه وتشريعه وأحكامه .

٢ ــ وقال كمــا يطلب فهم للربط بين الاســلام والقومية العربية أن يتنازلوا عن العلمــانية وهو الأمر الذى لا يمكن أن تتخلى عنه القومية العربية .

ويقول خلف الله : ان ممارسة الحياة على أساس من العلمــانية (أى اللادينيــة) يمنح المجتمع حــرية وانطــلاقا فى تحقيق الصــالح العام على أســاس من الحضارة العلمية أكبر مما يمنحه الاسلام .

(٣) يقول الدكتور عمــارة فى كتابه (الاســلام والوحدة الوطنية) ١٩٧٩ :

١ ــ ان اليهود والنصارى فى الجنة بموجب أحكام القرآن (فى زعمه وفهمه) ويرى أن الفارق بين المسلمين واليهود كالفــارق بين العاملين بالكتاب والســنة والمبتدعة .

وقد تجرأ ونسب الى الطبرى والقرطبى وغيرهما مما يظن أنه يؤيد رأيه بعــد أن نقل شــطرا من كلام المفسرين وحذف الباقى .

ومن يراجع فصل السنة المفترى عليها ، يقول :

لهذا فليس غريبـا أن يزعم أن آيات الحـكم فى القرآن الذى نحن بصدد الحديث عنها قد أجمع أئمة المسـلمين وعلماء تفسير القرآن على أنها نزلت فى أهل الكتاب وفى اليهود على وجه التحديد .

ولا جدال فى أن قول الله تعالى :

(فان جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم) الى قوله (وكيف يحكمونك وعندهم التوراه فيها حكم الله) قد نزلت فى يهـود ارتكبوا جريمة الزنا ثم تآمروا على سؤال النبى صلى الله عليه وسلم على عقوبة ذلك لأنهم كانوا قد بدلوا حكم التوراة ووضـعوا حكما آخر للزنا فنزلت هذه الآيات :

ولكن ليس صحيحا أن باقى هـذه الآيات خاص باليهود :

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وقوله تعـالى : **(وأنزلنا اليك الكتـاب بالحق مصدقا لمـا بين يديه من الكتـاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)** وقوله عز وجل : **(أفحكم الجـاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)** .

ان كل صبى من صبيان العلمـاء يدرك ان الآيات تعنى أن القرآن مهيمن على الكتب السابقة وانه قد نزل للحكم به سواء فيما بين المسلمين أو على اليهود وغيرهم أن تحاكموا الى حكم المسلمين أو كانوا من رعايا الدولة الاسلامية ، والقاعدة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٣) انحرافات عمـارة

أهم انحرافات عمارة هى :

١ ــ غالط فخلط بين التشريع الاسلامى الذى هو من عند الله والسـلطة السياسية التى يتولاها الحكام فزعم أن من ينادى بحاكمية الله يريد حكومة دينية الحاكم فيها معين من عند الله ويحلل ويحرم كما يشاء ولا يملك النـاس أن يعزلوه أو يحاسـبوه كما كان الحال فى ظل حكومة الكهنوت فى أوربا .

٢ ــ غالـط فزعم أن مفهوم الحـاكمية لله تعنى الحكومة الدينية سالفة الذكر وهو يعلم أن الحاكمية فى المفهوم الاسلامى هى التشريع والقضاء وأنه لا كهنوت فى الاسلام .

٣ ــ غالط فزعم أن من ينادى باحتكام النـاس للاسـلام فى السياسة والاقتصاد انما ينادى بالحكومة الدينية فى أوربا وهو يعلم أن هذه الحكومة لا وجود لها فى التشريع الاسلامى ولا بين المسلمين ويعلم أن العلماء المعاصرين الذين يعنيهم المودودى وسيد قطب قد صرحوا فى كتبهم أن الحاكم يعين من الناس بالاختيار وهم يملكون حق عزله ومحاسبته خلافا لحكومة الكهنوت فى أوربا .

٤ ــ غالط فادعى أن آيات الحـكم فى القـرآن والسنة تفيد القضاء والفصل بين الناس فى الخصومات ولا تتضمن السلطة السياسية وهو لا يجهل أمورا منها :

(أ) ان آيات الحكم منها ما يتعلق بالقضاء ومنها ما يتعلق بالتشريع ففى التشريع قال الله تعالى :

(أفحكم الجاهلية يبغون)

ويقول : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** .

(ب) ان الأحكام الواردة فى القرآن والمخاطب بها الأنبياء لم تنزل عليهم بصـفتهم قضاة فى غير سـلطة سياسية أو ضاه فى سلطة جاهلية بل نزلت اليهم بصفتهم حكاما بين الناس فى الدولة التى أقاموها .

قال الله تعالى : **(يا داوود أنا جعلنـاك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى)** .

(جـ) ان النبى صلى الله عليه وسـلم قد حكم بين الناس بصفته رئيسا للدولة وصاحب السلطة السياسية وليس بصفته حكما مختارا من نفر أو قبيلة .

قال تعالى : **(انا نزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله)** .

وقال لنبيه : **(جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)**

(د) ان السنة النبوية تفصح عن هذه الســلطة فالنبى عندما بعث معاذ بن جبل الى اليمن قال له :

ــ بم تحكم قال بكتـاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول الله قال فان لم تجد قال أجتهد برايى لا الو) فكان معاذ مبعوثا قاضيا من قبل النبى بصفته رئيسـا للدولة التى تضم بين أوطانها اقليم اليمن .

والحديث النبوى يحدد مصادر التشريع والأحكام ولكن من قال أن اليهود بمثابة فرقه من المسلمين لايصعب عليه أن يكمل هذه الرسالة . أ . هـ

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٦) التوصيات العامة

وهي ثلاث توصيات :

١ — [illegible]

٢ — [illegible]

٣ — [illegible]

[illegible]

٣ — [illegible]

[illegible]

* * *

الفصل الخامس

دحض دعاوى باطلة

١ — الادعاء بأن (٩٠ فى المائة) من الشريعة الاسلامية هى عمل عقلى للانسان المسلم ..

٢ — الادعاء بأن العلمانية لا تعارض الاسلام .

ان أخطر دعوة ظهرت بعد نكسة ١٩٦٧ قول العلمانيين بأن النهضة فى هذا العصر لاتتم الا بالتخلى عن القيم الأساسية لأمتنا ومجتمعنا ولكن المجتمع الاسلامى رفض مقولتهم ولم يستمع اليهم ، وعلا الصوت الاسلامى على كل الأصوات معلنا أنه لم يعد ثمة طريق للنهضة والتقدم فى عالم الاسلام الا بالتماس مفهوم الاسلام ، وأن الأمة الاسلامية انما تبتعث من داخلها بالعودة الى منابعها والتماس أصالتها ، وهذه تجربتها فى كل أزمة مرت بها من أزمات الحصار الخارجى : فى عهود الحروب الصليبية والتتار والفرنجه ، ذلك أن نكسة ١٩٦٧ كانت آخر افرازات التجربة الغربية بشقيها واشدها خطرا فقد كانت بمثابة نذير بسقوط الشخصية الاسلامية الغربية سقوطا نهائيا بعد أن تتابعت النذر منذ أن خدع المسلمين رجال منهم فى موقع عمداء الأدب وأساتذة الأجيال بأن هذا هو الطريق الصحيح الى النهضة ثم توالت اللطمات وتتابعت خطة التغريب الى هزيمة ونكبة ونكسة خلال أقل من نصف قرن .

كان فرض مفاهيم الغرب على أمتنا هو الهدف الكبير الذى يحقق الغاية المثلى : غاية صهر هذه الأمة فى بوتقة الأممية والقضاء جملة على الطابع الاسلامى المميز الذى يفضل بين ثقافة عالمية غربية لها مصادر يونانية ومسيحية ويهودية ، وثقافة انسانية ربانية مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية . لقد خدعت الثقافة العالمية المسلمون أكثر من قرن من الزمان ولكنهم تنبهوا الآن الى الخدعة وعادوا الى حقيقة جازمة لاسبيل الى الشك فيها أو خداعهم عنها ، هى أن الاسلام هو منهجهم الحقيقى الذى يحررهم من التبعية ويدفعهم الى التقدم .

وحين يعود المسلمون اليوم الى منابعهم تتحرك القوى ذات الولاء للغرب لتشكك فى كل شىء ، وتثير الشبهات حول الضوء الكاشف مدعية أنه الظلام المبين ، وتنطلق الدعاوى الباطلة .

١ — ومن أخطر تلك الدعاوى أن (٩٠ فى المائة) من الشريعة الاسلامية هى من عمل الفقهاء ، انهم يريدون القول بأن الشريعة ليست الا مجموعة من الوصايا يأخذ بها من شاء ، وان الفقه من عمل البشر وتلك الأكذوبة مضللة ، ذلك لأن هناك بين الفقه وبين الشريعة رابطة جذرية لا تنفك ، على حد قول الدكتور عجيل الفيسمى ، لأن قول الفقيه المجتهد اذا كان كاشفا لمدلول النص وفق قواعد الاستنباط وأصوله بحيث لا يختلف فيه الفقهاء المجتهدون فهو ملزم لأنه ليس تشريعا جديدا ولا رأيا من بنات أفكار الفقهاء وانما هو فهم سليم لمراد النص . ومن ثم فهى ملزمة لارتباطها بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، فدور الفقهاء المجتهدين فى ذلك يلحق بها وان شروط القياس المعتبره متحققة فى الفرع تحققها فى الأصل .

ومن هنا فان الاجماع والقياس وهما دليلان مرجعهما الى اعتبار الكتاب والسنة فهما باجماع الأصوليين من الأدلة المعتبرة » .

٢ — ومن دعاواهم بأن العلمانية مجال مختلف عن الاسلام لا يصطدم به وهم فى هذا يزون أن الاسلام هو العقيدة وفق مفهوم اللاهوت المسيحى ، والاسلام أكبر من ذلك فهو عقيدة وشريعة ، ومنهج حياة ، ومن هنا فانها تعارض المنهج الاجتماعى والسياسى والاقتصادى الاسلامى وتتنكر له تماما .

وتقول دائرة المعارف البريطانية فى تعريف العلمانية أنها حركة اجتماعية تهدف الى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة الى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها ومعنى هذا أن العلمانية ترادف فى تقدير كثير من الباحثين معنى (الدهرية) المعروفة قديما فهى نزعة او نحلة كان أصحابها ينكرون البعث والحياة الآخرة كما حكى عنهم القرآن الكريم :

(ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) وهى بمفهومها هذا تعارض الاسلام فى مواضع أساسية حاسمة :

أولا : أنها تنفى الخالقية عن الله تبارك وتعالى فهو عندهم لم يخلق الكون وليس الكون فى حاجة الىافتراض قوة من خارجه تؤثر فيه .

ثانيا : أنها تقرر أزلية الطبيعة وأبديتها وهى تعتقد قدم الطبيعة أى أنها موجودة من الأزل فلم يسبق زمان لم يكن لها وجود وأنها تحتوى فى ذاتها على القوى المطلوبة لأحداث جميع صور الوجود فيها فلا شىء فى الطبيعة لا يفسر الطبيعة .

ثالثا : تعتمد العلمانية أوهام نظرية دارون التى تقول أن الانسان قبل صيرورته انسانا قد مر بمراحل حيوانية متعددة منتقلا من طور الى طور .

رابعا : تنفى معجزات الرسل والانبياء ، ورفض أى خرق للقانون الطبيعى وهكذا تكشف العلمانية عن الحادها ومعارضتها للاسلام من كل النواحى .

(٣) من الدعاوى التى يركزون عليها :

ان الغرب هو مركز الدائرة وأن العالم الاسلامى هو هامشه وأن التاريخ يبدأ بهم (الرومان) وينتهى بهم (الحضارة الأوربية) وأن المسلمين مرحلة وأن حضارة الغرب هى المنطلق .

وهم لا يكشفون لنا من تراثنا الا ما هو مضطرب ومن مراحل الضعف ويخفون جوانب القوة والعطاء فى مجال العلوم التجريبية والعلوم الانسانية ومحاولة تصور الاسلام على نحو تصور المسيحية من ناحية العلم والحكم فيثيرون اكاذيب الدولة الثيوقراطية ويهاجمون اللغة العربية ويتهمونها بالقصور ، ويفرضون على المسلمين الفصل بين الدين والسياسة ، وينكرون الغيب والوحى والجزاء الأخروى ويدعون قدم العالم وقد عملوا على حجب الشريعة واعلاء القانون الوضعى وفرضوا النظام الربوى على الاقتصاد الاسلامى وفرضوا مفهوم القومية والاقليات فى سبيل تدمير الوحدة الاسلامية وقد أصبحت نظرياتهم القائمة على الفروض حقائق تدرس فى مدارسنا وجامعاتنا على أنها « علم » ومن ثم أصبحت العقلية الاسلامية تحاكم اليوم من خلال مفاهيم زائفة مضللة .

فالتحليل النفسى اليهودى يقدم للمسلمين الآن لتصوير مواقفهم مع الغير ، والتحليل السياسى الماركسى يستعمل الآن لخداع العرب والتفسير المادى للتاريخ يستعمل اليوم لمحاكمة اوضاع المسلمين فى صراعهم مع أعدائهم ، وقد تجوهلت المفاهيم الاسلامية الأساسية التى هى فى الحقيقة مصدر تفسير وجودهم وحركتهم ويرجع ذلك كله الى مصدر واحد أساسى فى الحملة الغربية الفكرية والثقافية وهى « كراهية الاسلام » التى تجمع عليها القوى الثلاث الغربية المسيحية والماركسية والصهيونية وكلها ترمى الى ازاحة نمط الحضارة الاسلامية عن النهضة .

وتردد اليوم دعوى حضارة البحر المتوسط مرة أخرى لاحتوائنا مع أمم تختلف عن عقيدتنا وفكرنا ومنهجنا .

وما تزال نظرية القومية تعمل عملها فى تفريق العرب حول محاور مختلفة وقد كان العرب قبل الاسلام قبائل متصارعة ولم يجمعهم على وحدة الفكر والثقافة الا الاسلام وهم اليوم يمرون بنفس التجربة ، لقد دفعتهم القوميات الى الصراع والحقت بعضهم بالغرب وبعضهم بالشرق ولن يردهم الا الاسلام الذى جمع المسلمين دائما فى ساحة الفزع والخوف والمحن والأزمات تحت لواء واحد .

(٤) وتبقى دعوى أن الاسلام لم يكن مطبقا على مدى التاريخ الاسلامى الا فى مراحل حكم الراشدين : وهى أضلوله ماركسية لعينة ، يطلقها من كان من حق الله عليه أن يسجد شكرا لما أولاه ربه من العفو وأخرجه من المحنة وصدق الله العظيم **(انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون)** لقد اعتمد هؤلاء على كتب أعدها المستشرقون وأتباعهم لتزييف التاريخ الاسلامى وحجب ضيائه وتفريغه من قوته ، لخدمة أهداف الغزو ولا ريب أن ما ردَّدته كتب التاريخ عن خلافات الأمراء والملوك انما قصد به ايجاد دليل كاذب على تفسخ المجتمع الاسلامى ،

والواقع أن المجتمع ظل قويا متماسكا عميق الايمان ماعدا بعض افراد من الطبقات العليا ثم أن هذه الخلافات لم تكن بهذه الصورة ، وأن الذين رتبوا هذه الخلافات لم يذكروا المسافات الواسعة بينها أو الايجـــابيات العديدة خلال أربع عشر قــرنا ، أما الشيء الذين تجــــاهله هؤلاء المفرضون فهو ماذا حدث بالمقارنة فى مثل هذه الفترة فى دول أوربا من مجازر ودماء وصراع لم يكن كل ما ورد فى كتب تاريخ الاسلام ليمثل قلامة ظفر ازائه .

ما أكثر دعاواهم الباطلة ، ولن ينالوا من الاسلام شيئا ..

***

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

الفصل السادس

تساؤلات أعداد الشريعة الإسلامية وخصومها

انهم يدخلون البحث وكانهم أولياء للفكر ليستطيعوا أن يكسبوا النـــاس الى صفهم ليثقوا بهم ثم يقــدمون السموم جرعة بعد جرعة وهم يعرضون دائما لما يسمونه صـــور الخلاف والفتن فى تاريخ الاســـلام بين الســـنة والشيعة والمعتزلة .

الخلافات كلها بين المسلمين خلافات فى داخل اطار الاسلام وهى امر طبيعى ولاخلاف عليه والعبرة بأصول الاسلام بتطبيق المسلمين .

كذلك فهم يحاولون معاملة الشريعة الاســـلامية معاملة المناهج البشرية من حيث الكلام عن تطورها ، وعن تغيرها وعن محاولة اخضاعها للمجتمعات نفســـها وهو مالاينطبق مع ربانية الشريعة وبشرية المناهج الوضعية .

ان الازمات التى عانت منهـــا التجارب التى قامت لاقامة الحكم الاسلامى لم تكن الا من القوى الخارجية التى لاتريد تطبيق الشريعة والتى تســـلط اعوانها فى الداخل للافساد والتآمر ووضع العراقيل ومن الطبيعى أن النفوذ الغربى المتســـلط من خلال أنظمة المصـــارف والمعاملات التجارية والناهب لثروات الامم الاســـلامية ، يعارض بشده ويبذل كل ما فى وســـعة للحيلولة دون قيام نظام الحكم الاســـلامى الذى سوف يقطع يده عن ان تنهب ثروات الأمم هو ومن يتبعه .

وهـــذه المؤامرة التى توجه للشريعة الاســـلامية اليوم مؤامرة شديدة الخطر متصلة الاواصر قد احكمت حلقـــاتها وكانما قد وكل الى كل تابع مساحة أو قضية بحيث يستطيع التغريب ان يغطى كل القضايا بالدعاوى الباطلة .

١ ــ قضية الحدود ومسالة القطع وفظاعتهـــا .

٢ ــ قضـــية أن آيات القرآن فى الحـــكم تتعلق بالقضاء لا بالتشريع .

٣ ــ ضرب الامام الشـــافعى بشـــده لانه جعـــل الحديث فى درجة القرآن حيث أعلن حجية الشريعة .

٤ ــ مسح الأرض بالسلف الصالح لأن كلمة السلف الصالح مكروهة وكلمة البيعة مرفوضة .

٥ ــ الادعاء بأن الشريعة الاسلامية لم تطبق على طول تاريخ الاسلام وهى دعوى ادعاها الاسلاميون .

٦ ــ ان آية (**ومن لم يحـــكم بما أنزل الله**) **نزلت** فى اليهود .

٧ ــ القرآن دستورنا تعبير غير دقيق والقرآن دين ودولة تعبـــير مزعج والاسلام عقيـــدة وشريعة كلمات لا معنى لهـــا .

كل هذا حاوله أعداء الشريعة الاسلامية ولكنهم لم يستطيعوا ان يصلوا الى شىء .

ليس صحيحا هذا التبسط فى أمر الفقه الاسلامى لانه من عمل الفقهاء فى محاولة لفصله عن الشريعة الاسلامية فهذه نغمة علمانية يرددها البعض للغض من قدر هـــذا التراث الضخم الذى ظل يتنامى على الزمن خلال اربعة عشر قرنا والذى هو مرتبط ارتباطا جذريا مع الشريعة لانه مستمد منها متصل بها .

ليست القضية الاساسية هى تطبيق قوانين الحدود والمعاملات فحسب فهذه ليست الا مجرد جزئية فى قضيتنا

الكبرى : العودة الى الاسلام — اما القضية الاسلامية الأولى فهى حتمية الاسلام على الفكر والتصورات والمعانى والسلوك تطبيق .

لم يعرف الاسلام شعار الحكومة الدينية وانما يعرف الحكومة الاسلامية فالاسلام دين ودولة ونظام كامل للحياة وقد أجمع العلماء المسلمون على ضرورة قيام الدولة الاسلامية التى تعكس مبادىء الاسلام وقواعده وخصائصه .

ولم يعرف الاسلام مصطلح (رجل دين) على هذه الصورة التى عرفتها أوربا حيث لا وجود لها على الاطلاق .

وما يزال الكتاب يصدرون عن مفهوم غربى قوامه التصور التاريخى للعلاقة بين الكنيسة والدولة فى عصور الحكومات الثيوقراطية .

ان تعديل المواد التسع التى تتعارض مع الشريعة فى القانون المدنى والعقوبات والجنائى تجعل للقانون وجها اسلاميا .

ذلك أن القانون بوضعه الحالى يسقط حق الله والمجتمع فى جريمة الزنا ويسقط العقوبة اذا تنازل احد الطرفين حيث لا يعتبر المشرع الوضعى هتك العرض جريمة متى كان برضا الطرفين .

غير صحيح ما يقال من أن الشريعة لم تكن مطبقة فقد ظلت الشريعة مطبقة حتى وصول حملات الاستعمار ، يشهد بذلك كتاب وصف مصر للعلماء الفرنسيين كما ان الجبرتى أشار الى تطبيق الحد فى عصر محمد على .

أن ما رددته كتب التاريخ عن الخلافات بين الأمراء والملوك قصد به ايجاد دليل كاذب على تفسخ المجتمع الاسلامى فان هذه الخلافات لم تكن بهذه الصورة ثم ان المجتمع نفسه فى مجموعه ظل سليما قويا متماسكا .

ان فكرة تطوير الشريعة فكرة باطلة ومضللة ، والقضية توحى بالقصور فى فهم الفارق الدقيق بين الشريعة والفقه .

فالشريعة هى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وهى نصوص بلغت كمالها واكتمالها منذ اختار الرسول صلى الله عليه وسلم الرفيق الأعلى والتطوير معناه الانتقال من طور الى طور فلا محل للقول بذلك بالنسبة لهذه النصوص ومصدرها الالهى كما نعلم .

أما القول بتطوير الفقه الاسلامى فهو وارد اذا صح القصد اذ انه عمل انسانى ، وهو مجهود علماء المسلمين لفهم نصوص الشريعة واستنباط الأحكام فيها سواء كانت تتعلق بالجزئيات أو القواعد الكلية التى تتفق مع أهداف هذه النصوص العامة فى القرآن والسنة .

ان الاحتجاج لتوفير حد الكفاية لكل فرد حتى يمكن تطبيق الشريعة الاسلامية ، هذه الحجة هى حجة ضد خصوم الشريعة الاسلامية ، لأننا يجب علينا أولا ان تضع النص بالتشريع ، وبعد ذلك يترك الامر للقاضى الذى يقدر كل حالة على حدة ، فالسارق الذى سرق ليدفع عن نفسه غائلة الجوع لا يخضع للعقاب ولكن الذى سرق لينفق على الغوانى فى ملهى ليلى هل نقول له انك على حد الكفاية فالقضية اذن هى أن القاضى الآن ممنوع من أن يقطع فى مثل هذا مع أنه يستحق القطع لأن حد الكفاية متوفر له فنحن نرى أن هذه النصوص يجب ان توضع فى التشريع حتى يتمكن القضاة من تطبيقها اذا توافرت شرائطها .

ان دعوى التدرج فى تطبيق التشريع الاسلامى تخالف كمال الشريعة : **(اليوم أكملت لكم دينكم)** وقد مضى على الشريعة أربعة عشر قرنا فكيف نقول بالتدرج مع أن دساتير العالم تحدد ميعادا لتنفيذها فور اكمالها واعلانها ويسرى حكمها على الكافة دون تدرج ، هذا ولم يعرف الاسلام التدرج فى التشريع الا فى الخمر وثبت فى الآخر حرمتها بالنص وان القول بأن المجتمع الاسلامى فقير هى دعوى مرفوضة ، لأن التشريع جعل ضوابط محددة فى توقيع العقوبة ، فالسارق لا تقطع يده الا بشروط توفر المطعم والمشرب والملبس وان يكون المال محرزا وغير ذلك من شروط اذا تخلف منها شرط سقط الحد بالشبهة ووضعت له عقوبة تعزيرية .

● ان دعوى تهيئة المجتمع الاسلامى هى دعوى مرجئه ومثبطه ، ولا يوجد مجتمع يخلو من الجرائم ، وقد بدأت الجريمة منذ قديم الأزل ، ولا يوجد بد من حماية الجريمة بالقانون أساسا ، هذا فضلا عن أن الشعور العام مرتبط بالشريعة منذ أن استفتى عن المادة الدستورية ١٩٧٠ .

● يرى الكثير من الباحثين للقوانين الاسلامية أن القول بتنقية القوانين الفقهية أو ترقيعها بأحكام من الشريعة الاسلامية هى محاولة فاشلة من الناحية القانونية العملية فانه لايمكن (فرنسة الشريعة) أو (أسلمة القانون الفرنسى) فالاسلام ليس العبادات أو الأخلاقيات لأن هذين الجانبين فى الاسلام ليسا الا وسيلة يقصد بها الأصل وهو تطبيق الأحكام العملية فالاسلام كل متكامل لعقائده التى تحدد أهدافا وبأخلاقياته التى تعالج سلوكا ، والمجتمع الاسلامى لن تقوم الا يتطبق المعاملات الاسلامية وهذا لن يتحقق الا بقيام الجزاء وان فكرة التدرج فى تطبيق الشريعة فكرة خاطئة لاننا بعد نزول القرآن

أصبحنا مطالبين بتنفيذ جميع احكام الله) ثم أن الشريعة والمذاهب الفقهية لا تحتاج لدراسة فهى تصلح لكل زمان ومكان وأن الانتظار لاعداد المجتمع مضيعة للوقت ثم انه كيف يعد المجتمع ووسائل الأعلام وعلى الأخص التليفزيون مليئة بما يخالف الشريعة الاسلامية .

(عبد المقصود شلتوت)

أن من يريد أن يعرف منزلة الشريعة الاسلامية وانها فوق مستوى العقل البشرى فليوازن بينها وبين القانون الرومانى لأن القانون الرومانى قد استوى على سوقه وبلغ غاية كماله فى عهد جوستنيان ٥٣٣ بعد ميلاد المسيح ، وكان فى ذلك الوقت صفوة القوانين السابقة وبه علاج لعيوبها وسد لخللها من يوم أن انشئت روما ٧٤٤ قبل الميلاد الى ٥٣٣ بعد الميلاد . أن انه ثمرة تجارب قانونية لنحو ثلاثة عشر قرنا ظهرت فيها الفلسفة اليونانيةوبلغت أوجها وقد استعانوا فىتلك التجارب القانونية بقوانين سولون لاتينا وقوانين ليكورغ لاسيرطه ونظام اليونان بعامه والمناهج النظامية والفلسفة التى فكر فيها الفلاسفة اليونان لبيان أمثل النظم التى يقوم عليها المجتمع الفاضل .

***

٠أن القانون الرومانى هو خلاصة ما وصل اليه العقل البشرى فى مدى ثلاثة عشر قرنا فى تنظيم الحقوق والواجبات فماذا لووازنا بينه وبينماجاء على لسان محمد صلى الله عليه وسلم النبى الأمى وانتجت الموازنة أن العدل فيما قال محمد ليس من صنع البشر وأنه من العليم الحكيم .

وآية ذلك المساواه القانونية ؟ **(يا ايها الناس انا خلقناكم)** الآية حيث حقق الاسلام عقوبة الأرقام بينما يضاعف قانون الرومان عقوبة الضعفاء .

وحيث جعل الدائن يسرق المدين أن عجز عن الوفاء بينما قرر القرآن ان على بيت المال ان يسدد ديون المديونين اذا عجزوا كليا عن سدادها .

كان الرقحقيقة مقررة ثابتة فقد أقر فلاسفةاليونان نظام الرق واعتبروه عادلا لا ظلم فيه وقرر أرسطو أن الرق نظام الفطرة لأن من الناس ناسا لايمكن أن يعيشوا الا أرقاء وآخرين لا يكونوا الا اجراء فجاء النبى فقرر مساواة الناس جميعا .

(محمد ابوزهرة

أن كثرة التشريعات والقوانين والتعديلات أن دلت على شىء فانما تدل على عجز الانسان عن أن يضعقاعدة عامة تستطيع انتصمد مدة طويلة أو تشملأوضاعا كثيرة لذلك فان القاضى يجد العنت الشديد فى تفسير القوانين مما يؤدى الى عدم سرعة الفصل فى القضايا ولاريب أن الرجوع الى الشريعة الاسلامية هو المخرج الوحيد من كثرة القوانين لان مصدر الشريعة هو الخالق سبحانه وتعالى الذى يعلم أمور الخلق وما يصلح لهم وما لايصلح ومن هنا فقد جاءت الشريعة الاسلامية بعيدة عن أهواء البشر والحكام .

(محمود هريدى)

ان هناك قوانين سائدة حتى الآن تشوه وجه القانون فى مصر مثل القانون التجارى والبحرى المعمول بهما حتى الآن واللذان صدرا عن صياغة ركيكة غامضة عبارة عن ترجمة عن نصوص صدرت فى فرنسا منذ ثلاثة قرون والغريب انهذه القوانين قد الغيت فىبلادها وحلت محلها قوانين جديدة تعالج النشاط التجارى والبحرى معالجة عصرية بفنون الاقتصاد فى هذه البلاد .

(يحيى الرفاعى)

ان كثرة التشريعات وتفرقها وتضاربها يعود الى غياب الشخصية القانونية فلكل نظام شخصيته ووجهته التى من خلالها يتم التوجه التشريعى العام الا فى مصر فقد تحولت فجاة من نظام ليبرالى مفتوح الى نظام اشتراكى مغلق وحاولت الحكومات استرضاء الشعب على حساب المنهج الفكرى ثم عادت بعد عشرين عاما الى التغريب مرة أخرى بأن فتحت الباب أمام تشريعات تختلف من حيث التوجه على سابقها . والتوجه الاسلامى كان كفيلا فى ذاته بحل هذا التضارب المرفوض وذلك أن وحدة المصدر مع وحدة الكيان الفكرى تؤدى الى وحدة الكيان التشريعى وما يتبعه من تناسق فى القوانين .

(مختار نوح)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الباب الثالث
معركة العلمانية فى مواجهة
قاعدة (الإسلام دين ودولة)

أولا : عزل الدين عن الحياة وحبسه فى دائرة العبادات

ثانيا : معركة العلمانية

(١) المواجهة مع آراء فؤاد زكريا (الشيخ الغزالى)

(٢) المواجهة مع آراء فؤاد زكريا (يوسف القرضاوى)

(٣) المواجهة مع آراء فؤاد زكريا (الجولة الثانية)

ثالثا : المواجهة مع وحيد رأفت وفرج فوده

رابعا : الحكم بما نزل الله : الرد على فرج فوده

خامسا : الرد على العلمانيين

الباب الثالث

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصل الأول

عزل الدين عن الحياة وحبسه في دائرة العبادات

العلمانية : مصطلح غربى يحمل فى طياته اللادينية :

فى الانجليزية : Seenlarism

وفى الفرنسية : Lalgue

ومترجم هذا المصطلح الغربى الذى يعنى اللادينية انما اراد ان يقدم ترجمة مضللة خادعة اذ جعلها يمكن أن تنسب الى (العلم) اوالى (العالم) ولكن معناها فى المفهوم الغربى : عزل الدين عن الحياة والأحكام الى نظريات علمية ونظم وضعية وهو من خداع العلمانية فى انه يوحى بالعلم والبحث عن المعرفة .

وقد استخدمت العلمانية لتقديم تفسيرات من صنع البشرلحركة الكون والحياة وموقف الانسان منها وتأثيرها على قيام المجتمعات وتوجيهاتها فى احلال الطبيعة محل القدرة الالهية والقول بالصدفة .

وقد استخدمت كل الانجازات المادية فى حضارة الغرب للتمكين لنزعة العلمانية وما نزال آثار العلمانية واضحة فى المدارس والجامعات فى البلاد الاسلامية واثرها واضح فى عقلية الشباب المسلم وهى طرح شعارات تهدف الى عزل الدين عن الحياة وحبسه فى دائرة العبادات .

ثانيا : اخذت أوربا بزعة العامانية فى مواجهة جحود المسيحية وتشدد رجال الكنيسة بعد معركة ممتدة استمرت قرونا ذلك أن المسيحية التى عبرت الى أوربا هى مسيحية بولس وليست المسيحية الأصلية وقد نتج منها أمرين :

(١) سيطرة الكنيسة على الملل والامراء .

(٢) سيطرة الكنيسة على العلم .

(٣) معناها العلمانى Scular فى جميع النواميس الاوربية وعلى راسها دائرة المعارف البريطانية النظام اللادينى او اللاعقائدى الذى ظهر فى بيئة معنية او زمان معين مع اقوام معينين ويرى كثير من الباحثين ان العلمانية التى نادى بها الغرب استوجبتها اسباب خاصة اهمها : تصور الدين عن استيعاب شئون الحياة وتحجر الكنيسة الذى يتمثل فى وقوفها فى وجة العلوم والمعارف وتحالفها مع السلطة المستبدة ضد الطبقات الضعيفة والفقيرة والمقهورة .

***

(بينما أن الاسلام لم يشهد وصفا مشابها لما جرى فى الغرب فالعلم نشأ وترعرع وازدهر فى أحضان الدين (الاسلام) الذى دعا اليه وشجع عليه واعتبره من اعظم العبادات والقربات)

ثالثا : يقرر الباحثون : أن (العلمانية) هى المقابل للكهنوتية الدينية التى عرفتها أوربا الكاثوليكية ، أو هى ثورة على المنهج الكهنوتى أو السلطة الدينية من حيث ان هذا المنهج مخالف للطبيعة وسنة التطور كما انه يضع حجرا على العقل فكانت العلمانية هى رد الفعل الحاد فى معركة الصراع بين العلم والتطور من ناحية وبين اللاهوت الكنسى فى أوربا حيث أمرت العلمانية بطورين :

الاول : فى معركة انهيار التطور مع الكنيسة .

الثانى : حاول فيه دعاة هذه الفكرة وتطورها الى هدم الدين ذاته فى اجتمعـلت الاشتراكية بتخليص هذه المجتمعات من الأقطار الدينية لحساب الشيوعية .

وأن الغاية الكبرى للعلمانية ليست مجرد عزل الدين عن المجتمع والفصل بين الدين والدولة ولكنه السعى نحو تخليص الفرد من الأفكار والنزعات الدينية وتخليص المجتمع من المؤسسات الدينية ذاتها .

رابعا : تقول دائرة المعارف البريطانية فى تعريف العلمانية :
انها حركة اجتماعية تهدف الى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة الى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها ، هذا أن العلمانية ترادف معنى الدهرية المعروف قديما فهى نزعة او نحلة كان اصحابها ينكرون البعث والحياة الآخرة ويقولون كما حكى عنهم القرآن :

(وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر) ، سورة الجاثية ، يعنى انه لاحياة بعد الموت

(بينما يوجه الاسلام الناس الى الاهتمام بالآخرة والدنيا معا) :

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا .

والاسلام يرسخ لعقيدة البعث والحياة الآخرة والذى لايؤمن بالبعث كافر عريق فى الكفر .

وهذا التعريف الذى ذكرته دائرة المعارف البريطانية فحواه بلانزاع : رفض الايمان بالله ومابعث به رسله وهى بذلك تناقض الاسلام .

خامسا : يؤكد تعريف اخر فى (قاموس العالم الجديد) رفضها للايمان بالله صراحة وبلادنى خفاء حيث يقول .

* * *

(العلمانية الروح الدنيوية ذو الاتجاهات الدنيوية وغير ذلك وعلى الخصوص نظام من المأوى والتطبيقات يرفض اى شكل من اشكال الايمان والعبادة) وقد جاء رفض الايمان بالله وعبادته صريحا فى هذا التعريف .

ويقول اربرى فى كتابه (الدين فى الشرق الاوسط) ان المادية العلمانية والانسانية والمذهب الطبيعى والوضعية كلها اشكال لأدينية واللادينية صفة مميزة لأوربا وأمريكا ومع أن مظاهرها موجودة فى الشرق الأوسط فانها لم تجد أى صيغة فلسفيه أو أدبية محددة) .

(ومعنى هذا ان الاسلام يختلف عنها بكل وضوح فالاسلام عقيدة وشريعة (ومن لم يحكم بما انزل الله : فان ظاهر القرآن يحكم عليه بالكفر مرة وبالظلم مرة وبالفسق ثالثة ، فالايمان بالعقيدة المنزلة والحكم بالشريعة الموحاة شرطان اساسيان فى تحقيق الايمان والعدالة .

سادسا : من ابرز معالم العلمانية الأساسية .

اولا : نفى الخالقية عن الله سبحانة فهو عندهم لم يخلق الكون وليس الكون فى حاجة الى افتراض وجود قوة خارجية تؤثر فيه ، وهذه هى احدى مراحل نفى الخالقية عن الله تبارك وتعالى عندهم .

ثانيا : ازلية الطبيعة وأبديتها فالعلمانية تعتقد قدم الطبيعة اى أنها موجودة من الأزل فلم يسبق زمان لم يكن لها وجود والطبيعة — فى إعتقادهم تحتوى فى ذاتها على القوة المطلوبة لاحداث جميع الصور الموجودة فيها فلاشىء فى الطبيعة لايفسر الطبيعة .

ثالثا : أصل الانسان : تلقفت العلمانية أوهام نظرية دارون ، التى تقول ان الانسان قبل صيرورته انسانا مر بمراحل حيوانية متعددة متنقلا من طور الى طور .

رابعا : نفى معجزات الرسل والأنبياء والتى أيد الله تبارك وتعالى بها رسله وانبياءه . ورفض اى خرق للقانون الطبيعى .

خامسا : نفى الحاكمية عن الله تبارك وتعالى ، وتعد نظرية العقد الاجتماعى التى قال بها ورسوا ورغم أن جماعة من البشر فرقت بينهم الأديان فعقدوا عقدا على واحد منهم ، وهذا التصور ينفى الحاكمية عن الله تبارك وتعالى .

* * *

كانت تجربة تركيا العلمانية تجربة فاشلة مضطربة فقد فرضت العلمانية على تركيا كثمن للتسوية فى الحرب العالمية الأولى عند انتصار الحلفاء ولانهاء الخلافة الاسلامية والقصد هو فرض نظام يفصل فيه الاسلام عن الدولة . والغاء التجمع الاسلامى الذى قرره الإسلام بين العرب والعجم على السواء ، وقد جاء ذلك كقرار مفروض على المسلمين والعرب بما يسهل للغرب حركة الاستغلال الاقتصادى لأنه يفسح الطريق أمام النهب والرشوة والسرقة مع تعطيل الحدود .

وقد جاء هذا بهدف السيطرة على البلاد الاسلامية سواء بمنهج الراسمالية أو الشيوعية ، وبتجربة تركيا فتح الباب أمام هذه التجربة .

وكان سعد زغلول فى مصر قد رسم مع كرومر منهج النظام الديمقراطى الغربى الذى يزيح لأول مرة فى المجتمعات العربية والاسلامية النظام الاسلامى ثم جاءت كتابات الشيخ على عبد الرازق فى كتابه (الاسلام ونظام الحكم) مفرغة من كتاب كان قد كتبه المستشرق مرجليوث (١٩٢٦) .

وكان الشيخ على عبد الرازق قد ارسل الى لندن للدراسة فتلقفه المستشرقون العتاه وفى مقدمتهم مرجليوث اليهودى بأن ينقل كتابه عن العربية ويضيف اليه بعض التوابل ثم ينشره باسمه وان هذا العمل سيكسبه شهرة عالمية مدوية وقد كان .

وجاء بعد ذلك خالد محمد خالد فسار على نفس الطريق — وأن كان قد تراجع من بعد اكثر من ثلاثين سنة ، تراجعا ظاهريا ثم جاء عبد الملك عودة فدعا عام ١٩٥٥ الى ان الطريق امام العرب هو :

(القومية — العلمانية — الديمقراطية)

ولكن تجربة تركيا الكمالية ظلت فى نظر العرب والمسلمين : مؤامرة خطيرة ولكنها عزلت العرب عن المسلمين واقامت الصراع بينهم وعمقت الخلافات حيث مضت تركيا فى احياء تاريخها القديم السابق للاسلام واتجهت الى الأهتمام بالعاميات واضعاف الفصحى : لغة القرآن ، لعزل المسلمين عن وحدة الفكر واقامة القوميات على غير أساس الاسلام وعزل تركيا عن العالم الاسلامى والتراث الاسلامى ، بلغتها المكتوبة بالحروف اللاتينية وتكوين اجيالها على الانفصال عن الاسلام والعرب وبذلك تصبح غربية .

وقد سقطت تجربة العلمانية وكشفت عن عجز مفهوم العلمانية فى عالم الاسلام .

* * *

ويرى بعض الباحثين أن العلمانية انتقلت الى مصر ابتداء من (محمد على) حين أرسلت البعثات العلمية لمختلف دول أوربا وحينما استحضر عددا من الأوربيين لكى يساهموا مع مختلف نشاطات الدولة وسار على هذا النهج خلفاء محمد على : عباس وسعيد واسماعيل وعند الاحتلال الانجليزى لمصر فرضت العلمانية على البلادواقصيت الشريعة الاسلامية وحل محلها القانون الوضعى وأبعدت مفاهيم الاسلام فى الانسان والمجتمع والأسرة ، ووضعت العلوم الأجتماعية الغربية بدلا منها وطبق الاقتصاد الغربى الربوى .

وهكذا كان الأمر فى السياسة والفن والأدب والأعلام والصحافة وغيرها ، من نشاطات الدولة ، أما عن التعليم فقد طبقت العلمانية فى التعليم الوطنى بعد الاحتلال البريطانى لمصر ، بعد أن كان تطبيقها قاصرا على مدارس الارساليات قبل الاحتلال ودرس شبابها من ذلك الوقت وحتى الآن علوم انسانية انطلاقا من مفهوم العلمانية لها والقائم على أبعاد المبادىء الاسلامية عن المقررات التعليمية وقيام هذه المقررات على النظرة الوضعية فقط .

ماذا كانت نتيجة هذه التجربة .

يجيب البعض بأن المجتمع اصابه ضرر بالغ من جراء انتقال هذا المفهوم الى مجتمعنا فقد درست العلوم الوضعية فأقيم علم الأجتماع على وجهات نظر (سان سيمون و اميل دوركايم وأوجست كونت وماركس) واقيم علم النفس على وجهات نظر (فرويد وبافلوف ويونج) واقيم الاقتصاد على وجهات نظر (ميكافيللى وجون لوك وجان جاك روسو) واقيمت الأخلاق على النسبية المطلقة واقيم القانون على اسس وضعية واقيم الفن على الانفلات من القيود حتى لو كانت هذه القيود والحدود هى القيم الخلقية ، واقيم التاريخ على تفسيرات الغرب لله والدين واغفلت النظرة الانسانية والأخلاقية ، بل واكثر من هذا اغفلت الأحكام الالهية الجامعة المانعة الاسلام فى استخدام نتائج العلم .

بل اخذت المفاهيم الدينية الأسلامية المتعلقة بكل شئون الحياة مكانا ثانويا للغاية فى جميع ميادين النشاط البشرى .

وكان انتقال هذه الفكرة لمجتمعاتنا سببا فى تحطيم السد الذى كان يقف فى وجه النفوذ الاستعمارى والاقتصادى (زكريا فايد) .

* * *

والواقع أن محاولات فرض العلمانية على مجتمعنا

ظلت قلقة ومرفوضة سواء بالنسبة للقانون الوضعى وموقفه من الربا والزنا (ومواد قانون العقوبات عن جرائم الاغتصاب والزنا وغيرها من كل ما يتعلق بالنظام الاجتماعى والاقتصادي) .

والواقع أنه ليس للعلمانية مكان فى المجتمعات الاسلامية (أولا) لأنه ليس هناك ازدواج للسلطة يترتب على نظره الاسلام الى الدنيا أو الحياة المادية على نحو ما تراه الكنيسة ، (ثانيا) وليس هناك حكومة الهية فى الاسلام .

ويرفض الاسلام أساسا (علمانية المجتمع) أو محاولة فرض عزلة بين الدين وتنظيم أمور المجتمع ، وهذه العزلة مناقضة لطبيعة الاسلام والدعوة اليها انما تمثل ايذابا بخصومه لا مفر منها بين هؤلاء الداعين وبين التيار الاسلامى بروافده كلها (كما يقول كمال أبوالمجد) فالدعوة الى علمانية المجتمع لا تمثل موقفا حياديا بين الأديان اذ هى من وجهة مسيحية خالصة تتفق مع قاعدة (اعطو ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ولكنها تضع العربى المسلم فى تناقض حاد على قاعدة شمول الاسلام وتنظيمه الواضح لأمور المجتمع ، وبذلك تكون الدعوة الى العلمانية بهذا المعنى منحازه .

* * *

انها محاولة فرض مبدا أساسى فى المجتمع يتعارض تعارضا جوهريا مع أصل من أصول العقيدة الاسلامية وفى هذا العقد الأول من القرن الخامس عشر نرى الدعوة الى أن تصبح مصر علمانية تتجدد على ألسنة بعض الأقلام المسمومة ، وقد أثيرت هذه الدعوة من قبل ولقيت رفضا من الجماهير المسلمة فى مصر ، وقد ارتفعت درجة الوعى فى الشباب المسلم المثقف الى درجة كبيرة أصبحت قادرة على كشف المؤامرات التى تحاك والخدع التى تصنع والمحاولات المضللة التى تساق فى عبارات براقة أو كلمات زائفة ، والواقع أن هناك ايمانا غامرا تتعالى موجاته يوما بعد يوم بأن الاسلام دين ودولة فلا يمكن فصل الدين عن الدولة مطلقا لأن الدين يدخل فى كل شئون الحياة وأى مسلم قرا شيئا يسيرا من دينه يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقود الدولة الاسلامية من المسجد .

* * *

الفصل الثانى
معركة العلمانية

فجر العلمانيون هذه القضية وطرحوا مفاهيمهم فى محاولة لاستقطاب الساحة الاسلامية وعمدوا الى تجاهل النقاط الحساسة التى تكشف خبيئتهم ولكن الاسلاميين كانوا واعـين وكانوا فى نفس الوقت ملتزمين اسـلوب الإسلام الكريم فى الحوار وكان اخطر المقتحمين فى هـذا المجال دكتور فؤاد زكريا وتبعه وحيد رأفت وفرج فوده ثم زكى نجيب محمود وتوفيق الحكيم .

* * *

(٢)

١ ــ اكد العلماء أن الاسلام يرفض العلمانية رفضا باتا لأنها ضد عقيدتنا وشريعتنا واخلاقنا ومبادئنا الدينية كما ان الاســلام يرفض الحكومة الدينية لأنها تقوم على التعصب والحرية الدينية ابتداع اسـلامى لم يعرف فى غيره من الأديان .

٢ ــ ان مفهوم العلمانية (دولة بلا دين) أو دين بلادولة وان العلمـانية وان لم تكن الحاد فانها تؤدى بصاحبها الى الالحاد .

٣ ــ ان الحوار عن العلمانية فى الصحف كان من جانب العلمانيين وحدهم اما ردود علماء الاســلام فلم يسمح لها بالنشر واصدق دليل أن جريدة الأهرام نشرت رأى الدكتور فؤاد زكريا عن العلمانية بينما رفضـت أن تنشر الرد عليه ولهذا كان الحوار من جانب واحد .

٤ ــ ان الأسباب التى ادت الى قيام العلمانية فى الغرب لا وجود لها فى الاســلام فالدين والعلم فى أوربا امران متضادان اما الاسلام فانه يدعو الى العلم ويحث عليــه .

٥ ــ ان العلمـانية لا تقبل العقيـدة اسـاسا للانتماء وترفض الأخلاق التى تميز الحضارة الإسلامية .

من أجل ذلك نرفض العلمانية لأنها تجعل الانسان فى تناقض مع نفسه ومع مجتمعه .

* * *

أولا : المواجهة مع آراء الدكتور فؤاد زكريا .

(١) ــ محمد الغزالى

عرفنا من كتاب ربنا وسنة نبينا **أن الاسلام عقيدة وشريعة وعبـادات ومعاملات ، ايمـان ونظام** ، دين ودولة . وعرفنا من دراستنا من التطبيقات الواعية التى ورثناها ان الدولة التى يقيمها الاسلام لا توصف بأنهـا علمانية ولا توصف بانهـا دينية على النحو الذى يفهم النـاس من كلمة دين من الايحـاءات المحيطة بالحكومة الدينية كمـا عرفت فى القرون الوسـطى فى أوربا . ولا توصف الحكومة التى يقيمها الاسلام بأنها علمـانية لماذا لأنها حكومة ليس اهتمامها منصبا على توفير الخبز للناس فقـط بل هى كما تهتـم بتوفيـر الخبز للناس فقـط تهتم باقامة الصـلاة ، ليس الحكـومة التى يقيمها الاسـلام حكـومة معنيـة برفع مسـتوى المعيشة للأمة وتوفير أنواع من المرفهات تجعل الحيـاة رطبة أو حسنة وينتهى واجب الحكومة ورعايتها عنـد هذا الحد بل تهتم الحكومة فى الاسـلام برسالة روحانية ربانية متسـامية حددها الاسـلام بدقة ووضوح عندما قال :

(الذين ان مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهـوا عن المنكر ولله عاقبـة الأمور) .

فاذا كانت بعض الدول الآن أو اذا كانت الدول الأوربية بشقيها الشيوعى والصليبى ترى أن هدفها الأسمى هو رفع مستوى المعيشة أو توفير مقادير كبيرة من المرفهات تجعل حياة الأمة أنضر وأنعم فان هذا المعنى يتجاوزه الاسلام لأنه يتجاوز الدنيا الى لآخرة ويتجاوز الروح الى الجسد والجسد الى الروح ويتجاوز عالمنا المادى الى ما يرضي رب الناس الذى أبدع المادة والروح معا وله حقوق لابد أن تؤديها وله معالم لابد أن نتعرف عليها ونقف عندها .

ان الحكومة فى نظر الاسلام حكومة ولاؤها لله وانتماؤها لهذه العقيدة ، وعملها أن تتبين هدايات الله فى المجتمع والدولة ثم تمشي فى ضوء هذه الهدايا التى ترضى ربها وتحقق بذلك سعادتها فى الدنيا والآخرة فهى من هذه الناحية ليست دولة علمانية فان معنى العلمانية (سواء بفتح العين أو كسرها) هذا لا يعنيني وانما يعنيني أن الاسلام يرفض الهدف أو الغاية التى تحددت فى الحضارة الغربية بشقيها الصليبى أو الشيوعى والتى تجعل الأرض الأمل والهدف والغاية فنحن لنا رسالة أخرى نقيمها الى جانب اقامة أبداننا والى جانب اقامة حياتنا المادية . هل نحن أمة تقيم حكومة دينية . هذا موضوع أريد أن أقف عنده وقفة فيها شيء من التأمل ، فان كلمة حكومة دينية كلمة مجرمة ومخيفة ، لأن الحكم الدينى فى التاريخ الذى عرفه حكم كالح ومن حق الانسانية أن تنفر منه لأن الحكم الدينى عرف بأنه حكم متعصب والتعصب انغلاق فى الذهن يجعل الانسان لا يفهم الا نفسه ولا يرى شيئا غيره وهذا التعصب كسيرة حياة له اتجاهات ووصايا يرفضها العقلاء ويرفضها ديننا نفسه .

انني ألفت النظر الى أن الخليفة الثانى عمر ابن الخطاب وهو من هو ، عندما طعن وعرف أنه منتقل الى الله (تبارك وتعالى) أخذ يكتب ويسجل وصيته لمن حوله فجاء فى هذه الوصية : أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة .

استغربت وغيرى يستغرب أى رجل دين أو حاكم دين فى القارات الخمسة أثر عنه أو عرف أنه أوصى وهو فى آخر مراحل الدنيا وأول مراحل الآخرة بالشيء الذى يعتز عليه ويهتم به ويجتهد له : أوصى بأهل الذمة ، أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة ، هل نجد مثل هذا فى فلسفة من الفلسفات أو دين من الأديان أو فى نظام من الأنظمة ، ما عرفنا هذا ، وما عرف هذا ولكن معاملة من لا يدين ديننا بالانصاف والعدل والبر .

هذا شيء يتميز به تاريخيا كما تميز به تراثنا النظرى مما يجعلنى أدعو وأقول : ان الحرية الدينية ابتداع اسلامى فما عرفت الحرية الدينية على هذا النحو الا فى تراثنا نظريا وتطبيقا على الأعم الأغلب فى تاريخنا كله ولايخلو تاريخ من هنات ، ولكن هذا تاريخنا لايعرف له نظير ، ان كلمة : (لكم دينكم ولى دين) ما عرفت الا عندنا (قل لى عملى ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) ما عرفت الا عندنا ولذلك دولة دينية بمعنى التعصب أو بمعنى الضم تحت الكرامة المادية أو الأدبية على الآخرين لم يعرف فى تاريخنا ولذلك ارفض ان اصف حكومتنا التى يقيمها الاسلام بأنها حكومة دينية وبهذا المعنى يصل الى اذهان الأوربيين والذى نقله الاستعمار الثقافى الى أعداد كبيرة من الغوغاء التى قرأت كثيرا من الكتب ولا تحقيق لها ولا علم وظنت أن الاسلام حينما يقيم دولته الدينية يصنع ما صنعه الذين اقاموا محاكم التفتيش فى اسبانيا ، فقد دخلنا اسبانيا وكلكم يعرف كيف دخلناها فعشنا وعاشت الأديان الأخرى بل قيل أنه لولا ظهور الاسلام لفنيت اليهودية ثم استولى الاسبان مرة أخرى على الأرض فما بقى فيها اسلام وقامت الدولة الاسلامية والتفكير عندنا فريضة وعمل العقل عندنا لابد منه لصنع الايمان وديننا هو الدين الذى يقول وما سمعنا فى ديانة أخرى مثل هذا القول : هاتوا برهانكم ، من رب السموات والأرض ، من يفعل كذا وكذا .

(هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)ومع الاسلام الذى نظر الى ملكوته والى اتقانه لهذا الملكوت والى ما أودع فى صفحاته من صور وأسرار وعجائب ، فقد ذكر القرآن اكثر من ثلاثمائة آية تحدثت عن العقل الانسانى ووظائفه ووظائف فكره والاستدلال الذى يصل اليه وعلى هذا المنهج قامت حضارة اسلامية ما أحب أن أتحدث عنها الآن حديثا موسعا بل سأكتفى بشيئين أقرأهما عليكم الآن : نصين فيهما الكفاية وتعرف العصر الذى يعيش فيه المسلمون الآن .

نحن المسلمين من العالم الثالث ، ولكنى سأذكر لكم شيئا يوم كان اباؤكم فى العالم الأول لقد بقيتم العالم الأول نحو ألف سنه انفردتم عدة قرون بالأولية ما شرككم فيها احد ربما شاركتم بعد ذلك فى الأولية أجناس أخرى لكننا انفردنا بالأولية عدة قرون ــ حوالى الف سنة ، كنا العالم الأول وأمامى الآن كتاب القرآن والمنهج العلمى المعاصر للمستشار عبد الحليم الجندى وسأنقل منه خطابا أرسله ملك انجلترا الى الخليفة هشام : يقول المؤلف : اذكر هنا بيانا بسعة مدى الانتفاع بعلوم الأندلس فى عالم الظلمات الأوربى خطاب صدر الى الخليفة هشام الثالث

الذى حكم بين سنة ١٤١٣ - الى ١٤٢٢م فى القرن الحادى عشر الميلاد وفى نصه غنى عن كل تفصيل فى شأن أوربا وأهلها وشأن الأندلس فى علومها هذا نصه :

من جورج الثانى ملك انجلترا وفرنسا الأوربية الى الخليفة هشام الثالث : بعد التعظيم والتوقير سمعنا عن الرقى العظيم الذى يتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم فى بلادكم العامرة فأردنا لبلدنا اقتباس هذه الخصائص لنشر أضواء العلم فى بلادنا التى يحيطها الجهل من أركانها الأربعة وقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة دوبى على رأس بعثة بنات الأشراف الانجليز .

(الامضاء خادمكم المطيع - جورج)

وجاء فى الهامش أن هذا الخطاب ورد فى كتاب (العرب عنصر السيادة فى القرون الوسطى للمهندس التركى عبد الرحمن شرف ، وذكر أن هذا الخطاب أرسل معه شمعتين من الذهب الخالص طول كل منهما ذراعان مع ٢٤ قطعة ذهبية من أوانى المائدة) .

هذا أول خطاب ، أما الخطاب الثانى فكان خاصا بالعرض الذى تقدم به جوهان ملك انجلترا الى الخليفة الناصر ووفد السفارة التى بعث به الى البلاط الموحدى سنة ٦٠٨ هـ ١٢١٢ م ولما يمضى على بناء جامع حسان أكثر من بضع سنوات ، ولقد جاءت البعثة تطلب المساعدة العسكرية للموحدين ضد النبلاء ورجال الدين . وسائر الأهالى وكذلك على عرض الملك جوهان ملك انجلترا على الخليفة الناصر أن يعتنق الاسلام هو وسائر أفراد رعيته .

مثل هذه السفارة من الأهمية بمكان ذكرتها المصادر الانجليزية بإسهاب وذكرت أفرادها واحدا واحدا ، وما يعنينا هنا هو ما وصلت اليه الحضارة الاسلامية خلال ألف سنة ، وكنت أود لو أن الذين يشتغلون بالثقافة المعاصرة بدلا من أن يصيبوا أجيالنا الحاضرة بالقنوط واليأس أو بعقدة النقص ، أن يعرفونا حضارتنا القومية وأثرها على المعرفة العالمية .

أما أن تطعن فى ديننا وتاريخنا وحضارتنا ونظرة العالم كأننا ما عشنا ولا كنا ولا بقينا الا ونحن على هامش الدنيا فهذا كذب كبير وافتراء وتضليل .

ومنذ قرنين فقط أصدر الداى حسن الذى بنى جامع كيتشاوا الذى حولته فرنسا الى كنيسة حينما احتلت الجزائر ثم عاد الى مسجد بعد التحرير ، هذا الداى المسلم أرسل اليه واشنطون بعد أن انتصر فى حرب التحرير الأمريكية يتحد اليه مودة وتلطف لكى يسمح بمرور السفن فى البحر المتوسط دون عوائق لأن البحرية الجزائرية كانت تعترض السفن الأجنبية المارة فى البحر المتوسط ، هذا شىء وشىء آخر انه انتصر على أسبانيا عسكريا وارغمها على أن ترسل وفدا الى الاستانة يحمل جرتين من الماء الى الخليفة قرأ لشىء معين كتبه فى ذلك الخطاب .

* * *

المهم أن الأمة الاسلامية فى كبوة الآن بتينا فى كبوه لكن ليس هذا من الاسلام فى شىء نقد كنا سادة العالم دهرا والكبوة التى عرضت لنا كبوه عارضة ويمكن أن نعود الى أمجادنا وبأكثر منها وهذا شىء طبيعى ويقع هذا عندما ندرس أسباب هزائمنا عندما أراها على عجل قسمين : أسباب أصلية يعنى مواريث فاسدة عرضت لنا من الناحية السياسية والثقافية والاجتماعية والفلسفية لنا أغلاط ، هذه الأغلاط يجب أن تدرس ، يدرسها علماء متخصصون يعرفون لماذا وقعت الأزمة فريسة هذه الأخطاء والخطايا والمبتدعات والخرافات الكثيرة التى التصقت بنا من كل ناحية .

وهناك أشياء من الخارج أثرت تأثيرا مباشرا فى كبوة المسلمين ، فالمسلمون الآن يعانون من رافدين كلاهما رافد شر ، موارثينا الباقية التى آلت الينا من أيام الدخن والغش فى ثقافتنا وحضارتنا وعقولنا والاستعمار الذى هجم علينا بأحقاده وأطماعه ونال منا ، هذا الاستعمار كما قال جمال الدين الأفغانى لا يزال يحمل بين أضلاعه قلب بطرس الناسك ، حاقد على الاسلام ، حاقد على الأمة يريد أن يحقر ديننا واشتغل بهذا التحقير عدد كبير من المستشرقين ومن المبشرين وعدد أكبر ممن تأثر بهم وأمسك بأذيالهم ، وعاش لا يدرى الا ما يلقيه من خرافاتهم وأهوائهم ، هذا النوع من المثقفين الدخلاء على علنا وعلى ديننا وتاريخنا عرضونا لبلاء هائل وافقد الأمة ثقتها فى دينها وفى نفسها ، وفى تاريخها وفى حضارتها ، وهذا النوع من الناس أريد أن انظر الى دخلته بانصاف أو بشىء من العدالة التى تعلمتها من الاسلام وهو أنه قد يكون هناك ناس معذورون لأنه من دعا الناس الى ذمه ، ذموه بالحق وبالباطل ماذا أنا دعوت الناس الى ذم خرافات كثيرة ، ما أحسنت ابعادها عنى أوردها عن دينى ، ولا تبرئه نفسى منها فهذا اذا أساء البعض الظن بى فهو معذور .

ومن هنا فأنا انظر الى العلمانيين على أنهم قسمان :

قسم له مقترحات حسنة فى الاصلاح لكنه لا يعرف الشريعة الاسلامية ولا حقيقة الدين الذى ينتمى اليه فهو يظن أن ما يقترحه ليس من الاسلام او بعيد عن الاسلام او أن الاسلام قد يضيق به ولو كان واسع الافق واسع الاطلاع ، لأدرك أن ما يقترحه هو دين الاسلام لكنه ما فكر ، أو غلبه التيار الثقافى الاستعمارى وجرفه ، فهو مع هذا التيار يقتبس أشياء غير صحيحة ، أو يظنها غير متصلة بالاسلام ، ولو انه أنصف لأصلح دينه ورجا الخير فى كنفه .

هذا نوع من العلمانيين وهناك نوع آخر لا يدرى فعلا اى شىء عن الاسلام ، ولقد تقابلت مع احد هؤلاء وهو من الخليج فقال لى هل يجوز أن تكون رئاسة الحاكم ست سنوات أو عشر سنوات قلت له وما المانع من هذا فوجدته لا يعرف لا مصلحة مرسلة ولايدرى شيئا عن أصول الفقه ولم يدرس التاريخ ، وجدت فيه عقلية قبلية فرضها على الاسلام وبعض دراسات فاسدة جعلته يتقوقع فى بعض الأحكام الفقهية وهناك ايضا من تبعوا الخواجات دون أن يعرف الاسلام الا على هذا النحو ، فهؤلاء نقول لهم اقرأوا كثيرا عن ديننا تتكشف لكم حقائق كثيرة وتعلمون ما تجهلون عن الاسلام .

بقى أن اقول لماذا لم تجد العلمانية غير الاسلام (هفية) فكلنا يعرف أن المانيا مثلا يحكمها الحزب الديمقراطى المسيحى ، ايطاليا يحكمها الحزب الديمقراطى المسيحى ، فرنسا حكمها اليمينيون ، وهم الآن يطاردون الاشتراكيين ، المحافظين فى انجلترا تاريخ حكمهم معروف ، بل ان ملكة انجلترا هى رئيسة الكنيسة البروتستانية ، فهناك اذا قلت الديمقراطى المسيحى لا حرج ، ولكن لو قلت الديمقراطى الاسلامى هنا يقولون لك اخرس ، مع انهم يتسولون العلمانية من المانيا وايطاليا وهم هناك يقولون ديمقراطية مسيحية وهنا لا ، لماذا أليس عندكم الا الاسلام لتحاربوه وتحاولوا محوه أما غيره فيقال ديمقراطية مسيحية وغيرها .

شىء آخر لاسرائيل ، من هو : هل هو فيلسوف أو أديب من الأدباء ، انه نبى من الأنبياء ، فاذا كان الاسرائيليون جعلوا نبينا من الأنبياء عنوان دولتهم واقاموا الدولة الدينية فأنا اريد من العلمانيين أن يتعلموا من اسرائيل ، فاليهود الذين يحكمون فلسطين باسم نبى من الأنبياء احتقروا العلمانية ورفضوا الا ان ينضووا تحت مظلة الدين ، مع انها تغتصب الأرض ، وتقتل أصحابها وتسميهم ارهابيين ، كذلك الرجل المسيحى بوتا فى جنوب أفريقيا يقول انا مسيحى ويعتبر الزنوج ارهابيين وهو قاتلهم ، فأصبحنا نحن المسلمين وزنوج افريقيا المحكوم علينا بالبعد عن الدين وعن الفكر ونتهم بالارهاب .

اننى اوصى الأجيال الناشئة بأن تعلن كل من يحتقر لها دينها وأن تتشبث بهذا الدين وأن تعتمد على الله وتمضى فى الطريق وستنتصر يوما .

* * *

ان الذين يتحدثون عن العلمانية ويريدون أن يعلنوها على الاسلام يكذبون على الاسلام وعلى أنفسهم وعلى الحقيقة وهم لا يعرفون الاسلام ولا يعرفون الأمة العربية ولا يعرفون الأمم الأخرى ، وأبدأ بشرح الوضع كما اراه فى عالمنا الآن :

أولا : الأمة العربية : هذه الأمة دخلت التاريخ بالاسلام وعرفت به ، فما الذى يجعل أمتنا الآن تتنكر لتراثها ولولى نعمتها وصالح حضارتها .

ويقال لها ابتعدى عن الاسلام فان الاتصال بأى سبب آخر ، أو الانتماء لأى قافلة أخرى ، احظى لدينا ولدى الناس من الانتماء الاسلامى .

من قال هذا ، الذى يعرفه علماء الأديان كابن خلدون قال :

لا ملك للعرب الا على أساس نبوه وبالتعبير الحديث : لا قيام للعرب ولا دولة للعرب الا على أساس دين ، قد يكون للطبيعة اليونانية خصائص اخرى لكن الطبيعة العربية لا يمكن أن تقوم لها قائمة او أن يتحقق لها السيادة الا على أساس الايمان بالله ، وعلى أساس الاسلام ، ويوم يترك العرب الاسلام فسيستيقظ فى كيانهم الأدبى والضاصرات والمسافرات والمهاجة وحب الظهور وطلب الرئاسة الى غير ذلك من صفات الجاهلية القديمة .

(لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم) بالاسلام محاولة النهوض بالعرب من غير الاسلام لمحاولة أن تسير سيارة بالبنزين والديزل ويأتى لها بفحم .

والأمة العربية مهما حاولنا أن نفلسف لها مبادىء أو عناوين يستحيل أن ننهض بها أبدا .

ان العلمانية التى أساسها اطراح الصبغة الاسلامية والذوبان فى عالم لا عنوان لنا فيه ولا معلم لنا فيه ، من رضى من أهل الأديان الأخرى بهذا الذى تقول : لماذا يكون العنوان الاسلامى شتيتا مزريا أو معلقا أو مفرغا أو مخيفا هذا بينما بكل بساطة وبدون افتعال ودون اعتراض يحكم الحزب الديمقراطى المسيحى فى ألمانيا وايطاليا . هل النزعات المسيحية فى أوربا لاحرج عليها ولا اعتراض أمامها فاذا قلت الاسلام برز الاعتراض ومن أهل الاسلام ، من النكرة الذين يشتغلون لحساب القوى المعادية للاسلام ، أما الاسلام فانه أمل هذه الأمة وكيانها .

لماذا يقال للمسلمين وحدهم اتركوا دينكم ، هؤلاء الذين طالت ألسنتهم وكان يجب أن تقطع .

(٢) الدكتور يوسف القرضاوى (الجولة الأولى)

ما هو الاسلام وما هى العلمانية . الواو تطلق للجمع كما يفيد اللغويون ولا تفيد تضادا ولا غير تضاد. الاسلام والعلمانية : هذا العطف لا يقتضى الا المتغايرات ولا يقتضى التضاد ولا التنافر . لابد أن نعرف الأمرين الذين دعينا الى الحديث عنهما أو الحوار حولهما ، وليست هى مبارزة أو مواجهة وانما هو نوع من التقارب والتفاهم ونحن نرحب دائما بالحوار . وقد كتب الدكتور فؤاد زكريا فى الأهرام ودعا الى الحوار وارسل الشيخ محمد الغزالى مقالين الى الأهرام ولم ينشرا . فالحوار اذا كان من جانب من يملكون الحديث فى الصحف الكبرى دون الآخرين ، لا يكون ذلك انصافا ولا عدلا . فهو حوار من جانب واحد ونحن نريد ان يكون الحوار من جانبين وهذا عدل ، لا يعتقد اننا على صواب مع كل شىء ، لأننا بشر حتى لو تحدثنا عن الشريعة نتحدث عنها بصفتنا بشرا فكلام الله كله صواب ولكن كلامنا نحن البشر يشوبه الصواب والخطأ ، هذه حقيقة . الاسلام معروف : هو الذى بعث الله به خاتم رسله وانزل به آخر كتبه ، مما يصلح الأنفس ويسعد البيوت وينظم المجتمعات ، ويهدى البشرية الى التى هى أقوم مصدره كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، هو الدين الذى امتن الله به على عباده جميعا قال :

(اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا : هذا هو الاسلام .

أما العلمانية وانما سميت بهذا الاسم لأن العلم والدين فى أوربا التى نقل عنها هذا المفهوم ، هنا أمران متضادان . هناك الدين والعلم أو اليقين والتعقيل ، أو العقيدة والفكر أو الحكمة والشريعة ، أمران متضادان. فقالوا العلمانية بمعنى الأمر الذى يتصل بالعلم والعقل والتفكير الانسانى ولايستمد من الدين فكان هذا فى جانب والدين والوحى فى جانب آخر ، هذا أصل كلمة العلمانية والألف والنون زائدتان . والعلمانية ليست هى الالحاد كما يظن بعض الناس وانما هى فصل الدين عن الدولة : دين لا دولة له ، أو دولة لا دين لها ، كما عبر بعضهم ، لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين ، فمعنى العلمانية هو عقيدة بلا شريعة ، اى أن التدين مسموح به كتدين فردى ، لك أن تصلى وأن تصوم وتحج ، بل بعض الدول العلمانية تشجع هذه الأمور ، فهى تشجع الطرق الصوفية ، وأنواعا معينة من الاحتفالات الدينية ولكن أن يخوض الدين معارك الحياة وان يمسك بزمام المجتمع ، أن يسود ويقود ، وأن يؤثر ويوجه وينظم : هنا تقف العلمانية وتقول لا . فالعلمانية ليس معناها الالحاد ولذلك لا يهتم العلمانيون بأنهم ملحدون بل انا نقول أيها الأخوة بصراحة : مصر ليس فيها ملحدون ، وهذا هو اصل ، فهذا البلد متدين بفطرته وتاريخه ، الدين يسرى فى لحمه ودمه وعظمه وعصبه وعروقه من أيام بناة الأهرام الى اليوم فليس هناك اتهام بالالحاد ولا نتحدث عن الالحاد لأنه لا خلاف على أصل العقيدة ، فالعلمانية هى قبول العقيدة ووقف الشريعة : هذه هى الخلاصة ونقطة الخلاف بيننا هى : هل الاسلام شريعة كما انه عقيدة . الاسلام عقيدة . أخلاق . تشريع ، ما موقف العلمانية من هذا كله . هم يقبلون الاسلام عقيدة ولكن لا يقبلون أن يكون الاسلام أساس الانتماء . أو أساس الولاء والترابط بل يرفضون ان يكون .

هناك ترابط بين أصحاب العقيدة الوحيدة والله يقول : انما المؤمنون اخوه ، فالعلمانيون يقبلون الأخلاق الاسلامية ولكن يرفضون أيضا انواعا معينة من الأخلاق تعرفون أن الأخلاق نوعان : اخلاق انسانية عامة مثل الصدق والأمانة والتعاون والنظافة ولكن هناك أخلاق تتميز بها الحضارات عن بعض . مثلا عندنا بعض الأخلاقيات تميزنا عن الحضارة الغربية مثل الأخلاقيات المتعلقة بالجنس والمراة وهى أخلاق منبثقة من عقيدتنا وحضارتنا ، هنا يشتد الخلاف بيننا وبين العلمانيين ، فهذه الأخلاق تميز الحضارة الاسلامية : حضارة العفاف والاحصان فهم فى هذه الناحية جعلهم الانبهار بالحضارة الغربية والوقوف موقف المقلد والتابع أحيانا وهذا قد يكون مقبولا فى وقت من الأوقات يوم كنا فى الحضيض ، وكانت الحضارة الغربية فى القمة ، وكان تراثنا مجهولا ، وكان يعرض عرضا سيئا ، فكان العلمانيون معذورون

فى هذا الوقت الى حد ما ، أما اليوم فأعتقد انه لم يعد لهم عذر بل يجب أن يقرأوا التراث وأن يقرأوا ما تكتبه الأقلام الاسلامية لأننا نلاحظ أن الكتاب من أصحاب الثقافات الغربية لا يقرأون للكتاب الاسلاميين فهم مستعلون بل أن أحدهم كتب يتهكم على الزكاة ويقول أن المجتمع الحديث لا يقوم على الصدقات ويعتبر أن الزكاة نوع من الاحسان الفردى التطوعى الاختيارى ، وأنا كتبت مجلدين عن الزكاة ، من قرأ هذا من اخواننا المثقفين ثقافة مدنية .

العلمانية تقبل العقيدة ولكن لا تقبلها اساسا للانتماء وتقبل الأخلاق ولكنها ترفض الأخلاق التى تميز الحضارة الاسلامية وتقبل العبادات ولكن ليس كل العبادات أيضا ، فنحن عندنا العبادات الكبرى فى الاسلام أربع عبادات : الصلاة والزكاة والصيام والحج فهم يقبلون ثلاثة ويرفضون الرابعة .

والسؤال هنا كيف انزل الله كتابا للناس وهذا الكتاب هو الهى ونزل للحكم بين الناس : قال تعالى :

(وانزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله) فهل يصبح القرآن كتابا غير الهى لأن البشر هم الذين يطبقونه وهم الذى يفهمونه ، هل معنى هذا أن القرآن ليس مبينا مع أن الله وصفه بأنه مبين ، الا يوجد فيه أساسيات وقطعيات على الأقل تمثل الأسس التى لابد منها لتقوم الحياة :

الله أنزل قرآنا منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات ، والمتشابهات ترد الى المحكمات ، فمن هنا قيل أن البشر هم الذين يفهمون ويطبقون فان هناك مرحلة القطعيات ، الأحكام القطعية التى يقول عنها العلماء هى المعلوم من الدين بالضرورة .

نحن نختلف فى أشياء مهمة : اباحة الزنا وشرب الخمر والحدود واقامة الحياة الاسلامية على أساس من الايمان والخلق والطهارة والاستقامة ومنع الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتحقيق العدل الاسلامى والكفالة الاسلامية والشورى الاسلامية ونحن نتمنى أن نتفق على القطعيات فالقول بأن التشريع لا يمكن أن يكون الله خطأ ، هناك جانب من التشريع هو تشريع الهى وهو القطعيات وحتى المتشابهات فكيف يكون موقفنا من المتشابهات . ان المسلمين لم يدعوا هذا الأمر يعبث به العابثون ، لقد وضع المسلمون علما يعتبر مفخرة من مفاخر التراث الاسلامى يضبط الاستدلال والاستنباط ويضع القواعد وهو العلم المعروف بعلم أصول الفقه . كيف نستنبط فيما لا نص فيه وكيف نستدل بما فيه نص فالأمور لم تترك للأهواء وما ترك فهو رحمة من الله سبحانه وتعالى كما جاء فى الحديث (أن الله حد حدودا فلا تعتدوها ، وفرض فرائض فلا تضيعوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وترك أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها) .

وموضع الخلاف هو الثلاثة الأول : أما منطقة العفو أو منطقة الفراغ التشريعى وهى الرابعة فتملؤها بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة والعرف .

***

الدكتور زكريا يتساءل كيف يكون التشريع الهيا والبشر هم الذين يطبقونه ويفهمونه مهما كان البشر — حتى النصوص — البشرية لابد أن يترك فيها أشياء أساسية والدكتور فؤاد زكريا وهو من أساتذة الفلسفة المعروفين الا يستطيع أن يقول أن لأرسطو فلسفة وأفكارا اساسية معروفة عن الكون والسياسة والأخلاق الخ .. مهما اختلف شارحوا أرسطو من ابن رشد ومن بعده ومن قبله فمهما يكن من أخطاء المفسرين والشراح هل ينكر أحد لأرسطو فلسفة ذات معالم معينة فى تفسير الكون والحياة والنظر الى الانسان وغيره ، فاذا كان هذا هو البشر ، فهل يعجز رب البشر أن ينزل على الناس كتابا يحدد ما يرضيه منهم وما يسخطه ، هناك شريعة الهية معروفة فى عدد من نواحى الحياة . هذه أمور قطعية : الأمور الخلافية ترد الى الأمور القطعية فالظنى يرد الى القطعى والمتشابه يرد الى المحكم وهكذا

أما بالنسبة للقانون الوضعى أو البشرى فقد قال الدكتور فؤاد زكريا : أن هذا القانون يقنن عادات الناس وأعرافهم ، وهذا صحيح خاصة بالنسبة للقانون الرومانى ، لأن هذا القانون كان يقنن الأعراف والعادات المعمول بها ولذلك هناك خلاف جوهرى وفرق أساسى بين الشريعة والقانون ، فالقانون تقنين ما اعتاده الناس وتعارفوا عليه ، خيرا كان أم شرا ، فضيلة أم رذيلة ، أما الشريعة فانها تحاول أن ترتقى بالناس ، الخير تقره والشر ترفضه . ولذلك فان النبى صلى الله عليه وسلم لما جاء فى المجتمع العربى كان هناك اشياء عرفها المجتمع فلم يغير كل شىء فى المجتمع ، هناك أشياء رفضها واشياء أقرها فالشريعة جاءت لترتقى بالناس ، فكان هناك شىء اعتاده العرب وهو شرب الخمر وذكروا لها نحو مائتى اسم ، ومن يقرأ أشعار العرب يعرف كيف أوليع العرب بالخمر ولكن لو كانت الشريعة مثل القوانين الوضعية كانت اقرت الخمر ، وقننت شربها وكيف تشرب

ومتى ، وانما اراد ان يرتقى بالمجتمع ومن هنا حرم شرب الخمر والغناء بالتدريج ، وهذا هو المنهج الاسلامى الحكيم فى معاملة النفس البشرية ، انه يأخذها بالتدرج ونحن الآن حينما ننادى بتطبيق الشريعة فى مصر هل نقول اصدروا قانونا يهدم البنوك الربوية فى الصباح ، ابدا ، بل نبحث الأوضاع ونقيم دراسات ونحول هذه البنوك تدريجيا الى النظام الاسلامى وعندما اخذ امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فى رد المظالم بعد أن تولى الخلافة قال له ابنه : يا ابى اراك تأخذ الأمور ببطء فماذا تنتظر

قال له يا بنى لا تعجل فان الله تبارك وتعالى ذم الخمر فى آيتين وحرمها فى الثالثة ونحن يا بنى لو حملنا الناس على الحق جملة لدفعوه جملة .

نحن نقول ان التشريع استقر واحل الحلال وحرم الحرام وفرضت الفرائض ، ولكن فى التطبيق يكون التدرج مطلوبا ، والتدرج سنة من سنن الله الكونية والبشرية والتشريعية فنحن نؤمن بالفرق بين الشريعة والقانون ومع هذا فان القانون الوضعى فى مصر والبلاد الاسلامية قانون للأسف لم يقنن ما اعتاده الناس وتعارفوه ، المفروض يكون القانون صورة المجتمع ولكن القوانين التى تحكمنا ليست صورة لمجتمعنا لأن هذه القوانين فى الأصل قوانين مستورده من مجتمع غير مجتمعنا له عقائد غير عقائدنا وقيم غير قيمنا ومنطلقات غير منطلقاتنا . وموازين غير موازيننا ولهذا للأسف كثيرا ما يتعارض القانون الوضعى مع المسلمات الفكرية والأخلاقية والدينية لمجتمعاتنا لأنه قانون غريب ودخيل . . . فلو انه انبثق فعلا من حاجة المجتمع لما تناقض معها ، بل هى قوانين جاءت الينا بقرارات فوقية حينما دخل الاستعمار بلاد المسلمين فرض علينا قوانين من عنده .

اول مثال لهذا التناقض (الربا) فنحن فى المجتمعات الاسلامية نؤمن بأن الزنا حرام ومنكر وجريمة ولكن القوانين التى جاءت من بلاد الغرب تقول ان الزنا ما دام بالتراضى فهو ليس جريمة فهو يحرم اذا كان بالاكراه او اذا كانت البنت صغيرة دون البلوغ او اذا كان كنوع من الدعارة والمتاجرة به ، أما مجرد الزنا فليس جريمة فى القانون الوضعى فهل هذا يعبر عن واقع مجتمعنا الاسلامى .

فالقانون المفروض فيه ان يقنن أخلاق الناس وما تعارفوا عليه فاذا لم يكن نراه قانونا دخيلا ومتصادما مع مشاعر واخلاق الناس ومعتقداتهم ، حتى فى القانون الذى يتفق مع الشريعة ، هل الافضل ان يؤخذ القانون بأنه وضعى جاء مع نابليون او بعد نابليون ، او ان يؤخذ على انه شرع الله تبارك وتعالى ، فرق كبير ، بين ان تستمد الشريعة من الأحكام الالهية وبين ان تكون من القوانين الوضعية ، فحتى لو ان القوانين الوضعية صفقة وهى فعلا صفقة اكثرها مع الإسلام فهذه القوانين نريد ان تكون من منطلق اسلامى وان يقول للناس هذه القوانين التى تحكمهم هى شريعة الله ، هنا نجد الايجاب والقبول والضريبة ضريبة والزكاة ضريبة ، وانما عندما نأخذها على انها من عند الله ، تجد المسلم يأتيك ويقول لك خذ هذه الزكاة فانى اريد ان ازكى نفسى وأطهر مالى بينما نجد الكثيرون يتهربون من الضرائب فالخلاف بين دعاة الاسلام ودعاة العلمانية حول هذا .

العقيدة هل تصلح اساسا للانتماء والترابط . العبادات كالزكاة هل تقبل فى المجتمع الحديث وتكملها بالضرائب او لا تقبل .

الأخلاقيات التى تتميز بها المجتمعات الاسلامية والحضارة الاسلامية ما موقفنا منها ، ثم التشريع هل هو من حق الله او من حق البشر . فموضع النزاع هو هذا فاننا لا نتهم احدا بالحاد ، وان كانت العلمانية قد تنتهى بصاحبها الى انكار معلوم من الدين بالضرورة وهذا كفر والعياذ بالله .

* * *

ثم الأمر الثانى الذى يهمنى هو ما هو المعيار الذى يحتكم اليه الناس ، افرض ان الدكتور فؤاد زكريا قال : ان الاسلام هو الصيام والصلاة والتدين الفردى لله سبحانه وتعالى وقلنا له لا : الاسلام اوسع من ذلك وهو ينكر شمول الاسلام ونحن نقول بشمول الاسلام اذا اختلفت فى هذه القضية او فى غيرها من القضايا لابد ان يكون هناك مقياس نتفق عليه فما دمنا نتحدث عن الاسلام والعلمانية ومادمنا نحن مسلمين فلابد ان يكون المعيار هو الاسلام . نحن لاننكر هويتنا الاسلامية وكل منا يقول انا مسلم اوحد الله واؤمن برسوله وبالقرآن . اذن الاحتكام يكون الى القرآن وصحيح السنة . وهذا مايقوله الله سبحانه وتعالى :

(فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله ورسوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) عندما نحتكم : هل الاسلام نظام كامل للحياة أم هو دين بالمعنى الغربى لمفهوم الدين ، هو علاقة فقط

فى ضمير الفرد بينه وبين الله فان خرج من ضميره فيكون فى المسجد مثلا ، هذا هو الذى يختلف فيه ، فنحن لا نقبل ان يكون للدين ركن ، والذى انتهى اليه الوضع الحالى الآن : ان فيه شيئا اسمه ركن الدين فى الاذاعة وفى التليفزيون ، وصفحة الدين يوم الجمعة والأحوال الشخصية فى القانون ، والاسلام لايصل ان يكون مجرد ركن ولا زاوية فالاسلام هو الحياة ، انه رسالة للانسان كله وللزمن كله وللعالم كله .

هذا الاسلام بشموله : والقرآن يقول :

(ونزلنا عليك القرآن تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) فالاسلام رسالة شاملة تشمل الانسان من مهده الى لحده منذ أن يولد الى أن يموت ، بل ان هناك احكاما تتعلق بالانسان وهو فى بطن امه واحكاما تتعلق به بعد ان يموت ،فالاسلام يصحب الانسان فى رحلة حياته كلها ، وينظم الحياة من ادب المائدة الى بناء الدوله ، ليس معنى هذا انه قيد الانسان بالتفصيلات فى كل شىء ، لا بل هناك منطقة العفو — ولكن هناك توجيهات اساسية تعلم المسلم حتى فى اهله ، يقول له هذا حلال وهذا حرام ، الخنزير لا تاكله ، الخمر لا تشربها ، سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك وهكذا ، كل هذه توجيهات وتشريعات اسلامية ، فحصر الاسلام فى صدور الفرد فى المسجد ليس هو الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فالاسلام له صفة شمولية ليس كما يريد له بعض الناس ، اذا كان الاشتراكيون يقولون : لابد أن تشمل الاشتراكية الحياة ولايقبلون من يقول ان الاشتراكية مذهب اقتصادى ، يقولون هى مذهب اجتماعى شامل ، لان الحياة نهر واحد متصل بعضه ببعض .

العقل الأوربى كان لابد أن يتحرر عن قيود الكنيسة لينطلق الى الأمام ، فهى أسباب تاريخية ادت الى نشوء العلمانية فى الغرب . هذه الأسباب ليست عندنا هناك كان تسلط الكنيسة ووقوفها فى وجه العلم ووجه التقدم ، ووقوفها مع الاقطاع ضد الفلاحين والطبقات الكادحة ، ووقوفها مع الملوك ضد الشعوب ، ووقوفها مع الجمود ضد التفكير والتحرر كان لابد أن تكون هناك علمانية مقابل هذا انما عندما الذى يدعونا لهذا والاسلام يدعو الى العلمية بكل معانى العلمية والعلمية هى العقلية العلمانية التى توازن الأمور وتحكم بالعقل وتخضع للتجربة والأمور البرهانية ، فالأمور الحسية تحتاج الى المشاهدة ، هذه هى العقلية الاسلامية والتى قامت عليها الحضارة الاسلامية بالفعل ، وقد ساعد على قيام العلمانية فى الغرب ان التعاليم الدينية عندهم تساعد على الجحود والظلم وعدم الانصاف فالانجيل يقول : (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) أى ان الانجيل قبل تسمية الحياة بين قيصر وبين الله ، وهذا غير مقبول عندنا ، لأن عندنا ، قيصر وما لقيصر لله الواحد الأحد ، فلا يقبل الاسلام الثنائية فى الانسان ولا هذه الازدواجية فى الحياة والصراع بين السلطتين .

* * *

فالانسان وحده ، ليس ثنائيا : الحياة واحدة لذلك اذا كان هذا مبررا لهم فليس عندنا نحن قال تعالى (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعضه) . وقال سبحانه (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) هذا غير مقبول عندنا فاذا قبل عند مسيحى فلا يقبل عند مسلم ، لأن المسلم لابد له أن يتبع المنهج كاملا ، فلو قلت له : اركن (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) على جنب (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن) اركنها فحينما تقول ذلك لمسلم فأنك تنزعه من دينه او تنتزع دينه منه ، وانت بذلك تقيم توترا فى النفس الاسلامية بسبب هذا التناقض بين العقيدة وبين الواقع ، بين ضمير الانسان وما ينبغى أن يكون فى الحياة . وهذا لا يكون من وراءه خير فى الحياة لا للدين ولا للدنيا فلا يقبل منه دين ولا يترك شيئا للحياة ، فالانسان الذى يعيش وهو يشعر أن ما يقع فى مجتمعه ضد عقيدته التى فرضها الله عليه لا يكون انسانا سويا ، ولا يكون صاحب النفس المطمئنة ولايكون الانسان المنتج اقتصاديا ولا يكون الانسان الموالى لمجتمعه ، ووطنه ، لانه يفرض عليه ما لا يقبله فى دين الله ومن أجل هذا كله نحن نرفض العلمانية وننادى بتطبيق شريعة الاسلام لتشمل كل نواحى الحياة .

(٣) الدكتور يوسف القرضاوى (الجولة الثانية)

اى حوار مع العلمانيين يسأل : من انتم ومن نحن وما هى هويتكم ، لابد من تحديد المواقع والهويات ، اعنى ان يحدد كل من الطرفين المتحاورين اين هو وما هو فلا يسوغ فى منطق ان تجادل فى الفروع من لا يؤمن بأصول ، او تقتنع بالشريعة من ينكر العقيدة ، فالمادى الملحد الذى انكر الغيبيات) كلها ولا يؤمن بشىء وراء المادة التى يدركها الحس ويعتقد أن (الله) خرافة وان الأديان كل الأديان افيون الشعوب ولا يؤمن بأن هناك رسلا أوحى الله اليهم وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم

الناس بالقسط ولا إن بعد هذه الحياة الفانية القصيرة حياة أخرى خالدة باقية يجرى فيها الناس بأعمالهم خيرا أو شرا (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

أقول من لم يؤمن بهذا كله كيف نجادله فى فرض الزكاة او تحريم الربا او الخمر او الميسر او الزنا واقامة الحدود او ايجاب الاحتشام على المرأة تحرم التبرج ، بل النهى عن بيع الغرر او صنع التمثيل ، وما دون ذلك أن الذى لا يؤمن بأن محمدا رسول من الله لا ينطق عن الهوى وأن القرآن كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا يجوز الجدال معه فى تطبيق الشريعة لأنه لا يؤمن بالشريعة ولا بكتاب الشريعة ، حددوا لنا موقعكم بصراحة ايها الاخوة المحاورون وقولوا لنا من انتم وما انتم حتى يكون حوارنا على بصيرة . ولا نتناقش فى الجزئيات ونحن لم نتفق على الكليات او نجادل فى الحواشى ونحن مختلفون فى المتن .

أما نحن فموقعنا بحمد الله محدد من جهاته الأربع وهويتنا واضحة بينة كالشمس فى رابعة النهار لا نتنكر لها ولا نلبس اقنعة تخفى حقيقتها ولا تخفض اصواتنا بالاعلان عنها بل نعلنها صريحة مدوية ، اننا مسلمون رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن منهجا ولسنا مستعدين أن نتنازل عن ديننا لأى سبب ولا بأى بدل ولا لأى احد ان ارتضيناه لأنفسنا وارتضاه الله لنا واتم به النعمة علينا (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) .

وكوننا مسلمين يحدد موقفنا العقائدى وهويتنا الحضارية والأيدلوجية ولكنه لا يلغى موقعنا الجغرافى ولا موقعنا التاريخى .

****

موقعنا الجغرافى اننا عرب نعيش فى وطن تجمع أهله لغة واحدة وتاريخ واحد ولهم آمال وآلام مشتركة واننا مصريون نعيش فى بلد واحد له تاريخ وبين أهله صلات توجب حقوق والتزامات تفيضها المواطنة والجوار ولنا مشكلات تخصنا يجب أن نتعاون على حلها . ولاتنافى بين الانتماء الى الاسلام والانتماء الى شعب خاص أو وطن خاص لأنه لا تنافى بين العموم والخصوص

موقعنا التاريخى اننا نعيش فى أوائل القرن الخامس عشر الهجرى وأواخر القرن العشرين الميلادى فى عصر حطم الذرة ووصل الى القمر والى كواكب اخرى ابعد من القمر وصنع لعقله عقلا يصنع العجائب وهو (الكمبيوتر) .

وما دمنا مسلمين فلا يسعنا الا التسليم لحكم الاسلام فى شئون حياتنا فحقيقة الاسلام أن تسلم قيادك لله ولا تجعل مع أمره أمرا .

وتسليمنا للنص الالهى ليس تسليما إعتباطيا ولا جزافيا ولا شيئا خارجا عن نطاق العقل بل هو ما اقتضته الفطرة وفرضه العقل ذاته فالعقل هو الذى هدانا الى الله سبحانه استدلالا بالصنعة على الصانع وقد اثبت العقل المستقل أعظم حقيقتين فى الوجود وهما وجود الله الواحد وصدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

وللعقل دور كبير فيما لا نص فيه فلم تشأ ارادة الله ان يقيد عباده بالنصوص فى كل شئ بل ترك لهم مساحات رحبه تعمل فيها عقولهم وفق مصالحهم المادية والمعنوية والفردية والجماعية والدنيوية والأخروية مهتدين بالنصوص المعصومة وما وضعته من قواعد وما سنته من احكام وما اقامته من موازين .

الاختلاف أنهم يقولوا نحن مسلمون مثلكم ، ولكنا نختلف معكم فيما هو الاسلام ، اسلامنا تجديدى ، عصرى ، متطور متحرك واسلامكم تقليدى ، ثابت جامد

وقد نرد عليهم بأن ما تدعو اليه هو الاسلام الصحيح وما تزعمونه انما هو افكار مستوردة تلبس لبوس الاسلام واننا ننطلق من الاسلام عقيدة ومنهاجا وانتم تنطلقون من مسلمات أخرى نحن نرى الاسلام روح وجودنا وجوهر حياتنا وأنتم تسمون ذلك (المسألة الدينية)وهنا نصل الى مفترق طريق بيننا وبين دعاة العلمانية الذين يزعمون أن من حقهم أن يفسروا الاسلام من منظورهم الخاص وأن يقدموا فيه ويؤخروا كما يحلو لهم وهنا نرد عليهم دعواهم بحجج ثلاث :

أولا : ليس الاسلام دعوة غامضة ولا مادة هلاميه يفسرها كل من شاء بماشاء ، فالاسلام له أصوله الدينية الثابتة ومصادره الواضحة المحكمة وليس هو كالأديان الأخرى التى يملك رجالها او المجامع المقدسة لديها ان تضيف اليه او تحذف منه او تعدل فيه فهو هو فقد قال الله تعالى : (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال رسوله صلى الله عليه وسلم : تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك .

فما اجمله القرآن من امور الاسلام بينته السنة النبوية وهى قول النبى وفعله وتقريره واكدته سنة الراشدين المهديين التى اعتبرت موافقتهم فى فهم الاسلام وتطبيقه من السنن الواجب اتباعها لانهم اقرب الناس الى مدرسة النبوة واحرصهم على تطبيق الاسلام وعلى فهمه .

ثانيا : عندما يختلف العلماء والباحثون فى امر من الامور ، اهو من الاسلام ام لا سواء كان من العقائد او من العبادات او من الاخلاق او من المعاملات الا يوجد معيار يحتكم اليه .

بلى : فقد وضع القرآن الكريم لنا المعيار الذى نرجع اليه عند الاختلاف والتنازع وهو ما ذكره بقوله :

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) .

وقد اجمع المسلمون فى جميع العصور على ان الرد الى الله تعالى يعنى الرد على كتابه والرد الى الرسول بعد وفاته يعنى الرد الى سنته .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : تركت فيكم ما ان اعتصمتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنة نبيه ، فما كان محكما بينا فى كتاب الله والصحيح الثابت من سنة رسول الله فهو القول الفصل والحكم العدل .

وما لم يوجد فيه نص من محكم اما لعدم وجود نص اصلا او لوجود نص ظنى الدلالة او الثبوت او هما معا فهذا يلزم الرجوع الى القوانين التى وضعها علماؤنا المحققون واثبتها الراسخون لضبط الاستدلال لاسيما عند تعارض الأدلة فى الظاهر وقد وضعوا لذلك علم اصول الفقه وعلم اصول الحديث فضلا عما اصلوه من قواعد فى علوم اخرى مثل علوم القرآن واصول التفسير وقواعد الفقه وغيرها .

ثالثا : اذا اختلف علماء الاسلام المتخصصون فى دراسته وفقهه والذين عاشوا حياتهم له يتعلمونه ويعلمونه ويتسلحون معه بكل ما يعين على حسن فهمه من العلوم الآلية التى هى آلة الفهم ووسيلة الاستنباط وهى علوم اللغة والنحو والصرف والمعانى والبيان ، اذ اختلف هؤلاء مع دعاة العلمانية الذين لم يعرفوا من الاسلام الا قشورا ربما اخذوها من المستشرقين الذين يحسنون بهم الظن او المستغربين الذين تتلمذوا عليهم ولعلهم لم يقرأوا كتابا معتبرا فى اصول الفقه او فى مصطلح الحديث بل هو الفقه او الحديث نفسه ، اذا حدث ذلك فمن يكون احق بالصواب من الفريقين : الاسلاميون ام العلمانيون ومع من يسير المسلم وهو مطمئن القلب .

ان الله امرنا ان نرجع فى كل امر الى اهله اى الى اهل الاختصاص به والخبرة فيه وفى هذا يقول تعالى :

« فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون .. »
(سورة النحل)

فهل يدعى العلمانيون انهم اهل الذكر واهل الخبرة بالاسلام واهل الفتوى لن يختلف فيه من احكامه الا احسبهم يجرؤون على ذلك برغم ما لهم من اجراءات .

وماذا يكون الموقف اذا جاءنا العلمانيون بآراء اخترعتها اهوائهم او تعلموها عن اساتذتهم الغربيين وهى آراء لم يقم عليها برهان ولا انزل الله بها من سلطان وهى آراء لا يخالفهم فيها علماء العصر وحدهم بل هى آراء مخالفة اجمع عليه علماء الأمة فى القديم والحديث فهل يكون لآرائكم هذه اعتبار فى ميدان الاسلام ومنطق الاسلام ؟

* * *

(٣)

يضيق دكتور فؤاد زكريا بعبارتين يغض بهما كلما قرأهما فى كتاب او سمعهما من محاضر . وهو يزعم ان لهذا تأثيرا عاطفيا على الجماهير يجعلها تمر دون ان تخضع وتتعلق العبارة الأولى بربانية الشريعة ونسبتها الى الله ، الأخرى صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان يقول الكاتب (انا اشك كثيرا فى ان يكون هناك نص دينى مباشر يجعل المعنى الذى تفهم به هذه العبارة لدى القائلين بها ، واعتقد ان التفكير فى هذه العبارة بشىء من التعمق يكشف فيها عن تناقضين اساسيين) :

الأول : يرجع الى ان الانسان كائن متغير ومن ثم ينبغى ان تكون الأحكام التى تنظم حياته متغيرة . وان تغير الانسان حقيقة اساسية لا يستطيع انسان يحترم عقله وعلمه ان يذكرها وحقيقة التغير هذه تحتم ان تكون القواعد التى يخضع لها متغيرة بدورها .

الثانى : الذى سيصل بالأول اتصالا وثيقا فهو ان

التفسير المباشر لعبارتهم هذه ، وهو التفسير الاكثر تداولا بينهم يعني الحجر على الانسان والحكم بالجمود الأبدي فالمعنى المباشر لعبارتهم هذه هو ان الله قد وضع للناس في وقت ما سننا ينبغي عليهم أن يسيروا عليها وفقا لها الى أبد الدهر .

والتناقض هنا يكمن في ان أصحاب هذا الفهم يؤكدون في الوقت ذاته ان الله قد استخلف الانسان في الأرض وكرمه على العالمين فهل يتمشى هذا التكريم والاستخلاف مع تحديد المسار البشري مقدما . ووضع قواعد تعين على الانسان الا يخرج عنها مهما تغير وتطور وهل يمكن أن يلجأ الأب الحريص على رعاية أبنائه وسلامة نموهم العقلي والنفسي الى وضع قواعد ثابته وأوامر محددة ، لا يحيدون عنها طوال حياتهم . .

هذه شبهة الدكتور فؤاد زكريا .

يقول الدكتور يوسف القرضاوي : اعتمد الدكتور فؤاد زكريا في رفضه لصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان على أمرين :

خلاصة الأمر الأول : ان الانسان جوهره التغير فلا تصلح له شريعة جوهرها الثبات .

وهنا أقول للكاتب لقد اخطأت في القضيتين كليهما فلا الانسان جوهره التغير ولا الشريعة جوهرها الثبات وقبل أن أبين خطأ الكاتب في دعوته أريد أن الفت النظر هنا الى حقيقتين كبيرتين :

الأولى : ان منطلق الايمان يرفض رفضا كليا مناقشة ما اثاره الدكتور من دعاوى ، فالمسلم الذي رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وبالقرآن اماما لا يتصور منه ان يناقش مبدأ صلاحية الأحكام التي شرعها له ربه وخالقه ، لهدايته وتوجيهه الى التي هي اقوم ، لان معنى هذا ان المخلوق يتعالى على الخالق وان العبد يستدرك على ربه وانه أعرف بنفسه وبالكون وبالحياة من حوله من صانع الكون وواهب الحياة ، بارىء الانسان .

فالمسلم لا يناقش مجال مبدأ صلاحية الشريعة او النصوص الالهية للتطبيق والعمل في كل زمان ومكان ، لان هذا يعني مراجعته للاسلام ذاته ، اهو من عند الله أم لا وهذا أمر قد فرغ منه كل من شهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله أيقن بها قلبه ونطق بها لسانه ، انما يناقش المسلم في بعض الأحكام والجزئيات ، هل هي من عند الله أم لا ، وهل صحت نسبتها الى الله بان جاءت في محكم كتابه او ثبتت على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

واذا ثبت النص امكن مناقشة ما استنبط منه من حكم ، اهو من القطعيات المجمع عليها ام من الظنيات القابلة للاحتمال والاختلاف .

الحقيقة الأخرى : وهي ما يريد خصوم الاسلام من تشكيك في المسلمات المعلومة بالضرورة من دين الاسلام ، ان هناك مؤامرة فكرية تريد تذويب الحدود بين القطعيات والظنيات وأن معظم الفتن هي في تحويل الأمور القاطعة الى امور محتملة وجعل الأمور المجمع عليها امورا مختلفا منها وهذا يصدق على تحريم الخمر الذي اجمعت عليه الامة الاسلامية جيلا بعد جيل واصبح معلوما من دين الاسلام بالضرورة ، بحيث لا يحتاج الى مناقشة ولا دليل كوجوب الصلاة والزكاة وكحرمة الزنا والربا .

ومن الخطر ان ننقاد غافلين للهدامين الذين يريدون ان يجعلوا كل شيء في الدين ـ حتى الأصول والضروريات ـ محل بحث وجدال وقيل وقال وقد أجمع العلماء على ان من انكر امرا معلوما من الدين بالضرورة ولم يكن حديث عهد بالاسلام ولا ناشئا ببادية او ببلد بعيد عن دار الاسلام ، فانه يكفر بذلك ويمرق من الدين وعلى الامام ان يطلب منه التوبة والاقلاع عن ضلاله والا طبقت عليه احكام المرتدين .

ولذلك كان الأصل الا اشتغل بالرد على دعاوى الدكتور فؤاد زكريا بالتشكيك في المسلمات المنطقية عن المسلم ولكني تنازلت عن موقفي الأصلي واشتغلت بالرد (تبرعا) كما يقول علماء البحث والمناظرة في تراثنا ، ومن باب (ارخاء العنان للخصم) كما في قوله تعالى : ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين (الزخرف) وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين) .

* * *

أعود للرد على مقولة محامي العلمانية :

ان الانسان متغير والشريعة ثابتة وهو ما قلت انه اخطأ الصواب فيه في القضيتين معا .

اما الانسان فليس صحيحا ان جوهره التغير ،

ويؤسفني أن يصدر هذا من أستاذ فلسفة، أن من يقول ذلك ينظر الى الانسان نظرة العوام الذين يكتفون من الأمور بما يطفو على السطح، ولا ينفذ بصائرهم الى الأعماق، وتتركز أعينهم على الأعراض، ولا يخلصون الى الجوهر .

قد ينظر هؤلاء الى انسان اليوم وقد قرب البعيد وأنطق الحديد وحطم الذرة ووصل الى القمر، وأحدث ثورة فى البيولوجيا وصنع العقل الألكتروني، ويوازنون بينه وبين الانسان الذى لم يكن يملك غير رجليه يمشي بهما أو دابة يركبها .

الذى ينظر الى انسان اليوم وانسان الأمس يقول : ما أعظم ما تغير الانسان ولكن بالرغم من هذا التغير الهائل الذى حدث فى دنيا الانسان، هل تغيرت ماهيته هل تبدلت حقيقته، هل استحال جوهر انسان العصر الذرى عن جوهر انسان العصر الحجرى، أسأل عن جوهر الانسان لا عما يأكله الانسان، أو عما يستخدمه الانسان، لقد تغير بالفعل أكبر التغير مأكل الانسان وملبسه ومسكنه كلما تغيرت معرفته الطبيعة وامكاناته لتسخيرها .

ولكن الواقع أن الانسان فى جوهره وحقيقته بقى هو الانسان منذ عهد أبى البشر آدم الى اليوم، لم تتبدل فطرته، ولم تتغير دوافعه الأصلية ولم تبطل حاجاته الأساسية التى كانت مكفولة له فى الجنة، وأصبح عليه بعد هبوطه منها أن يسعى لاشباعها . وهى التى أشار اليها القرآن فى قصة آدم (أن لك الاتجوع فيها ولاتعرى وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى) (سورة طه)

ان انسان القرن العشرين أو ما بعد ذلك لا يستغنى عن هداية الله المتمثلة فى وصاياه واحكامه التى تضبط سيره وتحفظ عليه خصائصه، وتحميه من نفسه وأهوائها .

سيظل الانسان فى حاجة الى العقيدة التى تعرفه سر وجوده والى العبادات التى تغذى روحه وتصله بربه والى الأخلاق والفضائل التى تزكى نفسه، وتقوم سلوكه والى الشرائع العملية التى تقيم الموازين القسط بينه وبين غيره .

وسيظل الانسان وان صعد الى القمر أو ارتقى الى المريخ فى حاجة الى قواعد ربانية تضبط مسرته وتحكم علاقاته تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، سيظل فى حاجة الى تحريم الربا وتحريم الخمر والميسر وتحريم الزنا والشذوذ وتحريم السرقة والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل . سيظل فى حاجة الى رادع يردعه أن هو تعدى حدود الله أو عدا على حقوق الناس .

القصة الثانية : ان الشريعة الاسلامية جوهرها ثابت . وقد أخطأ الدكتور فؤاد زكريا فى هذه المقولة .

فان الاسلام الذى ختم الله به الشرائع والرسالات السماوية — أودع الله تبارك وتعالى فيه عنصر الثبات والخلود وعنصر المرونة والتطور معا، وهذا من روائع الاعجاز فى هذا الدين وآية من آيات عمومه وخلوده، وصلاحيته لكل زمان وكل مكان .

ونستطيع أن نحدد مجال الثبات ومجال المرونة فى شريعة الاسلام ورسالته الخالدة فنقول : أنه الثبات على الأهداف والغايات والمرونة فى الوسائل والأساليب الثبات على الأصول والكليات والمرونة على الفروع والجزئيات . الثبات على القيم الدينية والأخلاقية والمرونة فى الشئون الدنيوية والعلمية .

وقد يسأل سائل : لماذا كان هذا هو شأن الاسلام لماذا لم يودعه الله المرونة المطلقة أو الثبات المطلق ؟

والجواب أن الاسلام بهذا يتسق مع طبيعة الحياة الانسانية خاصة ومع طبيعة الكون الكبير عامة فقد جاء هذا الدين مسايرا لفطرة الانسان وفطرة الوجود .

أما طبيعة الحياة الانسانية نفسها ففيها عناصر ثابتة باقية ما بقى الانسان وعناصر مرنة قابلة للتغيير والتطور، فاذا نظرنا الى الكون من حولنا وجدناه يحوى أشياء ثابتة تمضى ألوف السنين وألوف الألوف وهى هى؛ أرض وسماء وجبال وبحار وليل ونهار وشمس وقمر ونجوم مسخرات بأمر الله، كل فى فلك يسبحون .

وفيه أيضا عناصر جزئية صغيرة، جزر تنشأ وبحيرات تجف، وأنهار تحفر وماء يطغى على اليابسة ويبس يزحف على الماء وأرض ميتة تحيا، وصحار تقفر، وبلاد تعمر وأمصار تخرب وزرع ينبت وينمو وآخر يزول .

***

هذا هو شأن الانسان وشأن الكون، ثبات وتغير فى آن واحد ولكنه ثبات فى الكليات والجوهر وتغير فى الجزئيات والمظهر .

فاذا كان التطور قانونا فى الكون والحياة فالثبات قانون قائم فيهما كذلك بلا مراء .

واذا كان فى الفلاسفة من قديم من قال بمبدأ الصيرورة والتغير باعتباره القانون الأزلى الذى يسود الكون كله فان فيهم من نادى بعكس ذلك واعتبر الثبات هو الأساس والأصل الكلى العام للكون كله .

والحق أن المبدأين كليهما من الثبات والتغير يعملان معا فى الكون والحياة كما هو مشاهد وملموس . فلاعجب أن تأتى شريعة الاسلام ملائمة لفطرة الانسان وفطرة الوجود جامعة بين عنصر الثبات وعنصر المرونة وبهذه المزية يستطيع المجتمع المسلم أن يعيش ويستمر ويرتقى ثابتا على أصوله وقيمه وغاياته ، متطورا فى معارفه وأساليبه وأدواته .

بالثبات يستعصى هذا المجتمع على عوامل الانهيار والفناء أو الذوبان فى المجتمعات الأخرى ، أو التفكك الى عدة مجتمعات تتناقض فى الحقيقة ، وان ظلت داخل مجتمع واحد فى الصورة وبالثبات يستقر التشريع وتتبادل الثقة وتبنى المعاملات والعلاقات على دعائم مكيفة وأسس واسعة ، لا تعصف بها الاهواء والتقلبات السياسية والاجتماعية ما بين يوم وآخر ، وبالمرونة يستطيع هذا المجتمع ان يكيف نفسه وعلاقاته حسب تغير الزمن ، وتغير أوضاع الحياة دون أن يفقد خصائصه ومقوماته الذاتية .

وأن للثبات والمرونة مظاهر ودلائل شتى تجدها فى مصادر الاسلام وشريعته وتاريخه ، يتجلى هذا الثبات فى المصادر الأصلية النصية القطعية للتشريع ، فى كتاب الله وسنة رسوله ، فالقرآن هو الأصل والدستور والسنة هى الشرح النظرى والبيان العملى للقرآن وكلاهما صدر الهى معصوم ولا يسع مسلما أن يعرض عنه .

(قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول) .

(انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا) .

وتتجلى المرونة فى المصادر الاجتهادية التى اختلف فقهاء الأمة فى مدى الاحتجاج بها ما بين موسع ومضيق ، ومقل ومكثر ، الاجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة واقوال الصحابة وشرع من قبلنا وغير ذلك من مآخذ الاجتهاد وطرائق الاستنباط .

وفى احكام الشريعة نجدها تنقسم الى قسمين بارزين :

قسم يمثل الثبات والخلود وقسم يمثل المرونة والتطور .

نجد الثبات يتمثل فى العقائد الأساسية الخمس : **(من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر)** وهى التى ذكرها القرآن فى غير موضع كقوله :

(ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) .

وفى الأركان العملية الخمسة من الشهادتين واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام وهى التى صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الاسلام بنى عليها .

وفى المحرمات اليقينية من السحر وقتل النفس والزنا واكل الربا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات والتولى يوم الزحف والغصب والسرقة والغيبة والنميمة وغيرها مما ثبت بنص قطعى فى القرآن والسنة .

وفى امهات الفضائل من الصدق والأمانة والعفة والصبر والوفاء بالعهد والحياء وغيرها من مكارم الأخلاق التى اعتبرها القرآن والسنة من شعب الايمان .

وفى شرائع الاسلام القطعية فى شئون الزواج والطلاق والميراث والحدود والقصاص ونحوها من نظم الاسلام التى ثبتت بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة .. فهذه الأمور ثابتة تزول الجبال ولا تزول ، نزل بها القرآن وتواترت بها الأحاديث واجمعت عليها الأمة فليس من حق مجمع من المجامع ولا من حق مؤتمر من المؤتمرات ولا من حق خليفة من الخلفاء أو رئيس من الرؤساء ان يلغى او يعطل شيئا لأنهما كليات الدين وقواعده واسسه أو كما قال الشاطبى (كلية أبدية) وضيقت عليها الدنيا وبها قامت مصالحها فى الخلق حسبما بين ذلك الاستقراء ، وعلى وفاق ذلك جاءت الشريعة ايضا فذلك الحكم الكلى باق الى أن يرث الله الأرض وما عليها ونجد فى فضائل ذلك القسم الآخر الذى يتمثل فيه المرونة ، وهو مايتعلق بجزئيات الأحكام بفروعها العملية وخصوصا فى

مجال السياسة الشرعية يقول الامام ابن القيم فى كتابه (اغاثة اللهفان) :

الأحكام نوعان :

نوع لايتغير عن حاله واحدة مرعيها ولايحسب الازمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الائمة كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك فهذا لا يتطرق اليه تغير أو اجتهاد يخالف ماوضع عليه .

والنوع الثانى : ما يتميز بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا ، تقارير التعزيرات واجناسها وصفاتها ، فان الشارع ينوع فيها حسب المصلحة وقد ضرب ابن القيم لذلك عدة أمثلة من سنة النبى صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين المهديين من بعده ثم قال :

وهذا باب واسع ، اشتبهت فيه على كثير من الناس الأحكام الثابته اللازمة التى لا تتغير ، بالتعزيزات التابعة للمصالح وجودا وعدما ..

والمجال هنا واسع ولا يتسع المقام لأكثر من هذا .

ان المعركة اليوم هى معركة الاسلام الذى يراد له أن يعيش غريبا فى دياره مضيعا بين أهله مجورا على غير حقيقته .

الاسلام الذى عاهدنا الله الذى لا يخلف وعده والشعب الذى يصر على أن يحيا حياة اسلامية متكاملة محكومة بشرع الله وسلاحنا هو الكلمة الصادقة والحجة البالغة ، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة انه لاذنب لنا فى هزيمة الدكتور فؤاد زكريا (شفويا وتحريريا) انه ذنب القضية التى يدافع عنها ، أعنى بها قضية (العلمانية) فى بلد يؤمن بالاسلام عقيدة وشريعة واخلاقا وحضارة ويراه شرفه فى الدنيا وسعادته فى الآخرة بالاستمساك بحبل الاسلام انه محام شاطر فى قضية خاسرة المقاييس .

***

الفصل الثالث

المواجهة مع وحيد رأفت وفرج فوده

(١) ـــ الدكتور عبد الصبور مرزوق فى الرد على فرج فودة .

ان هناك اسلاما واحدا فى القرآن والسنة وانه متعددا يختلف باختلاف كل دولة اسلامية ، كذلك فانه لا ينبغى محاسبة الاسلام كفكر أو نظرية أو كدين بأوضاع واعمال المسلمين دولا أو افرادا فى اوضاعنا المعاصرة .

لماذا لأن المسلمين الموجودين فى عالمنا ليسوا المثال الصحيح او السليم للتطبيق الاسلامى او التطبيق الصحيح كفكر الاسلام سواء فيما يتصل بالمؤسسات او فيما يتصل بالسلوك العام للافراد ، او ما يتصل بالمكونات الثقافية للمجتمعات . وعلى هذا الأساس لا ينبغى ان نقول ان الاسلام تعددت انماطه اسلام مصرى ، اسلام سعودى ، اسلام سودانى الى اخره لان هذه جميعا تطبيقات اجتهادية وتطبيقات شخصية ليست من الاسلام الصحيح ، ولو احتكمنا جميعا فى ظل ظروف علمية موضوعية محايدة ، هل نحتكم الى الواقع المعاصر أم نحتكم الى الاسلام كفكر ، كدين ، كايدلوجية ، كفلسفة ، كمنهج حياة ، كنظام، حضارة الى آخره لا تستطيع ان تحتكم الى الواقع لأن الواقع متغير وانما يجب أن نحتكم الى الفكر .

الفكر فى الاسلام ذو شقين . شق يتصل بالعبادات وهذا جرى فيه التفصيل الدقيق سواء فى الكتاب أو فى السنة وعندما يتحدث الاسلام عن الأمور الدنيوية يتحدث باجمال وهذا فى ذاته ميزة للاسلام انه يحمل ، لكى يعطى للزمن باختلاف الزمان واختلاف المكان فرصة للتغيير وللتطوير فى الأزمنة المختلفة ، بدليل أنه عندما يتحدث عن قضية الاعداد العسكرى يقول (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) بالتنكير لا يحدد قوة معينة وانما يترك لفظ القوة يتعدل ويتطور من السلاح الى السيف ، والقنبلة ، الحصان الى الدبابة الى الصاروخ الى آخره .

على هذا الأساس لا نقول اننا امام عائق : تعدد انماط الاسلام ، هذا العائق متوهم وليس حقيقة لاننا نرفض الاعتراف بانماط الاسلام ، الحكم على الاسلام هو القرآن والسنة وهما موجودان وليسا قابلين للتبديل او التحريف او التغيير لأنهما محفوظان بارادة الله العائق الذى هو قضية الحلال والحرام والصواب والخطأ .

ان التحليل والتحريم محظور شرعا وبصريح القرآن أن يتناوله الافراد فالذى يحلل ويحرم ويشرع هو الحق تبارك وتعالى وليس لأحد كائنا من كان أن يحل حراما أو يحرم حلالا .

قضية التكفير مرفوضة الا بحقها . وحقها معروف مثل ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (الا أن تروا كفرا بواحا) يعنى انسانا يعلن كفره بعبارة صريحة او ينكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة او يشكك فى ذات الله .

فقضية التكفير ليست من الاسلام على الاطلاق .

وبالنسبة للرأى والرأى الآخر فليس هناك من يحترم الرأى الآخر كما يحترمه الاسلام (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) .

الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات ، الرسول صلى الله عليه وسلم أمر يرفع السيف عمن لا يقاتلون المسلمين .

وعندما نقول اننا نريد دولة اسلامية لا نعنى دولة

دينية ، اى لا نعنى دولة يحكمها مشايخ ، لا واشد الناس تحمسا للمطالبة بأسلمة الدولة وبأن يكون الاسلام هو الحاكم والمسيطر لا يفكر أبدا فى أن يكون على رأس الدولة شيخ ، الا اذا توفر لهذا الشيخ من الأهلية والكفاءة والصلاحية لولاية الدولة وقيادتها ما يجعله أهلا باجماع كل الناس .

وفى مصر سادها وقت ما : الفكر الماركسى والفكر الرأسمالى ، سادها وقت ما بالتوجه هناك او هناك ، الا يجوز ، واليس من العدل واليس من المنطق فى بلد اغلبيته العظمى من المسلمين يدينون بالاسلام أن تتاح الفرصة لديق هذه الاغلبية ان يكون حاكما ، أم أن قد اثبتت التطبيقات خارج مصر فى مجال المقارنة النظرية والفلسفية أن الاسلام مع الزمن يتطور وسيثمو لصالح الفكر الاسلامى فى مجال الاقتصاد . الآن تتطور الأزمات بين المعسكرين وتكاد تنتهى الى الأخذ بفكر اسلامى ، وفى مجال السياسة وفى مجال الحكم عموما تخول كثير من مفكرى العالم الاسلامى يعتبر شهادة لهذا الدين بانه هو دين الغد وأننا عندما نقول اعطوا الفرصة للاسلام اننا لا نريد أن نعود بهذه الأمة الى الخلف ولا نريد ان تصاب برجعية وانما نعطى فرصة لفكر متقدم يمكن اختيار انظمته فى مجالات مختلفة .

(٢) دكتور جمال الدين محمود

العلمانية لا تمثل فى نظرى لا مذهبا فكريا ولا مبدأ دائما ، وعلينا قبل أن نهتم بتعريفها أن نهتم بأهدافها ولاشك أن الهدف كان منذ بدايته كرد فعل لتفكير العالم المسيحى فى وقت من الأوقات كان هو فصل الدين عن الدولة ، ثم تطور هذا الهدف وتبلور هذا التطور فى الماركسية حين أريد فصل الدين عن المجتمع نفسه .

هناك مرحلتان فى العلمانية من حيث الأهداف :

المرحلة الأولى : فصل الدين عن الدولة (هذا مذهب اخذت به بعض الدول الأوربية كفرنسا) .

أن الذى أحدث ضررا حتى فى الدولة غير الاسلامية هو محاولة فصل الدين عن المجتمع وهو ما تولت كبره الماركسية بالذات وكلا الأمرين لا يمكن أن يكون مقبولا فى الاسلام .

وعندما تقول دولة دينية فى الاسلام فلا معنى لذلك الا اختيار قانون معين فى هذه الدولة ولا شك أن كل مجتمع يختار القانون الخاص به وأنه من حق كل بلد اسلامى تبعا لأغلبية سكانه ولمصالحه المختلفة والمتنوعة أن يختار التشريعات الاسلامية من حق هذا المجتمع أن يطبق التشريع الملائم له من الناحية النفسية ، الثقافية ، التاريخية .

نحن لا نحاسب فى الاسلام بحسب الممارسات التى تحدث الآن لكننا نعتقد الأمل لما أحاسب الاسلام على أساس الممارسات القائمة التى يفقدنا الأمل .

(٢ الرد على الدكتور وحيد رأفت

قال الدكتور وحيد رأفت :

اننا لم نطبق الشريعة الاسلامية خلافا لما يقال على الأقل منذ خمسة أو أربع قرون ، صحيح أن الفتح العثمانى ١٥١٤ وكان هناك مجلة الأحكام العدلية لكن لم تأخذ بها وهى قضية ومجموعة على طريقة (الكوذر) الأجنبية من الشريعة الاسلامية ولا يوجد فارق كبيرا بين مجلة الأحكام العدلية التى هى من صميم الشريعة ، وبين تقنين الشريعة وبين القانون المدنى الذى وضعه السنهورى ١٩٤٩ .

لأن الذى وضعه مسلم استلهم أحكاما كثيرة ويستلهم احكام الدين وأحكام الشريعة .

الاشكال الأكبر فى التشريع الحالى هو مسالة الحدود وبالفعل هى التى اثارت كثيرا من الضجة وكثيرا من التخوف لأننا استمررنا قرونا طويلة لا نطبق الحدود اطلاقا ، يمكن ليس فقط من خمسمائة سنة يمكن من الف سنة لم نطبق الحدود الشرعية فى مصر بل نطبق قوانين اخرى سواء كان فى عهد المماليك أو فى عهود أخرى وليست الحدود قطع يد السارق أو رجم الزانى أو جلده أو جلد من قذف الى آخر هذه الحدود وهى خمسة أو ستة وهى واردة على سبيل الحصر . فالأخذ بالتدريج واجب فنحن قوم متصلون بالعالم الخارجى لسنا متعزلين ، بيننا قوم لا يدينون بديننا وهم من المسيحيين المصريين الأصول قارن فالأخذ بأحكام الحدود التى لم يؤخذ بها رغم أن مصر دولة اسلامية منذ زمان طويل ، هذا يحتاج الى شىء كثير من التدرج .

وهناك من يفكر فى الحدود بعقلية القرن الأول من الهجرة وبعقل الجاهلية فيريد تطبيق الحدود بقسوة وبشدة . لسنا ضد الشريعة ، نحن جميعا مع الشريعة

لكن فيما يتعلق بالحدود فيها شيء من التدرج الواجب ثم لا ننسى أدرءوا الحدود بالشبهات ، التوبة ، التخفف لو طبقت وروح الاسلام السمح لما احتج انسان .

الرد على الدكتور وحيد رافت

أولى هذه النقاط فى الرد : هى مسألة علاقاتنا بالعالم الخارجى ، فتلك نقطة مستغلة ضد الاسلام وحده يحاول بها البعض أن يخيف الناس مع ان هناك دولة دينية مثل اسرائيل يحكمها الحاخامات وتسير على نظام دينى متزمت ترفع شعار (اقتلوا العلمانيين) وهناك معارك حدثت فيها جرائم قتل بين المتعصبين الاسرائيليين والمنادين بالعلمانية فى اسرائيل ، ومع ذلك لم نسمع أن اسرائيل قد فقدت صلتها بالعالم الخارجى أو أنها وصفت بالرجعية والتخلف أو أن التقدم العلمى قد منعه الدين الى آخر ما يقال عن الدين الاسلامى الذى يحاول البعض أن يصوره بأنه عودة الى الوراء .

والاسلام بلا شك أكثر الأديان سماحة واقربها الى العدل المطلق يوم طبق لم يحدث تخلف ولكن تقدمت الأمة الاسلامية علميا وعسكريا وسياسيا بل وأكثر من ذلك فان العالم كله يرى أن الحضارة العربية فى كل الفروع والعلوم قد بنيت على ما اكتشفه وقدمه علماء المسلمين فابن النفيس اكتشف الدورة الدموية وجابر بن حيان وضع أصول الكيمياء ، وابن سينا والزهراوى وضعا القواعد التى قام عليها علم الطب والجراحة ، وعباس ابن فرناس أول من فكر فى نظرية الطيران فى العالم .

والذى نريد أن نخلص منه أن اتهام الاسلام بالرجعية والتخلف اتهام باطل ولكنه اتهام يروج له الغرب والشرق معا وهما أساس العلمانية التى نناقشها اليوم ، وبينما نجد أن الدنيا تقوم وتقعد اذا قامت دولة اسلامية بتطبيق الشريعة نجد ان هؤلاء انفسهم ويرحبون باسرائيل القائمة على أساس دينى متعصب مما يدل على أن المسألة ليست موجهة الى فكرة الدين والدولة ، وانما موجهة الى الاسلام بالذات باعتبار أن الاسلام هو القوة الحقيقية للمسلمين .

* * *

مسألة الحدود استغلت فى نشر الخوف والذعر من الاسلام حتى أن الدكتور وحيد رافت يقول انها لو طبقت بنظرة الف وأربعمائة سنة ماضية فهذا يخشى على المسلمين انفسهم ، وهذا قول غير صحيح لأنه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين أى على مدى حوالى ثلاثين سنة لم يزد عدد من طبق عليه حد السرقة عن اربعة ، بينما كل صباح لو استمعت الى نشرة الأخبار لوجدت أن هناك المئات ممن فقدوا أيديهم وارجلهم وشوهوا فى الحرب الدائرة فى لبنان والعراق وايران وافغانستان والفلبين ودول أمريكا اللاتينية وأفريقيا .

وهناك يقتل فى افغانستان النساء والأطفال بالغازات السامة ولكننا لا نجد من يحتف من الاتحاد السوفييتى بل رحب به ولكننا نجد من تخيف من تطبيق الحدود على أساس انها وحشية وتخلف فهل الوحشية فيما يحدث الآن فى العالم أم الوحشية فى تطبيق حدود تعطى الأمن والأمان للمجتمع فيأمن الناس على انفسهم وأعراضهم .

ان القصد من الحدود هو منع الجريمة وحماية المجتمع ونحن نتمنى ان نطبق بنظرة الف وأربعمائة سنة ماضية لأنه خلال هذا التطبيق طبق حد السرقة على أربع أشخاص خلال ثلاثين سنة .

والذى يحدث ظلما هو أن كل دعاة العلمانية ووسائل الأعلام غير الاسلامية تصور الحدود على أنها قطع يد السارق الذى يسرق رغيف وترك من يسرق ملايين الجنيهات وهذا غير صحيح بل هو عكس ما يقضى به الاسلام وهو الضرب على يد السارق الكبير قبل السارق الصغير . بل أن الطعام لا يسرق فى الاسلام فالجائع الذى يسرق رغيفا لا يعتبر سارقا فى الاسلام .

(احمد زين)

* * *

عندما نناقش قضية الحدود : حقيقة سنجد من الدراسات النفسية الخاصة بالمجرمين والجريمة ، نجد أن الشر يخاف ما يختشى ، نوازع الشر ترتدع ولا توهب لايمكن أن توقف الجريمة بخطب منبرية ، ونادرا مايتحول المجرم الى قديس أو رجل صالح بخطبه منبرية .

أكثر ما يخيف المجرم هو الردع على الأقل سوف يفكر عشر مرات قبل أن يقبل على الجريمة والتواريخ مشهورة .

قضية أننا متصلون بالعالم الخارجى ، اثر هذا الاتصال ، أن هذا العالم الخارجى لا يطلب الى أن

استقبله بما يحبه هو ، بدليل ان المسز تاتشر عندما زارت السعودية ارتدت الملابس الطويلة لأنها عارفة انها ستقابل تقاليد البلد التى لا تسمح دون ذلك .

اى سيدة تذهب لتقابل البابا لا يمكن ان تقابله الا وهى لابسة (الجوانتى والكاب والطويل) .

لا أعتقد ان النـــاس سيفرضون علينا كما اننـــا لا نفرض على الآخرين ان يستقبلونا بشكل معين .

ان الحدود فى الاسلام ، حقيقة الفقهـــاء افاضوا فيها افاضة ممتعة وتعتبر شهادة ثراء لهذا الفكر ، فحد السرقة الذى هو اكثر الناس تخلف منه ويتصورون انه سيطبق لا يتم تطبيقه الا بخمسة عشر شرطا ، الامام ابن حزم قال فى بعضـــها انه لا يعتبر سارقا من لم يكن لديه طعام يكفيه وبيت يؤويه ، وزوجة ترضيـــه ودابة تحمله ، ويعتبر هذا الحد الأدنى من الكفاية الذى بعده يعتبر سارقا .

فى هذه الحالة لن أتعامل مع محتاج بل اتعامل مع منحرف مع سارق ، وهـــذا المنحرف والسارق يجب ان يبتر من المجتمع لأنه علاجه ، كذلك الزانى الذى يزنى وهو محصن ــ قطعا انســـان استنفذ كل فرص اعادة الحكم عليه ، زنى وهو محصن يصبح عنصرا منحرفا ولا يقبل منه اى شئ ، يأخذ علقه وهو حد الجلد ٨٠ جــلدة . وحد القذف ، هنا تظهر الصعوبة الحقيقية ، حد القذف هو الذى يتصل بضمان استقرار المجتمع من النـــاحية النفسية : الذين يحبون أن تشيع الفاحشة تطبق عليه ثلاث عقوبات أدبية ١ ــ الحد . ٢ ــ ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ، الغيب هويته داخـــل المجتمع ثم أؤلئك عند الله هم الفاسقون ، اى النـــاس الذين اهدر وجودهم ولم يعد لهم أدنى وجود

(عبد الصبور مرزوق)

الحدود فى الاسلام من أسلم السياسات الجنائية وســـوف يثبت الزمن ذلك ، الاســـلام يأخذ فى الجرائم العـــادية بفكرة الردع المسبق ، ومن حســـن الحظ ومن عبقرية الاسلام أن الحدود كلها تتعلق بمصالح النـــاس وليست بمصالح الحاكم .

أراد الله تبـــارك وتعالى بالحدود حمـــاية الخلق العاديين جميعا من جرائم السرقة والزنا والقذف وشرب الخمر والجزية ، كلها جرائم موجهة للأفراد .

ان الحـــدود تهديدية اكثر منها تطبيقيـــة . ليس المطلوب شيوع تطبيقها لكن المطلوب التهديد بها .

ايضا الاسلام اعتنق مبدا العقوبة البدنية وهو خير من العقوبات المقيدة للحرية ، الاسلام حينما اختار هذه العقوبات لم يجعلها قاسية قط ولكنه جعلها قاســـية للردع المسبق ووضع لها ضمانات شديدة تجعل تطبيقها عسيرا .

* * *

ولقد تبين أن حد السرقة منه (١١ شبهة) لاسقاط الحد .

وقال العلماء انه اذا كان لا يجد حاجة لا يقام عليه الحـــد .

(جمال الدين محمود)

* * *

الفصل الرابع

الحكم بما أنزل الله

الرد على فرج فوده

يقول الدكتور فرج فوده أن آيات القرآن نزلت فى وقائع محددة ، ومنها (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) كانت موجهة الى الكتابيين ، وأن فصل الآيات عن أسباب تنزيلها واطلاقها بصورة عامة أمر منفر ، وهذا المنطق مرفوض لأن آيات القرآن عامة ، ولو قيدنا القرآن بأسباب التنزيل لقيدنا كلام الله بالزمان والمكان والحدث ، وكلام الله لا يتغير ولا يتبدل ولا يحده زمان ومكان ومن هنا فان محاولة تحديد القرآن بأسباب النزول هى محاولة رفضها كل فقهاء المسلمين لأن العبرة بعموم الآية وليس بخصوص السبب . ولو قيدنا القرآن بأسباب نزوله لم يعد يصلح الآن لأن أسباب النزول قد انتهت ولعل هذا ما يريد أن يصل اليه الدكتور فوده وهو رأى خطير لايتمشى مع جلال القرآن وأنه كلام الله المتعبد بتلاوته الى يوم القيامة .

***

وبالنسبة للآية الكريمة (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون) الفاسقون ، الكافرون ، هناك خوف شديد وضعه بعض الناس من هذه الآية ولست أدرى لماذا وكأنما نحن نحكم بما لم ينزل الله ، وهذا غير صحيح لنأخذ المجتمعات الأوربية والأمريكية التى هى فى نظر الدكتور فوده قمة للتقدم ونبحث ماذا فى هذه المجتمعات أو على الأقل ما هى أسباب تقدمها ، هذه المجتمعات من قيمها العامة الصدق ، الأمانة ، اتقان العمل .

وهذه قيم اجتماعية أخذتها هذه المجتمعات بعد تجارب مريرة مرت بها ووجدت أن الحياة لا يمكن أن تستقيم بغيرها ، ولقد اعطانا الله هذه القيم مجانا دون أن نمر بهذه التجارب المريرة ، ولكن وجدنا أن هناك اناسا يطالبوننا بأن نتركها لأنها من أسباب التخلف ، لماذا ، لأن هؤلاء الناس يريدوننا أن نتخلف فعلا ، ان نحكم بما لم ينزل الله ، لنصبح بعيدين عن التقدم والحضارة وفى هذا تشويه لصورة الاسلام .

وانا اتحدى الدكتور فوده أن يأتينى بقيم اجتماعية صنعت الحضارة وحرمها الله ، حتى نقول ان الحكم بما أنزل الله ليس مقصودا به المسلمون .

وتأتى بعد ذلك الأمور التى حاولت هذه المجتمعات ان تحكم فيها بما لم ينزل الله ، الطلاق اباحه الله وقيدته الكنيسة الكاثوليكية فماذا حدث ، اضطروا اضطرارا منذ سنوات الى اباحة الطلاق لأن الحياة لا يمكن أن تستقيم بغير ذلك ، الزنا حرمه الله سبحانه وتعالى وأباحته هذه المجتمعات بدعوى الحرية ، بل وأباحت مجتمعات أخرى الشذوذ الجنسى كما فعلت بريطانيا وفوجئنا بأن هذه المجتمعات ينتشر فيها مرض الايدز الذى يقتل الانسان ولايوجد له دواء ، والآن تصرخ الدنيا كلها من هذا المرض الذى انتشر فى الدول التى أباحت الزنا والشذوذ ، الخمر حرمها الله وأباحوها ، فماذا تفعل الخمر فى الناس ، أنها الطريق الى الجريمة والقتل والسلب والنهب ثم بعد ذلك الادمان الذى يورث الجنون ، أما بالنسبة للرضاعة فقد قال الله سبحانه وتعالى : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) .

وظهرت الألبان الصناعية التى قيل انها افضل من لبن الأم واستوردنا منها بمئات الملايين من الجنيهات ثم ماذا حدث ، انقلب الوضع الآن وثبت أن لبن الأم هو أساس صحة ونفسية الطفل .

وهناك مؤتمرات تعقد فى أمريكا تكشف معجزة الخالق فى لبن الأم .

***

كيف ينزل خفيفا حتى تتحمله معدة الطفل فى أول الرضاعة ثم تزداد كثافته ثم تقل بعد ذلك ، كل ذلك قاله علماء غير مسلمين .

كل الذى اريد أن اقوله هو ان ما انزل الله هو الخير وهو البركة وهو التقدم واعطنى آية قضية ترى حكم الله فيها لتعرف أنه الخير .

(أحمد زين)

* * *

حول تاريخ الاسلام — فرج فوده

من خلال المناقشة أعتقد أن الدكتور فرج فوده درس الاسلام دراسة عميقةواختار أشياء محددة ومعينة لا يمكن أن اقول انه لا تشويه الشبهات ولذلك فهو حين يأتى بالأمثلة لا يأتى الا بأمثلة شاذة تمت خلال الف وثلاثمائة سنة ويخفى الأمثلة الجيدة التى هى الغالبة ، فليس الاسلام هو حكم أبى العباس السفاح فلعلك ترد على نفسك حين تقول أنه أطلق عليه لقب السفاح .

هل اذا اثبت يا دكتور فوده وارحت للمسيحية بأفعال راسبوتين الذى كان أكثر من سفاح وهاتك اعراض ومستولى على الأموال بعد حق ، هل يكون هذا انصافا للمسيحية أم يكون تجنيا عليها بفرد .

ان المثل الذى ضربته تماما كما يأتى انسان ويقول هذه هى المسيحية ويحكى تاريخ راسبوتين فهل هذا عدل وهل يستطيع ذلك بالنسبة للمسيحية ، طبعا لا ، ولكنك تستطيعه بالنسبة للاسلام مستغلا سماحة الدين فى الاساءة اليه .

اى رجل هذا الذى يستطيع أن يتزوج اربعة آلاف امرأة ، اليس فى هذا مبالغة شديدة ، اليست هذه اشياء مدسوسة ومحرفة هدفها تشويه هذا الدين ، ان معظم ما ذكرته غير صحيح تاريخيا . ولكنى سأفرض أن السفاح أعدم تسعين شخصا فكم أعدمت الثورة الفرنسية التى تعتبرها انت مثلا من أمثلة الحرية ، وكم ابرياء قيدوا فى المقصلة ليقتلوا بلا محاكمة وكم قتلت الثورة الماركسية فى روسيا والوف المساجين فى العصور الوسطى الذين كانوا يقتلون فى بريطانيا اغراقا فى نهر التايمز ، وهتلر الذى كان يضع اليهود فى الأفران وهم أحياء ، والرومان حين كانوا يلقون بالمسيحيين الى الوحوش المفترسة ويتسلون بالفرجة عليهم والوحوش تنهش لحومهم والتتار والمذابح التى اقاموها واليهود فى مذبحة دير ياسين ، هل ذبحوا تسعين شخصا فقط يا دكتور فوده أم قتلوا المئات من الحوامل والنساء والأطفال فى مذبحة بلا محاكمة والتكفير والحرق فى أوائل المسيحية كما فعلوا بجان دارك ولعلك تعرف قصتها والمذابح التى تحدث الآن فى أفغانستان حيث تباد قرى بأكملها ويموت الألوف بالغازات السامة ، والوف المسلمين الذين يقتلون فى الحبشة والصومال ، كل هذا يحدث فى العصر الحديث ، هل يحدث لأن هؤلاء الناس مسلمون يحكمون بما أنزل الله ، انت تأتى بمثل واحد خلال الف وثلاثمائة سنة وانا استطيع أن أعطيك مئات الأمثلة خلال عام واحد ، أم انك تريد أن تلصق بالأسلام ظلما وعدوانا جرائم بين المذابح والقتل .

الم تسمع عن فتح مكة وكيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما اجتمعت قريش وقال لهم ماذا تظنون انىفاعل بكم قالوا خيرا ، اخ كريم وابن اخ كريم، قال اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ايمكن أن يحدث هذا فى غير الأسلام ، هؤلاء الذين تآمروا على قتل الرسول وآذوه واخرجوه من بلده وقتلوا المسلمين ، لم يكن من العدل أن يحكم الرسول بالقتل على مائة منهم أو خمسين أو عشرة ، على الأقل انتقاما لما فعلوه بالمسلمين ، لكنه قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، اتريد سماحة أكثر من ذلك .

اتحدث عن عدل عمر وهو حاكم الجزيرة العربية والعراق وسوريا ولبنان وايران وفلسطين ومصر وكان ينام تحت شجرة بلا حراسة ، اليست هذه نماذج اسلامية تمثل السماحة والعدل وعمر بن عبد العزيز وصلاح الدين الأيوبى ، وغيرهم مئات من الحكام المسلمين حكموا بالعدل وانصلحت اثناء حكمهم أحوال الرعية وعم الخير .

ان ابا العباس السفاح الذى ضربته مثلا لسوء الحكم فى الاسلام انما يعتبر هاديا بالنسبة للمذابح التى تتم الآنللمسلمين فى العالم ، لمتخاف من أن نحكم بماأنزل الله ، وعندما فتح المسلمون الأندلس لم يقيموا مذبحة واحدة وعندما استعاد الأوربيون الأندلس ذبحوا المسلمين ، ولكنك لا ترى خلال الف وثلاثمائة سنة الا حكم أبى العباس السفاح لتستشهد به بينما هناك مئات من نماذج الحكم الصالح اغفلتها — اقول عن عمد — لأنك دارس لمنهج الاسلام دراسة وافيه .

(أحمد زين)

* * *

(٢)

التصور الذى عرضه الدكتور فرج فوده للصحابة هو تصور مجاف للحقيقة كل المجافاه ، عمر بن الخطاب يقتل بمؤامرة ومعروف ابعاد هذه المؤامرة ، فقد ظهرت الشعوبية فى هـذه الفترة وتحول الموقف بالذات فى عهد عمر ، عمر أول شهيد فى الاسلام .

مايقوله الدكتور فرج فوده عن الخلفاء الراشدين : ان فترة الخلفاء الراشدين هى فترة فخر لكل مسلم ، وان مسألة قتل أو اغتيال الخلفاء الثلاثة لا يدين هذه الفترة ، لأن هنـاك أنبياء قتلوا ، أنبياء الله ، ذلك صراع الحق والبـاطل وربما أراد الله تبارك وتعـالى أن يرفع مرتبة الخلفاء الثلاثة الى مرتبة الأنبياء .

كيف حـدث يا دكتور فوده أن الاسـلام فتح امبراطوريتين كبيرتين كانتا اكبر قوة فى ذلك العصر وهما الروم والفرس وفتحهما فى سنوات قليلة بشكل لم يسبق له مثيل فى التاريخ ، حينئذ تنبه غير المسلمين كما هـو حادث الآن الى خطورة الدين الاسلامى ووجدوا أن قوة المسلمين فى دينهم وتمسكهم به فأرادوا أن يطعنوا هذا الدين لوقفوا هؤلاء المسلمين عند حد وكان أهم ما يطعن به الدين هم الخلفاء الراشدون ، لماذا لأنهم قمة الايمان وقمة التقوى وقمة الزهد ، فلا يمكن اغراؤهم بالمـال ولا بجاه الدنيا ولا بالمناصب .

ولقد بدأ تنبه غير المسـلمين الى هذه الحقيقة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لانه فى هذا العهد تمت فتوحات اسـلامية كثيرة ، وانتشر الاسـلام فى أرجاء الأرض ، ولـما كان حكام المسلمين رغم ما يحكمونه من مسـاحات شاسعة يرفضـون الحراسـة والاقامة فى القصور ووضع الحجاب والحراس على الأبواب فقد كان اسهل وايسر وسيلة هى اغتيالهم ، عمر بن الخطاب كان ينـام تحت شجرة ، ويمشى فى الشوارع بين النـاس ويذهب الى الصلاة دون أن يحميه احـد ، وقيل لعلى ابن ابى طالب الا تخاف الموت قال : ومم أخاف يوم يأتى لا يستطيع احد أن يمنعه ، ويوم لا يأتى لا يستطيع احد أن يجىء به ، وقيل لعثمان ابن عفان ضع حرسا حولك يحمونك قال : والله لا آخذ من بيت المال دينارا لأضع لى حرسا .

هذا كانت شيمة الخلفاء الراشدين وهذا لا يطبق على العصر الحديث ، ولكن الذى اريد أن أقوله ان هؤلاء الناس كان أسهل الأشياء هو اغتيالهم ولذلك تم التنفيذ على هـذا الأساس ، من هـذه هى النظرية : خلفـاء بلا حراسة من اسهل الأشياء اغتيالهم ومن أصعب أمور الدنيـا أن يجعلهم أحد ينحرفون عن المنهج ولذلك كانت المؤامرة بالقتل هى اسهل وسائل التنفيذ .

أما طريقة التنفيذ فكانت أن يدخل المنـافقون فى الاسلام ليهدموه من داخله ، فقد وجدوا أنه من المستحيل ان يهدم الاسلام من الخارج ومن السهل جدا أن يهدم من داخله فجاءت مجموعة من المنافقين واعتنقوا الاسـلام ظاهرا وهم الذين نفذوا كل هذه الفتن ، عمر بن الخطاب قتله مجوسى بعد أن فتح المسلمون أرض فارس ، وكانت مؤامرة دبرت بأن قاموا بتسميم الخنجر الذى قتل به عمر حتى يكون القتل اكيدا .

وفى عهـد عثمان الذى أثار الفتنة الـكبرى بين المسـلمين هو يهودى اعتنق الاسلام نفـاقا ليهدمه من داخله واستطاع هو واتباعه ان يفتعلوا الأحداث ويثيروا النـاس بدعوى أنهم مسلمون مخلصون ، فكانت الفتنة التى اودت بحيـاة عثمان وحيـاة على رضى الله عنهما ولو قرأت الأحداث جيدا لعرفت أن هذه الفتنة بدأت فى الامصار التى فتحت ولم تبدأ فى المدينة نفسها .

وأن التدبير كان هو تهييج أهل هذه الأمصار ضد الخليفـة بدعاوى واكاذيب كثيرة واطلاق الاشـاعات الكاذبة حتى تحـدث الفتنة واراد الله ان يلفتنا فى هـذه الأحداث الى أن أخطر ما يهدم به هـذا الدين هو من داخله من اناس يدعون أنهم مسـلمون ويهدمون الدين الاسلامى تماما كما يحدث الآن .

هذه هى النظرية : هدم الاسـلام من داخله وهى ما زالت قائمة حتى الآن وما زال الاستعمار ينفق ملايين الجنيهـات ليدفع لبعض معتنقى الاسـلام حتى يهدموا الاسـلام من الداخل وهى طريقة نعترف أنهـا نجحت خصوصا فى هذه الأيام التى ضعفت فيها النفوس وباع الناس الآخرة واشتروا الدنيا .

تصورك لحرب الرده بعيد عن الحقيقة تماما وانت تقصد فيه اظهار الاسلام بأنه دين المذابح والقتل ، وانا لا اترك على ما قلته من ان قرار أبى بكر الصـديق كان قرارا سياسيا ، بل اؤكد انه كان قرارا دينيـا مائة فى المائة ، وسأناقشك بمنطق العصر الحديث لأنى أعرف أن كل هدفك هو اظهار الاسـلام كذبا بأنه دين لا يصـلح للعصر الحديث .

فلنأخذ اى دولة من دول العـالم واى جيش فيها ماذا يحدث ؟ يقسم افراد الجيش بالطاعة والولاء للوطن

فاذا جرح احدهم قسمه البشرى فى وقت الحرب ورفض ان يحارب فانه يعدم ، ولا يعقل ان فى هذا اى نوع من الوحشية ولكنه باعتراف العالم كله ضرورة لازمة للحفاظ على سلامة الدولة وامر مشروع لا يستنكره احد بل ان ذلك يطبق على المدنيين ايضا الذين يخونون اوطانهم ويتنكرون لها باية صورة من الصور .

لنأت بعد ذلك الى الاسلام . الله سبحانه وتعالى لم يفرض دينه على احد ولكن هذا الدين انزل للبشرية كلها وقال الله سبحانه وتعالى : لا اكراه فى الدين وقال : **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وقال مخاطبا رسوله :**

(افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) وقال تعالى **(انما عليك البلاغ)** ومن هنا فان الذى يدخل فى عهد ايمانى مع الله باختيار العبد نفسه دون اكراه لابد ان يوفى بالعهد الذى قطعه على نفسه .

والذى حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ان ظهر عدد من ادعياء النبوة ، وارتد عدد من الاسلام وانكر عدد فريضة الزكاة ولم يقولوا انهم سيعطونها للفقراء كما ادعيته انت ولكنهم قالوا عنها انها جزية تفرض على غير المسلمين .

ولكنك بمنطق العصر الحديث تبيح ان يقتل من ينقض عهده مع الدولة ويرفض الحرب بعد ان اقسم على القتال وتعتبر هذا ويعتبره العالم كله منتهى المدنية فاذا نقض بعض الناس عهدهم مع الله وحكم عليهم بنفس المصير يكون هذا وحشية ما بعدها وحشية .

اترى كيف تستهين بالله الى حد انك جعلته اقل من القسم على الولاء للوطن فهل هذا يعقل بنفس المنطق الذى يطبق الآن ، من ينقض قسمه مع الوطن ينفذ فيه حكم الاعدام ومن ينقض عهده مع الله سبحانه وتعالى وقد دخل فى الاسلام باختياره تكون نفس العقوبة بالنسبة له نوعا من الوحشية .

اظن انه منطق غير مقبول بلغة العصر .

وكان لابد لابى بكر بعد ان اقسم هؤلاء الناس على الولاء لله ان يقاتلهم اذا نقضوا العهد ولذلك عندما قال عمر بن الخطاب : اتقاتل من يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، قال ابوبكر انهم لميقولوها بحقها . اى انهم نقضوها حين انكروا الزكاة وكان هذا بداية ولو انهم تركوا لادى ذلك حتما الى انكار باقى اركان الاسلام

ولو ان الاسلام كان قهرا وعن غير ارادة حرة لقلنا ربما قهروا على ان يقولوها ولكن الله لا يقبل الاسلام الا اذا كان نابعا من القلب وبالارادة الحرة والاكراه يسقط العقوبة .

باى منطق تستنكر حرب الردة وتقول انه قرار سياسى وهو قرار دينى مائة فى المائة ، وتقول ما كانت دولة الاسلام لتقوم وهى ستظل قائمة الى قيام الساعة

ان احدا لم يطلب منك ان تعتنق الاسلام ، ادرس كيف شئت ، ابحث كيف شئت ، فكر سبعين مرة ، ولكن متى عاهدت الله على الايمان فاعلم انك تعاهد الخالق عز وجل وان هذا العهد ليس هزلا ولكن لابد ان يؤخذ بمنتهى الجدية لانك تعاهد الله .

والذى غاب عن الدكتور فرج فوده هو حكمة الزكاة وخطورة اقطارها ، الزكاة فى المجتمع الاسلامى اولا هى نوع من علاج الحقد بين الاغنياء والفقراء ، ذلك ان الحقد هنا يزول عندما يوجد هذا التكافل فى المجتمع الذى توحده الزكاة .

والزكاة فى معناها هو ان يتحرك الانسان فى الحياة اكثر من احتياجه اى انه لابد ان يتحرك ليكفى احتياجاته وزيادة لانه لو تحرك ليكفى احتياجاته فقط ما وجد مال الزكاة ، وتعطيل الزكاة معناه ان الاسلام يدعو لأن يتحرك كل فرد حسب احتياجاته فقط وهذا تشجيع على السكون وعلى عدم الحركة فى المجتمع وقتل لطموح الانسان دينيا على الاقل فى ان ينال بأعمال الدنيا ثواب الآخرة .

ومن هنا فقد جعلها الله تبارك وتعالى ركنا من اركان الاسلام الخمس ليعلم المسلمون انهم مطلوب منهم فى الحياة ان يتحركوا اكثر ليدفعوا الزكاة ويتصدقوا .

اما ما يقوله الدكتور فرج فوده من انه يأتى اناس يقولون ان هؤلاء لا يدفعون الزكاة للدولة فاقتلوهم ، هو اجتهاد لم يطالب به احد واختراع يراد به تخويف الناس من الاسلام .

(احمد زين)

— ٣ —

ان عمر هو الرجل الذى وسع رقعة الدولة وهو الذى كان يعبر عن الاسلام التعبير الدقيق فى موقفه كسياسة وفى رأيه المستنير وفيما يمكن ان يسمى بالمستقبلين فى قدرته على تحليل الأمور ، وتحليل شىء مستقبلى صرف ، يفهم فى جوهر التشريع وروحه اكثر من تقيده ووقوفه اسيرا امام النص ، عندما يأتى عمر يقتل بمؤامرة تدبرها الشعوبية ماذا ينتظر ، فى مثل هذه الحالة بما يفعله الحاكم او الخليفة فى مثل هذه الحالة ،

يعد سيدنا عمر هذا العملاق الضخم واسع الأفق الذى يفهم الاسلام الفهم العميق جاء سيدنا عثمان كنموذج آخر نوعية ثانية ، لا اريد ان أمس سيدنا عثمان أو أنال من شأنه ، حاشا لله تبارك وتعالى .

لقطة أخرى خاصة لسيدنا ابى بكر الصديق والمرتدين :

سيدنا عمر قال له نتركهم الوقت لا يتسع لهذا ولكن سيدنا ابو بكر قال لابد ان نحاربهم ليس لأنهم منعوا حقا ، منعوا الزكاة ، ليست مسألة سياسية ، هم انكروا احقية ولى الأمر فى الحصول على الزكاة وبالتالى انكروا ركنا من أركان الأسلام فليس من أجل المال ، جحدوا امرا معلوما من الدين بالضرورة .

موضوع اعتقال عدد من الصحابة فى فترة الثلاثين سنة ، كان نتيجة طبيعية لأن الناس كانوا فى ذاك الوقت يطيعون الاسلام بولاء شديد دون اعطاء الأمور الأخرى حقها .

لا تقول اخطأ واحد من الصحابة ولكن تقول اجتهد وكانت له وجهة نظره . ليس الخطأ على الاسلام ولكن الخطأ على الحكم .

(عبد الصبور مرزوق)

* * *

حول الصحابة ــ فرج فوده

فى مجموعة من الخواطر المتضاربة حاول الدكتور فرج فوده اثارة الشبهات قال الدكتور فرج فوده : أن الصحابة دخلوا الأسلام بقصد الغنى والحصول على الثروات وأن ثرواتهم كانت هائلة .

وقال الدكتور فرج فوده : الاسلام يقر التعذيب للأغراب وطالب الدكتور فرج فوده بعدم تطبيق حد الزنا

وقال أن عمر بن الخطاب عطل حد السرقة فى عام الرماده .

ما قاله الدكتور فرج فوده عن ثروات الصحابة هو مجرد اختراع ، ذلك أن هؤلاء الناس دخلوا الاسلام فى مكة ولم يكن للاسلام دولة وتحملوا من الاضطهاد والتعذيب والقتل أحيانا ما لم يتحمله بشر ، ولو أنهم كانوا طالبى ثروة لانضموا الى الجانب الذى كان يملك الثروة وهم الكفار وليس من المعقول ولا من المقبول أن اذهب لأطلب الثروة مع الذين لا يملكون شيئا وهم مضطهدون من المجتمع الجاهلى ، هذه واحدة .

وعندما هاجر المسلمون من مكة الى المدينة تركوا اموالهم فى مكة ومايملكونه فى مكة حتى أن صهيب الرومى حينما رفض الكفار أن يسمحوا له بالهجرة الا اذا ترك لهم كل امواله وما يملك أعطاهم الأموال بلا تردد وعندما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بالقصة قال : ربح البيع ، فهل من يريد الثروة يترك أمواله ليهاجر فى سبيل الله أو يتمسك بها ويبقى .

ابو بكر الصديق رضى الله عنه وكان من أثرياء العرب ، والثروة ليست عيبا فى الاسلام بل هى اساس لعمارة الكون ، أبو بكر قبل أن يموت تبرع بكل أمواله وعندما قال له الناس ماذا تركت لأولادك قال تركت لهم الله ورسوله .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان حاكم امبراطورية كبيرة تمتد من الجزيرة العربية الى آخر حدود الفرس والروم كان يحاسب زوجته على الدرهم حرصا على أموال المسلمين ، وعثمان بن عفان جاءته قافلة فى عام مجاعة فانطلق اليه التجار كل يريد أن يحصل على القافلة وظلوا يزيدون حتى وصلوا الى سبعة أمثال الثمن . فرفض أن يبيعها لهم رغم هذا الربح الباهظ وقال : عندى من يعطينى أكثر من ذلك وعثمان ابن عفان جهز جيشا للمسلمين فى غزوة تبوك بكل ما يحتاجه من مؤن وسلاح على حسابه الخاص .

هؤلاء هم الذين يتهمهم الدكتور فوده بأنهم طلاب مال فهل هذه تصرفات طلاب المال ، أما من تقول عنه وهو الزبير بن العوام الذى قلت انه بالأجماع ثروته ٥٧ مليون درهم فقد جاء فى البخارى وهو أصح كتاب بعد كتاب الله باجماع الأمة فقد مات مدينا وطلب من أولاده أن يبيعوا قطعة ارض صغيرة كان يملكها ليسددوا دينا عنه .

هؤلاء الذين استشهدت بأسمائهم تصدقوا بما يملكونه ولم يبخلوا فى سبيل الله . وقد مات على ابن أبى طالب وكل ثروته ٢٠٠ درهم ومصحف وسيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهون عند يهودى وكان لا يبيت وعنده دينار أو درهم فكيف تفترى على الاسلام وتقول ان الصحابة دخلوا الاسلام ليكنزوا المال : هؤلاء جميعا دخلوا المعارك وكانوا أحرص على الشهادة اكثر من حرصهم على الحياة ، وهذا لا يستقيم مع صاحب المال فكانز المال جبان يريدا أن يعيش ويتمتع بماله .

ما قلته من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر التعذيب فى سبيل الاعتراف وتحدث عن واقعة (الافك) وكيف أن علـى بن أبى طالب اتى بالخـادمة (بريره) وضربها ضربا شـديدا وطلب منها أن تقول الحق فقالت والله لا أعلم الا خـيرا ولم ينكر الرسـول الكريم على (على)هذا الأسلوب ولن نناقشك فى صحة الحـادثة لأنه لا يمكن ان يضرب على بن أبى طالب العالم بتعاليم الدين الخـادمة ضربا مبرحا ، ولكننا نريد منك أن تقول لنـا : أتدعى أن الاسلام يقر التعذيب اسـتنادا على هذه الواقعة التافهة المشكوك فيها .

ان رسول الله لم يقبل التعذيب فى شأن سـهل ابن عمرو الذى كان يحرض على قتل رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وقال لعمر : لا أمثل به فيمثل الله بى وأن كنت نبيا .

هل اذا كان الاسلام يقر مبدأ التعذيب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يترك أسرى بدر وهم من أئمة الكفر دون أن يعذبهم مع أنهم الذين جاءوا لقتـله وقتل المسلمين .

وحاطب ابن ابى بلتعه الذى أنفـذ الخطاب لأهل مكة حين أراد عمر أن ينتقم منه وكيف قال له رسول الله أنه من أهل بدر المغفور لهم ، أليس من الأحرى أن يجلد أو يعذب حاطب ابن أبى بلتعه على خيانته للمسلمين لو ان الاسلام يقر ذلك .

وعندما فتح رسول الله مكة ومكنه الله من الكفـار الذين آذوه وحاربوه وآذوا المسـلمين الم يكن من الممكن أن يأتى رسول الله بمائة من الكفار ليجلدون أمام الناس فى الكعبة عبرة لكفار مكة .

بل عفا عنهم وقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ان الاسـلام يا دكتور فوده يحـافظ على كرامة الانسان وعمر بن الخطاب حينما علم أن ابن عمـرو بن العاص سابق صبيا قبطيا فى مصر فسـبقه الصبى فاذا بابن عمرو بن العاص يضرب الصبى المصرى ويقول له أنا ابن الأكرمين ، أحضر عمرو بن العاص وابنه والقبطى المصرى وقال له اضرب ابن الأكـرمين وقال قولتـه المشهورة :

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا .

ان الاسلام ينهى عن الضرب على الوجه .

نترك هذا كله يا دكتور فوده ونأتى بحادثة نقول ان على ضرب فيها جاريته وان الرسول الكريم أقره على ذلك لنتخذ من هـذه الحادثة غير المـؤكدة بل وغير الصحيحة بالطريقة التى رويتها ، تأتى بهذه الحـادثة وتخرج منها الى أن الاسلام يقر التعذيب ويحترم هدفك ويحذف كل الباقى .

أهـذا هو البحث العلمى ، أهـذه هى الأمانة فى العرض ، أهذا هو الصدق فى الاتهام ، هذا لاتقره ، ماذا تريد أن نقول ، ولكننا نعرف أنك حددت هدفك جيدا وان ما تقوله ليس عن حياد ولكن عن تحيز ضد الاسلام .

أما عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى) فهو حديث صحيح للرسول الكريم .

أما ما حدث فى عهد عثمان فقد قلنا أن المنـافقين دخلوا فى الاسلام ليهدموه من الداخل وقاموا بأحداث هذه الفتنة وعلى رأسهم اليهودى عبد الله بن سبأ وغيره من عشرات اليهود استطاعوا أن يوقدوا النار بين المسلمين . على أنه يادكتور فرج حتى الآن فان كل عهد فيه عبد الله ابن سـبأ يهيج الناس ويثير الفتن وتطلق الاشاعـات الكاذبة .

النظرية الاقتصادية فى الاسلام

قال الدكتور وحيد رأفت أن الاسلام ليس له نظرية اقتصادية .

أنا سأعطى لسيادتك ببساطة شديدة معالم هـذه النظرية الاقتصادية فى الاسلام ومن القرآن :

أولا : فى المعسـكر الحر الاقتصاد الحر يقول لك دعه يعمل دعه يمر شعار آدم سميث ويترتب على هذا أن من حق الانسان أن يجمع المال كما يشاء وينفقه كما يشـاء دون قيد . كانت النتيجـة أن أبيح اسـتعمار الشعوب من أجل الحصول على المال . أبيح الاتجـار بالأعراض ، كل شىء أصبح مبـاحا من أجل أن تحصل على المال : دعه يعمل ، دعه يمر .

أبيح اهدار حقوق العمـال . أصبح صاحب راس المـال هو كل شىء والعامل لا شىء ، النتيجة ماذا . النتيجة أن التداعيـات أصبح فيه اضـطرابات ظهرت النقابات التقطت الاشتراكية الخيط وقال نعمل خط ثانى مختلف .

فى النظام الحر الملكية خاصة والمنفعة خاصة ، هذه معالم النظرية فى الغرب ، الشيوعيون يقولون الملكية عامة والمنفعة عامة ؛ ليس للأفراد ان يمتلكوا وانما الملكية للدولة كافة وانت كفرد ليس لك من حقك الا أن تأكل وتشرب وبالخبز وحده يحيا الانسان كما يقول الاسلام قال : لا ـ حصل تداعيات فى هذا عند الاشتراكيين ، أولا لم تطبق وهذه حقيقة بل فيه طبقات ما زالت ، طبقيات موجودة فى النظام الإشتراكى .

فى هذا المجتمع الاشتراكى او فى ظل الرؤية الاشتراكية جرى اهمال خطير جدا وبالغ الأهمية ، أهمل الدافع الذاتى للانسان ؛ الدولة كل شىء ، وانا بأعمل ، اعمل ، لن اشتغل وحصل انه قال لك انه لن يعمل ، عنصر فطرى خلقه الله فى الانسان ، أغفلت خلاص ، لن اعمل ، لن أستغل وحصل أنه قال لك انه لن يعمل ، لن يشتغل الا بالكرباج ، وكانت النتيجة ان عجز الاتحاد السوفييتى عبر خمس خطط خمسية متوالية أن يكفى نفسه من القمح ، واصبح يستورد القمح من أمريكا المعسكر المعادى ، ومقابل استيراد القمح من امريكا يصدر الفنيون من اليهود الى اسرائيل لتضرب به الدول العربية ، لما وجدوا هذا خطأ رجعوا تانى فى فترة لبيرمان فيلسوف جديد قال لابد ان نعيد الاعتماد بالدافع الذاتى فبدأوا يعطون العامل الزراعى فى كلوخيزات التى هى للاصلاح الزراعى ، قصبة فى قصبة أمام حقله يزرعه زراعة خاصة وجدوا أن الانتاج تحسن ـ لبيرمان .

ماذا فعل القرآن ، جاء القرآن فى الوسط قال : الملكية خاصة والمنفعة عامة الملكية هناك عامة وعامة وخاصةوخاصة اما الاسلامقالفقال : ملكية خاصةومنفعة عامة اساسه أولا : الملك الأساسى أو التملك الأساسى لله تبارك وتعالى . (لله مافى السموات ومافى والأرض) (الله ملك السموات والارض) (له ما فى السموات والارض)

* * *

بالنسبة للمال بالذات و (انفقوا من مال الله الذى أتاكم) بالاضافةالى الله (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

كتاب مقدس يعطى هذه الأصول ويعطيك التوجيه بالنسبة للمال : لابد ان يبقى له دوره يستفيد منها عباد الله ، ملكية خاصة (يسألونك ماذا ينفقون قلالعفو)

والعفو ما زاد عن الحاجة ، ما زاد عن حاجتى يعرض علىالمسلمين لينفقوا منهفاذا لم افعل فانا محتكر، وعلى السلطان أن يتدخل لحملى على تمكين عيال الله من مال الله الذى هو أصلا حق له .

الرسول صلى الله عليه وسلم عندما حدد موقف الاسلام من المال ماذا قال (حدود الملكية) : ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت .

اذن لك فى الدنيا حاجتين اثنتين من الاسلام الضرورات من غير سرف ولا ترف ولذلك ذم القرآن المسرفين فى قضية المال وذم النوع الثانى ، ودعا الى الخط الوسط . (عبد الصبور مرزوق)

* * *

الشيخ الشعراوى فى الرد على فرج فوده ووحيد رافت

لقد بدأت هذه الفكرة بعدد من الكتاب غير المسلمين الذين ارادوا أن ينقلوا فكر الكنيسة الىالمجتمع الاسلامى فى مصر ، فبدأ هؤلاء يكتبون فى وسائل الأعلام مطالبين بشىء اسمه العلمانية ثم تبنى هذه الفكرة على جهل بالدين الاسلامى بعضالمسلمين اسما وبدأوا يروجون لها والفكرة فى أساسها ليس لها تعريف محدد ألا أنها كما يدعون فصل بين الدين والدولة لماذا : لأن الكنيسة فعلت ذلك ولا شىء أكثر وحتى هذا الفصل والوصل ليس له تعريف محدد بل انه شىء هلامى يعرفه كل منهم كما يريد .

سبب فصل الكنيسة عن الدين أن الكنيسة كانت فى الماضى تكبت كل فكر بشرى ولذلك فقد تصدت للمفكر (كوبرنكس) الذى كان أول من قال أن الأرض تدور حول الشمس وكانت الكنيسة تقول : ان الأرض هى مركز الكون وتنسج من حولها الأساطير وقصص القديسين ثم بعد ذلك تصدت لفكر (جليلو) واجبرته على أن ينكر نظريته الخاصة بالكون وكفرت العلماء ووقفت امام البحث البشرى وكانت تنسج قصصا غريبة عن القديسين الى آخر كان يدور فى القرون الماضية ، أى أن الكنيسة وقفت ضد حرية الفكر البشرى فى البحث العلمى وارادت ان تقيده وأن تمنعه وأنتسيطر بخرافات كثيرة على عقول الناس ، حينئذ حدثت الثورة ضد سيطرة الكنيسة على الفكر البشرى وانفصلت الدولة عن الدين ، ومنذ ذلك الوقت تقدمت اوربا وصارت فيها الحضارة ، فاذا أخذنا العالم الاسلامى نجد أن الوضع عكس ذلك ، تماما فالاسلام قام على حرية الفكر وحرية العقيدة وحينما تمسك المسلمون بدينهم تقدموا علميا وعسكريا وفى كل نواحى الحياة واستطاعوا أن يقهروا ويسيطروا على امبراطورية كبيرة وان يهزموا أكبر قوتين فى عالمهم فى ذلك الوقت ، وكان الفكر الاسلامى

الذى نتلته أوربا وبنت عليه حضارتها وعندما انفصل المسلمون عن دينهم وبدأوا يقلدون الغرب زالت دولتهم وتفرقوا فى الأرض فأصبحوا شيعا وهانوا على عدوهم. ونحن نرى الآن كيف حال المسلمين مع انهم يملكون من مصادر الثروة والموارد الطبيعية والقوة البشرية مايمكن أن يجعلهم سادة العالم ولكن انصرافهم عن دينهم أورثهم الضعف والخذلان . وهكذا ترى أن الاسلام عكس المسيحية فعندما سيطرت الكنيسة على الدولة ساد التأخر وانتشرت الخرافات وحورب كل اكتشاف علمى جديد وعندما سيطر الاسلام وتمسك به المسلمون وطبقوه التطبيق الصحيح جاء التقدم وجاء الازدهار .

هذه هى الصورة الصحيحة التى يرويها التاريخ . الله سبحانه وتعالى قد وضع فى هذا الدين أسباب القوة والعزة والمتعة ، وجعله يسيطر على حركة الكون كله وليس حركة المسلمين وحدهم .

نأتى بعد ذلك الى القضية الأساسية التى اشتمل عليها هذا الحوار الذى دار القضية كما فهمتها هى خناقة على الحكم لا اكثر ولا اقل ولا تدخل فى الدين فى شىء فدعاة العلمانية يخافون من تطبيق منهج الله ان يؤدى ذلك الى حكم علماء الاسلام او حكومة من علماء الاسلام وهم يريدون بافكارهم هذه أن يبقوا فى الحكم خارج هذه الدائرة على الأقل انهم طلاب حكم وطلاب دنيا ، يخافون من عدل الله فى الدنيا ويعتقدون أنهم سيعيشون فى مأمن حينما يفصلون الحياة الدنيا عن الدين لتحكمها الأهواء .

واقول لهم ان علماء الإسلام يحكمون قلوب الناس لا أجسادهم وأن الدين الاسلامى ليس مطية للوصول الى الحكم ، وكل من يتخذ هذا الدين مطية للوصول الى الحكم فهذا انسان فى قلبه نفاق .

ذلك اننا جميعا كعلماء نسعى ونبذل قصارى جهدنا ليكون الحكم بقواعد الاسلام وهذا هو الفرق ، ان احدا من علماء الاسلام لا يريد أن يحكم هو بقواعد الاسلام ، بل يريد أن يكون الحكم بقواعد الاسلام ويختار الشعب بملء حريته من يحكم فالذين يريدون ان يتخذوا الاسلام مطية ليصلوا هم الى الحكم فى قلوبهم هوى .

والذين يريدون أن يكون حكم الاسلام قائما انما دعواهم لنصرة دين الله .

لقد كان من منهج أدعياء النبوة والدجالين تبديل أحكام الله أو ابطالها كوقف الحدود مثلا ، وكان هو هدف كل من ادعى النبوة فى عهد الاسلام منذ مسيلمة الكذاب الى يومنا هذا ، الأساس واحد فقد أباح مسيلمة الكذاب الزنا وأباح شرب الخمر واسقط بعض التكاليف وكذلك فعل كل ادعياء النبوة من بعده ، لماذا لأن التكاليف ثقيلة على النفس غير المؤمنة ولذلك فان كل كذاب يحاول أن يجذب الناس باسقاط هذه التكاليف فيلتف حوله ضعاف النفوس الذين يريدون مخرجا من الدين .

ولذلك فان دعاة العلمانية لم يأتوا بجديد ، فى الافتراء على الاسلام ، بل اتخذوا نفس المنهج الذى اتخذه مسيلمة الكذاب وغيره بل واتخذوا نفس المسلك الذى اتخذه كفار قريش الذين ينطبق عليهم قول الله تعالى :

(واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله) .

والذين لا ينفصل عن الحياة فى صغيرة أو كبيرة بل يهيمن على حركتها والاسلام هو ان تسلم الله بمراد الله وكيف يمكن أن نفصل الدين عن أى شىء والله سبحانه وتعالى امرنا أن نبدأ كل عمل باسم الله وأن ننهى كل عمل بالحمد لله .

هم يقولون فى العبادات نأخذ وفى غير العبادات نترك وفى هذا هم يحاولون أن يخضعوا مرادات الله لمراداتهم هم أو يخضعوا احكام الله لأحكامهم هم ، وباختصار أن يخضعوا دين الله تبارك وتعالى لأهوائهم الشخصية وهم يقولون عن حد الزنا الذى قرره الله تبارك وتعالى أنه لم يعد صالحا وعن حد السرقة انه وحشية وكلاهما حكم من أحكام الله . فكيف يمكن أن يأتى بشر فيعدل حكما الله سبحانه وتعالى الذى هو خالقه وكيف يمكن أن يأتى الى كون فيقول نأخذ هذا ونترك هذا ومن الذى نصبهم أوصياء على الدين ومن الذى اعطاهم هذه السلطة .

اذن فهدف هذا المذهب هو الطعن فى الدين الاسلامى ولا يمثل أى فكر ولا توجد له أى فلسفة .

ان الذين يقولون أن الزمن قد تغير نقول لهم أن القرآن الكريم يسع كل تغير فى الحياة وفى العلم وفى كل شىء ، وقول الله تعالى (والأرض مددناها) أى بسطناها أخذ بقدر العقول عند التنزيل على أساس أن الأرض مبسوطة أمام الناس ، فلما ثبت أن الأرض كروية كانت الآية الكريمة (والأرض مددناها) هى الدليل الأكيد على كروية الأرض لأنه اذا سافرت فى

الارض ونزلت اى مكان فيها تراها ممدودة امامك وهــذا لا يتأتى الا اذا كانت الأرض كروية فاذا كانت باى شكل هندسي آخر لوصلت فيها الى حافة .

والقرآن الــكريم له عطاء لكل جيــل يختلف عن الجيل الذى ســبقه ولا يزال القرآن يعطينــا حتى الآن عطاءات جديدة لم نكن نفهمهــا الا بعد ان تقدم العــلم وكشف الله عن آياته فى الكون .

على أن هناك قيما لا تتبدل ولا تتغير فى الحياة ، فالأمانة قيمة لا تتغير والصدق قيمة لا تتغير وكل هــذه القيم وضعها الله سبحانه وتعالى فى العبــادات وجعلها أزلية لا تتغير ولا تتبدل وهكذا حتى العبــادات لم تجمد ولكنها صالحة لكل زمان ومكان حتى يوم القيامة .

ولعل ابلغ رد على هذه الادعاءات هو ان كبــار المفــكرين فى أوربا امثــال جارودى وغيره قــد اعتنقوا الاســلام حديثا واعتنقوه عن اقتناع بعد أن درســوا القرآن والسنة ووجدوا فيها الحل لمشاكل العــالم التى تعيش بلا حل بين النظريات البشرية المتصارعة .

ولو ان الاســلام قد جمد حقيقة كما يدعى هؤلاء لمــا اعتنقه هؤلاء المفكرون ولوجدوا فيه دينــا جديدا لا يصــلح لهذا العصر خصــوصا انهم قراوه فى كتب واوراق بعيدا عن اى تأثير الا فــكر عقولهم . ولو كان هذا الدين قد جمد وتجاوزه العصر ما اعتنقه هؤلاء وهم قمم فكر فى بلادهم وما دخل الاســلام كل يوم مئات من الاوربيين والأمريكيين الذين يعيشــون فى دول غــير اسلامية تحيطهم مظاهر الحضارة التى يطلب منا أن ننقل عنها فاذا باصحاب هذه الحضارة هم الذين يريدون أن ينقلوا عنا وهم الذين وجدوا فى هذا الدين ما لم تقدمه لهم حضارتهم بكل ما فيها من تقدم ظاهرى .

انهم يحاولون أن يأتوا باخطاء بشر ثم ينسبونها الى الاسلام ومبادئه ، من الذى ادعى أن الصحابة معصومون حتى تنسب اى خطأ قيل انهم ارتكبوه الى الاسلام ، ان هذه اخطاء بشرية مسئول عنها اصحابها وليس مسئول عنها منهج الاسلام ولكنهم يحاولون أن ينســبوها الى تعاليم الاسلام ليســيئوا الى الدين . انهم تركوا تاريخ الاسلام كله بما فيه من عظمة تتحدث عنها كتب التاريخ وبما فيه من عدل تضرب به الأمثــال وجاءوا الى حادثة صغيرة ليشوهوا تاريخ عهد عمر .

والهدف من هذا هو أن تنســب الأخطاء البشرية لتعاليم الاسلام وأن يقال عندما يخطىء اى مســلم لقد أخطأ الاســلام او أن الاسلام تعــاليمه خاطئة ، وتلك طريقة مغرضة لأنه لا يمكن أن تنســب اخطاء بشر الى تعاليم دين الله التى تحرم مثل هذا الخطأ وتحرمه واقول للدكتور فرج فوده : ان كان رايك فى الاسلام بهذا السوء فلماذا لا ترتد عنه أم انك لا تملك الشــجاعة لترتد عن الاسلام ولكنك تملك الجراة لتشوه دين الله بتلك الأحداث المفرضة التى اختيرت بعناية لتنسب الى الاســلام ما ليس فيه .

قال الدكتور وحيد رافت أن القرآن جاء مبهما وان القـرآن لم يبين فى أشياء كثيرة بل جاء فيهــا مبهما مثل قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) .

والواقع ان آية واحدة من القرآن تعطينا مجلدا من الكلمات انظر الى قوله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) ثم انظر الى التوازن النووى القائم الآن فى العالم ويمنع الحرب فلولا استعداد الاتحاد السوفييتى واســتعداد الولايات المتحدة ومعرفة كل واحد منهما ان الآخر قد اعد له القوة التى ترهبه وتدمره لقــامت الحرب ولكن الذى منع الحرب هو الاستعداد العسكرى المستمر او توازن القوى كما يطلقون عليه .

النقطة الثــانية : هى مسألة ان القرآن الــكريم والحديث يشمل كل ما يستجد ويتســاءل الدكتور وحيد رافت عن الطب والفلك ثم يقول أنه يضحك عندما يسمع أن كل شيء موجود فى القرآن ونحن نقول له لا تضحك ولــكن ان أردت فاننا نســتطيع ان نعد ندوة فى الطب الاسلامى وندوة عن الفلك وعن كل فرع من العلوم تريده ويدعى المختصون ونحن مستعدون لمناقشتك ولا احــد خيرا مما ارد به عليك من قول الشيخ محمد عبده حينما ساله احد الناس الله يقول فى كتابه (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) فكم رغيفا يمكن أن يصــنع من جوال الدقيق فقام الشيخ محمد عبده واتصل باحد المخابز فأخبروه عن عدد الأرغفة فقال للرجل ان جوال الدقيق يصــنع كذا رغيفا فنظر اليه الرجل بدهشة وقال هل هذا فى القرآن فرد عليه الشيخ قائلا : نعم : لقد قال الله فى كتــابه العزيز :

(فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) .

عبد الصبور مرزوق

***

الواقع أن السياسة الجنــائية الاسلامية رسمت بعناية شديدة بحيث انهــا توافق . انت تعترض على أن الظروف أنا معك ، هل الظروف مع تغيرها تضــطرنى

لتطبيق الحد بحيث انه يضر ولا ينفع أبدا . متى تغيرت الظروف وأصبح الشاب فعلا غير واحد سكن فانت عندك تطبيق العقوبة التعزيرية الا اذا هذا الشاب التى رآه فى الشارع وجاء بأربعة وقال أنهم انفرجوا ، حينئذ يستحق الحد ..

القانون الوضعى للأسف من معايبه الأساسية انه كما يقول علماء القانون ــ سنتكلم فى القانون وليس فى الشريعة ــ يحمى المصلحة الاجتماعية والخلقية . هذه الميزة للشريعة على القانون الوضعى الذى يحمى الوضع الاجتماعى أو المصلحة الاجتماعية بحيث انه لو ارتضى فرد مع امراه جريمة الزنا تصبح لا جريمة لماذا ، الا انه يقول لك عندما يتعدى فرد على امراة فهذا سوف يخل بالنظام الاجتماعى لكن عندما يكون الرضا ، خلاص .

نحن كمسلمين نعتقد ولنا الحق فى هذا ــ وليس هذا فقط ــ هذا مسلك كل الأديان والنظم قبل ذلك . الفاحشة هى الاتصال الحقى غير المشروع من أجل هذا اخطأ القانون الوضعى ابتداء من انه قال : انه ما دام بعد ١٨ سنة يصبح رضا خلاص ، يصح أنه لم ينظر للناحية الخلقية نهائيا ــ بينما الشخص الذى أكثر من ١٨ مع السيدة التى هى أكثر من ١٨ وهم متراضين لا يكونوا حسين انهم بيعملوا فاحشة . هذا هو الفرنيكتشين الذى جعل الاسلام ضمن اهتماماته القضاء عليه .

نحن الآن عندما نقول حد السرقة مثلا ، انا كقاضى عندما يأتينى واحد ليس لديه سكن وغير واحدة لا اقيم عليه الحد بمقتضى الشريعة ، لما يأتينى واحد مش واجد علاج لزوجته سوف لا أقيم عليه حد السرقة ، لكن اقيم عليه العقوبة التعزيرية . أنا ضد من يقولون ان هذه عقوبات قاسية ومقصود بها أبدا والله عقوبات الحدود فى نظرى ارحم عند تطبيقها أن كل مشكلة لها حل ، العقوبا تالتعزيرية هى عقوبات لتسعين فى المائة من الجرائم ، ليس عندى الا الزنا والسرقة والقذف والحرابه ، الشريعة والله أرحم من القانون العادى .

د. جمال الدين محمود

* * *

الرد على الدكتور فرج فوده :

اننا نرفض حكم رجل الدين

اخطأ الدكتور فرج فوده التعبير حين قال اننا نرفض حكم رجال الدين بالمعنى الذى أوضحناه وكررناه ، انه اذا كان هناك انسان متفقه فى الدين ويختاره الشعب فى انتخابات حرة حاكما له فليس هناك ما يمنع ذلك ولايقف الدين حالا دون أن يصل الانسان الكفأ فى أى منصب فى الدولة والا لو اتبعنا هذا المنطق الذى يطالب به الدكتور فرج فوده فان علينا أن نطرد كل متدين من أى منصب يتولاه بدعوى أنه رجل دين ، هكذا يصبح الدين لعنة على الناس وهذا ما يريده أو يدعو اليه العلمانيون ، انهم يريدون أن يصبح الدين الاسلامى عارا يتبرأ الناس منه لأنه يخرجهم عن المشاركة فى الحياة العامة تماما فاذا كان هناك رجل متدين وفى نفس الوقت فقيه دستورى فلا يتولى منصب رئيس المحكمة الدستورية لأنه وان يكن هو الأصلح فان تدينه يمنع توليه هذا المنصب .

ولقد طبق هذا المبدأ فى عهد سيطرة الشيوعية على الدولة وكان المرشح لأى منصب مع كفايته لهذا المنصب يستبعد منه لمجرد أنه رجل متدين ، ولعل هذا ما يريد الدكتور فرج فوده ولن يكون هذا المجتمع ابدا الا فى الاتحاد السوفييتى وفى الدول الملحدة التى تحارب الدين والتى أخذت عنها العلمانية أفكارها ، أن هدف الدكتور فوده فى أن يكون الدين شبهة يتبرأ منها الجميع من وراء عباراته التى قالها نقول له أن هذا الغرض لن يتحقق ولكن الدكتور فوده لا يردد فقط بقوله المستمر حكم العنف والمذابح الا أن يجعل من الدين لعنة بينما دين الله بركة وهذه الدعوى سبق أن رددها الدكتور لويس عوض وأمثاله من العلمانيين ، الحكم فى الاسلام لمن يختاره الناس ويجتمعون عليه فى انتخابات حرة ولا يقف الدين هنا عقبة ، على العكس فان الانسان المتدين سيرعى الله فى الناس وفى كل قرار يتخذه .

وقد تجاوز الدكتور فرج فوده هذه النقطة وقال :

انه لا يقبل حكم الدين وكأنه يريد أن نترك حكم الله وأن نأخذ حكم الدكتور فوده وهذا فى رأينا رفض للقرآن والسنة لأن القرآن نزل لنعمل به وأحكام الاسلام نزلت لتطبيقها ولا يمكن لأحد أن يقول لنا الا نعمل بأحكام الله لأى سبب من الأسباب والله سبحانه وتعالى يقول : (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول) من يريد الدكتور فوده أن يقبل حكمه .

هل تقبل حكم ستالين او لينين او خروشوف او من، ومن الذى نرجع اليه اذا اختلفنا ان لم يكن الذى وضع لنا المنهج بدون هوى ولا غرض .

ان رفض الدكتور فوده حكم الدين على اطلاقه انما

هو مطالبة بالغاء الدين وكل انسان مسلم يرفض هذا واذا كان دكتور فوده اختار الاسلام دينا فهل اختياره للزينة أو اختياره ليعمل بأحكامه . وما معنى اختياره لأن يكون مسلما ويرفض تطبيق تعاليم الاسلام ، أظن ان هذا منطق مرفوض وأنه يتناقض مع نفسه حين يسمى نفسه مسلما ثم يقول : أنا لا أقبل حكم دين الاسلام اما ما ادعاه الدكتور فرج فوده من الدين الذين يقودون المجتمع الاسلامى هم الذين ينادون بتيار العنف ويدعون الى قلب نظام الحكم يقول اننا سمعنا هذا الكلام يتردد كثيرا منذ فترة من كل من يحاول هدم الدين الاسلامى واثارة الناس على المسلمين فحكاية قلب نظام الحكم هذه اكذوبة ليست فى عقول الا الذين يريدون أن تتخذ الدولة موقف العداء من كل ما هو اسلامى .

* * *

الدكتور فرج فوده يتحدث عن الذين يقودون المجتمع الاسلامى ونحن نقول أن المجتمع الاسلامى تقوده عقول ناضجة ودولة تتخذ من الاسلام شعارا ودينا وأن هناك الملايين من المسلمين الذين يعبدون الله ويذهبون كل يوم الى المساجد وليس بينهم من يفكر فى مسألة قلب نظام الحكم أو التعدى على الدولة . أما تيار العنف الذى يدعيه فهو لا يسرى الا فى عدد محدود جدا فهم الاسلام على غير حقيقته ولكن الدكتور فوده يريد أن يقلب حقيقة الموازين ليقول أن الذين يدعون الى العنف هم قادة المسلمين وهو أول من يعلم أن هذا غير صحيح ولكنها الاستراتيجية التى يتبعها هو وغيره من الكتاب الذين يهاجمون كل فتاة ترتدى الحجاب وكل شاب يصلى وكل عالم ممن يدعو الى الاسلام الصحيح .

« أحمد زين »

* * *

الفصل الخامس

الرد على العلمانيين

كتاب دكتور محمد يحى في الرد على فرج فوده

ان المغالطة والتضليل هما مدخل الدعوة العلمانية الى طرح افكارها حيث تبدأ أولى مغالطات العلمانية فى الاسلام الذى اشتهرت به والذى يدعى خطأ نسبتها الى العلم الذى أصبح من قوى القرن العشرين الكبرى وهذه الكلمة التى ينطق عادة بكسر العين وسكون حرف اللام هى ترجمة ركيكة ترجمها الشوام للكلمة الأوربية . . . . . ولها نظائر فى لغات أخرى والنطق الصحيح لهذه الكلمة يكون بفتح العين واللام ووضع الف بعد العين فتكون (العالمانية) لتدل بذلك على معناها وهو النزعة الدنيوية المهتمة بشئون هذا العالم .

وهكذا نرى أننا أمام مغالطة مقصودة أو غير مقصودة اذن فنحن أمام مصطلح منقول عن البيئة الغربية وليس له نظير فى العربية أو فى الفكر الاسلامى وهو يحمل وراءه ثقل قرون من المفاهيم والممارسات الغربية فى مجال الدين والحياة السياسية والاجتماعية فضلا من أنه يتعلق بدين غير الاسلام .

والكلمة بهذه الصورة تكشف لنا عن أن الدعوة بأسرها تقع فى سياق حركة التغريب والأوربية والاستعمار الثقافى الذى يعانى منه عالم الاسلام منذ اكثر من قرنين من الزمان والتى يعتمد على أسلوب تصوير مفاهيم وافكار الغرب على أنها مطلقة عامة أو أنها الحق الذى توصلت اليه البشرية فى تقدمها المضطرد .

والفكرة العلمانية هى احدى دعائم الخطة التى تهدف من خلال الهجوم على الدين وفصله عن شتى نواحى الحياة والمجتمع الى أحداث فراغ عقائدى وفكرى تملأه بعد ذلك فلسفات ونظريات الغرب ورؤاه الحيانية فلا عجب أن تكون العلمانية هى الذراع الأولى للتبشير الصليبى وجناحه السلبى العدو المجهز لضرب الاسلام واخلاء الساحة منه بالفكر وليس بالحديد والنار .

ومن المؤكد أنه لا توجد أى علاقة بين العلمانية وبين العلم والمعرفة فهى لا دينية أو لا اسلامية تتمثل فى أنظار واتجاهات مروجى هذه الفكرة ، حيث تنكر العلمانية ما هو معلوم من الدين بالضرورة مثل وجود الشرع الاسلامى ووجود الحكم به .

وقد طرحت العلمانية من خلال المستشرقين أو من خلال أتباعهم وكانت الجامعات والمدارس السائرة فى ركاب المذاهب الغربية هى أول من بشر باللادينية فى الميدان التعليمى حيث فصل الدين عن المناهج وبدات دراسته كمجرد ظاهرة بشرية وضعية وعندما يذكر الدين فى بعض المقررات وفى مجالات الفنون والآداب والباليه والسينما من خلال مضامين ورؤى وضعية بحته لا يفسح اى مجال لتصور دينى ومع هذه التأثيرات والمنقولات سرت اللادينية الى جسد المجتمع ككل تدعمها العادات والممارسات .

ان أول محاولات العلمانية فى ضربها للاسلام تمثلت فى حصار كل القوى والاتجاهات التى تمثل الاسلام تحت مختلف الشعارات فالتيار السياسى تشوه صورته ويوصف تارة بالتعصب واخرى بالعمالة ، ثم ينعت بالرجعى والسلفى كل ذلك بفضل سيطرة العلمانيين على أجهزة الاعلام ، وقد هوجمت اللغة العربية لغة

القرآن وطرحت العاميات المختلفة بديلا عنها كما طوردت هوادة العادات والسلوكيات والقيم الاسلامية ووضعت بالتخلف أمام ممارسات الغرب ثم توسع الهجوم ليصل الى الاسلام نفسه بالتشكيك فى السنة النبوية المطهرة والدعوة الى تأويل القرآن على غير أسس المفسرين وآراء الشريعة وتعديل مفهوم الاجتهاد الفقهى ليتحول الى مجرد مسوغ لادخال المبادىء الغربية بل والعلمانية على الشرع الاسلامى .

فالعلمانية ليست دعوة فكر بل ايدلوجية قمع وقهر لا تتجلى حقيقتها الا بتدبير ظروف طرحها والجهات المساندة لها والأحداث المقترنة بها .

* * *

والعلمانيون يزعمون أنهم حريصون على الاسلام وعلى حمايته من عالم السياسة والمجتمع ، وما يدور فيه من تعليقات وسلوكيات تخل بقداسية الدين وتحط من شأنه وهم بهذه الحجة يبدون اكثر حرصا على الدين .

ويرفع العلمانيون شعار أنهم اذ يريدون الفصل بين الدين والدولة لا يضر بالاسلام . مع العلم بأن هذا الشعار فى حد ذاته اضاعة للاسلام واصل الشعار الغربى هو فصل الكنيسة وليس الدين عن الدولة . والاسلام دين تجسدت فيه كل الكيانات ففصله عن الدولة يعنى فى الواقع فصله عن الحياة وقتله لأنه دين سياسى اجتماعى .

ان الاسلام يسعى لاقامة مجتمع ايمانى فى كل نشاطاته على تعاليمه وشريعته وليس الى اقامة دار عبادة توصف بالروحية .

ان الهدف الحقيقى للعلمانيين هو ابعاد الاسلام عن مراكز التوجيه والفعل والوجود المؤثر ، اما دعوى العلمانيين عن غياب البرنامج الاسلامى فاننا نسأل العلمانيين انفسهم أين برامجهم وهم يملكون زمام الأمور منذ منتصف القرن الماضى لقد نقلوا النشر المباشر والفج عن مذاهب الغرب ليطبقوها بدون تعديل على البيئات الاسلامية التى يسيطروا عليها ، وقد فشل البرنامج العلمانى فى تقديم اى شىء سوى مقولات حرفية لم يكترثوا حتى بتطويعها ولو ظاهريا للأوضاع المحلية ومع ذلك فقد وجدت برامج اسلامية فى كل الميادين سواء على المستوى النظرى أو العملى ، تقدم الاسلام حركات للكفاح العسكرى والسياسى فى الصراع ضد الاستعمار وتصدى مفكروه على طوال القرن للفكر اللادينى والتغريبى وطرحوا فى مقابله الرؤية الاسلامية .

ووجدنا مئات الدراسات التى تتناول اجتهادات اسلامية فى الاقتصاد وشئون المجتمع والحكم والادارة حتى تصل الى أدق التفاصيل ويعمل العلمانيون لطرح موضوع الوحدة الوطنية وهم فى الحقيقة ورثة العلمانيين الغربيين الذين حاربوا المسيحية حربا مركزة وكان هدم معظم أركانها على أيديهم بل انهم انكروا الكتاب المقدس ووصفوه بالأساطير وسخروا من عقائده الرئيسية وشككوا حتى فى وجود مؤسسها .

(دكتور محمد يحى)

* * *

الشيخ صلاح ابو اسماعيل

رايت الدكتور فرج فوده يتحامل على الاسلام دولة بحجة أنه اذا سقط الحكم فى أيدى المطالبين بالشريعة الاسلامية فسيحكمون بما سماه (الحكومة الدينية والحق الالهى) .

ولعله قرأ كثيرا عن الحكومة الثيوقراطية فى الغرب واعتقد ان الدكتور فرج فوده لو قرأ خطبة ابى بكر الصديق لنفى عن الاسلام هذه الغشاوة ، وكانت عندما تولى أمر الخلافة (انى وليت عليكم ولست بخيركم) فهو ينفى أن يكون له مزية يجرها اليه توليه الحكم فهو بشر مثلهم ثم يقول (فان أحسنت فأعينونى) وان اخطأت فقومونى ، فليس هناك حق الهى ادعاه ابو بكر وانما وضح أنه عرضه للاحتمالين على حد سواء ، ثم لم يطالبهم بطاعة عمياء فقال (أطيعونى ما اطعت الله فيكم) لأنه يعلم ان ولى الأمر فى الاسلام يستمد طاعة الرعية له من طاعته شخصيا لله . والاسلام يعيب على الذين يحكمون بالحق الالهى يقول تعالى (ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) .

فأبو بكر يوضح أن طاعة الرعية له نابعة من طاعته هو لله (اطيعونى ما اطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم) فليس هناك اذن حق الهى يحكم به ثم يقول : الضعيف عندى قوى حتى آخذ الحق له والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه) فالعدالة المطلقة ما زالت حتى الآن بكل شموخ العدالة تتمثل فى دستور الحكم ، عدالة تتجرد من التحامل على عدو .

ان الرسول رفض شفاعة أسامة بن زيد عندما شفع لامرأة تنتمى الى أسرة كبيرة . وقال أتشفع فى حد

من حدود الله ، انمــا أهلك من كان قبلكم أنه اذا سرق فيهم الشريف (يعنى القــوى) تركوه واذا سرق فيهم الضعف أقاموا عليه الحد .

ان الحكم بالحق الالهى رفضه الرسول صلى الله عليه وسلمنفسه عندما مرض مرض الموت فقد استدعلى رجلين وصعد المنبر وقال : ايها النــاس من جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليقتص منه ومن كنت أخذت منــه مالا فهذا مالى فليأخذ منه .

اذن فقد راى انه بشر وانه نبى وانه يطبق عليــه شرع الله .

ويعارض دكتور فرج فوده أنيطبق الشريعة ومنها مثلا حد الزنا فانه أن طبق فتحدث عدة مشاكل منها أن تطبيق حد الزنا معناه أننمنع الرقص الشرقى وهو لايريد أن نمنعه وسوف يمنع الســفور لأنه مثير للغرائز وهو لا يريد ذلك وسوف يمنع الاختلاط وهو يؤيده وتغلــق الملاهى والمراقص وهو لا يريد اغلاقها ، اذا كان دكتور فرج فوده لا يريد أن نعاقب زانيــا أو زانية ولا يريد أن نسد الذرائع المؤدية لهذه الفاحشة ، فاســمحوا لى أن أقول له . أتريد للبشرية تنحية الأسلام عن مكانه كنظام للدولة وبالطبع ما دمنا سننحى الأسلام فلابد من تنحية اليهودية والمسيحية لأن الأديان السماوية كلها أجمعت على تحريم الزنا .

اذن فالدكتور فرج فوده معارضالاسلام والمسيحية واليهودية ويريد أن يطلــق للغرائز العنــان ، اذا كنت ترى هــذا الراى فهل تراه لعرضك ولأعراض النــاس أجمعين ، أن قلت أراه لعرضى كما أراه لأعراض الناس فقد أصبحت لا تؤتمن على توجيه المجتمع وان قلت أراه لأعراض الناس ولا أراه لنفسى فتلك انانية تجعلك غير أمين على المجتمع لأنك اتخذت مذهب الغرب الذى أباح اللواط والزنا تحت اسم الحرية .

* * *

العلمانية ليســت عقيدة أو ايديولوجية تنظم فكر اتباعها كبديل للاسلام ونظمه ولكنها مجرد فكرة نادى بها الأوربيون فى عصر النهضة لمواجهة استبداد الكنيســة فى العصــور الوسطى ، أرادوا بهــا أن يحجمــوا دور الكنيسة فى الحياة العامة وذلك بجعل الدين مجرد علاقة بين الانسان وربهومجرد شعائر ولكن الملحدينالمعاصرين استغلوا تلك الفكرة فى حربهم الشعواء ضد الاســلام وقالوا : نحن نقبل الاسلام دينا ولا نقبله شريعة وبذلك تخــلو لهم الساحة فيتصــارع كل مذهب مع الآخر مثل الشيوعية السوفييتية ، والوجوديةالأوربية والبرجمانية الأمريكية والصهيونية الاسرائيلية ولكن الملحدين الجدد لن يكتفوا بهذا بعد أن يتحقق لهم عزل الاسلام عنالحياة العامة وســيعز عليهم أن يتركوه فى المســاجد ولذلك فسوف يتحولون اليها ليهدموها على أهلها وعلى سبيل المثال توجد منشــورات ومجلات غير دورية تصــدرها الخلايا الشيوعية يشرحون فيها لاتباعهم مخططهم الذى يدعو الى العلمانية كمرحلة مبدئية يقضــون بها — كما يتصورون — على الاسلام الذى يعتبر أكبر مشكلة تواجه الشيوعيين فى العالم وقد اتضح أن العلمانية اليوم ماهى الا واجهة ارتضيتها كافةالمذاهب اللا اسلامية والالحادية منهــا على وجه الخصوص لأبعاد الاســلام عن دوره الحضــارى فى قيادة المســلمين ، كخطوة أولى تخــلو الساحة بعدها لكافة هذه المذاهب المتصارعة فيما بيها والمتحــدة على أمر واحد مرحلى هو محــاربة الاسلام والكيد له منخلف ستار العلمانيةوهكذا وقف الوضعيون والماركســيون والوجوديون والبرجمانيون والصهيونيون على الرغم مما بينهم من خلافات فكرية وعقائدية حادة فى معســكر واحد وسموا انفســهم بالعلمانيين لكى ينطلى الأمر على السذج من المسلمين واســتكمالا للخداع فهم لا يهاجمون المعتقدات الاسلامية ذاتها حتى ينعتهم أحــد بالــكفر ولكنهم يهاجمــون شرائعه وحدوده وأخــلاقه وشــعائره ، مستخدمين كل الأدعاءات المتــكررة التى أصابها الجمود والمنقولة من أساتذتهم المستشرقين كعدم صــلاحية الشرائع الاسلامية للتطور ونقضــها للوحدة الوطنية واحتوائها على الكليات دون التفصيلات .

وبالجملة فان الدعوة العلمانية ما هى الا خليط من الأغاليط الملتوية التى يقف وراءها قوم يكرهون الاسلام أشد الكراهية ويعلمون قبل غيرهم أنها لا تحمل أى قدر من المنطق أو الموضوعية فكيف نرتضى الاســلاميون أن يبددوا طاقاتهم فى محاورة هؤلاء واعطائهم فرصةالتطاول على علمائنا الأجلاء بحجة الخوف على الجماهير المسلمة من أن تنخــدع بتلك المفــاهيم الغربية المتغــربة التى يلصقونها بالاسلام وهو منها براء ، مع أن هذه الجماهير لم تصل الى درجة السذاجة التى تجعلها تتعلم دينها من هؤلاء .

ليست المقولات العلمانية هى التى تحتاج الى الرد ولكن هى المذاهب الفكرية الألحادية التى ينتمى اليهــا هؤلاء العلمانيون ونسب كل منهم الى المذهب الذى ينتمى اليه ومعاملته على هذا الأساس .

ونحن بهــذه الطريقة ندور فى حلقة مفرغة تناقش أفكارهم الزائفة المتعلقة ، وندع افكارهم الحقيقية الملحدة

تنخر فى عقول شبابنا ، هذه هى محاولة العلمانية لتفريغ الاسلام من محتوياته مع العلم بأن الاسـلام دين جامع لايقبل التجزئة . وأن محاولة قبول بعضه ورفض البعض الآخر انكار له .

علينا أن نتجـاوز هذا الصراع الوهمى مع الأفكار العلمـانية وتكون مسـئوليتنا الحقيقية مهاجمة الفـكر الماركسى ذاته والفكر الغربى بوجه عام وبكافة مدارسه الوضـعية والوجودية والبرجمـانية الى آخر ما ينتجه الغـرب من مذاهب يتلقفهـا العرب المبهورون بهـا فى عبودية كاملة .

(محمد ابراهيم مبروك)

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

الباب الرابع

الهجوم على تاريخ الاسلام

١ ــ المدخل الى البحث

٢ ــ كتابات عبد الرحمن الشرقاوى

٣ ــ كتابات حسين احمد امين

٤ ــ ادعاءات نور الدين فرحات

الباب الرابع

[illegible]

1 — [illegible]

2 — [illegible]

3 — [illegible]

4 — [illegible]

الفصل الأول

مدخل الى البحث

كان من أخطر محاولات الحملة على الاسلام : تلك المعارك المثارة ول تاريخ الاسلام والغض من شأنه وانتقاصه وتشويهه وتجاهل جوانبه الخصبة والعامرة بالبطولة والأمجاد والتركيز على روايات مشبوهة ناقصة

ولما كان تاريخ الاسلام هو كوة الضوء ومصدر الضياء الكاشف للشباب المسلم وللأجيال المتوالية ذلك الايمان العميق الذى ملأ شغاف القلوب ودفع أصحابه الى بذل أنفسهم رخيصة فى سبيل اعزاز الاسلام وحمايته ونشره ، فقد باعوا أنفسهم لله تبارك وتعالى ايمانا بوعده الحق بالنصر أو الشهادة وبالجزاء الأخروى

وكانت تلك القضية هى الخطر الذى أزعج دوائر الاستشراق طويلا ، كيف انتصر المسلمون بالعدد القليل على العدد الأكبر من أعدائهم وكيف قامت الدولة الاسلامية من حدود الصين الى نهر اللوار فى أمد قصير لم يبلغ ثمانين عاما بينما لم تقم الامبراطورية الرومانية الا فى خلال ألف عام ونسوا أن الايمان والتضحية وبذل النفس كان عاملا من العوامل الضخمة القادرة على كسب المعارك ايمانا بقانون السماء .

(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) .

ومن هنا فقد ركز خصوم الاسلام على تاريخ الاسلام يبحثون فيه ويحاولون استخراج بعض الأحداث والروايات ظنا منهم أنهم يستطيعون بذلك تعكير هذا البحر الزخار ، واعتمدوا فى ذلك على كتب غير محققة وعلى روايات ملفقة ، وعلى أحاديث مدخولة ، وكلام مختلف من أساسه . وأكاذيب منتقاه .

وقد فتح لهم هذا الباب عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين بكتابه عن الفتنة الكبرى وكتابه (الشيخان) ، وسار فى الطريق عبد الرحمن الشرقاوى ثم حسين أحمد أمين وفرج فوده وكان جرجى زيدان (سواء فى كتابه التمدن الاسلامى أو فى روايات الاسلام) قد قدم لهذه المعركة الكبرى ، ولكن الباحثين ظلوا عمرا طويلا لايقبلون جرجى زيدان ولا سلامة موسى ولا لويس عوض لأنهم يعلمون وجهتهم وعقيدتهم ، ولكن الخطر كله كان يتركز فيمن يتسمون بأسماء المسلمين .

ويمكن القول أن جرجى زيدان هو أول من حاول تصوير الخلفاء والصحابة والتابعين بصورة الوصوليين الذين يريدون الوصول الى الحكم بأى وسيلة ولو كان على حساب الدين والخلق القويم فكان عمله فى تجريح الصحابة واتهام بعضهم بالحقد وتبرير المؤامرات . وكان هذا هو المنطلق الذى سارت عليه هذه المحاولة حتى اليوم .

الهدف هو تغيير نظرة الشباب المسلم الى زعماء الاسلام وأبطاله على نحو يجعلهم يحسون بما يقلل من مكانتهم وتصورهم على أنهم كانوا يتصارعون على المناصب أو المغانم ، وكان المطلوب هو اخفاء هذه المحاولة الخطيرة وراء مظاهر براقة من التصوير الفنى أو العاطفى على النحو الذى ابتدعه جرجى زيدان . وركز عليه طه حسين وطوره عبد الرحمن الشرقاوى وغيره .

ولكن هذا الأمر لم يخف على حراس اليقظة الاسلامية فكشفوه وزيفوه وردوه وكتبوا عنه بما يقرر حقيقة موقف الاسلام الصحيح منه .

وقد حملت هذه الكتابات ادعاءات باطلة منها :

الزعم بأن عمرو بن العاص هو الذى أحرق مكتبة الاسكندرية بأمر من عمر بن الخطاب جريا وراء رواية باطلة لم تؤيد جاءت فى كتاب عبد اللطيف البغدادى وقد أجمعت كل المصادر المعتبرة على كذبها ومنها ما ادعاه على كثير من الصحابة وما أدخله فى قالب قصصى فى رواياته عذراء قريش وفتاة غسان فى حين أنه ليس لها وجود حقيقى ، وهو لم يلتزم بالوقائع التاريخية

الصحيحة فاختلق شخوصا ونسب الى بعض الشخصيات الاسلامية البارزة ما ليس فيها .

وعنـــدما نوقش فى هـــذا أقر فى هلال مايو ١٨٩٩ بخطاه فى هذه الوقائع وحاول أن يدافع عن نفسه ولكن دفاع الطائر الذى وقع فى شبكة الصياد وانتهى ما كتبه فى الهلال وبقيت الروايات يعاد طبعها عاما بعد عام كأنما هى حقيقة .

ولكن جرجى زيدان لم يكتف بالتقول على الاسلام ورجاله فى رواياته وانما كان ذلك شأنه فى كتاب التمدن الاسلامى . فعاب العرب وحكم على بنى أمية بأنهم شر الناس وقال ببشرية القرآن وشك فى مصـــادر العربية الأولى ومدح بنى العباس لأنهم انزلوا العرب منزلة ضعيفة واثار الشكوك حول البطولات الاسلامية وتعمد اغفـــال الحوادث التاريخية المهمة مع التلاعب بالمصادر .

* * *

الفصل الثانى

كتابات عبد الرحمن الشرقاوى عن تاريخ الإسلام والصحابة

الشيخ محمد الغـــزالى

● هنـــاك قوم يتخيلون أن الاسلام دين شيوعى ويطوعون النصوص ويفسرون الوقائع لخدمة فلسـفات شريرة وكان الله أرسل رسله ليمهدوا لكارل ماركس .

● التراث بالنسـبة للعرب هو وجودهم الأدبى كله وأعداء الله يريدون أن يقطعوا يومنـا عن الأمس الزاهر لتلتحق بقطار يجرى ذات اليمين وذات الشمال .

● فوجئنـا بمن يعوض فى تراثنـا ليحرف الكلم عن مواضعه ويبرز لنا سلفنا الأول أقزاما ملتـاثين لنقتنع بفلسفة أخرى ونستبدل بوحى السماء هوس الأرض .

● ننصح من يتلمسـون العيوب لأشراف الناس أن يستحوا ورغم ذلك فان أقدار الرجال لا تهدم بهـذا الافتراء .

● على ابن أبى طالب ليس ضد رأس المال اذا أدى ما عليـه من حقوق والا لمـا طالب بأرض (فدك) هو وزوجته وهى بتعبير عصرنا (عزبة كبيرة) .

* * *

الهجوم شديد فى هذه الأيام على تراثنا فأعداء الله يريدون تحويل الهزائم العسكرية للإسلام الى انسحاب عام من كل ميدان بل الى انحدار شامل يقطع يومنا عن الأمس الزاهر ويجعل المسلمين أمما مقطعة محصورة ، تجهل كل قطعـة منبتها ومصيرها وتفقد القـدرة على الحركة الذاتية فلا يبقى أمامها الا أن تلتحق بقطار آخر ذات اليمين وذات الشمال ولا يسـتقر أبدا على الصراط المسـتقيم ، كذلك يريد الغزو الثقـافى ، وبهذا يتحرك بمناسترته فى الصحف وسائر مجالات الأعلام ولكننا لهم بالمرصاد سنقاومهم ونهزمهم بإذن الله ونستنقذ الاسلام من هذه المآزق المرسومة له .

ونحن نعرف أن أمة سـلخت أكثر من أربعة عشر قرنا وهى تحمل رسالة كبيرة لابد أن تكون لهـا سلبيات وايجابيات وهزائم وانتصارات وأرى الا نفر من أخطائنا بل نحاسب أنفسنا عليها فذلك أحرى الا نقع فيها ، أن دراستنا للتراث قاصرة بل لعلها جزء من الغيبوبة التى نالت منـا ولا تزال ، وقد كنـا الى أمد قريب نحـارب الاستعمار الثقافى الذى يريد اقتلاعنا من جذورنا ويشدنا الى ملل ونحل لا نعرفها ولا نريد أن نعرفها حتى فوجئنا بمن يغوص فى تراثنا ليحرف الكلم عن مواضعه ويبرز لنا سـلفنا الأول أقزاما ملتـاثين أو سباعا تتهارش على أعراض الدنيا . أن القاصى والدانى يعرف أنبـاء الفتنة الكبرى التى وقعت فى صدر الاسلام ولمـا كانت دراسة المـاضى تقع للعبرة لا للتجريح وللبناء لا للهدم فان أئمة الفقه والتاريخ والتوجيه العام قالوا :

دماء طهر الله أيدينا منها فلا نلوث أفواهنا بها .

وقد حكمت كثرة المسلمين بأن فلانا أصاب وفلانا أخطأ وكان ذلك عن اجتهاد يعرفه العيوب وما وراءه عن قصد ، وسيحكم بينهم فى اللقاء الأخير ، ونحن ننظر فى ما حدث ونقرأ قوله تعالى :

(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولـكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) .

ولمـا كان الأمر شـديد التعقيد فقد دعـونا الى تقريب الفوارق بين أهل السنة والشيعة وحاولت تجفيف المنابع أو تخفيف المنابع التى ترسخ بالحقد ، وتفيد أعداء الاسلام وحدهم واذا بالأسـتاذ عبد الرحمن الشرقاوى ينشر سلسلة تحت عنوان : (على امام المتقين) ينكأ بها الجروح القديمة ويحيى بها الطائفية الهـامدة ويشحن السلسلة بأخطاء وأهواء توقظ الفتنة وتشغل المسـلمين المعـاصرين عن مواجهة خصـومهم الى محاكمة الموتى ونسـبة جرائم كاذبة الى رجال ونسـاء أبرياء ، لقـد

ادركت منذ مدة ان الكاتب ميال الى الشيوعية وانه مع نفر من رفقائه الفوا ما سموه باليسار الاسلامى وكان عرض التاريخ الاسلامى من زاوية الفلسفة المادية نصيب الأستاذ الشرقاوى فألف كتابه (محمد رسول الحرية) على اساس ان الاسلام مظهر للصراع بين الطبقات وأن الأصنام تم نصبها حول الكعبة لأسباب مادية وتم هدمها كذلك لأسباب اقتصادية . ولقد اعترض الأزهر على تداول الكتاب وكتب مفندا ما جاء به ، ولكن الكتاب بقى لأن رجال الثورة يريدون بقائه ، ومضى السيد الشرقاوى فى طريقه يفسر الوقائع بمعايير الفكر اليسارى ويقرأ كتب التاريخ غير مميز بين حقيقة وشائعة وبين صحيح وموضوع ، وغير مدرك لمكانة الرجال الذين يتحدث عنهم فجاءت مقالاته بعيدة كل البعد عن المنطق العلمى كما جاءت بعيدة الأثر فى الاساءة الى الاسلام والصحابة والى الآمال المرجوة فى الصحوة الاسلامية وجمع الشمل ، وهناك نماذج من المقالات القليلة التى وقعت فى يدى قال : ان عليا رضى الله عليه خطب الناس (انما انا بشر مثلكم فان قلت حقا فصدقونى ، وان قلت باطلا فردوا على ، انشدكم الله ، اتعلمون أن رسول الله قبض وانا أولى الناس به وبالناس من بعده فقالوا : اللهم نعم ، قال قعدتم عنى وبايعتم ابا بكر فأمسكت ولم احب ان أشق عصا المسلمين وأفرق جماعتهم ثم أن ابا بكر جعلها لعمر من بعده فكففت ولم اهج الناس ، وقد علمت انى كنت أولى الناس بالله ورسوله ومقامه فصبرت ، ولما قتل عمر وجعلنى سادس ستة لم أحب أن افرق بين المسلمين الخ) .

يقول : هذه خطبة مكذوبة على على رضى الله عنه وهى تعنى أمورا هائلة ، تعنى أن الخلفاء الثلاثة كانوا مغتصبين حقا ليس لهم ، وانهم طلاب دنيا وعشاق رئاسة وان جمهور الصحابة جبن عند مناصرة (على) صاحب الحق المقرر ، وباع كذلك دينه ارضاء لأبى بكر وعمر وعثمان : اى ان نبى الاسلام فشل فى انشاء جيل يصون الأمانات ويؤديها لأصحابها وأن أركان دولة الخلافة كانوا خطائين : هذا هو المحور الذى يدور حوله الكاتب .

ومن اليسير بعد ذلك طعن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وما قيمتهم اذا كان أبو بكر وعمر وعثمان اغتصبوا ما ليس لهم ، وعندى أن الاسلام كله سوف ينهار اذا تقرر أن جمهور الصحابة كان على هذا النحو الهابط الذى ابرزهم به الشرقاوى .

٣ ــ وكذبة أخرى : روى الشرقاوى أن امراة جاءت الى أم المؤمنين عائشة بعد معركة الجمل وسألتها : يا أم المؤمنين : ما تقولين فى امراة قتلت ابنا لها صغيرا ، فأجابت عائشة : وجبت لها النار قالت المراة (وكان لها ولدان قتلا فى المعركة كما يحكى الشرقاوى) فما تقولين يا أم المؤمنين فى امراة قتلت من أولادها المؤمنين الكبار عدة آلاف ، فصرخت عائشة : خذوا بيد عدوة الله ، ثم بكت وتشنجت وغشى عليها . ان ادخال عائشة النار امتداد لتفسير رافض متداول بين أصحابه جاء فيه أن عائشة بنت ابى بكر وحفصة بنت عمر هما المراتان اللتان عنتهما الآية الكريمة (واذ اسر النبى الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض ــ الآية) وان الله اشار الى حال المراتين وعاقبتهما عندما قال فى آخر السورة : ضرب مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط الى قوله وقيل ادخلا النار مع الداخلين وهكذا بعد القضاء على سمعة ابى بكر وعمر ، يقضى على ابنتيهما وهما من أمهات المؤمنين ليتوهم القراء أنهما من أهل النار ، وقال الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى فى ارض فدك التى طالب بها على وفاطمة بامتلاكها ميراثا عن النبى صلى الله عليه وسلم : ان فدك ملكها اليهود من بنى النضير من زمن بعيد ، حتى اذا كانت السنة السابعة من الهجرة جاءوا الرسول ودخلوا فى الاسلام طائعين بغير حرب فطلب المسلمون أن تقسم عليهم ارض فدك كغيرها من الغنائم فنزل قوله تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء .. الآية وهذا كلام ينطوى على فوضى وجهل ، فلو فرضنا زورا أن فدك لبنى النضير وأن بنى النضير اسلموا فلماذا تؤخذ منهم أرضهم ، وهل يعنى ذلك الا ان المسلمين قطاع طريق ، والصحيح أن فدك ليست لبنى النضير وأن بنى النضير لم يسلموا ولم يفكروا يوما فى اسلام وأنهم حاولوا قتل النبى عليه الصلاة والسلام عندما كان بينهم فى بعض الشئون التى تفرضها المعاهدة المعقودة معهم ، وكان ذلك فى السنة الثالثة من الهجرة فلما أحس غدرهم انسحب وأعلن عليهم الحرب وحاصرهم حتى توقع فى صفوفهم الفزع وأخيرا جلوا عن المدينة ونزلت فيهم سورة الحشر أو سورة بنى النضير وفى هذه السورة يقول الله سبحانه وتعالى فى وصف يهود بنى النضير ، (ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) فكيف يوصف هؤلاء بأنهم اسلموا .

أما (فدك) فتقع فى شمالى المدينة على طريق خيبر وقد كادت العلاقات بين المسلمين واليهود تسوء سنة بعد اخرى وكان اليهود لا يفتأون يكيدون للرسالة الخاتمة ويبيتون الشر للرسول وصحبه فرأى النبى أن يجهز على نفوذهم العسكرى وان يهدم حصون خيبر التى يستندون اليها فسار اليها فى السنة السابعة وتمكن من الاستيلاء عليها وكانت (خيبر) اغنى واقوى مستعمرات اليهود فى الجزيرة العربية فلا عجب اذا استسلمت فدك وتيما ووادى القرى وبذلك زال الخطر اليهودى وتفرغ المسلمون لتأديب الوثنية التى طاعوا لقوا منها الويل .

٣ — وهناك قضية وهب لها الأستاذ الشرقاوى فكره ونشاطه ويريد أن يجر الاسلام اليها جرا دون هواده :

هل للمسلم أن يدخر أو يكتنز بعد أن يؤدى الحق المقرر عليه فى ماله ، أم يجب أن يمسك شيئا عنده فوق حاجته . الأستاذ الشرقاوى يؤكد انه لا يجوز استبقاء شىء لصاحبه فوق نفقته العادية ، وما زاد ينبغى أن يوجهه الى الأمة الاسلامية الممتدة شرقا وغربا ، اى انه ميال الى نظرية (كارل ماركس) لكل حسب حاجته ولكنه يصور الرأى الذى اتاه بأنه فقه الكتاب والسنة وان الرأى الآخر هو مذهب عثمان ومعاوية وكعب الأحبار ، فهل هذا التصور صحيح ، وهل حقا يرفض الاسلام أن تكون للأفراد مدخرات شخصية بعد ما ادوا الحق المعلوم ، أو بتعبير أصرح : هل حق التملك واهى الأركان على هذا النحو وان مبدأ الملكية ليس له عند الله سند أو جاهه ؟ الذى تعرفه ويعرفه جمهور المسلمين أن مبدأ الملكية له احترامه التام بشروط (١) أن يكون التملك من وجوه الحلال فلا تقبل ملكية عن طريق محرم أو مشبوه (٢) أن يؤدى المالك الزكوات المفروضة عليه فى أصناف المال التى يملكها (٣) أن يلبى مطالب الدولة فيما تفرضه من ضرائب أو خراج بالتعبير القديم لصيانة المجتمع مدنيا وعسكريا .

* * *

وعيب الأستاذ الشرقاوى وأمثاله انهم يريدون تطويع النصوص لمذهب ردىء وتفسير الوقائع لخدمة فلسفات شرها أضعاف خيرها كأن الله ارسل الرسل ليمهدوا لكارل ماركس .

وهو يحاول أن يجعل على بن ابى طالب ضد رأس المال مهما ادى ما عليه من حقوق ، وهو يحاول أن نجعل عثمان كأحد الباشوات أو اللوردات الذين يشبعون شهواتهم ويلهون المجتمع بفضول اموالهم .

* * *

أكان ابو ذر يحرم الكنز ويتجه الى ما نسميه اليوم الشيوعية على عكس عثمان الذى كان رأسماليا مترفها كما يزعم البعض — قال بن تيميه : أن الخلفاء الراشدين وجماهير الصحابة والتابعين على غير ما يقول ابو ذر فالكنز المحرم هو المال الذى لم تؤد حقوقه . وقد قسم الله المواريث فى القرآن الكريم ولا يكون ميراث الا من مال مدخر وفى الحديث لا تذر ورثتك عالة يتكففون الناس) .

حق ان ابا ذر هاجه الترف المقبل والتوسع فى النعيم فتحرك ضد ما رآه من تغير فى سير الجماعة الاسلامية وتغير فى نتائجه وشرع يهاجم اصحابه ففهم الناس من كلامه ما فهموا والرجل فى نظرى لم يتوهم ان الغنى جريمة وان من اخرج حقوق المال يعتبر عدوا للشعب . ويكذب على عثمان من يزعم انه نفاه يرغمه الى هذه الضاحية .

وقال الأستاذ الشرقاوى أن عثمان نفى عليا الى ينبع ولا أعرف من أين جاء بهذا .

* * *

وقد شعرت بعد طول تأمل فى سيرة عثمان — ان الرجل جنى عليه نبله الغريب وحياؤه الشديد ، وايثاره ترك حقوقه عن التعرض لطلبها ممن يطمع فيها .

وتستطيع معرفة هذه النفس الزكية من مسلكه عند واجه الفتية المحيطين به ، قال من صاحب سبل السلام :

صح ان عثمان رضى الله عنه منع عبيده أن يدافعوا عنه وكانوا اربعمائة مسلحين وقال من القى سلاحه فهو حر ، لقد سمع الحديث المعروف (تكون فتن فكن فيها عبد الله المقتول ولا تكن القاتل .

واستطالت السنة السوء فى عثمان .

* * *

وذكر الأستاذ الشرقاوى ولا أدرى لماذا ـ وصفا لما كان بينه وبين عروسه نائلة ، اخلعى كذا ، ثم اخلعى كذا ثم .. على نحو ما تفعله الراقصات اللاتى تتعرى للنظارة فى المسارح الأوربية القذرة فكان المؤرخ الكبير ينظر من ثقب الباب . وكان يثبت بهذا المجون أن عليا سيد المتقين أن عثمان ـ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل تستحى منه الملائكة . وقد ظلم حيا وميتا وهو على أيه حال ممن تتناولهم الآية (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بايمان رضى الله عنهم ورضوا عنه) .

وقد حكى الأستاذ الشرقاوى أمور تنال من مكانة عدد من الصحابة عندما تولوا مناصب كبيرة وهم أبرياء كل البراءة مما قذفوا به .

وننصح اخيرا لمن يلتمسون العيوب لأشراف الناس أن يستحوا وعلى أية حال فان أقدار الرجال لا تهدم بهذا الغباء فلا ابو هريرة ولا ابو موسى ولا سعد ابن ابى وقاص ولا غيرهم افتاتوا على مال الأمة ، أو نالوا منه ما ليس لهم بحق .

وتزكية على ابن أبى طالب لا تتم بشتم هؤلاء الأكابر ولا بغمزهم من بعيد .

ثم امر ذوبال : ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو أمام المتقين ، فى الاولين والآخرين ، ثم يجىء بعده فى الفضل الرجال الذين حملوا معه الرسالة وأدوا الأمانة ونشروا الاسلام فى المشارق والمغارب وجعلوا عالميته حقيقة ملموسة وتصدوا بالنفس والنفيس لطواغيت الأرض فكسروا شوكتهم وسحقوا دولتهم ، وأعنى بهؤلاء صحابة رسول الله وفى طليعتهم الخلفاء الرشدون ومن بينهم على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين .

وقد حدثت مآس مؤلمة فى جيل الصحابة الى بساطة العرب فى فن السياسة وعدم تقديرهم لمؤامرات عدوهم وثار المهزومين لانفسهم اليس مما يثير الدهشة ان تكون المدينة مفتوحة لما هب ودب من المجوس واليهود وأشياع الملل التى اجتاحها الاسلام ، فاذا هم يملكون فى داخلها حرية الكيد والفتك .

واذا الخلفاء الثلاثة بعد ابى بكر يقتلون وكانهم ذهبوا ضحايا احقاد شخصية أو ثورات محلية ، كيف يقتل مجوسى عمر بهذه السهولة وكيف يزعم كعب الأحبار انه وجد مقتله فى التوراه . اى توراه : اليس ظاهرا أن المجوس واليهود تظاهروا على ارتكاب جريمتهم فى جو البراءة السائد بين المسلمين .

وكيف قتل سعد بن عبادة زعيم الأنصار قبل أن يقتل عمر ، ثم يشاع أن الجن قتلته ، أى جن .

الم يفكر احد أن الرجل قتل لأحداث وقيعة بين المهاجرين والأنصار وكيف اقتحمت وفود مجلوبة من اقاصى البلاد دار الهجرة ، واصبحت سيرة الشارع الاسلامى وصاحبه السيطرة فيه لتقتل الخليفة الثالث بكل هدوء .

ونحن نراها كتبا جمعت الغث والسمين والخير والشر والحق والباطل وهى كتب تحتاج الى امناء يستخلصون الحق بالنزاهة والمثابرة والمقارنة .

ونحن نقرر بقوة أن روايات جرجى زيدان وكتابات عبد الرحمن الشرقاوى لا تحكى تاريخا اسلاميا محترما فالأول صليبى ينفث ضغائنه على الاسلام بلون والثانى يسارى يريد جعل الاسلام وتاريخه مصبوغين باللون الأحمر والتفكير المادي ويسوق الأحداث سوقا لخدمة هذا الغرض .

* * *

هل صحيح أن الصراع بين التوحيد والوثنية كان صراعا طبقيا كما يقول الأستاذ الشرقاوى ، الأغنياء يدافعون من وجودهم والفقراء عن حقهم فى الحياة الكريمة وعن احلامهم فى عالم أفضل ، أى احلام هذه .

وهل صحيح أن موسم الحج كان ليستثمر هؤلاء الأغنياء أموالهم فى البيع والشراء والربا فيربحون ويرتحون ، وهذه الأصنام هى التى تمنحهم كل سلطانهم على الأجراء والمعدمين والعبيد وابناء السبيل .

وواجه محمد هذا كله بأن الأصنام ضلال مبين فهو يلعن الذين يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها فى سبيل الله ، هكذا يقول الشرقاوى فى تصوير الرسالة الاسلامية : صراع بين الغنى والفقر لا وجود له الا فى دماغ المؤلف .

وآية عدم اكتناز الذهب والفضة نزلت بعد اثنين وعشرين سنة من بدء الرسالة ولا صلة لها بعبادة الأصنام او الحرب التى شنها الاسلام على الوثنية من أول يوم .

حتى الهجرة الى المدينة جعل لها الأستاذ الشرقاوى أسبابا اقتصادية فان المرابين فى المدينة كان ضغطهم اقل والهوان الذى يتعرض له المدينون اخف . تأمل قوله ، هذا مجتمع آخر أكثر تقدما من مجتمع مكة ، هنا علاقات اجتماعية أخرى أكثر قابلية لتعاليم محمد .

فالمرابى اليهودى لم يكن له الحق فى أخذ امراة المدين أو ابنته لاكراههما على البغاء كما كانت تفعل قريش ، وأجير الأرض فى المدينة اعلى درجة من عبيدمكة الذين كانوا يحرسون القوافل والمصارف ... الخ الخ .

ليس فى هذا الكلام ذره من صدق ، والقول بان العرب كانوا يسترقون المدين المعسر ويستوفون ديونهم من ارتفاق إمراته وابنته وارغامهما على الزنا كلام مكذوب ، ما كان شائعا لا فى مكة ولا فى المدينة وبالتالى فلا صلة للهجرة بهذه الأوضاع المختلفة .

ان هذا الكلام ليس تشويه تاريخ بل هو تزوير تاريخ وليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة المطهرة ولا فى السير المؤلفة عن صاحب الرسالة ما ينزل مثل هذا الانطباع الغريب عن الجو الذى بدأت فيه تعاليم محمد (...) كما يصف عبد الرحمن الشرقاوى الاسلام ونبيه وما نزل عليه من وحى ، وانشاه من وحى ، وما تمخض عنه من حضارة .

محمد الغزالى

* * *

(٢)

الأستاذ الشيخ عبد الله الأنصارى

ان الكتابة فى التاريخ تختلف عن الكتابة فى الأدب فان لهما أصولا أخرى مخالفة يعرفها المؤرخون حق المعرفة ويلتزمون بها التزاما كاملا والا سقطت كتاباتهم وخرجت عن نطاق التاريخ الى اى مسمى آخر غيره .

فضبط الرواية والسند مثلا من الأصول المرعية لدى المؤرخ الملتزم ولا يجوز له أن يضفى على المادة العلمية من عند ذاته أى توابل أو مقبلات لكى يرغب فى قراءة كتاباته فانه ان فعل ذلك يحيل عمله هذا الى أى فن آخر غير التاريخ .

اننا مثلا لا نستطيع أن نقول عن كتابات جرجى زيدان فيما كتبه من قصص سماها (سلسلة تاريخ الاسلام) بانها تاريخ أو اسلام ، فالتاريخ والاسلام منهما براء لأنه حشاها — جزاه الله بما يستحق — باكاذيب وأباطيل وافتراءات ، ودس فيها من السموم ما قصد به أن يقتل أمة باكملها لهذا أخرجها العدول الحاذقون من رجالات الأمة الاسلامية فى عصرنا الحاضر من نطاق التاريخ فأصبحت لا تعبر الا عن راى كاتب صليبى موتور حاقد ، لهذا سقطت وخرجت من حيز الكتابات التاريخية وصارت كما مهملا لا يعتد به ، كذلك فان المؤرخ لابد ان يكون ثقة صادقا عادلا فاهما أمينا يدخل للأحداث فيفندها ولا يرجح رأيا على رأى دون سند أو سبب علمى حقيقى يدرك كنهه ويوضحه .

وان كان الكلام فى التاريخ بصفة عامة يعتبر عملا شائكا الا انه فى تاريخ الاسلام يعتبر عملا محفوفا بالمخاطر ، فلا بد من الحرص عند ولوج بابه ولا تزال عبارة الحسن البصرى تقرع فى اذاننا كلما تذاكرنا موضوعا من تاريخ السلف والعبارة هى :

هذه دماء طهر الله منها سيوفنا وأيدينا افلا نطهر منها السنتنا) عبارة قوية تعبر عن أسس أخلاقية كانت لبنة فى التشريع الذى سار عليه رجالات هذه الأمة منذ فجر تاريخها .

* * *

لقد اطلعت على كثير من كتابات الأستاذ الشرقاوى وتوقعت له من البداية ان ينزلق لأنه غير متخصص فى التاريخ فمثله تماما كمثل العلماء الذين يقرضون الشعر ، خصوصا أن هذه الفترة من تاريخ الاسلام التى تناولها تعتبر من الفترات الشائكة فى الكتابة من جهة ولقلة درايته لأنه غير متخصص فى التاريخ من جهة أخرى .

اننا كمسلمين يجب أن نتادب أمام مقام النبوة ومشكاتها فالخلفاء الراشدين وصحابة النبى صلى الله عليه وسلم ولم لا نتادب أمامهم وهم المبشرون بالجنة وفيهم اهل بدر الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر ، حقيقة انهم جميعا بشر ولكن لهم احترامهم والوازع الدينى ينهانا عن أن نتناولهم بما يعيب أو ينقص من قدرهم وقدوتنا وامامنا صلى الله عليه وسلم يقول : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، ويقول أيضا : لا تسبوا أصحابى من سب أصحابى فقد سبنى أو غير ذلك من الأحاديث التى تثبت الميثاق الأخلاقى فى تعامل المسلمين عندما يتناولون حادثة من الحوادث او فترة من التاريخ الأسلامى .

وما من شك فى ان عليا كرم الله وجهه امام هدى يحبه كل تقى ولكن هل ترون ان ما قدمه الاستاذ الشرقاوى تحت عنوان (على امام المتقين) جاء فى عماية فتنة واعصار محنة ، بدليل أنه لم يقدمه فى تقاه ومواقف بطولته وصدقه منذ نشأته ولم يقدمه أيضا فى فقهه وعلمه وجهاده وحسن بلائه وخشوعه وقنوته ، ثم الا تعتقدون ان فى كتابة مثل هذه الكتابات فى وقتنا الحالى مثارا لايقاظ الفتنة من رقادها .

وبالطبع نحن نبجل ونحب امير المؤمنين على كرم الله وجهه فى موضعه المناسب له ممن سبقه للاسلام وقرابته للنبى صلى الله عليه وسلم فهو ابن عمه (أبى طالب) الذى ناصر الدعوة فى فجر بزوغها وحمى النبى من المشركين ايضا ، وعلى هو الذى نام على فراش النبى ليلة الهجرة وهو الذى ناصر الدعوة بسيفه وعلمه وكان لأبى بكر وعمر وعثمان نعم الصاحب والخل — لهذا وغيره فاننا نحبه كما يحب الله ان نحبه ، نحن لا ننكر شيئا من ذلك ولكننا ننكر اقتصار الامامة للمتقين ، فان كان للمتقين امام فهو النبى محمد صلى الله عليه وسلم ولا يستطيع أى مؤمن ان يجرد النبى صلى الله عليه وسلم من هذه الصفة ، ويضيفها الى احد من الصحابة حتى ولو كان ابا بكر أو عمر أو عثمان أو على أو غيرهم رضى الله عنهم أجمعين خصوصا وان القصد كما بدأ من سياق السرد كان مقصودا فيه النيل من الآخرين من سابقيه بالذات . هذه نقطة مهمة كان لابد من اثارتها بدءا لأن الكتاب يقرأ من عنوانه كما يقولون ، وقد كانت عبارات الكاتب فى هذا الموضوع كبراعة استهلال قدمها ليستهدف بالتنقيص من قبله من الخلفاء رضى الله عنهم اجمعين وهذا يدركه كل قارئ متأمل اذا امعن بنظره وذاكرته فيما يقرأ .

اما مايستهدفه الكاتب الشرقاوى من اثارة موضوع يحصل فيه خلاف فى هذه الآونة بين طائفتين أو اكثر من المذاهب الاسلامية فانه جلى ، انه قصد به اثارة شعور تلك المذاهب وايجاد بلبلة وتباغض ، بين تلك الأمم والمذاهب وهنا دخل فى الخطر الكبير الذى جاء عنه التحذير فى بعض الآثار لكونه أيقظ فتنة نائمة فقد ورد (الفتنة نائمة ولعن الله من ايقظها) فكنا لا نختار للكاتب أن يدخل فى هذا الميدان ولا أن يلقى بنفسه فى تلك المخاطر الجسيمة ولكنه أبى الا ان يسلك السبيل المعوج ويترك الهدى المستقيم للقول بوفاق الخلفاء الراشدين وتعاطفهم وتراحمهم وماذا يفعل اذا كانت الأهواء والآراء تختلف فيهدى الله من يشاء ويضل من يشاء والله ولى عباده المتقين .

ولست هنا فى مجال تفنيد المغالطات التى أوردها الأستاذ الشرقاوى — غفر الله له — فهى للأسف كثيرة اكثر من الصواب وكان بالرجل يرمى الى شىء وراء هذه المغالطات غير العلم فابتعد عن الحقائق فماذا يقصد بأوصافه التى أتى بها خياله عن ليلة زواج ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه من نائلة ، وهو الذى كانت تستحى منه ملائكة الرحمن ، ومن أين له هذا الوصف البعيد كل البعد عن العلم وعن التاريخ وعن الحقيقة وأقرب ما يكون الى روايات الجنس ونعوذ بالله من هذا الوصف .

ثم كتاباته عن ام المؤمنين عائشة وعن الصحابة طلحة والزبير وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين وصفهم بأوصاف غير المؤمنين وهم المؤمنون حقا ويشهد الله على ذلك بنص القرآن حيث يقول تعالى :

(لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم) اقول لحساب من هذا الهدم ولأى غرض يقف هذا الموقف من هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم وما هى الخدمة التى سيؤديها الأستاذ الشرقاوى للتاريخ وللدين من هذه الكتابات .

***

(٣)

الأستاذ عبد المعز عبد الستار

فوجئنا بالكاتب الكبير يتخوض مخاضا موحشا صعبا ما كنا نحب أن يتورط فيه وما كنا نحب له أن يتناوله بمثل اسلوبه القصصى السهل خاصة وهو يتناول فيه اشخاصا لهم بلاء وغناء وسبق الى الاسلام والجهاد فى سبيل الله ويصفهم بما لا يليق بأمثالهم فما رفع علينا من وضع رفاته وقد قال صلى الله عليه وسلم :

ما مدحنا من هجا الانصار

كنا ننتظر من الكاتب أن يقدم البنا الامام فى تقاه ومواقف بطولته لا أن يقدمه لنا فى عماية فتنة واعصار محنة ، لقد كنا ننتظر أن يمسك الأستاذ عن الخوض فى هذه الفتنة التى كانت السبب فى الفرقة وانقسام المسلمين شيعا وأحزابا الى يوم الناس هذا ، وهو يعلم ان عماد الدين (الا تفرقوا) والله يقول :

أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم من شيء انما أمرهم الى الله ، ثم ينبئهم بما كانوا يعملون) .

ويعلم أننا نمر بمثلها ونعانى من أقبح آثارها فما كان أغنانا عن اثارتها وصدورنا تنزف منها دما وألما ، وقديما قرر الفقهاء والعلماء والسلف الصالحون ممن ادركوا هذه الفتنة أو جاءوا بعدها وجوب الامساك عن الخوض فيها فان الصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم ولكل منهم وجهة نظر واجتهاد : المخطىء فيه له أجر والمصيب له أجران .

ولقد كنا نتمنى أن يدلو الأستاذ الاديب دور اليهود فى هذه الفتنة التى آثر الخوض فيها وأيضا كنا نتمنى أن ينهج نهج المحدثين وأهل الأثر من نقده الأخبار وحمله الآثار على مقتضى قوانين الرواية والجرح والتعديل الذى ميز الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلا نقبل من الأخبار الا ما رواه عدل عن مثله غير متهم بكذب ولا هوى .

ولكن الأستاذ أصلحه الله راح يسوق الأخبار ومنها الملفقة وكأنها حقائق مسلمة ويبنى عليها اتهامات ويصدر أحكاما قاسية وهى أخبار واهيه لا تحل روايتها فضلا عن اعتمادها فى تقرير حكم أو توجيه لوم خاصة اذا كانت تحمل فى ثناياها دليل بطلانها وكنا نود أن يشير الأستاذ الى مرجع واحد من مراجعه التى اعتمد عليها فان كثيرا من أئمة المؤرخين قد ينقلون الشائعات والأخبار التى لا تصدق ولكن بأسانيدها اعتمادا على أن الناس سيبحثون الأسانيد فيقبلونها أو يرفضونها تبعا لما يعلمون أو يتبين لهم عن حال رواتها .

وكنا نتمنى أن يوضح لنا الأستاذ الشرقاوى دور اليهود فى هذه الفتنة وما فعله عبد الله بن سبأ واشياعه والمخدوعون به فهم اسبابها ولدينا مناسبتها وما أشبه الليلة بالبارحة ، فان الدور الخبيث الذى يضطلع به اليهود اليوم بيننا واستطاعوا ان يفتنوا العرب منا ويسحروهم ويزينوا لهم قتل أنفسهم وتوجيه السلاح الذى فى أيديهم الى صدورهم وهو نفس الدور الذى قام به اليهود قديما وبه قتل عثمان ومن قبله عمر ومن بعدهما على وطلحة والزبير وغيرهم من جلة الصحابة والتابعين بسبب هذه الفتنة والعماية التى أطلقها اليهود للقضاء على الاسلام وأمته ودولته وقوته .

كنا نتمنى أن يفضح هذه المؤامرة اليهودية التى اثارت هذه الفتنة وأزكت نارها ، أم تراه انطلت عليه مؤامراتهم الاخرى وخدعتهم الكبرى فصدقتهم فى انهم براء منها وان عبد الله بن سبأ شخصية خرافية لا وجود لها كما صدقهم البابا فى براءتهم من ظلم المسيح .

راح الكاتب يقول : (ليس لبنى اسماعيل فضل على بنى اسحق) ونحن نقول : بل لبنى اسماعيل اليوم فضل على بنى اسحق وللعرب فضل على اليهود بعد ما اثبت اليهود ببغيهم وعدوانهم انهم على مدى التاريخ وراء كل فتنة وسبب كل محنة وانهم كالمشركين (لا يرقبون فى مؤمن الا ولاذمه) .

* * *

(٤)

الدكتور عبد العظيم المطعنى

الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى قد مارس حقه فى الكتابة عن الامام على رضى الله عنه وفى غيره من أعلام الاسلام وفى مقدمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابته عن صاحب الدعوة كانت قد أثارت زوبعة من السخط فى حينها وأسدل الدهر عليها ستارا رقيقا الى أن عاد الأستاذ الشرقاوى مزق ذلك الستار وطيره أدراج الرياح بما كتبه عنه أخيرا .

وما كتبه عن الامام على رضى الله عنه فقد أثار مثل سابقه زوابع من النقد والسخط فى مصر وفى خارج مصر .

وقد تابعت خواطره التى عالج فيها موضوع النقد علاجا لا يحمد عليه كاتب مثله اتخذ من الفكر الاسلامى مادة لقلمه ونافذة يطل على القراء منها حينا بعد حين .

وقد تابعت خواطره التى عالج فيها موضوع النقد لا مجاملا . وقد دعوته فى رسالة خاصة أن يمسك عن الهمز واللمز وتوسيع الخلاف بينه وبين ناقديه ولكنه عاد اكثر عنفا وثورة .

واعتقد انه افرغ كل ما فى مخيلته من الفاظ ومعان قذف بها بلا أية ضوابط نحو أربعة من ناقديه ولم يدع للصلح موضعا .

آخر ما كتب الأستاذ الشرقاوى عن صحابى جليل هو على بن ابى طالب وهو اشترك معه فى الأحداث التى وقعت فى خلافته رضى الله عنهم فهو اذن يكتب عن

صحابة والصحابة لا يروى عنهم الا صحابى مثلهم او تابعى عاشرهم ويروى عن التابعى ولذلك فان مصادر الكتابة عن الامام على ورفاقه ومنهج البحث فى سيرتهم مختلف عن المصادر وعن منهج البحث فى التاريخ العام ، ولم يلتزم الأستاذ الشرقاوى بالمنهج بل عمد لكتب التاريخ وغير التاريخ واستقى منها مادته واخباره فرجع الى كتاب (الأغانى) فاذا وردت منه معلومة وهو كتاب أدب فعلى الباحث ان يقف أمامها طويلا ولا يتقبلها على علاتها باعتبار أنها وردت فى مصدر تاريخ قديم ، عليه أن يعرض تلك المعلومة على قواعد واصول البحث العلمى الذى تكفل به علم مصطلح الحديث واصول الرواية من معرفة حال الرواة وصحة المتن وطرق التحمل ولكن الأستاذ الشرقاوى سوى بين المصادر القديمة لقدمها ولم يفرق بينها ومن هنا وقع اللبس .

ومن قبل رجع الى الأغانى (ابو ريه) فى نقده لأبى هريره رضى الله عنه فوقع فيما لا تحمد عقباه وقامت الدنيا عليه ولم تقعد والسبب ضعف المصادر التى اعتمد عليها فى سيرة ذلك الصحابى الجليل وعدم فقهه ببعض الأخبار الصحيحة فولدها ما لم تحتمل وكذلك فعل الأستاذ الشرقاوى ومن مصادر الشرقاوى كتاب تاريخ الطبرى والطبرى لا يشك احد فى صدقه ولكنه اعترف أن الكتاب لا يخلو من الوقائع المكذوبة والأخبار المنحولة ، وأناط المسئولية على رواة الأخبار لا عليه هو ولكن الشرقاوى ترك هذا وأورد للطبرى مدحا فى كتابه .

والخلاصة ان المصادر التى رجع اليها الأستاذ الشرقاوى لم تكن كلها كفئا للموضوع فوقع فى ورطة لم يستجب لنصح الناصحين فيها ، ولو أن الأستاذ الشرقاوى رجع الى كتاب (العواصم من القواصم) للقاضى ابن العربى (٥٤٣ هـ) والى كتاب اباطيل يجب ان تمحى من التاريخ الشيخ ابراهيم شعوط لعلم ما فى كتب التاريخ من دسائس اهل الهوى والزيغ ولادرك ان ليس كل اصفر فى كتب التاريخ ذهبا وانما بعض اصفرها عقارب ذات سم زعاف .

***

(٥)

دكتور عبد الصبور شاهين

لقد بدأت تنبعث فى العالم الاسلامى فكرة التفرقة بين السنة والشيعة ، وهى فتنة ينبغى ان تخمد ، لان العصر قد تجاوز هذه الدعاوى تماما فلم يعد يعيش عليها الا اولئك الذين يثيرون شقاقا بين جناحى الأمة فالاسلام واحد والرب واحد والدين واحد .

ولقد كان نقد الصحابة وتجريحهم باب دخل منه المستشرقون لضرب الاسلام وقد قررت جريدة الأهرام على قرائها هذا الموضوع الذى يمس حياة صحابة رسول الله يقرءونه لمدة حوالى اربعين اسبوعا متتالية دون انقطاع ، وكتب لها الكثيرون يستنكرون هذا المسلك ولكنها مضت فى خطتها ووفرت الحماية لكاتبها الذى يصر على اعادة نشر روايات تاريخية دون منهج علمى من تحقيق او تمحيص ، فى حين يعلم الكاتب أن صنيعه هذا تحديا لمشاعر المسلمين وتمزيقا لحبهم الذى يكنونه لصحابة رسول الله ، واغراقا للجماعة الاسلامية فى خلافات مضى زمانها وتجاوزتها القرون وذلك على الرغم من انه ليس مؤرخا ولا مفكرا اسلاميا ولا فقيها بل هو مجرد (فنان يعالج مسائل الأدب) فكأنه يتخذ من روايات التاريخ الاسلامى بكل ما فيها من احتمالات وما تضمنته من تيارات واعراض فى وقتها — مادة يصنوغ منها (دراما) او مأساة أو ملهاة ، وربما لاق هذا بحكايات التاريخ اليونانى أو اللاتينى لأن المجتمعات التى عاشتها قد انقرضت فلم يبق منها سوى هذه البقايا الأسطورية فأما التاريخ الاسلامى فهو قائم نابض بالحياة ممتد فى أعماق كل منا واتخاذ هذا التاريخ مادة روائية على هذا النحو مسلك غير سليم ، وهو قطعا مما يثير فى نفس الشباب سخطا ونزوعا الى الرفض والتطرف والتعصب لما ينطوى عليه من استخفاف بتاريخ الأمة ورجالها وتحد لمشاعر الشباب على يد فنان واديب مفتون — كما يقول بالتاريخ الاسلامى وقد توفرت له الفرصة الكاملة لينشر ما يريد (لا معقب لحكمه) فعكف على وزن الصحابة وتمييز اقتدارهم وتقديم بعضهم على بعض ، خوضا فى أوحال التاريخ بلا دليل .

قال ابو ذرعة : اذا رأيت الرجل ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم بانه زنديق وذلك لأن الرسول حق والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وانما ادى ذلك كله الينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة .

***

وان نقد الصحابة وتجريحهم هو نفسه الباب الذى ولج فيه المستشرقون وأعداء الاسلام وواضح اننا جميعا لا نرضى عن تجريح الصحابة وحتى اذا نقدوا هم انفسهم فاننا لا نتجرأ على ان نأخذ موقف صحابى تجاه صحابى ، والنقد بمعنى التجريح مرفوض قطعا لان ذلك — اولا — خروج على ما قرر الله تبارك وتعالى لهم من المكانة والرضوان فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم).

والأستاذ الشرقاوى فنانا وناقدا لا يرضى لعقيدة ما

أن تجرح رموزها فضلا من أن تكون هذه العقيدة هي الاسلام لأن في ذلك فتنة وخيمة المرتع والعاقبة .

وموقفنا أننا نحترم الكل ونحب الكل دون تفرقة (أي الصحابة) دون تمييز ، أما ما يتعلق بمواقف الصحابة واختلافاتهم فيما بينهم فاذا كانت هذه الاختلافات واقعا تاريخيا فهو يعني أصحابه ، وقد مرت بعيد وقوعه قرون زادت على اثنى عشر أو ثلاثة عشر قرنا ، فما بالنا نبعث هذه الاختلافات من الأجداث والقبور كأنما نحن مغرمون بالانتكاس ، نعيش دائما آلام السابقين مع أن في عصرنا من الآلام والشواغل ما يستنفد حياتنا كلها ولا نواجهه ولا نعالجه ، ما شأننا بأن صحابيا اختلف مع صحابي ، هم قد اختلفوا لأن طبيعة الحياة تجعل الآراء مختلفة ولكن اختلافهم لم يعق حركة الأمة الاسلامية . ما هي الاضافة الحقيقية للأدب ، للشعر ، للنثر ، للفن الا أن نبعث صحيفة صنعها المفسدون في تاريخ الثقافة الاسلامية ليصموا هذا التاريخ وليغيروا نقاءه وليذهبوا بصفائه : هذه هي القضية ولقد تنبعث في العالم الاسلامي فكرة التفرقة بين السنة والشيعة وهي فتنة ينبغي أن تخمد لأن العصر قد تجاوز هذه الدعاوى تماما ، لم يعد يعيش عليها الا المتعفنون فكريا ، أولئك الذين يثيرون شقاقا بين جناحي الاسلام ، فالاسلام واحد والرب واحد .

فأنا أتوجه الى من يحاول نشر هذه الصحف التي كتبها أناس مزيفون ، زيفوا السند وزيفوا تحريف الكتاب وحاولوا كل المحاولات أن يمزقوا ثقافة هذه الأمة ، أتوجه اليه بالتوسل أن يكف .

* * *

(٦)

الشرقاوي على خطا طه حسين

هذا هو الشيء الذي لم يتحدث عنه الذين ناقشوا الشرقاوي ، اما لعدم المامهم بتاريخ وتطور هذه الفكرة الخبيثة واما رغبة في القفز على الحقائق .

استطيع أن أقول شيئا لم يتنبه اليه أحد ممن كتبوا عن عبد الرحمن الشرقاوي وكشفوا خبيئته ، وهو أنه تابع خطا طه حسين تماما في كتابه على هامش السيرة والفتنة الكبرى وأن طه حسين كان يمهد للماركسيين هذا الطريق .

هذا فضلا عن فكرة الفنان الذي يتاح له أن خطوط التاريخ الحقيقية ، أو صاحب الهوى الذي يستطيع أن ينقل من كتب التاريخ ما يشاء في سبيل الرأي المعد مسبقا والفكرة التي يهدف اليها .

ومن قبل استطاعت بعض هذه القوى التي تريد أن تمزق وحدة المسلمين أن تخدع بعض الكتاب الكبار في سبيل هذه الغاية ، والأستاذ الشرقاوي منذ أن بدأ يكتب في التاريخ الاسلامي وقد ظهرت غايته وهويته واضحة ، انه يريد أن يقدم تاريخا زائفا مكتوبا من وجهة نظر التفسير المادي للتاريخ ومحاولة جعل لقمة العيش والغنى والفقر مقياسا لمواقف التاريخ الاسلامي الذي انطلق من منطلق أكرم وأعظم من ذلك تماما .

وما كتبه الشيخ ابو زهرة عن كتابه (رسول الحرية) وما كتبه العلماء الثلاثة عن رواية الحسين شهيدا تشهد بأن وجهته ليست خالصة للعلم أو والحق وقد قال العلماء الثلاثة عن رواية الحسين شهيدا : أن كاتب الرواية (عبد الرحمن الشرقاوي) كان حريصا على تصوير المجتمع الاسلامي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بنصف قرن فقط بصورة بشعة ، وكان هذا المجتمع قد تداعي وتهاوي وصار مجتمع عربدة وفجور ، ومجتمع شقاق ونفاق ، ومجتمع جبن وضعف ومجتمع خيانة ونكث للعهود ، مع أن المجتمع كان لايزال فيه عدد كبير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه عدد ضخم من التابعين لهم باحسان .

أما دراسته للامام على فقد تابع مراجع معينة ألقيت اليه أهوائها ولم تكن هي المصادر الحقيقية لكتابة تاريخ الامام ولا تاريخ الاسلام فقد جرى وراء القصص البراق لأنه قصاص ، واعتمد على المصادر الضالة المضللة كالأغاني وغيرها وساير خصومه الباطنية والمجوسية للشيخين أبي بكر وعمر وحاول أن يلحق الاساءة بالسيدة عائشة على هوى بعض الفرق ، بل لقد جاء دفاعاته واضحة الوجهة لتبرئة اليهود مما براهم منه الدكتور طه حسين وخاصة موقفه من بني النضير .

وليس هذا فحسب ، ولكن كتابته عن صلاح الدين تبدو منها نفس الوجهة فالاستشراق يعلن أن صلاح الدين أخذ أكثر مما يستحق ولذلك لابد أن تظهر مسرحيات تنقص من قدره وتقلل من دوره .

وقد صدق الشيخ محمد الغزالي حين وصفه بأنه يجمع القمامات من كتب التاريخ .

وربما كان صحيحا ما قيل من ان الفكر الشيوعى الماركسى قد قسم العمل بين اتباعه ، واحد فى ميدان الفلسفة وآخر فى ميدان الفقه والتشريع وواحد فى مجال التاريخ وأن هناك ماركسيون يعملون فى المعسكر الآخر لضرب الاسلام لحساب المسيحية والراسمالية .

ان درجة الوعى الاسلامى الآن فى فهم تيارات التغريب قد أصبحت عالية وما يعتقد ان هذه الاسماء تستطيع ان تكسب ثقة قارىء واحد ، من المؤمنين باليقظة الاسلامية ، ولعل هذا هو ما يزعج هؤلاء ومن ورائهم ، بعد أن كشفت خطط التغريب والغزو الثقافى فهم مفضوحون مهما حاولوا تغيير جلودهم ومهما خلطوا أوراقهم فلترد اسهمهم الى نحورهم .

وحملة القول أن عبد الرحمن الشرقاوى تابع المخطط الذى وضع لطه حسين حول بشرية الرسول فى كتابه (محمد رسول الحرية) وحول دعواه ببشرية القرآن وكان كتابه هو الحلقة الثانية من (على هامش السيرة) كذلك فقد كان كتابه (على امام المتقين) هو الحلقة الثانية من (الفتنة الكبرى) انها نفس الأفكار المسمومة التى أذيعت بواسطة الاستشراق ولخدمة الفكر الباطنى فى الأربعينات تعود بصورة أخرى فى الثمانينات .

ومن عجب انه اختير لذلك كاتب له اسلوب مقذع غاية الاقذاع له قدرة على الهجاء الذى يبلغ غاية العنف .

انها محاولة لتحطيم الصحوة الاسلامية والقضاء على الأصالة ولطرح مزيد من الشبهات والشكوك والسموم على الطريق الذى اصبح معبدا ليسلك عليه المسلمون الى اقامة المجتمع الربانى ، انها محاولات يائسة لافساد الفكر ولتزييف التاريخ ولهدم القيم تحت أسماء اسلامية .

وما زال الأستاذ الشرقاوى يواصل عمله وقد هيئت له كل الفرص والوسائل وما تزال كتاباته عن الفاروق عمر وغيره مليئة بالسموم فى محاولة لوصف هذا الرعيل الأول بالتكالب على الرئاسة والرسول لم يدفن بعد وهذا ليس من أخلاق صفوة الصحابة والمهاجرين ، يقول الأستاذ محمد عبد المنعم رضوان لقد قالت الزوايات اشياء كثيرة ولكن العبرة بوجهة الكاتب فان كان مصلحا واجه الموقف بايمان المؤمن الذى لا يريد أن يشيع السوء وما كان يمكن أن ينفجر الأمر على هذا النحو ، ولكن سرعان ما حسم ابى بكر الأمر ، واستسلم الجميع له .

وما يزال حادث السقيفة يثير شبهات الاستشراق والكارهين للاسلام فقد ادعى احدهم بان مؤامرة عقدت بين الثلاثة (ابو بكر وعمر وابو عبيدة) .

ونحن نسال لماذا الشرقاوى مغرم باظهار الخلاف السياسى بين الصحابة واظهار الفاروق فى صورة المولع بمخالفة كتاب الله وسنة رسوله وهو فى هذا كله يحاول أن يصل الى اقرار فرية سياسية : هى أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى عصرهم فى سياسة الحكم وبالتالى لا يصلح الاسلام لاقامة نظام حكم اسلامى اليوم .

ويصل الى القول بأن الزمن قد تغير منذ وفاة الرسول جودت احوال واقضية مستحدثة توجب على من يلى امر المسلمين أن يستنبط لها الأحكام المناسبة والا يقف عند ظاهر نصوص القرآن والسنة بل مواجهة ما تطرحه الحياة الجديدة المتغيرة .

وهذه كلها محاولات مضللة رد عليها علماء الاسلام وكشفوا ما وراءها وهى ترمى الى القول بأن من حق الحاكم والفقيه أن يجتهد فيما ورد فيه نص : فيقول (أن ولى أمر المسلمين يجب عليه ان يستنبط للأقضية المستحدث الأحكام المناسبة والا يقف عند ظاهر نصوص القرآن والسنة بل فليبحث عن علة الحكم وسببه وحكمته ويربط الأحكام بالعلل ليستطيع مواجهة ما تطرحه الحياة المتغيرة الجديدة) وهذا هو راى الشيعة الباطنية الذين يريدون هدم الاسلام من اساسه اتباعا لدين المجوس .

وجملة القول أن عبد الرحمن الشرقاوى يخضع فى اتجاهه لنظرية لينين : التى تقول ان الهجوم على الاسلام يجب ان يبدأ بتفسير التاريخ الأسلامى تفسيرا ماركسيا .

وقد داب عبد الرحمن الشرقاوى على مهاجمة الأزهر وعلماء الأزهر منذ أن تصدى له الشيخ عبد الحليم محمود بعد ان الف كتابه المغموس فى السم عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والهدف هو اخضاع الأزهر لمركسية الاسلام وارهاب علماء الدين .

وقد طعن الشيوعيون فى الصحابة وكتاب الوحى وتشويه صورة آل البيت وهاجم الشرقاوى الرقابة الدينية لأنها لم توافق على مسرحية الحسين ثائرا ، التى صور الحسين فيها بصورة الشيوعى اللاتينى جيفارا .

واليوم وقد انكشف مخطط الشرقاوى فان القارىء المسلم يقرأ ما يشاء دون أن تخشى عليه الوقوع فى مصائد الشبهات ولن يستطيع الشرقاوى ان يخدع الشباب المسلم بعد الآن .

الفصل الثالث

كتابات حسين أحمد أمين
الإفتراء على السلف الصالح

حمل حسين احمد أمين حملة قاسية على السلف الصالح وقال أن المسلمين اتجهوا الى المغالطة فى تعظيم السلف والى المثالية فى تصوير أفراده ، وكان ثمرة ذلك أن بات المسلمون ينظرون الى الخليفة عمر بن عبدالعزيز مثلا على انه من أعظم خلفاء الاسلام لورعه وتقسواه وموقفه العادل من العلويين وبنى هاشم فى حين لم تجلب السياسة الماليةوالادارية لهذا الخليفة غير خراب خزانة الدولة .

قال الأستاذ ...

اشم فى كلامك رائحة مرجليوث اليهودى وتلاميذه .

أما الزعم بأن السياسة المالية والادارية للخليفة عمر بن عبد العزيز جلبت الخراب على الدولة فهذا زعم مردود عليك فالتاريخ يروى لنا أن الأشهر القليلة التى تولى فيها عمر بن عبدالعزيز ازدادت فيها الخيرات وعمت البركات واكتظ بيت المال بالأموال حتى ان الخليفة عمر ، أعتق كل العبيد من هذا المال فقط ، فوجده يفيض فأعطى عطايا لكل الشباب لكى يتزوج ، فتزوج سواد الشباب ومع ذلك عم المال فكان الخليفة عمر يبكى ويتضرع الى الله الا تكون كثرة المال من غضبه عنيه حيث كان المال قليلا فى عهد رسول الله .

يقول الدكتور عمارة نجيب :

لقد حمل مقال الكاتب مخالفات علمية بديهية منها ادعاؤه أن السياسة المالية والادارية للخليفة عمر ابن عبد العزيز (لم تجلب غير خراب الدولة) وكل الوقائع التاريخية تؤكد أن عصر هذا الخليفة على قصره كان أغنى وأثرى عصور الدولة الاسلامية حتى لم يجد المسئولون أحدا يستحق أو يرغب فى أخذ مال الزكاة أو الصدقة فكان يخرج من بيت مال المسلمين ويرد اليه دون طمع من احد فيه من الرعية .

وقد ادعى الكاتب أن عمر بن عبد العزيز لم يوافق والى حمص على اعادة بناء حصنها المتهدم مكتفيا — أى عمر بن عبد العزيز برده بقوله : أما بعد فحصنها بالعدل والسلام مع أن الأمر فى اللغة العربية يتم بفعل أمر ويصبح ملزما للمأمور به وهذا ما جاء فى رد الخليفة الى واليه مضافا اليه ضرورة مراعاة العدل عند التنفيذ .

ولكن الكاتب يرى أن هذا الرد يستوجب المؤاخذة البرلمانية فى اى نظام حكم ديمقراطى .

كذلك اغفل الكاتب الصلة بين قوة الجيش الفاتح المهاب — جيش المسلمين — فى عهد السلف وبين ضرورة حسن الادارة ، وعبقرية السياسة واستقرار النفوس وأمن الحياة الاجتماعية وتعاونها ، حينما ادعى رومانسية الكتاب والوعاظ عند عرضهم لسيرة السلف وحيثما حملهم مسئولية وزر التخلف .

وقد أعلن الكاتب عن هويته الجنسية والعقدية بحيث بين كانه لا يقبل أن يكون عربيا لأن العرب عموما ومن وجهة نظره معروفون باتجاههم الى اتخاذ مواقف عقلية متطرفة من الناس والعالم والأحداث والى النظر الى كل ما يصادفهم وكل من يلقاهم بمنظار لا يرى من الألوان غير الأبيض الناصع أو الأسود القاتم دون الفروق الدقيقة فى الأقطار والألوان والظلال الخ ..

هذا عن الجنس العربى من نص كلامه ، أما عن الهوية العقدية فيكملها فى قوله (وليس ثمة مخرج لنا من هذا التحجيم الذى نعانى منه سوى بالكف عن الحنين الى الماضى ، الى أن يقول : (عندئذ يمكننا أن نتحرر كما تحررت الفتاة فى ختام رواية هنرى جيمس وذلك حين

ادركت حقيقة بسيطة للغاية هى انه ليس هناك ما يحتم عليها أن تكون كأمها) .

وهكذا وبكل بساطة يخرج الكاتب بنفسه ويطالبنا بالخروج على مبادىء وقيم الآباء لنتحرر ونتخلص من الحنين الى أمجاد الأسلاف .

ولا اريد ان احمل كلام الكاتب اكثر مما يحتمل ، ففى كلامه كفاية مقنعة يدل على اضطراب المفاهيم الى حد انه يرى (ان الحرية العامة كتحرر فتاة رواية (هنرى جيمس) حين ادركت انه ليس هناك ما يحتم عليها ان تكون كأمها) ما علينا الا ان نتساءل مع كاتبنا الحر ، ما هو تصوره للحرية ، أهى حرية الجانب الحيوانى أم حرية الجانب العقلى .

ان كان يعنى حرية الجانب الحيوانى فالعلم التجريبى يؤكد أن تحرير هذا الجانب واطلاق العنان له يؤدى الى المرض والصراع والقلق والتوتر والانتحار فى الوقت الذى يبدو فيه جهد العقل فى الجرى وراء اللذة والشهوات وهو ما يهدد التقدم ويجر الى التخلف والهلاك وعندها لابد من نظام يحفظ طاقات الشهوة ويوجهها توجيها مستقيما يمنع الكبت والافراط معا .

واذا كانت الحرية للجانب العقلى فان العلم التجريبى يؤكد أيضا ضرورة ضبط الغرائز ليتحرر العقل تماما فكيف نضبط الغرائز انضباطها بقانون علمى ، أو بقانون مرتجل ، اما القانون العلمى فيحتاج الى اعتماد على تجارب الأجيال الماضية وأما القانون المرتجل فيعنى الفوضى ، ان علوم المدنية الحديثة كلها قامت على تجارب الآباء والأجداد فكيف نتخلى عن تجارب الآباء والأجداد ونبدأ من الصفر ونتقدم .

واتاتورك ماض ليس له من فضل فى التاريخ أو مكاسب فأى الماضى افضل : تجربة السلف التى رفعت شأن الأمة واقامت حضارة تدين الدنيا حتى اليوم أم تجربة اتاتورك المقوضة للخلافة الاسلامية .

ولو اخلص الكاتب نيته ، وتأمل الحقيقة لذاتها لوجدان العرب الذين اتهمهم واتهم عقليتهم واتهم ماضيهم واتهم حاضرهم انما هم أمة كغيرها من الأمم يصنعها النظام وبينهما الشرع والقانون .

وبقدر ما تنهض الأمة العاملة به وبقدر ما يتميز هذا النظام ويتكامل الشرع والقانون بقدر مايحمل النظام من خلل ويتضمن الشرع والقانون من نقص ، بقدر ما تتراجع الأمة العاملة به ،وفتاة هنرى جيمس المتمردة وكمال اتاتورك المتمرد صورتان للدعارة الجنسية والسياسية فما هو الأمل المتعلق بالسير على منوالهما غير التراجع والتخلف .

أن نسبية التقدم والنهوض تتفق مع نسبة صلاح القانون والنظام والشرع ونسبة التخلف تتفق مع نسبة فساد القانون والنظام والشرع المعمول به واذا كان الكاتب يدعونا الى نبذ الماضى ونسيان الأيام المجيدة التى عاشها الصحابة والتابعون فان هذا يعنى انه يرفض الاستفادة من التجارب ويطالب بالتخلى عن المنهج العلمى مع انه يمدح اهل الغرب لالتزامهم بالمنهج العلمى والمنهج العلمى اساسه ملاحظة وتجربة » ا . هـ

* * *

(٢)

لماذا السلف الصالح

يبدو أن لكل واحد من دعاة العلمانية والغزو الفكرى مهمة محددة فى الهجوم على الاسلام ولقد كانت مهمة حسين أحمد أمين محددة فى الهجوم على تاريخ الاسلام والبحث فيه عن الثغرات والروايات المشكوك فيها والقضايا التى من شأنها اطفاء نور معجزات التاريخ واحداثه الضخمة ، وتزييف وقائعه والتركيز على (السلف الصالح) بما ينتقصه فى محاولة خطيرة ترمى الى التقليل من وهج الشخصيات الاسلامية ذات العطاء الكبير وفى مقدمتها عمر بن عبد العزيز وصلاح الدين وغيرهم .

وهذه قضية واضحة وقديمة وقد شغل بها المستشرقون منذ وقت بعيد ، وحاولوا ضرب كل هذه المعاقل الكبرى فى الجهاد والحرب والسلم من خلال التفسير المادى واطفاء نور الأحداث والدعوة الى هدم الوجدان والعاطفة فى نفوس المسلمين تحت اسم النظرة الرومانسية الى تاريخهم وأبطال ماضيهم وكان تركيز الهجوم أساسا على الصحابة والتابعين .

واذا نظرنا الى الغرب وجدنا اهتماما بالغا بالتاريخ ومحاولات جادة لاعطائه اكثر من واقعية فى سبيل تنمية الأجيال الشابة مؤمنة بأوطانها وعقائدها ، وبغض النظر عن كثير من المذابح والوقائع الدامية

والصراعات التى يحفل بها تاريخ أوربا ، ولكن الأمر يجرى على عكس ذلك حين يتصل الأمر بتاريخ الاسلام فهم يسلطون عليه الشكوك والاتهامات ويغضون النظر عن مواقفه الحاسمة الخالدة ، ويكبرون من شأن العيوب والنواقص التى لا يخلو منها تاريخ أمة .

ولذلك فقد وكل حسين أحمد أمين نفسه الى هذه الغاية وهى تخريب تاريخ الاسلام باثارة الشبهات حول هؤلاء الأعلام الكرام الذين رفع قدرهم فى نظر المسلمين على مدى العصور ايمانهم وتضحياتهم وجهادهم وذلك باتهام العرب بأنهم منحازون الى عواطفهم كأنما كان المطلوب من العرب أن يحتقروا بطولاتهم وصفحات أمجادهم التى قدم فيها آبائهم أرواحهم خالصة لله ، لا من أجل مغنم فردى ولكن من أجل رفعة الاسلام وهم يرددون مقولات مضللة وكاذبة فى سبيل تفريق الصف وتمزيق وحدة المسلمين بل انه يختلق هذه الخلافات بالحديث عن عرب وعن مسلمين ، فى محاولة لاحياء شخصيات مضطربة موصومة واعطائها مكانة ليست لها أمثال غيلان الدمشقى ودعاة الفكر الباطنى ، ومحاولة تصوير أبى ذر الغفارى بصورة غير صورته الحقيقية .

وذاك فى محاولة لطمس عظمة تاريخ الاسلام وتشويه بطولات سلف صالح الأمة الذين ضحوا وجاهدوا فى وقت نحن أشد ما نكون فى حاجة الى احياء هذه الصور الكريمة وملأ قلوب شباب الاسلام بها واثارة روح الجهاد والايمان والتضحية فى نفوسهم عن طريق تاريخ كريم .

وما تزال قضية الفتنة الكبرى تثار مرة بعد مرة ، من أجل تمزيق وحدة الأمة ، على النحو الذى ابتدعه طه حسين وسار فيه كثير من العلمانيين والماركسيين .

ويعلم حسين احمد امين أن بضاعته هذه بائرة تماما ، وأنها لا سوق لها وانه يقابل بالاحتقار والسخرية من الشباب المسلم الذى يعرف هويته وأحقاده ، ويعرف أننا لسنا فى حاجة الى أن يذكرنا بنصائح اتاتورك الذى يسير على طريقه ويحاول مع جماعته الذين وجهوه أن يجعلوا لهذه الدعوة العلمانية مكانا حين يقول :

(ان الأمة التى تصر على التمسك بأساطير لا أساس لها من الواقع من الضعف ومن المستحيل أن تتقدم) .

ونحن نؤمن بصحة هذا ونؤمن باننا لانروج لأساطير ضعيفة أو مستحيلة حين تعرض تاريخ الاسلام فى صدقه ونقائه وسماحته ، وأن هذه العبارة مستقاه من كلام الماسون الذى وجهوه لأهل الغرب حيث كانوا يتحدثون عن الأساطير والخرافات المعروفة والتى حاول العلمانيون نبذها ، ولكنا فى مجال الاسلام لا نجد مثل هذا ، بل نجد صفحة نقية صادقة أقامها الاسلام بمنهجه وتاريخه ؛ ولذلك فقد أخطأ حسين احمد أمين الطريق ووضع نفسه فى صف المغربين الحاقدين أعداء الاسلام ولن يستطيع أن يشكل لنفسه قدرا أو مكانا الا اذا عاد الى الاسلام مرة أخرى .

كذلك فنحن حين نتحدث عن تاريخ الاسلام وعظمة الاسلام لا نطالب بالعودة الى صورة هذه الأيام المجيدة فى التطبيق العصرى ، فنحن نعرف فوارق الزمن واختلافات العصور والبيئات ولكننا ندعو الى الفكرة الاسلامية الأساسية التى تستطيع أن تطبق بصورة عصرية دون أن نفقد شيئا ما من أصالتها الحقيقية ، وليس فى مفهومنا الأسلامى ما يدعوا الى التطلع الى الماضى الا بمقدار ما يحقق تطبيق منهج الاسلام نفسه ، ونحن نفهم جيدا ما هو الفرق بين الثوابت والمتغيرات ولن تخدعنا المتغيرات عن الثوابت كما أننا والخلفاء على نفس النسق القديم ان محاولة تشويه صورة السلف الصالح والصحابة والتابعين هى مؤامرة ماكرة خبيثة يراد منها القول بأن الاسلام لا يصلح للتطبيق فى هذا العصر وكذبوا فالاسلام نفسه منهج ربانى واسع الأفق والجوانب ، قادر على العمل والعطاء فى كل العصور والبيئات ، يقوم على أسس ثابتة وعلى وسائل متغيرة ومن هنا كانت قدرته على الالتقاء مع كل الأزمنة شريطة ان تلتمس أصوله وحدوده ، وهو يختلف تماما عن الدين الغربى الذى درسوا تجربته مع أهل الغرب والكنيسة ، وأن تلك القضايا التى أثارها لا توجد فى أفق الاسلام وسيظل هؤلاء السلف الصالح نجوما مضيئة وكواكب لامعة فى سماء تاريخ الاسلام ما بقى الاسلام لأنهم هؤلاء الأبرار هم الذين هدونا الى هذا النور .

ولا عبرة أبدا باهتمام حسين احمد أمين وجماعته بفتنة الزنج والقرامطة والادعاء بأنها دعوة الى العدل كما قال عميدهم القديم ، ولا عبره بالدعوى الظالمة الموجهة الى الدولة العثمانية فقد كشفت حقائق التاريخ عن دورها العظيم فى حماية الاسلام وعن بطولة السلطان عبد الحميد فى الوقوف فى وجه زحف الصهيونية .

أن حسين أحمد امين بحماقته واندفاعه قد شطب اسمه من قوائم العلماء وبحقده ورعونته قد شطب اسمه من قوائم الصادقين ، فقد عرفت كتاباته منذ اليوم الأول بذلك الجفاف المندفع الملىء بالحماقة والعنف وهى من ثم

لا تلقى من القارىء المسلم الواعى اليوم ، الا ازورارا وكراهية واعراضا ولو كانت صادقة مؤمنة لوجدت الطريق الذى يفتح لها القلوب فلماذا يكتب اذا كان يريد أن يقنع الناس بهذا الأسلوب الجاف المظلم الذى تحس فيه هجير الصحراء وتدافع الكلمات .

وهذه النصوص الذى يوردها (حسين احمد أمين) لا يمكن أن تكون نصوصا درسها والتقطها ، وانما هى نصوص جمعها أذكياء مكره يريدون اذاعتها عن طريق اقلام عربية ومسلمة فانها توحى بقراءة عشرات الكتب وقديما سار على هذا الطريق زملاء لهم عرفت فى كتاباتهم أن النصوص التى استخدموها سلمت اليهم من جهات تريد أن ترفع شأنهم وتذيع اباطيلها وسمومها بأقلام اسلامية مع الأسف .

* * *

وهذا الهدف يرغب فيه الدخلاء أكثر مما يرغب فيه الأصلاء لأن قطع يد السارق سوف تكون وبالا على الذين ينهبون ثروات المسلمين عن طريق أولياء ضعفاء لا يحصلون الا على الفتات ، فاذا طبقت الشريعة امتنع هؤلاء رهبة من حكم الله ومن ثم فقد هؤلاء تلك الثروة التى يأمنون بوصولها اليهم عن طريق الضعفاء ، وهو يحاول أن يوحى بأن الفقهاء حاولوا عن طريق التأويل وضع قيود على قطع يد السارق ، وذلك فى سياق التأويل المضلل للوقوف فى وجه الثوابت . ولكن حسين احمد أمين بحماقته لا يعرف الخلفيات ولا الأهداف التى سيق اليها كمخلب قط وهو يظن أنه من المجتهدين المصلحين ونسى حسين احمد أمين أن (أحمد أمين) والده ترك اسما واضح الدلالة فى مجال خدمة الاستشراق فهو منسوب اليه وقد جاء هو ليواصل هذه الرسالة بتلك الجراة الفاضحة ، لخدمة أهداف النفوذ الأجنبى فى مهاجمة قيم الاسلام ليقفوا فى وجه الصحوة الاسلامية.

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره)

* * *

الفصل الرابع

ادعاءات الدكتور نور الدين فرحات
الشريعة الإسلامية لم تطبق بعد الراشدين

ان ابرز عناصر الكتابة فى قضية من القضايا هى (سلامة القصد وحسن الوجهة والقدرة على اكتساب ثقة القارىء المسلم (الذى أصبح واعيا لا يخدع الآن بالحيل ذات البريق أو الصحف الضخمة أو الكتب اللامعة) فهو القارىء الذكى العارف بأبعاد المغطط ، فاذا استوفت الكتابة هذه الوجهة واستطاع الكاتب ان يكون صادقا امينا لا مطمع له الا اداء الأمانة التى أؤتمن عليها لهذه الأمة وخيرها والوصول بها الى المرفأ الأمين فقد ربح البيع وتحقق الهدف ، أما اذا كانت الأغراض متخفية وراء الكلمات والأهواء بارزة بحيث يعجز الأداء العلمى المظهر عن اخفائها ، وكان الحقد لا يستطيع الا أن يستعلن فى ثنايا الكلام ، ليدل على أن الغاية ليست هى الوصول الى الحق اذا ظهر ، أو قبوله اذا تبين ، ولكن الغاية هى المراوغة والتضليل واثارة الشبهة حول النور الساطع والشمس المشرقة ، فذلك هو ما يرفضه العقل والقلب معا .

هل رأيت مسلما يشكك فى دينه ويثير الشبهات حول عقيدته ويتنكر للحقائق الواضحة كفلق الصبح ، الا فليعلم هؤلاء أن المغالطة لا تجدى فقد شبت الأجيال الجديدة عن الطوق فلم يعد يخدعها اسم لامع ولاصحيفة كبرى كما ان الاستعلاء وادعاء الحكمة والحديث مع الناس من برج عاجى او من منطلق الخبرة لا يزيد صاحب القول الا مهانة وازدراء فى نظر قارئه ، فليس هناك فى الحقيقة جديد الا فى الأسماء التى تتداول نفس الشبهات القديمة والسموم الناقعة التى طالما رددها المستشرقون وكشفت الحقائق زيفها والتى لم تعد تصلح لأن تقدم عن طريق أسماء عربية ومسلمة اليوم لأنها أصبحت بضاعة مزجاة ومن نافلة القول وحصاد الهشيم وقبض الريح ولا تثير الا السخرية والاحساس بالغثيان ، ان على الذين يريدون مهاجمة الاسلام أو النيل منه أو انتقاصه أن يتعبوا انفسهم فى البحث عن شبهات جديدة غير تلك التى لاكتها الألسنة ورددتها الأقلام ، اننى اشعر بالرثاء لهؤلاء الذين يسخر بهم اقل مثقف مسلم لأن قدرة هؤلاء الأقزام غلمان المستشرقين على الخداع أصبحت واهية واهنة .

وتدهش حين ترى كاتبا مسلما يحاول أن يؤكد بكل ما لديه من وسائل وأساليب أن الشريعة الاسلامية لم تطبق بعد عصر الراشدين ، ومهما حاول مصححوا المفاهيم أن يردوه فى ذوق وأدب ، ويقدمون له الدليل تلو الدليل اذا هو مسرف فى قولته ، مصر عليها ، مصر على باطله ، لا سبيل الى اعادته الى الحق ، وذلك شأنه مع ربه ومع عمله ومع قلمه ..

اولا : مع احمد بهاء الدين

اثار الأستاذ احمد بهاء الدين فى موضوعه (دفاعا عن الاسلام) عددا من النقاط منها ان الشريعة الاسلامية لم تكن مطبقة (تماما) الا فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين وأيده الدكتور الطيب النجار ، وذكر الأستاذ بهاء أنه من (العار) القول بأنها كانت مطبقة يشير بذلك الى الظلم والجهل اللذين سادا قرونا طويلة وتعجب من أمر هؤلاء (المغالطين) الذين يقولون أنها كانت مطبقة حتى جاء الغرب المستعمر .

أولا : المستشار طارق البشرى

ان القول بأن الشريعة الاسلامية لم تطبق الا فى عهد الرسالة والخلافة الراشدة قول يلتقى عنده عدد من وجهات النظر المتعارضة ، فهو قول الغلاة من شباب الحركات الاسلامية الذين لا يقبلون الا الجيل الأول للرسالة ، اى الجيل القرآنى ، وينظرون الى مابعده من أجيال باعتبارها اجيال انتكست بالاسلام والمسلمين ، وهو قول فريق من العلمانيين الداعين الى هجر الشريعة الاسلامية كمصدر لنظام الحياة والمجتمع ويبتغون قطفها من سياق تاريخ المجتمعات الاسلامية العربية وبترها عن تراثهم

ونظمهم ، أو يقصدون بيان أن الشريعة ليست صالحة للتطبيق العملى بدليل انها لم تطبق .

أتصور أن ثمة غموضا منهجيا يرد لدى هؤلاء جميعا عندما يتعرضون لعهد الرسالة والراشدين ويقارنون بينه وبين التاريخ اللاحق على مدى القرون الثلاثة عشرة ، والفارق النوعى الأساسى أن العهد الأول هو عهد « تشريع » وتأصيل بينما كل العهود التالية عهود (تطبيق) وتجارب تاريخ .

وأهمية الفترة الأولى لا تزد من كونها مجرد (تجربة تاريخية) ولكن تزد من قيمتها التشريعية الأصولية وأن مقتضى النظرة الايمانية أن ما نستخلصه من أصول من هذه الفترة انما يتعلق بما يعتبر لدى المسلم نصوصا وأحكاما غير تاريخية ، اى انها ذات صفة دوام وتعلو على نطاق الزمان والمكان ، ومن هنا فان ما يستخلص فى هذه الفترة من أحكام الاسلام انما يصير فى وضع الحاكم للمجتمع والجماعة ولتجارب التاريخ ولا يكون محكوما بهؤلاء .

أما ما بعد ذلك من أزمان وفترات فهى تاريخ ، من التاريخ ، وهى تجارب من التجارب وناسها من الناس فى كل أحوالهم وأوضاعهم وموقفهم من النصوص كموقفنا منها فى أى عهد ووضع .

أن ما يتميز به هذه الفترة من نقاء انما يتأتى من كونها تشريعا وأصلا ، وليست تطبيقا ، انها وعاء (النص) والنص دائما (مثال) يستمد مثاليته من ذاته وليس من غيره ، والقول بأن الاسلام لم يطبق بجوهره الا فى هذه الفترة فيه نوع مصادرة على المطلوب كالقول بأن التشريع لا يجد كماله التطبيقى الا فى عملية صدوره .

وهنا يرد أصل المسألة المراد مناقشتها وهو أن التشريع دائما مثال ووضع أمثل والتطبيق دائما ناقص ونسبى ومن عمل البشر . وهو قابل للنقد والتغيير وهو خاضع للتجربة التاريخية والاجتماعية .

ونحن عندما نطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية لا نطالب بتسوية (تجربة تاريخية) ماضية على حاضرنا ولكننا نطالب بتسوية الشريعة من حيث هى وضع الهى وأحكام أصلية نستقى منها مباشرة .

وتجارب التاريخ فى كل الفترات التالية للرسالة ولما يتعلق بنزولها وأخراج أصولها : هذه التجارب التالية انما تعرض علينا لنسترشد بها بعد الدرس والفحص ونأخذ منها ونترك فى اطار أصول التنزيل الثابتة المستقرة لدينا .

ونحن ندرك أن التطبيق لن يبلغ الكمال قط ، لأنه سيكون من فعل البشر وخاضعا لظروف الزمان والمكان اى خاضع للتاريخ ، والنقص هنا قام وسيقوم ونحن سنظل نتحرك نحو الكمال ونصير الى المثال . وستظل حركتنا واختياراتنا فى ذلك تمثل جهادا واقترابا غير نهائى نحو التحقيق الأمثل لحكم الشريعة المنزلة ، هى سير حثيث نحو المثل دون الوصول التام اليه لأن النقص فى فطرتنا ولأن الظروف متغيرة ومتنوعة والأحوال قلب .

وأن اى نظام فى التطبيق لا يجد التحقيق الأمثل له، حتى هؤلاء المبهورون بنظم الغرب لا يجسرون على القول بأنها نظم شاهدت اكتمال تطبيقها سواء النظم الديمقراطية أو الاشتراكية أو غيرها وأن محاكمة الشريعة الاسلامية بسوق النقص من سوءات التطبيق فى عصر أواخر ، أمر يمكن الرد عليه بمحاكمة النظم الوضعية بتطبيقاتها المختلفة ، وبيان البون الشاسع عن القصور الأمثل لأى منها وبين واقعها الفعلى .

ثم أن هذه المحاكمة تكون أظهر فى نتيجتها اذا نحن نظرنا الى واقع هذه النظم الوضعية فى مجتمعاتنا منذ حلت بها حتى الآن .

ونحن عندما يعتمد نظامنا على الشرعية الاسلامية كأصل له ومصدر ويعتبر الشريعة مصدر الشرعية وأصل الاحتكام انما نختار أمرا نحن مأمورون به دينا ومن جهة أخرى فثمة اقتناع بأن أصول الشريعة الاسلامية تتضمن الأسس الكافلة لاقامة نظام اجتماعى متحضر ومستقل وناهض وعادل . نظام يستقيم بالاجتهاد والتجديد لجلب المصالح ودفع المفاسد فى الأوضاع الاجتماعية المتغيرة ثم هو بفضل النظم الوضعية حتى من وجهة النظر الواقعية الدنيوية البحته ؛ باعتباره نظاما مترابط الجوانب العقدية مع الجوانب الاجتماعية مع الجوانب الأخلاقية السلوكية مع القيم الاجتماعية للعدل والرشد والاحسان ويلتئم به الصدع بين القانون والأخلاق وبين القيم الحاكمة للمعاملات وتلك الهاوية فى السلوك وبين ماضينا ومستقبلنا وبكل ذلك يرشح الشعور بالانتماء للجماعة وطنا وعقيدة ونظاما .

هل طبقت الشريعة وما الدليل ؟

أن من ينكرون أن الشريعة طبقت فى أى وقت بعد

عصر الرسالة والراشدين نراهم يتنزلون بالنكران على درجتين :

فيبدأون بالنكران النسبى ان الشريعة لم تطبق كاملة ثم يدرجون الى النكران المطلق وانها لم تطبق اصلا ، وهم يسوقون فى التدليل على ذلك حكايات عن ظلم او حمق او سفك دم ، ولو اتبعنا هذا الأسلوب فى تقويم النظم الوضعية لما بقى منها حجر على حجر سيما تلك التطبيقات التى شاهدتها بلادنا .

فبالنسبة لأصول الشرعية التى يحاكم على أساسها الحاكم ففى ظنى انه على مدى القرون السابقة وعلى رغم كل ما عرف من تعدد الحكومات وتجاربها احيانا فقد ظل الشعور بالانتماء للجماعة السياسية المتصفة بالاسلام قائما .

ولا اظن حاكما لبلد اسلامى فى القرن التاسع عشر لم يستمد من الشريعة اساس قيام حكمه ، صلح هذا الحاكم ام لم يصلح . نتكلم هنا عن اصل الشريعة التى تقوم عليها حكومة الحاكم وليس عن نجاح هذا الحاكم أو ذاك فى احسان تطبيقها فى عهده .

وفى هذه المناسبة تقوم الدولة العثمانية كمثل لسوء الحكم والفساد والجهل والقساوة عندما يختفى ذلك كله تحت راية الشريعة او الحكم الاسلامى ومن ناحية التقديم التاريخى ينبغى ان نلاحظ أن هذه الدولة أتت بعد مرحلة الحروب الصليبية واستمرت اكثر من خمسة قرون ،وكان التهديد الأوربى يحدق بنا من الشرق بحروبه الصليبية ومن الغرب باجتياح الدولة الاسلامية فى الأندلس والشروع فى الهبوط جنوبا فى حركة معاكسة لطارق بن زياد وموسى بن نصير . ثم كان تطويق العالم الاسلامى من الجنوب بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح .

وكانت الدولة العثمانية هى من القيت عليها التبعة التاريخية لوقف هذه الأخطار على مدى القرون الخمسة ، وقد استطاعت ان تتحول بهذه المنطقة من مواقع الدفاع عن الحوزة كما كان بشأن أيام الصليبيين الى مواقع الهجوم المضاد فسقطت القسطنطينية واقتربت جيوش العثمانيين من فيينا مرات كما ساعدت على وقف احتمالات النزول الأوربى من الأندلس الى المغرب والتوجه شرقا على الساحل الأفريقى .

هذه وظيفة تاريخية عميقة الخطر ، لقد تفككت الدولة العثمانية وانهارت مناعتها أمام الضربات الأوربية عبر القرن التاسع عشر ، ولكن ماذا كان سيكون عليه حال اقطارنا هذه لو تقدم الغزو الأوربى عن القرن التاسع عشر ثلاثة قرون أو اربعة ولننظر الى ماحدث فى الأندلس وماحدث على السواحل الأفريقية الغربية بل الى ماحدث فى الجزائر فى منتصف القرن التاسع عشر لننظر الى ذلك وننعش خيالنا لتصور ما عسى أن كان يحدث لنا دينا سواء الإسلام أو مسيحية الشرق ولغة وحضارة وغيرها

ومن جهة اخرى فان دولة تقوم بهذه المهام التاريخية وتستمر فى الوجود منذ ولدت مع بداية القرن الرابع عشر حتى الفيت فى الخمس الأول من القرن العشرين لابد أنها كانت بمعايير عصرها على قدر معتبر من الرشد فى الادارة والتنظيم وضبط الأعمال وذلك لا يتأتى الا أن يكون المجتمع على المستوى الحضارى والعلمى اللائق ولا اظن انه من الانصاف ولا أنه من العلم الحكم عليها بمعايير زمان لاحق عليها ، ولا تعميم الحكم عليها وفقا للصورة التى آلت اليها فى شيخوخة وأى دولة لم تشخ بعد كل هذه القرون الطوال .

ان المطالبة باعادة كتابة تاريخ المسلمين واجبة من وجهين : الأول اننا نعيد كتابة التاريخ على الدوام وحركة التاريخ كأى نشاط فكرى لا يتوقف ومن الخير الا يتوقف، والثانى ان المستشرقين قد أعادوا كتابة تاريخ المسلمين على طريقتهم وربطوه برباط التبعية بالتاريخ الأوربى واودعوه من التحيزات الكثير وتتلمذنا نحن على تلك الأعمال وجاريناها بما تضمنت من تشويهات بعضها ظالم متعسف والمطلوب الآن اعادة هذه الاعادة من غير موقع التبعية الفكرية الذى هو حادث .

والتاريخ العثمانى مثال على ذلك فقد جددت نظرتنا لهذا التاريخ مراجع الأوربيين واعتمد فى استخلاص مادته الأساسية على تقارير قناصل الدول الأوربية ووثائق هذه الدول ومذكرات الرحالة الأوربيون وهؤلاء جميعا لم يغفروا لهذه الدولة اسقاطها القسطنطينية وتهديدها أوربا وهم فى القرن التاسع عشر والعشرين كانوا يعدون مع دولهم العدة لاسقاطها وتوزيع أملاكها كما انها تعتمد على شكل نظرتنا عن هذه الدولة على ما أثبته دعاة القومية العربية فى ارض الشام فى نهايات القرن الماضى وبدايات هذا القرن .

وهى نظرة كانت تستهدف لدى البعض الانسلاخ من الدولة وهى لا تركز الا على مساوىء الشيخوخة ثم تعمم هذه المساوىء على الماضى كله وتنسب حركة

التتريك للدولة العثمانية رغم انها حركة طبقهـا رجال الاتحـاد والترقى الذين قاموا بانقـلاب ١٩٠٨ وأثاروا النزعة التركيـة واضـطهدوا العرب وصـفوا الدولة العثمانية وليس من العدل نسبة التتريك الى العثمانيين وبعض هؤلاء القوميين كان على اتصـال وثيق بالدوائر الفرنسية والانجليزية كنجيب عازورى. وأن اعادة كتابة التاريخ هنا قائمة دعا اليها بشـكل ما الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى (مجلة العربى ابريل ١٩٧٨) ومارسها الدكتور عبد العزيز الشناوى رحمه الله بمؤلفه الضخم ذى الثلاث مجلدات ثم مارسها الدكتور محمد حرب والدكتور عبد اللطيف البحراوى مستندين الى ارشيفات الدولة ووثائقها وتجد فى هـذه الدراسات نظرة جديدة متوازنة أمينة نفهم منها الكثير وعندما يذكر أحدنا قوة هذه الدولة فى عهد فتوتها فليس من الانصاف وصفه بالفاشية وتصوره لمن يصفق للقوة المعتدية الظالمة لأننا نتكلم عن هذه القوة بوصفها قوة حامية حافظة للاسلام وجماعته ولشعوب هذه المنطقة ولغتهم وثقافتهم .

* * *

واذا كان المقصود من أن الشريعة لم تكن وظيفة الاشـارة الى حكومات سـلاطين تلك العهود وانهم لم يكونوا ملتزمون بمـا فرض الله من عدل واحسـان فان الشريعة ليست نظام حكم فقط ، والعلاقات القـانونية المستمدة من الشريعة والتى كان الفقه الاسلامى يفرع التفاريع على أصولها ، هـذه العلاقات تعطى كل أنواع الأنشطة البشرية فى المجتمع شراء وبيعا وايجارا ورهنا ومضـاربة وهى تنظم المراكز القانونية كافة كالملـكية والارتفاق والانتفاع وغيرها وتنظم وسائل عقاب المجرمين والشذاذ بالحدود والقصاص والتعـازير وتنظم علاقات الأسر ودرجات القـرابة زواجا وطلاقا ونسـبا وبنوة وما يترتب عليهـا من آثار كالولاية والميراث والنفقة الى غير ذلك من هـذه الأوضاع والعلاقات غير المتناهية فى تعددها وتنوعها وتغيرها .

والشريعة الاسلامية لم تفرض من عل وانمـا نمت مع شيوع الاسلام بين النـاس وانتشاره فى الاصقاع ، والفقه الاسلامى تراكمت أحكامه بالصـلة المباشرة بين الجمهور والفقهاء .

واذا انكرنا وجود الشريعة بعد الراشدين فللمرء أن يسأل اية احكام كانت تطبق على معاملات النـاس على هـذا الامتداد الجغرافى وعبر الأزمان الممتدة ، هل كان هنـاك نظام قانونى آخـر ، فان لم يكن فماذا كان يحدث عندما يبتاع شخص ولو قدحا من شعير أو يفتح نافذة على جاره أو يروى زرعه عبر أرض الغير ، واية احكام كانت تطبـق فى الزواج والطلاق والميراث وبأى عقوبة يقضى على من سرق أو قتل أو سب بن سـبيل وهذا نظام الوقت لا تزال حجج ووثائق له موجودة من ايام المماليك من أى شريعة غير فقه الاسلام جاء .

اننا نفزع فعلا من أن تكون الرغبة فى اسقاط الشريعة من الوجود التاريخى للأمة دافعـا للبعض على الاشارة الى ما كان فى هذه الأعصر الخالية من الدعارة والتبرج والأغلال ويسـتفيد الى اخبـار وردت فى ابن اياس أو الجبرتى أو غيرها ، وباسـتخدام هذا المنطلق أن تعدم بعد مائة سنة من تجمع اخبار صفحات الحوادث بالصحف اليومية الآن ويصـور بها المجتمع بانه غابة من الفوضى والانحلال والشذوذ ، ويقول أن القوانين المتحضرة التى وفدت الى هؤلاء القوم من الغرب لم تطبق ويكون بذلك قد أخطأ خطأ منهجيا فقد عمم حوادث مفردة على مجتمع بأسره ، وجعل الشذوذ المحلى عنه هو القـاعدة واهدر العموم لأنه مسكوت عليه عند تداول الأخبار ثم انه يكون قد استخلص من وجود الجريمة انتفاء القانون وهو ما لم يقل به أحد ، فالتعـاصر بين الجريمة والقـانون قائم على الدوام والتفاخر بين الاخلال بالقـانون والالتزام به قائم ايضـا فى كل عصر وصقع ، ولو انتفت الجريمة لاختفى القانون .

اننا يمكن أن نزعم انه ما من أصل تشريعى حديث حصل على رضاء الناس فى بلادنا وتحاكموا اليه طواعيه وانتشر بينهم برضاهم مثل ما كان للفقه الاسلامى الأخذ عن الشريعة الاسلامية الذى اندمج مع الأعراف والعادات وترابط معها . ان أحكام الشريعة سرت بين النـاس حتى صاروا فى اقصى النجوع والكفور يتحاكمون اليها فى تعاملاتهم ومع بعضهم البعض ويتراضون على الأحتكام اليهـا فى مجالسهم العرفية ، يجرى ذلك كله دون حاجة لحاكم وقضاء واجراءات وسلطات للدولة .

هذه الهيمنة للشريعة الاسلامية لم تكن تجرى فى فراغ فكرى أو فقهى ، فقد كان هناك على الدوام جهود فكرية وفقهية وتعليمية تواكب العمل وتغذيه ورغم كل ما يلاحظ من جمود أو خمود فى حركة التجديد الفكرى فى القرون السـابقة على القرن التاسـع عشر الا ان ذلك لا يعنى قط ان كان (عالمنا العربى والاسـلامى خرابا يا أبى) .

وأيا كان ما يتحمل العثمانيون والمماليك من اوزار،

فهل يجوز لنا أن ننسى أنه فى تلك القرون ظهر شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزيه وتلميذه ابن كثير ، كما ظهر ابن الصلاح والعز بن عبد السلام وابن دقيق العيد .

ومع كل ما كان فى هذه العصور من مساوىء فنحن نستبعد أن يظهر أمثال هؤلاء فى أرض يباب خراب والأقرب للمنطق ولطبائع الأشياء وأحوال العمران أن يظهروا وسط بيئة مؤاتية وحركة حية للفكر والمعرفة سيما وأن بعضا من هؤلاء شكل مدرسة فى الفقه لم ينقض تأثيرها عبر عديد من الأجيال ، ومع جيل ابن تيمية ، ظهر شمس الدين زكريا الانصارى ذو الشهرة والمنزلة بين فقهاء الشافعية ، وهو مع محافظته لا يتصور ظهور مثله فى أرض خراب .

وفيما يوصف بقرون الظلام وجدنا الجهد التجميعى الضخم الذى عرف به علماء الحنفية فى الهند بتشجيع من الملك عالمكيرشاه فى القرن السابع عشر ووجدنا علماء كبار ظهروا فى أواخر الدولة العثمانية وقاموا بجهود تجميعية هامة فى فروع الفقه وفى القرن الماضى ظهر ابن عابدين فى دمشق وكتاب المجلة فى استانبول وغيرهم .

***

ان من أسباب الخطأ فى تجلية هذه الأمور ان كتاب اليوم قد اعتادوا عند نظرهم الى مثل هذه القضايا أن يتجهوا الى انشطة الدولة والسلطة المركزية ولذلك يقيسون وجود الشريعة بمقياس وحيد يتعلق بسلوك الحاكم ومدى التزامه بالجادة وأخذه نفسه بالعدل والاحسان .

وهم يضمرون بذلك نظرة لا تفرق بين المجتمع والدولة ، وهذه النظرة غير دقيقة ، فلم تكن السلطة المركزية فى ذلك الزمان بمثل قوتها الآن ولا كانت بمثل هيمنتها الراهنة وسيطرتها على كل مرافق الحياة والبشر وعلى كل معاملات الأفراد .

ولذلك فاننا عندما نبحث عن الشريعة لا ينبغى أن نفتش عنها فى دواليب الحكام ولكن يجب أن ننشدها فى الأزقة والحوارى والنجوع والدساكر .

واذا كان الحاكم قد ابتعد عن التطبيق الأمثل للشريعة ، أو أنه غالى فى الابتعاد فجار وجاوز الحريات ولم يرع أحكام الشرع ولا حقوق العباد فهل هذا يكفى للقول بأن السياسة كانت بعيدة عن الدين ، وهل السياسة تلك للحاكم وحده ، أم أن علينا لتكمل رؤيتها أن تنظر فى الحركات السياسية والشعبية والفكرية التى قامت تكافح جور هذا الحاكم ، وننظر هل صدرت هذه الحركات من الوعاء الفسيح للفكر الاسلامى وفقهه أم أنها صدرت من معايير للشرعية وأصول للاحتكام ومن نظرة فلسفية مجافية لحكم الشريعة وأصول الدين ، اننا هنا لا نتكلم عن سلطان بذاته او دولة بعينها وانما نتكلم عن مجتمعنا وشعبنا ، عن أمتنا عبر مراحل تاريخية طويلة ممتدة ، ويلزم أن تكون نظرتنا من الاحاطة والشمول بما يتبين معه حقيقة الأوضاع فلا ننظر فقط الى ما يتأيد به الحاكم من شرعية وانما ننظر أيضا الى هذا الوعاء الفسيح الذى خرجت منه انتقادات المعارضة ودعوات الثائرين وأن ننظر الى تلك المدارس والمذاهب الجمة الغفيرة التى قامت بها الحركات السياسية والاجتماعية كما ننظر فيمن انتفضوا يذودون عن أوطانهم ضد الغزو الأوربى على مدى القرن التاسع عشر كعبدالقادر الجزائرى والسنوسى والخطابى والأفغانى وغيرهم .

وعلى ذلك فان انكار وجود الشريعة الاسلامية لا يكفى سندا للقول بأن الدولة العثمانية كانت ظالمة أو أن المماليك كانوا فاسدين ، انما يتعين أن ننظر فى الحركات السياسية والفكرية التى ظهرت على عهد هؤلاء .

واذا كنا ننظر فى أمر الشريعة الاسلامية ووجودها وفى أمر صلة الدين بالسياسة فهل يمكن أن نتجاهل أو نتغافل عن ظهور الحركة السلفية لمحمد بن عبد الوهاب فى نجد والجزيرة العربية وحركة محمد بن على السنوسى فى صحراء أفريقيا الكبرى من ليبيا والجزائر ، وحركة محمد أحمد المهدى فى السودان وهى كلها حركات ثورية اسلامية تجديدية كبرى ، كانت كلها فكرا وفقها وسياسة وجمعت الجموع وحشدت الحشود وبمئات القرى ، منذ أواسط القرن الثامن عشر فى تلك الأيام التى توصف بالانحطاط وظهرت غارة فكرية وعقائدية اسلامية ليس فيها أثر يذكر لرسل الحضارة والمدنية الوافدة من الغرب

١٠٠ هـ

***

(٢)

الرد على دكتور محمد نور فرحات

وقد اثار الدكتور محمد نور فرحات تعليقات وملاحظات على الحقائق التى قدمها المستشار طارق البشرى فى مواجهة الحملة المضللة حول انكار تطبيق الشريعة الاسلامية بعد عصر الراشدين .

أولا : يرى الدكتور فرحات انه لا تلازم بين تطبيق نظام قانونى فى الماضى وبين صلاحيته للتطبيق فى زمان آخر . ولذلك فهو يعيب على المتحاورين الحديث عن تطبيق الشريعة فى الماضى كسند للمطالبة بتطبيقها فى الحاضر .

يقول (المستشار البشرى) : الحاصل فى ظنى ان الحوار حول تطبيق الشريعة فى الحاضر قد استطرد الى الحديث عن مدى تطبيقها فى الماضى بسبب أن المعطلين لتطبيقها فى الحاضر استقووا (من قوى) فى موقعهم بهذه الدعوى العجيبة وهى أن الشريعة لم تطبق منذ عهد الراشدين ولم يكن يدور فى خلدى ان يصل الأمر بالمعطلة الى انكار الماضى بهذه الجسارة حتى ووجهت به فى احدى الندوات ولم اتخيل ان يكون لهذا الانكار رواجا حتى وجدته يتكرر على أقلام كتاب وصحفيين وحتى وجدته من بعض دعاوى المتطرفين ايضا .

ومن جهة ثانية فان للمعطلة وجه حجة فى هذا الانكار لأن الزعم بعدم انطباقها بضعة عشر قرنا وعدم انطباقها فى التاريخ كله الا خمسين سنة يجعل الواقع التاريخى فى صفهم ويظهر ان دعاوى المطالبين بها لايخلو من حماقة أوربية اذ كيف يصح فى الأذهان أن يعود للحياة ما لم يصلح للحياة الا نصف قرن من التاريخ كله ، وكيف نعيد ما غبر وانقطع وباد بضعة عشر قرنا ، ثم أن المثبتين للشريعة أنها كانت قائمة على الشرعية فى مجتمعاتنا طوال القرون الماضية وانها بقيت حتى خلعت خلعا فى القرن التاسع عشر بعد أن دهمنا من الغزوات ما تعرف .

لا شك أن للواقع التاريخى حجته ولا يجوز التهوين من قيمة هذه الحجة اذا كانت فسدت فى أيدى أصحابها ومن جهة أخري فان الواقع التاريخى هو جزء من واقعنا الحاضر من حيث انه يمثل شعاعا فى وعينا بالتراث الحضارية وبالخصال المميزة لنا كافة وجماعة سياسية وحضارية ولا يرضينا بطبيعة الحال أن قطع من تراثنا عنصر هو من أقوى وأفضل ما عايشناه فى تاريخنا ، وكان تفاعلنا معه من أزهى ما تبدت منه العبقرية الاسلامية والعربية ، الا وهو الفقه الاسلامى .

* * *

كنت ميزت بين مرحلة التشريع فى زمن الرسالة والراشدين وبين مراحل التطبيق فما يلى ذلك من ازمان، ويعترض الأستاذ المعقب بأن كان فى المرحلة الأولى تطبيق ومنها ما يخضع للتاريخ وأحواله ، فهى لم تكن تشريعا صرفا .

وخلاصة القول أن يقول أن صيغتى التشريع والتطبيق مداخلتان فى الزمان وفى ظروف الأحوال ، وان فى التشريع تطبيقا وفى التطبيق تشريعا .

وأنا أعرف أن التداخل قائم بين الظواهر المختلفة وان من يطالع ما كتبه يتأكد أن فترة التشريع تضمنت ما لا يعتبر قرآنا ولا سنة من أقوال وأفعال الرسول والصحابة .

* * *

ثانيا : فهمت من حديث الأستاذ المعقب أن هناك من ينكرون دور العقل فى بناء حضارة الاسلام وان هؤلاء المنكرين لدور العقل يؤكدون على دور الشريعة كأساس لهذه الحضارة ولا أظن أحد حتى من غلاة المحافظين أنكر دور العقل . وان لفظى المنقول والمعقول يحرمان مجرى الاقتران على السنة الأزهريين من قديم .

كنت أود أن لا يدور الحديث حول أننا نتصور أن تقدم مجتمعنا المعاصر رهن بقطع الأيدى ولا أظن أن الغلاة أنفسهم يقولون بهذه فقط ....

وكنت أود أن يدور حوار الأستاذ المعقب مع من يقول أن الشريعة أعم كثيرا من الحدود ومن الربا والحجاب وانها شرعية عامة وأنها ركن ركين من بناء وتقوم بالنهضة والاستقلال والوحدة دون أن تكون وحدها مدار ذلك كله ، وأنها ركن فى تاريخ وحضارة وركيزة فى هوية وانتماء ومادة فى قوة تماسك الجماعة .

ان دراسة الظروف الأجتماعية والتاريخية لانتشار تطبيق الشريعة ولقوة المجتمعات الاسلامية حينا وضعفها حينا أمر نعترف بأهميته وفائدته ولكن هل يغيب عن البال

اننا لم نبرح مرحلة المطالبة بالاقرار بأصل وجودها وشرعيتها لأن هذا الاقرار نفسه مهم والأصل منكور مهجور لدى الطرف الآخر من الحوار ورغم نص الدستور على اعتبارها مصدر التشريع .

* * *

ولكن هل تصح دعوى الداعى الى تعطيل المطالبة بالاستقلال حتى ندرس اسباب انتكاس احمد عرابى عام ١٨٨٢ ، اقصد أن اقول انه فى المسائل الخاصة بالانتماء وبعناصر الوجود الجمعى ، نحن لا نشترط ، الدراسة علينا فرض والاحسان فرض ولكننا نفعل ذلك ونحن ممثلون لواجب الانتماء والهوية باعتبار أن الانتماء والهوية كلا مضروبا علينا بحكم اللزوم ولا نختار بينهما وبين غيرهما . ولا نشترط فى انتمائنا الشروط ، واننا اذا استلزمنا الشروط للاعتراف بأصل انتمائنا ، فاننا نكون قد اخضعنا هذا الانتماء للاختيار ، نكون قد ألحقناه بنا بدلا من أن نلتحق نحن به ، نكون قد حكمنا عليه بدل أن نحكم به ، فنحن لا نختار مصريتنا ولا عروبتنا ولا نختار أسس جماعتنا ، وفى الشريعة عنصر انتماء بحسباتها من مقومات الوجود الجمعى سواء بحكم المكون الحضارى والتاريخى لنا عربا ومصريين أو بحكم المكون الدينى الايمانى لنا كمسلمين .

بعد ان وافق المعقب على وجود الشريعة بعد عهد الراشدين أبدى ميلا للتحفظ على هذه الموافقة . وقد أبدى هذا التحفظ بأسلوب اكثر امعانا فى التعبير المنفى.

* * *

وأشار الى ملاحظتين (الأولى) : أن خلو سجلات المحكمة الشرعية من ذكر لقضاء الحدود أمر يتفاوت فى دلالته العقول وهو لا يفيد باللزوم انتقاصا من أصل قيام الشريعة ولم يقل أحد فى الماضى أو فى الحاضر أن مدى تطبيق الشريعة يقاس بعدد من قطعت أيديهم ولا يقاس مدى احترام القانون ونفاده فى بلد بعدد المحكوم عليهم بالحبس والاعدام .

والا كانت الدول الأوربية اقل البلاد احتراما للقانون .

والمعروف ان احكام الحدود فى التاريخ الاسلامى كان قليلا وأن الأثر الرادع يفوق ما عداه منها حتى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

الملاحظة (الثانية) : أن انكار قيام الشريعة كمصدر للشرعية على هذا المدى صنيعة فلا يحتج به علينا ولعل المعقب يقصد أن ثمة من خالف الشريعة من الحكام السابقين .

* * *

ان الحديث عن الدولة العثمانية هو حديث فى التاريخ ولا ينبغى أن يثير جدلا سياسا انما هو تاريخ تستخلص منه العبرة وهى التى دافعت عن ديار الاسلام قرونا وأن الفساد المطلق الذى تصور به ما كان يبقيها ستة قرون وأن غالب مصادر التاريخ كانت منحازة ضدها وأن ثمة مؤرخين الآن يعيدون دراستها بمصادر أوسع وبتوازن أدق .

* * *

الباب الخامس

الحملة على إسلامية الثقافة

١ ــ الدكتور محمد احمد خلف الله

٢ ــ الدكتور زكى نجيب محمود

٣ ــ الدكتور فؤاد زكريا

٤ ــ الدكتور لويس عوض

٥ ــ محمود امين العــالم

٦ ــ كمال الملاخ

٧ ــ عبد الرحمن الشرقاوى

٨ ــ الدكتور محمد نور فرحات

٩ ــ ادونيس

١٠ ــ توفيق الحكيم

١١ ــ نجيب محفوظ

الباب العاشر

الفصل الأول

دحض شبهات الدكتور محمد أحمد خلف الله

عالميـة الاسـلام

على طـريق مفهوم القـومية الغربى المفـرغ من المضمون الاسلامى ، ما يزال الدكتور محمد أحمد خلف الله ينفث سمومه ، ويفاخر الدكتور خلف الله بولائه للنظرية الغربية الوافدة التى حملهـا ساطع الحصرى وميشيل عفلق ، ولا يبالى أن يدعى بأن الاسلام هو النظام الدينى للأمة العربيةدون عموم الناس وأن الذين يذهبون الى أن الخطاب القرآنى باللغة العربية موجه الى عموم الناس والى البشرية جمعاء لا يدركون أبدا أنهم يضعون المولى سبحانه وتعالى الموضع الذى لا يليق بالانسان العـاقل الحكيم فضلا عن أنه لا يليق أبدا بذات المولى سـبحانه ولا بصفاته من حيث أنه المشرع العـادل الحكيم الخبير البصير .

ويقول الأستاذ عبد الوهاب فايد : لا يتنـافى مع الحكمة أن تكلف أمة تختلف لغات طوائفها بتكاليف تصاغ بلغة احداها ، خصوصا اذا كانت أعظم اللغات وأشرفها وصارت هى اللغة الرسمية ، ويطلب من الذين صيغت التكاليف بلغتهم أن يبذلوا كل جهد ويتخذوا كل وسـيلة لتبليغهـا للآخرين ، كما يطلب من الآخرين أن يجتهدوا حسب وسعهم فى معرفة مضمون ما كلفوا به خصـوصا اذا كان يرتبط بسعادتهم دنيا وآخرى .

وقد تحقق هذا أيام سلفنا الصالح فنقلوا الى الأمم الأخرى مضـمون الشرائع بالترجمة وبالتطبيق العملى الذى أعطى للأمم صـورة جميلة للاسـلام جذبتهم اليـه وحملتهم على أن دانوا به وانقـادوا له ، وحملهم هذا الشغف على أن عكفوا على لغة القرآن يدرسونها ويدونونها ويضعون لهـا القواعد فى جميع فروع اللغة ويهتمون بكل علوم القرآن . قال ابن خلدون فى المقدمة ح ٣ ص ١٢٥٧ (ومن الغريب الواقع أن حملة العـلم فى الملة الاسلامية أكثرهم العجم) ومن السهل أن ندرك هذا حين نعلم أن البخارى أعظم المحدثين كان من سلالة فارسية وكثير من الأعاجم افنوا حيـاتهم فى العلم وتعليم اللغة العربية ، بل كان لبعضهم فضل وضع قواعدها ، واهتمام الشعوب الاسلامية باللغة العربية يقوى دعائم الوحدة بينها .

فالعرب لهم الفضل فى حمل تعاليم الاسلام ثم نقلها الى جميع الأمم والعجم كان لهم الفضل فى الحفاظ على لغة القرآن وعلومه التى تخدمه وقد تولدت منه ونشأت عنه ، واذا أجلنـا النظر فى الدول الـكبرى فى عصرنا الحديث نجد أنها تتكون من اتحادات وولايات مختلفة . وحكامها المركزيون يصـدرون قراراتهم بلغـة الأكثرية ويعتبرونها اللغة الرسمية ثم تبلغ القرارات الى الآخرين بطريق الترجمة .

والقول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلغة قومه صـحيح ، لكن هـذا لا يمنع الترجمة للأمم الأخرى ، والقول بأن اسـلافنا الأوائل رفضوا ترجمة القرآن يعوزه الدقة ، فقد رفضوا الترجمة اللفظية ولم يرفضوا ترجمة المعانى والقصـائد والمضمون . وفرق بينهما .

ولهذا انتشرت الكتب الاسلامية التى تبين عقـائد الاسـلام وشرائعه وتعاليمه بجميع لغـات البلاد التى افتتحها المسلمون مع احتفاظ القرآن بلغته وابقـاء على قداسته ، واشعارا بأن اللغة العربية هى اللغة الرسمية

* * *

بقى الأمر الثانى وهو أن القرآن نزل بلغة العرب ونظامه الاسلامى خاص بهم وحدهم دون بقية الأمم .

أقول وقد سبق بهذا القول بعض النصارى ، اذ زعموا أن رسـالة النبى صلى الله عليه وسـلم خاصة بالعرب ، كما فى كتب العقائد :

واقول فى ابطال هـذا الزعم : انه لا توجـد آية

واحدة تقول : أيها العرب ، بل آياته تنطلق بعموم الرسالة وامتنان الله على العرب بفضل القرآن ورسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، لا يعنى أنه لا اثر له فى غيرهم ، أن عموم الرسالة تشهد له الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ووقائع التاريخ وشاع وذاع بين المسلمين حتى صار من المعلوم عندهم بالضرورة ومن مستلزمات الايمان :

قال تعالى :

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) .

(وما هو الا ذكر للعالمين) .

(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) .

(قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) .

وقد فهم صاحب الرسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا من كتاب الله العربى ، فهم أنه مرسل الى العرب والعجم والناس أجمعين .

واذا كانت الرسالة العامة قد ظهرت فى العرب فذلك لأن اللغة العربية أقدر على التعبير من المعانى الدينية من غيرها كما شهد بهذا الأجانب الذين حاولوا ترجمة القرآن ، وايضا لأن العرب كانوا قبائل تتوزع بينهم معظم الأديان التى تروج فى المعمورة فالاعتناء بهم وابطال معتقداتهم يعلمهم الحوار والجدال بالتى هى احسن ، ويؤهلهم للانطلاق بالدعوة ونشر نور الله فى انحاء الأرض بالحجة والاقناع .

لقد فهم النبى صلى الله عليه وسلم من آيات القرآن السابقة أنه مرسل الى الناس عامة ، ويؤكد هذا قوله صلى الله عليه وسلم :

ان الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وأن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها . أخرجه مسلم وابو داود والترمذى وابن ماجة وأحمد .

ويؤكد هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل الى حكام الدول الأخرى يدعوهم الى دينه ويبشرهم وينذرهم ، ارسل الى كسرى وقيصر والنجاشى والى كل جبار يدعوهم الى الله تعالى .

وقد ارسل خطابين الى قيصر وكسرى باللغة العربية وقد اشتمل كل منهما على حديث وآية وقام ترجمان هرقل وترجمان كسرى بترجمة مضمون الخطابين كل ترجمة الى ملكه .

وما هى الا سنوات معدودة حتى دالت دولة كسرى ودولة قيصر وورثهما المسلمون وهم يرددون : الله اكبر الله اكبر .

وتحقق قول الله تبارك وتعالى : (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

وتحقق قوله سبحانه (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) .

ثم وصل الاسلام الى مصر ، الى اجدادنا الأولين من المصريين ، جاء كتاب النبى محمد صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ، ثم جاء الفتح ودخل المصريون فى دين الله أفواجا واستجابوا عن طواعية لعقائده وتشاريعه ولم تكن لغة القرآن لغة لهم ، ولكنهم عشقوها بوازع من دينهم ثم نبغوا فيها وتباروا فى خدمتها .

وتلك معجزة القرآن فى العصور الأولى ، لقد جذب الشعوب على اختلاف أديانهم ولغاتهم ، الى تعاليمه ولغته ، نعم لقد شدهم الى لغته بدلا من أن يشدوه الى لغاتهم .

أيرى الدكتور أن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه من بعده قد تجاوزوا الحدود حين طلبوا من غير العرب أن ينقادوا الى القرآن العربى ويذعنوا لهذا النظام الاسلامى . وهل يستطيع الدكتور خلف الله أن يقول هذا بالنسبة للتوراة أو الانجيل وكلاهما نزل بلغة غير اللغات التى تسود أمم العالم المعاصر ، ومع هذا يدينون بهما .

(عبد الوهاب فايد)

* * *

(٢)

ان اطلاق القول بأن الاسلام خطاب للعرب قبل غيرهم وانه تلبية للاحتياجات العربية والبديل الالهى لمتغيراتها وأن الاسلام ليس الا (جانب) من المروبة

وان العروبة هي الأصل والاسلام مجرد فرع ، هذا الكلام الخطير في مضمونه وتوقيته ، جدير بأن نتابع أصله وفصله حتى نعرف من أين ينبع وأين يصب ، ومن الذى ابتدعه ومن الذى تبناه ومن الذى روج له .

يحضرنا على دعوة التقصي والتحقيق أكثر فأكثر ان نداءات تقليص الاسلام وحبسه موضوعيا وجغرافيا تطلق في وقت تتنامى فيه المشاعر الاسلامية بقوة في العالم الاسلامي كله من أندونيسيا الى نيجيريا مما اعتبر صحوة أصبحت تثير قلق عدد كثيرين وذعرا عند آخرين .

قال الدكتور خلف الله (ان الاسلام جاء منذ اللحظة الأولى مرتبطا بالعروبة ، وأنه أصبح جانبا من العروبة ، الجانب الأهم من حيث انه الجانب الالهي) ثم أردف قائلا : ان العروبة هي الأصل .

* * *

وفكرة أن الاسلام هو النظام الديني للأمة العربية أولا وأن بمثابة البدائل الالهية للمتغيرات العربية ، ليست جديدة على الدكتور خلف الله وقد اتيحت لي فرصة متابعة دعواه التي لم يمل من ترديدها خلال السنوات العشر الأخيرة ، وهو من أجل احتكاكي الشخصي بهذه الأفكار وربما كان مفيدا أن نفتح الملف على اتساعه ونقوم بتحرير القضية أولا لنتعرف على حقيقة رأى الكاتب فيما هو منشور ومعلن قبل أن نحاول استجلاء ما قبل الكلام وما بعده .

ففي مستهل بحث قدمه ١٩٧٨ في ندوة (العروبة والاسلام) في بيروت ذكر ان القرآن الكريم هو الوثيقة التاريخية الأصيلة في مثل هذا الموضوع وأنه (النص المتواتر الذى وصل الينا سليما من غير تحريف أو تبديل وكان عنوان بحثه (عروبة الاسلام) فقد لفت النظر الى أنه العنوان لا يستهدف القول بأن الاسلام خاص بالعرب وحدهم أو أنه ديانة اقليمية أو قومية وليس ديانة عالمية لكن ما يهدف اليه هو اثبات أن الاسلام قد جرب أولا في جزيرة العرب وحين نجحت التجربة خرج به الذين جربوه الى أمم أخرى غير العرب وقال : هل يجوز على الله أن يحاسب الناس يوم القيامة على أساس من شريعة لم تنزل بلغاتهم المختلفة ولم يفهموا ما جاء فيها وهو ما يعني صراحة أن الرسالة ليست موجهة لغير العرب ثم انه ليس صحيحا أن المسلمين خرجوا بالاسلام الى غير العرب بعد أن جربوه ونجحت التجربة ، وهو قول ينصب على الفتح ويسقط تماما التبليغ الذى تم في حياة النبي وفي مرحلة الاستضعاف الأولى ، قبل الهجرة الى المدينة حيث كانت التجربة في علم الغيب وكان نجاحها أمرا غير مذكور) .

مع ذلك فلنضع خطا تحت عبارة ان الاسلام جرب أولا في جزيرة العرب ولما نجح صدر الى الخارج ولنحتفظ بالخط ، لأن المعنى موصول بمقولات أخرى سنقف عندها فيما بعد .

وفي اثباته لعروبة الاسلام ساق أدلة عديدة : منها ان الله سبحانه وتعالى اتخذ له بيتا في الأرض العربية (الكعبة) وان العرب كانوا يحجون الى هذا البيت قبل المسلمين وان الله هو اله يعرفه العرب ويدينون له .

وقد بنى الدكتور خلف الله على ذلك مقولة صاغها على النحو التالي :

الله معبود عربي ، وأول بيت له بنى بأرض العرب من قبل أن يكون الاسلام وهكذا نستطيع ان نذهب الى عروبة المرسل للرسالة ، التي تعترف باسم الاسلام (ندوة بيروت) .

والمرسل للرسالة المدعى عروبته ليس سوى الله سبحانه وتعالى .

ومن الأدلة التي ساقها ان النبي عربي وان القرآن عربي وان المشكلات التي تعرض لها القرآن في حياة الناس كانت مشكلات المجتمع العربي ، الأمر الذى يعني ان العقيدة عربية .

وفي سنة ١٩٨٢ ألقى الدكتور خلف الله محاضرة في رابطة الأدباء بالكويت حول موضوع العروبة والاسلام كنت أحد شهودها .. وفي محاضرته تلك ذكر مقولته : ان الاسلام ليس الا النظام الديني للأمة العربية أولا وقبل كل شيء ، النظام الذى نزل من السماء ليكون البديل عن الأنظمة الأخرى التي كانت الأمة العربية تمارس حياتها على أساس منها .

وقال : ان العرب في كل مكان يرون الاسلام دينا قوميا لهم قبل أن يكون دينا عالميا لكل الناس ، وقد ألغى قومية الاسلام لاحقا وكرر فكرة ان الاسلام كنظام ديني لم يخرج مكانيا عن المحيط العربي في شبه الجزيرة الا بعد أن جرب ونجحت تجربته .

وذكر ان الآية (اليوم أكملت لكم دينكم) تقصد بها العرب والعرب ليس غير .

وأعاد سرد أسانيده عن عروبة الاسلام وقوميته ، من اللغة الى الاشهر العربية الى جنسية النبى الى مشكلات العرب وهمومهم التى عالجها القرآن وأضاف : الله حاضر فى ذهن الانسان العربى قبل أن يكون الاسلام ولكنه لم يكن وحده فى هذا الحضور ، وانما كان الى جانبه آلهة أخرى ، ومن هنا كان الشرك الذى يعنى تعدد الآلهة بوجود شركاء لله ، ثم قال : الله مرتبط بالعروبة فى الاسلام وفيما قبل الاسلام مرتبط وحده بالعروبة فى الاسلام ومرتبط مع غيره من الآلهة فى عروبة ما قبل الاسلام ، وارتباط الله وحده بالعروبة فى الاسلام لا يعنى الارتباط بالدين الاسلامى وانما يعنى الارتباط بالاسلام من حيث هو نظام دينى للأمة العربية ، نظام يسمح بحضور الله فى العروبة على اساس من الأديان السماوية لغير المسلمين اى لأهل الكتاب .

ومن الخلاصات التى انتهى اليها فى محاضرته ما يلى :

ـ ان العروبة هى الأصل وأن الاسلام هو الفرع .

ـ ان حركة التعريب فى البلدان التى تعربت كمصر وبلاد الشام كانت اقوى واوسع انتشارا من حركة الاسلام ، اذ تعرب جميع السكان لكن لم يدخل الجميع فى الاسلام .

ـ لم يكن الاسلام هو العامل الرئيسى فى التعريب والا تحقق التعريب فى كل بلد دخله الاسلام (اى انه ليس للاسلام فضل فى شىء) .

ـ ان العروبة هى القاعدة والأساس وأن الاسلام هو بعض أجزاء البناء المقام على هذه القاعدة .

ـ انه لا يمكن فصل الأسلام عن العروبة والا فقد الاسلام هويته .

ـ لقد خلق الله الاسلام كائنا عربيا وقدر له الخروج من جزيرة العرب الى أرض الله الواسعة لكن بشرط أن يظل حاملا معه هويته العربية . .

وأخيرا طلع الدكتور خلف الله بمقاله الذى كرر فيه هذه الآراء .

والذين يتابعون ادبيات الفكر البعثى لا تفاجئهم افكار الدكتور خلف الله وانما يعتبرون الكلام كله ـ من أوله الى آخره ـ ليس أكثر من شروح لمقولات المبشرين بهذا الفكر وأبرزهم ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث العربى .

استحضر هذا مع خطبة القاها عفلق فى مناسبة ذكرى المولد النبوى الذى تصفه المطبوعات البعثية . بأنه البطل العربى حينا والرسول العربى حينا آخر .

قال عفلق عن النبى صلى الله عليه وسلم ما نصه :

انه رجل من العرب بلغ رسالة سماوية فراح يدعو اليها البشر ولم يكن البشر حوله الا عربا فملحمة الاسلام لا تنفصل عن مسرحها الطبيعى الذى هو أرض العرب وعن أبطالها والعاملين فيها وهم كل العرب . ان اختيار العرب لتبليغ رسالة الاسلام كان بسبب مزايا وفضائل اساسية فيهم وان اختيار العصر الذى ظهر منه الاسلام كان لأن العرب قد نضجوا وتكاملوا لقبول مثل هذه الرسالة وحملها الى البشر وان تأجيل ظفر الاسلام طوال تلك السنين كان يقصد ان يصل العرب الى الحقيقة بجهدهم الخاص .

فالاسلام اذن كان حركة عربية وكان معناه تجدد العروبة وتكاملها فاللغة التى نزل بها كانت اللغة العربية وفهمه للأشياء كان بمنظار العقل العربى والفضائل التى عززها كانت فضائل عربية ، والعيوب التى حاربها كانت عيوبا عربية سائرة فى طريق الزوال . الخ . هل وجدت تشابها بين هذا الكلام وبين ماطلع به علينا الدكتور خلف الله وسمى اجتهادا . ان دققت جيدا وغضضت الطرف مؤقتا عن جديته فى موضوع الألوهية الذى هو من قبيل التطرف والغلو ، فستجد ان الأفكار واحدة وان العلاقة بين الاثنين علاقة المتن بشروحه ، وان تأيد ذلك وتأكد ، فلننتبه الى ان كلام ميشيل عفلق قيل فى الجامعة السورية بدمشق عام ١٩٤٣ بينما كلام خلف الله سمعناه فى آخر السبعينات وقرأناه فى مصر فى أواخر الثمانينات .

عروبة الاسلام وكونه طورا متقدما للحياة العربية او بديلا الهيا لمتغيرات الواقع العشوائى هى معزوفة يرددها رموز البعث العربى فى مختلف اصداراتهم وادبياتهم ولا مجال لتتبع هذه الكتابات هنا فكلها شروح على مقولات مؤسس الحزب ولكننا ننقل عبارة واحدة لأحد أعضاء القيادة القومية للحزب ، هو شبلى العيسمى يقول فيها :

ان الاسلام هو من العروبة كالابن من أمه ، ان

الاسلام هو الامتداد الثورى المتطور للعروبة .ك (عروبة الاسلام وعالميته) .وفى كتب الاستشراق نجد اصلا لكثير من الأفكار التى يرددها بعض المثقفين فى شان الاســـلام بوجـــه خاص ، ومن اكـثر هذه الأفـكار ذيوعا ـــ فى الموضوع الذى نحن بصدده ـــ مقولتا ـــ عروبة الاسلام وكون الله سبحانه وتعالى معبودا عربيا او الها عربيا فى قول آخر وانهم جميعا كانوا يعدون النبى زعيما أو بطلا عربيا كما يقول الآخرون تقرير مواقفه وخططه لا فى ضوء الوحى وبتوجيه من السماء ولكن طبقا لحسابات وظروف كل مرحلة مما يقدره اى زعيم محنك .

والطريف ان مستشرقا منصفا مثل السير توماس ارنولد تصدى منذ نصف قرن تقريبا لرد مقولة عروبة الاسلام مؤكدا عالميته فى كتابه الشهير : الدعوة الى الاسلام الذى ترجم الى العربية ١٩٤٧ .

وقد ابدى دهشته واســتغرابه من انكار بعض زملائه لعالمية الرسالة ورد دعوتهم على اربع صفحات مستشهدا بآيات العالمية ونزولها فى مكة وبالرسائل التى وجهها النبى الى ملوك عصره فى الســنة السادسة من الهجرة ، ومما قاله فى هذا الصدد :

ان الرسول صرح بكل وضوح وجلاء : ان الاسلام الاسلام ليس مقصورا على الجنس العربى قبل ان يدور بخلد العرب اى شىء يتعلق بحيــاة الفتح والغزو بزمن طويل .

قارن ذلك بقول من قال : (ان الاسلام اتجه الى العالمية بعد نجاح تطبيقه على ارض العرب) .

أيا كان الأمر فالمقولة خطيرة وتفتح الباب لتجريح الاعتقاد وهو ما لا نتمناه لأحد حتى ولو كان من المتعبدين بالعروبة والمفتونين بها ولكن استمرار ترديدها يقوى من مؤشرات الاسترابة والشك ، وتضع الراغبين فى الدفاع عن سلامة الاعتقاد هؤلاء فى موقف حرج وصعب للغاية .

والأمر كذلك ، فهل تســتطيع ان تقبل بســهولة الادعاء بأن موضوع الحوار هو مجرد العلاقة بين العروبة والاسلام وان ما يقال بصدده هو اجتهاد برىء لوجه الله والحقيقة . ثم الا نقدر اذا ما اعتبرنا هذا الكلام نيلا من الاسلام ذهب الى ابعد مما ينبغى الأمر الذى يسوغ معه ان نرفع اصواتنا محذرين وقائلين : كفى لعبا بالنار .

(فهمى هويدى)

***

(٢)

فى الحوار حـول القومية والدين او بين القومية بالذات والاســلام ، فان محاولات التفضيل او الاختيار سوف يكون مصــيرها الفشل فالقومية العربية كما تبين فيما بعد نتــاج اسلامى خالص وهى صياغة اسلامية فريدة لفكرة القومية ولكن ما يكتبه البعض وما يحاوله . فى ان يثبت ان الاسلام دين محلى لا يخلو من ميزات هو أمر مرفوض علميــا على الرغم من ايراده لبعض آيات القرآن الكريم التى استدل منها استدلالا لا يخفى فساده على احد فنزول القرآن الــكريم باللغة العربية دليل فى رأى هذا البعض على ان المخاطب به هم العرب وحدهم، مع انه لابد لكل كتاب منزل ان يكون بلغة من اللغات على تعددها واختلافهــا ولأراد لمشيئته الله عــز وجل ، ومن ناحية اخرى فلا نعرف دينــا نزل بالبدائل للمتغيرات فى الحيــاة الانسانية فالأديان تنزل بالثوابت فى العقيــدة والأخلاق واصــول الشرائع ، وهى لم تتغير فى الأديان فهى ثوابت مطلقة ومفروضة وليست مجرد بدائل نسبته فالتوحيــد ليس بديلا عن الوثنية أو الشرك الذى كان سائدا فى بلاد العرب وهو ليس تصحيحا لعقيدة محلية منحرفة فى بلاد العــرب فالقرآن فى آياته يحرر عقيــدة التوحيد للبشر جميعا ولكل العصور فى آخر كتاب منزل ولن نطيــل فى التدليل على ذلك فهو معــلوم من الدين بالضرورة .

وحين دخل الاســلام الى العراق والشــام كان سكانهما يخضعون للحكم الفارسى البيزنطى ، وكان لمصر كما هو معروف من الجنس واللغة ما يجعلها تنتمى الى العرق والجنس الذى ينتمى اليه العرب (العرق السامى) وذلك نتيجة للهجرات القديمة المتتالية من شبه الجزيرة العربية لمصر ، وعلى العكس من ذلك كانت بلاد ما وراء النهر ـــ الفرس والساسانيون ـــ وهؤلاء على الرغم من اعتناقهم الاسلام لم يكفوا عن الاعتزاز بقوميتهم المتمثلة فى العرق والجنس والتراث الحضارى الذى كان قائمــا لعناصره ، وظهرت الشعوبية التى كانت ترمى الى تحقير العرب ورفض سلطانهم الدنيوى حتى مع توحد الاعتقاد الدينى الى درجة انكار انهم شعب ، بل قبــائل متفرقة والى الحــد المساس بالاســلام ذاته على يد غــلاة الشعوبيين .

والثابت تاريخيا انه لم يكن للعرب بشبه الجزيرة او العراق والشــام تراث حضــارى خاص يعتزون به ولا عادات وتقاليد وقسمات مشتركة ، ولا كان الجنس والعرق بينهم يمثل عنصرا ظاهرا بل ان العرب فى شبه

الجـزيرة كانوا يعدون أنفسـهم أقل شـأنا من الروم والفـرس الذين كانوا يتسـلطون على بعض أطـراف الجزيرة ولا أحد يستطيع القول بأنهم كانوا أمة لها كيانها الذاتي .

وظهر الاسلام ونزل القرآن بلسان عربي مبين ، ووردت كلمة (أمة) بمعانيها المتعددة واستطاع الكامل أن يزيح الناقص لغة وحضارة ، وأصبح الاسـلام هو الجامع لهذه الأقاليم ، وكلها تقدم البعث الديني والخلقي والفكري الذي إثاره القرآن الكريم بين هذه الشعوب في العلوم والمعـارف والنظم والسـلوك ، ضعفت أمامه السمات والتقاليد والعادات المحلية في العراق والشـام ومصر .

* * *

ومنذ أواخر القرن الأول وفي القرن الثاني للاسلام كان الطابع الاسلامي لغة وحضارة وتقاليد وسمات هو السائد ، وبدأت الأمة العربية في الظهور لأن أحد معـاني الأمة في القرآن الكريم هو الخصائص الدينية والأخلاقية والفكرية وذلك في قوله تعالى :

(أن تكون أمة هي أربى من أمة) .

وفي قوله تعـالى (ان ابراهيم كان أمة قانتـا لله حنيفا وما كان من المشركين) .

وفي قوله تعالى (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

وهـذه الخصائص في المعنى القـرآني والنظـرة الاسلامي هي الحاسـمة في تكوين الأمة وليس العرق أو الجنس ، والأجنـاس والأعراق لا تجمع كل محاسن الصفات وحميد الأخلاق ولا تحتكر الميزات ، لأن هـذه الميزات يتقاسمها البشر كما يقول الجـاحظ في رسائله .

ولم يكن العـرب قبل الاسـلام يذكرون عرقهم وجنسهم ، أو يعتزون به وكان ظهوره وذكره في الدولة الأموية يخفي أوضاعا سياسية واجتماعية واقتصادية ظهرت في ردود الفعل المضاد لاعلاء شأن العرب عرقيا ، فالعـروبة لم تظهر قبل الاسلام كعرق أو جنس أو خصائص مشتركة أو حضارة أو تراث له كيانه وميزاته ، ويكفي لتأكيد ذلك أن اسماعيل عليه السـلام وهو أبو العرب كان ينتمي الى العبرانيين وكان أعجميا وتعرب كما يقول الجاحظ فالاسلام هو الذي صاغ الأمة العربية من جديد صـياغة لا تستطيع أن تفلت منها والا ضاع معنى القومية العربية والأمة العربية .

وقامت الصياغة الاسلامية على أساس واقعي وأخلاقي معا ، ذلك أنه مع تهافت فكرة الجنس والعرق والدم وعدم ظهورها وضرورة إثباتها فإن القرآن أشار اليها باعتبارها واقعا وظاهرة اجتماعية ، فذكر القرآن اختلاف الألوان والألسنة البشرية وأورد الحديث الشريف ذكر الأبيض والأسود والأحمر من بني الانسان ولكنه اعتمد معيـارا جديدا للتفرقة هو (التقوى) أو العمل الصالح .

وبذلك وجدت القومية العربية بصياغة جديدة تقر بوجود الاختـلاف في الجنس واللون وأن ذلك جانب من الرابطة الاجتماعية ولكنه لا يعبر عن الخصائص الدينية والأخلاقية والفكرية بما يتبعها من عادات وسمات وتقاليد مشتركة .

وهـذه الصياغة تتفق مع المفهوم القرآني وتتميز بالواقعية والصدق وتوافر الميزات والخصائص المطلوبة للأمة والتي جعل القرآن الكريم في آياته عناصرها الدينية والخلقية والفكرية والنفسـية فهوية العرب من لغة القرآن وخصائصهم الدينية والخلقية والفكرية والنفسية في محتواه ومضمونه .

فالقومية العربية اذن هي نتـاج اسلامي خالص ، ولا حاجة بنا الى الغوص في أعماق التاريخ لنكتشف أن قبائل وشعوب المنطقة لم يكن يجمعها شيء ولقد نزل القرآن باللغـة العربية وهي الهوية الحاسمة في الأمة العربية ، وأكد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم : (ليست العربية من أحدكم بأب أو أم انما العربية اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي) فالأمة العربية تنتمي الى الكلمة المبينة قبل أن تنتمي الى عرق أو جنس .

ويقول ارنست رينان المؤرخ وعالم اللغات : انه من بين الظواهر التي اقترن بها الانبثاق غير المنتظر لوعي جديد في الجنس البشري ، وهو ظهور الاسـلام ونزول القرآن باللغـة العربية ، كانت اللغة الظاهرة الأشـد غرابة ، فهذه اللغة المجهولة عالميا قبل ظهور الاسـلام تبدو لنـا فجأة بكل كمالها ، فالعروبة منذ نزول القرآن باللغة العربية وبمحتواه الالهي أصبحت حضارة وولاء وسمات وتقاليد تؤلف وتجمع أولئك الذين ينحون ولائهم لهذه الحضارة وتلك السمات بصرف النظر عن العرق أو الجنس أو الدين كما قال البعض بحق .

ونقول بصرفه الفطرة عن الدين لأن الاسلام أعاد صياغة الاختلافة الدينية على نحو جديد غير مسبوق فقرر وحدة الدين الالهى فى كافة الرسالات ويقول القرطبى : ان الله جعل التوراة لأهلها والانجيل لأهله والقرآن لأهله وهذا فى الشرائع والعبادات والأصل (التوحيد) لا خلاف فيه .

فتكاملت بذلك صياغة الاسلام للقومية العربية بالذات والعربى غير المسلم ينتمى الى نفس الحضارة والسمات والتقاليد ويمنح ولاءه لها ، فهو فى ذلك كالمسلم تماما بعد أن تحرر مبدأ الاختلاف الدينى فى الاسلام على نحو انسانى كامل . فقد استطاع الاسلام أن يطبع العرب جميعا بطابعه الفكرى والنفسى ، بينما لم تستطع المسيحية التى تقوم على الحب والرحمة والتسامح أن تطبع الحضارة الرومانية بطابعها النقى وتخلصها من ماديتها وأهوائها وما زالت الكنيسة الشرقية هى كنيسة العرب حظيت بالتقدير والاحترام من الأمة العربية بوصفها ذلك وبقربها من الخصائص المشتركة للأمة العربية .

ولذلك فان من العبث الفكرى أن يحاول البعض تجريد الأمة العربية من انتمائها الى الكلمة المبينة فى لغة القرآن الكريم وحرمانها من خصائصها الدينية والفكرية والنفسية التى استمدتها من مضمون القرآن ومحتواه على مر العصور . والنتيجة المؤكدة لذلك أن تفقد الأمة العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها أيضا وأن ترتد الى القبلية والانقسام جغرافيا والى الجاهلية أخلاقيا وفكريا .. فالقومية العربية أو العروبة هى صياغة اسلامية بل لا تتجاوز الحقيقة اذا قلنا أنها صناعة اسلامية .

(جمال الدين محمود)

* * *

يرى الدكتور محمد أحمد خلف الله أن آيات الحكم بما انزل الله التى وردت فى سورة المائدة خاصة باليهود والنصارى وليست خاصة بالمسلمين .

(محاضرته فى المجمع الثقافى فى ابو ظبى — نوفمبر سنة ١٩٨٦)

يقول الأستاذ ابراهيم أبو محمد فى التعليق على هذه الآراء :

يجب أن يضع القارىء الكريم فى اعتباره حقيقتين اثنتين :

* * *

الأولى : اننا حين نناقش المقال لا نضع المقال على بساط البحث العلمى فالمقال أقل من أن يناقش والمناقشة بطبيعتها لا تعنى اعترافا بصحة الموضوع فالجهل أو الجحود اذا تحدث به كبار الناس لا يتحول الى علم ، الجهل جهل والجحود جحود ، فالمناقشة هى نوع من النزول الى مستوى من التفكير المنحرف فى محاولة لتصحيحه وترشيده عملا بأمانة الكلمة وحفظا لعقول وشبابنا وقرائنا من سموم تهب عليهم بين الحين والحين باسم الوطنية والتقدمية وحرية الرأى .

الثانية : أن مهمة الكاتب لا تقف عند حدود جذب القارىء بأى ثمن وأى وسيلة ، وعلى حساب كل قيمة وكل حقيقة يقدر بهدف جليل وعظيم وهو الوصول بالقارىء الى الحقيقة المجردة والنتائج السليمة على أساس من الصدق والموضوعية الثابته .

يرى الدكتور خلف الله أن آيات الحكم بما انزل الله والتى وردت فى سورة المائدة خاصة باليهود والنصارى وليست خاصة بالمسلمين وهذا الكلام مغلوط من عدة وجوه :

الأول : أن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب كما يقول علماء الأصول .

الوجه الثانى : أن هذه المغالطة تنطوى على قدر كبير من التهجم على دين الله لأنها توحى الى القارىء بأن التوراة أتم وأشمل وأكمل من القرآن الكريم بدليل أن اليهودى الذى يحتكم لغير التوراة يكون كافرا وظالما وفاسقا لأن الآية فى نظر الدكتور خاصة باليهود والنصارى وليست المسلمين .

والوصف ذاته : الكفر والظلم والفسق يلحق النصرانى الذى يحتكم لغير الانجيل لأن الله يقول : (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون — الظالمون ، الفاسقون) أما المسلم الذى يحكم بغير ما انزل الله فلا شىء عليه وبذلك تهمل كل الآيات التى تتناول جانب الحكم فى القرآن الكريم كقوله تعالى :

(انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) النساء .

وقوله تعالى فى سورة المائدة (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) .

وقوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) ــ الجاثية .

كل ذلك يهمل ويهمل معنى الحكم فى الآيات ومعنى الشريعة والأمر بالاتباع والتطبيق والنهى عن السير وراء منهج الذين لا يعلمون ، كل ذلك يهمل ويلوى عنق الآيات لتخدم فكرته هو دون اعتبار للأصول العلمية فى التفسير والاستنباط وليحاكم اليهودى الى دينه والا فهو كافر وظالم وفاسق وليحتكم النصرانى الى انجيله والا فالوعيد له بالكفر والظلم والفسوق أما المسلم فليحاكم الى اى شىء وليأخذ من اى شىء ، ليأخذ من الوثنية او من الماركسية او من القانون الرومانى ، الا ان يأخذ من القرآن او يحتكم اليه ، أرأيتم مغالطة أجرأ من هذا ، أرأيتم تضليلا أشد من ذلك .

* * *

(٢)

يقول الدكتور خلف الله :

(والموقف هو أما أن نستغنى عن الحضارة العلمية الحديثة أو نقبلها بكل قوانينها ونظمها التى قد يعجز عقلنا عن الألمام بها) .

ويقول : وارى وانتم ترون معى اننا قد اخترنا هذه الحضارة وسيلة من وسائل حياتنا واننا لا نستطيع الاستغناء عنها) هكذا لا ادرى متى فوض سيادته ليختار لنا وليختار نيابة عنا ، ومن الذى إختاره لهذا الغرض .

وتلك مغالطة أخرى لأنه يتصور القارىء من السذاجة بمكان والقارىء يدرك الفرق بين عالم الأشياء وعالم الأفكار .

وليس المحظور نقل الأشياء من هنالك الى هنا لأن الأشياء وسائل والوسائل محايدة خلقها الله هكذا ، فليس منها كفر أو ايمان وليس هناك مثلا طائرة مسلمة وأخرى كافرة أو كمبيوتر مسلم وآخر علمانى ، حتى نفاضل بينهما ، تلك وسائل والمطلوب نقل هذه الوسائل لتتقدم أمتنا ، أما الأفكار فهى شىء آخر : انها النظام والعادات وهى فلسفات ومذاهب يعتنقها القوم العام السائد هناك فى التربية والأخلاق والتقاليد ويطبقونها وهم الآن يعانون من شرورها ويستجيرون منها ويبحثون عن غيرها لما أحدثته فى المجتمع من اباحة وتحلل وفساد ، لكن السيد المحاضر الكاتب يخلط بشكل يوحى بالقصد وسبق الاصرار فى محاولة لقلب الحقائق وتضليل القارىء .

وبدلا من ان يتهم عقله هو بالسطحية فى فهم الاسلام وفهم شريعته بمقاصدها ومراميها ، بدلا من ذلك يطالبنا بابعاد هذه الشريعة بحجة أن الزمن تغير والأحوال استجدت وأوضحت ان هذه الشريعة لم تعد ملائمة للعصر وظروفه .

أما الحضارة العلمية الحديثة فعلينا ان نقبلها كلها بكل قوانينها ونظمها التى قد يعجز عقلنا عن الالمام بها هكذا اذا كان عقلنا يعجز عن الالمام بالحضارة الحديثة فيجب فى نظره أن نقبلها كلها بكل قوانينها ونظمها . وعقله هو لا يعجز عن فهم الشريعة وفهم الثوابت والمتغيرات فيها وفهم نظام الحكم فى الاسلام وطبيعته ولذا يجب أن نستبعد هذا النظام وتلك الشريعة .

أرأيتم حملة فى ضراوتها بمثل هذه الجراة على شرع الله تعالى أن الجميع يعلم سر هذه الحملة لأن الشريعة بما احتوته من نصوص وأحكام تعوق حركة العلمانيين فى طرح البديل على الساحة العربية والاسلامية ولهذا يجب ازالتها والتشكيك فيها من كل فصائل الماركسيين والعلمانيين المخلصين التقدميين .

* * *

خطة لابعاد الاسلام

وهكذا يتم اغتيال الاسلام جزءا ويتم الكفرية على اقساط ، ويتم تفريغ المجتمع منه بمرور الأيام رويدا رويدا .. وليست تلك المحاولات بجديدة بل ليست وليدة اليوم، انما هى ترديد وتنفيذ لخطة الأسياد فى احتلال بلاد المسلمين فمنذ الحروب الصليبية وهم يعلمون جيدا ومن خلال تجارب التاريخ ان الاسلام هو الدافع القوى والوحيد فى حسم الصراع لصالح أمتنا اذا هى تمسكت به وعاشت فى كنفه وهم يعملون جاهدين على ابعاده عن مجالات الحياة المختلفة وخطتهم فى ذلك تعتمد على النقاط التالية :

أولا : يجب ابعاد الاسلام عن أن يكون رباطا عاما

بين أبنائه فى المشرق والمغرب وطول الأرض وعرضها ، فمن طريق أخيـاء النزعات القومية فى كل بلد على حدة يمكن أن تموت المفاهيم والقيم الاسلامية من تلقاء نفسها.

وهذه الضربة النازلة بالإسلام كدين سماوى يجب ان تلحقها ضربات أخرى تنال منه كموجة فردى وجماعى من حيث السلوك والتطبيق.

ثانيا : فصل الدين عن الدولة وعن تقاليد الحياة والمجتمع باستيراد انماط من السلوك الغربى لتحل محله وتستقر بعد حين فى حس المسلم وشعوره ومن ثم تكون التبعية فى الفكر والحركة والسلوك .

ثالثا : التشكيك الدائم والمستمر فى صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق بحجة تغير الزمان وتجدد حاجات الناس وضرورة أعمال العقل واللحاق بركب الحضارة الغربية .

رابعا : تجزئة الدين بفصل العقيدة عن الشريعة تحت دعوى أن الشريعة شيء والعقيدة شيء آخر . فالعقيدة هى حق الله على عباده ، فهو الذى يحددها كما وكيف ، أما الشريعة فموضوعها مصالح العباد ومصالح العباد تتغير بتغير الزمان والمكان فلا داعى لتوريط الدين فى مسائل متغيرة ومن أراد أن يمارس دينه فالمسجد مفتوح ولا بأس عند القوم أن ينحصر الاسلام فى المسجد مؤقتا ثم بعد ذلك ينزوى ويذبل وتخمد انفاسه .

خامسا : بتر الشعور الاسلامى وشعور الأخوة بين المسلمين عموما والعرب خصوصا باعتبارهم راس الاسلام وأهل بعثه التى يعلق بها كتاباتهم .

سادسا : زرع الفتن واشعال نار الحروب بينهم لتاكل ما قد يتنامى مع الزمن من قوتهم وليظلوا هكذا فى دائرة العجز والتبعية والتخلف .

* * *

تلك هى الخطوط العريضة منذ الحروب الصليبية وحتى الآن وهم يمارسونها معنا ويشيعونها بيننا عن طريق أناس من بنى جنسنا يتسمون بأسمائنا ويعيشون فى بلادنا ، ولكن قلوبهم هناك وعقولهم صنعت هناك وولاءهم لكل فكرة تولد هناك وبعد أن عاد لويس التاسع الى بلاده بعد فشل حملته على مصر وأسره فى دار القاضى ابن لقمان كتب خلاصة تجربته لاحتلال بلاد المسلمين وكان فى مقدمة ما أوصى به النقاط التالية :

١ ــ أن تسبق الجيوش التبشرية الجيوش العسكرية .

٢ ــ قطع الصلة بين المسلمين وبين المفاهيم الحقيقية لديهم لأنه مصدر قوتهم وجهدهم وصلابتهم فى المقاومة بدعوى النعيم الذى يعده للشهداء منهم فى جنة الخلد .

٣ ــ تصوير الدين الأسلامى على أنه مصدر خطر على الولاة والسلاطين وتصوير المتدينين على أنهم اهل عنف وقلاقل واضطرادات ومن ثم يجب محاصرتهم وتحجيم نشاطهم .

* * *

٤ ــ زرع جسم غريب يفصل بين المشرق والمغرب خصوصا بين الناطقين بالعربية لغة الكتاب وذلك ليتعذر بينهم فلا يجتمعون فى وحدة .

تلك هى خلاصة تصورات القائد لويس المهزوم فى مصر واذا فالكلام الذى تسمعه اليوم وتقرؤه ليس جديدا بل هو ترديد لمقولات سابقة وخطط دبرت هناك فى عواصم العداء والحقد كشفت عنها الأيام السود والليالى المظلمة التى عاشتها بلاد المسلمين تحت الاحتلال وبعيدا عن مظلة الاسلام بشريعته العادلة .

والموقف واضح فى تلك الدعوات العلمانية التى تجرد الاسلام من أخص خصائصه وأهم مزاياه وهى الشريعة التى تنظم المجتمع وتحكم الحياة وتسعد الأحياء .

انهم يريدون الفصل بين العقيدة والشريعة ليتساوى الأسلام والحالة هذه بالنظام الكنسى هناك حيث ظلام الروح وضباب النفس وجدب الضمير وليخلوا لهم الجو فيطرحوا فى الساحة الإسلامية بدائلهم .

والعقل يتساءل أحيانا فى حيرة : لصالح من تروج هذه الدعوات .

الغريب فى العلمانيين انهم يربطونها بالتقدم والتطور والوطنية .

وأحيانا باسم الحرص على دين الاسلام الحنيف حتى لا يتورط في شامل الحياة المتغيرة .

وتحت هذه الدعوى تلغي الخلافة الاسلامية وتلوى عنق الآيات ليكون المقصود بآيات الحكم بما أنزل الله : هم اليهود والنصارى وليس المسلمون .

***

فالدكتور محمد خلف الله يصور في كتاباته التشريعات النبوية على أنها :

- اجتهاد بشر يخطىء ويصيب وليست ملزمة لنا .

- كما يهدر ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من أحكام بدعوى أنها غير ملائمة للعصر .

- يعطل آية الفيء والغنيمة على أساس أن الزمن تغير .

- يسمى بيان الرسول الكريم للقرآن الكريم والسنة المبينة بأنه اجتهاد بشر .

- يرى أن النصوص القرآنية غير قادرة على تحقيق المصالح العامة للمجتمع الاسلامي .

- يرى أن بعض أحكام القرآن الواردة في النصوص القطعية أصبحت غير صالحة للتطبيق وغير عادلة بسبب تغير الأزمان والأحوال .

- يدعو الى ترتيب جديد لسور المصحف الشريف غير الترتيب الذى عليه القرآن الآن وقد رد عليه كثير من العلماء .

والويل لمن يتخلى عن مسئوليته ويخون الأمانة .

***

(٤)

أربع قضايا هامة أثارها الدكتور محمد أحمد خلف الله في مقال له تحت عنوان (الاسلام والتراث الاسلامى) العربى يناير ١٩٨٧ رد عليها الدكتور عجيل النشيمى (كلية الشريعة جامعة الكويت) .

القضية الأولى : الاسلام شيء والتراث الاسلامي شيء آخر .

حيث يفرق الدكتور بين الاسلام والتراث الاسلامي بطريقة خاطئة من الناحية العلمية ، حيث يفكر الدعوى ثم يستدل على صحتها من نفس ما ادعاه ، فقد وضع هو عنوان (الاسلام والتراث الاسلامى) ثم قال : ان العطف بالواو يقتضى المغايرة فهما عنصران متغايران وهذه مصادرة على المطلوب ، لا يصح جعل ان تكون الدعوى أو جزء منها دليلا على نفس الدعوى ثم يعرف الاسلام بالمعنى العام تعريفا سليما لكنه حين عرف التراث .

لم يصب الاسلامية حين قال : (والتراث الاسلامي هو ما ورثناه عن الأسلاف من نتاج عقولهم في تفاعلها مع الاسلام باعتباره ديانة سماوية) .

وهذا تعريف غير سليم في جملته ، فان قيل ان كل ما خلفه فقهاؤنا وعلماؤنا وفلاسفتنا وكل ما خلفه غيرهم من علمائنا تراث فهذا صحيح ، لكن لا يصح وصف ذلك كله بأنه (نتاج عقولهم) وانما يعبر عنه بمثل : فهم الفقهاء للنصوص فهو كذا أو اجتهاد الفقهاء فهو كذا ، لأن قول الفقيه لا يرجع في حقيقته الى محض عقله وفكره ، بمعنى أن يكون من بنات أفكاره ، لأن النصوص الشرعية حاكمة على الفقيه وعقله وقد يوافق العقل ما يقتضيه الشرع وقد لا يوافقه بمعنى أن لا تظهر له الحكمة فيه ومع ذلك يسلم الفقيه بمقتضى الشرع ويكون الحكم له ، فهل يقال لهذا انه من نتاج عقولهم . ثم أراد الدكتور خلف الله أن يستدل على هذه التفرقة من جهة أن مصدر الاسلام يختلف عن مصدر التراث ، وقوة الالزام بينهما يختلف فقال : ان مصدر الاسلام هو المولى سبحانه وتعالى ومصدر التراث الاسلامي هو العقل البشرى الذى تفاعل مع الاسلام باعتباره ديانة سماوية .

ونحن نقول : أن قوله بأن مصدر الاسلام هو الله تبارك وتعالى حق لا يمارى فيه أحد ، ومن هنا كان التشريع ملزما ومقدسا .

لكن مناظرة ذلك ومقابلته بالدعوى الثانية غير مسلم به على اطلاقه ، **لأن قول الفقيه المجتهد اذا كان كاشفا لمدلول النص وفق قواعد الاستنباط وأصوله يختلف** لا يختلف فيه الفقهاء المجتهدون ، فهو ملزم لأنه ليس تشريعا جديدا ، ولا رأيا من بنات أفكار الفقهاء ، وانما هو فهم سليم لمراد النص .

ثم انتقل الدكتور خلف الله الى قضية الالزام فقال :

(الذى يملك قوة الالتزام الدينى هو ما يكون دينا ،

هو ما يكون مقدسا ، أما غير الدين فيملك قوة الزام اخرى هى الالزام الأدبى .

ونقول : ان قضية الالزام راجعة عند فقهاء المسلمين دون شذوذ من احد الى النصوص الشرعية من الكتاب والسنة كأدلة متفق عليها ويلحق بهما — كأدلة متفق عليها ايضا ، الاجماع والقياس ، ودور الفقهاء المجتهدين فى ذلك بيان المراد من النص ، أو تحقيق ان القضية مجمع عليها واثبات ذلك ، أو أن شروط القياس المعتبرة متحققة فى الفرع تحققها فى الأصل .

حتى فى دائرة الفروع الفقهية لم يقل احد أن الزامية الأحكام فيها الزام ادبى بل هو الزام شرعى ، وغاية ماهناك ان فيه سعة فى التخيير بين هذا الحكم عند هذا الفقيه المجتهد أو الحكم عند مجتهد آخر ، تبعا لقوة دليل كل منهما .

القضية الثانية : ان الشريعة ملزمة والتشريع غير ملزم .

يميز الدكتور خلف الله بين الشريعة والتشريع ويفرق بينهما ، فيعتبر الشريعة هى ما كان من وحى الله وبيان النبى صلى الله عليه وسلم مما هو نص قطعى الدلالة ، أما التشريع فيكون فيما لا نص فيه ، وهو محل الاجتهاد العقلى المحض ، وهذه تفرقة لم نعرفها فى الفقه أو اصول الفقه الاسلامى ، بل أن المعروف عند الفقهاء الأقدمين والمحدثين أن المراد بالشريعة هو الأحكام التى سنها الله تعالى لعباده على لسان رسول من رسله وعلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى شاملة لما يدخل فى دائرة الأفعال والعقائد والأخلاق . واشتق من لفظ الشريعة كلمة (شرع) بمعنى أنشأ الشريعة أو سن الشريعة ، واذا فهمنا كلمة الشريعة كما ذكر الدكتور خلف الله ، أى فيما هو نص صريح قطعى الدلالة فان قسما كبيرا من القرآن الكريم ليس كذلك ، اذ أن دلالة الفاظ القرآن قد تكون قطعية وقد تكون ظنية .

وقد اعتبر الدكتور الاجماع والقياس من قبيل (مالم يرد به نص) وبالتالى للعقل البشرى أن يرد من الأحكام ما كان مستنده ودليله الاجماع والقياس باعتباره نتاج عقول بشرية .

والصواب فى ذلك أن الاجماع والقياس دليلان مرجعهما الى اعتبار الكتاب والسنة ، واذا فهما باجماع الأصوليين من الأدلة المعتبرة ، وتثبت بهما الأحكام الشرعية ، فما كان دليله الاجماع والقياس لايرد باعتباره نتاج عقول بشرية كما ذكر .

القضية الثالثة : تعديل النص والاجتهاد مطلق فى المعاملات .

ثم يتناول الدكتور خلف الله قضية دقيقة هامة وهى امكان تغيير ما ورد فيه نص قطعى من القرآن الكريم أو تبديله ، وقد استخدم لهذا الغرض عبارة (تعديل) وهو تعبير غير موفق ، لما يحمله من افتراض وجود خطأ أو عدم ملاءمة او اعوجاج فى النص القرآنى القطعى ، وأن دور العقل حينئذ هو تعديل ذلك النص .

واذا أمكن القول بهذا ، فانه لم يبق للنص مزية ولا حجية ولا قدسية ، وفى هذا نقض لأصل الأدلة الشرعية المعتبرة وهو القرآن الكريم .

يقول الدكتور خلف الله : (لا حق لنا فى ادخال اى تعديل على الحكم الذى ورد فيه نص صريح قطعى الدلالة وارد مورد التكليف وهذا هو الأصل التشريعى ، لكن هذا لن يحول بيننا وبين أن ندرس القضية على أساس آخر ، هو قدرة العقل البشرى فى ادخال التعديلات ، فهل يستطيع ذلك ؟

* * *

القضية الرابعة : اذا عارض النص المصلحة يؤخذ بالمصلحة ويقدم العقل على النقل .

وقد اخطأ الدكتور خلف الله فى هذه الدعوى فى ثلاث قضايا علمية :

١ — فى المراد بكلمة المصلحة فى الشريعة الاسلامية .

فمما لا شك فيه ولا خلاف ، أن الشريعة الاسلامية فى جميع احكامها الكلية والتفصيلية قد راعت تحقيق مصالح العباد فى أمور دنياهم وآخرتهم وهدفت الى ذلك ، الا أن ما ينبغى أن يعلم على وجه اليقين هو أن المصلحة ليست دليلا منفصلا ، أو مستقلا ، عن ادلة الشريعة الأخرى ، اذ لو كانت المصلحة دليلا مستقلا لكانت وحدها كافية فى بناء الأحكام الشرعية عليها ، ولكان العقل مستقلا بتشريع الأحكام . ولكى لا تكون المصلحة قضية عامة غير منضبطة فقد وضع لها الأصوليون الضوابط التالية :

١ ــ الا تعارض المصلحة الكتاب الكريم او السنة المطهرة .

٢ ــ الا تعارض المصلحة القياس .

٣ ــ الا تفوت المصلحة مصلحة اهم منها او مساوية لها .

٢ ــ فى معنى تغير الأحكام بتغير الأزمان وبالتالى تغير المصالح .

اما هذا الموضوع فقد فهمه الدكتور خلف الله على غير المعنى العلمى المراد منه ، فهم منه أنه ما دامت الأحكام مربوطة بالمصالح ومنوطة بها والمصالح تتغير من زمن الى آخر ، ومن مكان الى آخر ، فان الأحكام تتغير حينئذ بتغير الزمن .

لقد قعد علماء أصول الفقه هذا الموضوع ووضعوا له قاعدة مستقلة براسها : هى قاعدة (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان) .

وقد حدد الفقهاء وعلماء أصول الفقه الاطار العام لما تنطبق عليه هذه القاعدة وهو القضايا الاجتهادية التى بنيت على أساس من القياس ، او على أساس من المصلحة .

٣ ــ استناده الى رأى (الطوخى) فى تقديم العقل على النقل اذا عارضت المصلحة النص .

استند الدكتور خلف الله لتأييد رأيه فى أن المصلحة مقدمة على النص اذا تعارضا الى رأى نجم الدين سليمان ابن عبد القوى الطوخى .

وقد أجمع علماء الفقه والأصول على أن رأى الطوخى شاذ خرق به اجماع الأئمة ، والشاذ لايبنى عليه رأى ، وقد ناقشه كثير من العلماء ، وردوا عليه وفندوا رأيه وأدلته وأصبح من المستقر عندهم أن قوله هذا لا يعول عليه .

أما قضية أن العقل مقدم على النص فهذا قول من جنس سابقه ، والقول به يبطل الشريعة فى نصوصها المحكمة قطعية الثبوت والدلالة ، وهذا مالا يقبل من أحد. يقول الامام الشاطبى : لو جاز للعقل تخطى مأخذ النقل لجاز ابطال الشريعة بالعقل وهذا محال باطل .

ثم يذكر الدكتور خلف الله ثلاثة أمثلة للاستدلال على أن العقل يحكم ، بحكم الاستمساك بالنص ، قد يكون فيه اضرار بالصالح العام ، ولذلك ينبغى أن يقدم حكم العقل ويبطل حكم النص .

المثال الأول : ما ورد بشأن توزيع الغنائم فى قوله تعالى :

(واعلموا أن ما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)

فيرى الدكتور أن نظام توزيع الغنائم نظام مناسب للزمن السابق حيث كان القتال تطوعا ، اما الآن فالدولة هى التى تنظم هذا الأمر فينبغى تعديل الآية لذلك) .

ونقول ردا على ذلك : انه لا يمكن أن تكون النصوص القرآنية مصادمة لمصلحة حقيقية ، وحين يضع القرآن نظاما ما فانه لا يضعه لزمن دون زمن ولا لمكان دون مكان .

وينبغى أن نعرف هنا ، أن الشارع الحكيم قد راعى من وراء نظام توزيع الغنائم تحقيق مصالح فردية واجتماعية فجعل مصرف الخمس لمصلحة الدولة ، تنفقه فيما يعود عليها فى مرافقها او جيشها بالاصلاح او القوة والمنفعة ، وهذا معنى (فان لله خمسه وللرسول) فما كان لله ولرسوله فمرجعه الى مصالح الدولة الاسلامية وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمع رأى الصحابة على أن يجعلوا سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم أولي القربى فى الخيل والعدة فى سبيل الله .

واعطاء الغانمين من الغنيمة راجع الى أصل عظيم فى الاسلام وهو أن الجهاد فى سبيل الله هو ذروة سنام الدين .

وهذا المعنى الايمانى انما يناسبه التجرد من الأجر المادى فى الدنيا ، وليس طريقا للتكسب ، وانما هو طريق للجهاد .

المثال الثانى : ابطل الدكتور الآيات التى أنزلت بشأن الرق بدعوى أن الرق لم يعد موجودا الآن ، وينبغى أن تعدل الآيات التى تعتبر الرق كفارة عن بعض الأمور ويترتب على قوله هذا ابطال الآيات الواردة فى سورة النساء آية ٩٢ وفى المائدة آية ٨٩ ، والمجادلة الآيتان رقمى : ٣ ، ٤ والبلد الآيتان ١٢ ، ١٣ .

ولا شك أن تعديل أو تعطيل هـذه الآيات دعوى لا يمكن أن تقبل من اى وجـه كان ، ذلك فى المقـاييس الاعتقادية الاسلامية .

والذى يثبته التـاريخ أن الاسلام حين أطل على البشرية كان الرق يملأ طبـاق الأرض فبدأ بعـلاج تلك البلوى العـالمية بطريقة تدريجية ناجحة ، فعمـل على تجفيف مصادر الرق وفى نفس الوقت وسع طريق تحرير الارقاء واكثرها .

والاسـلام حين عالج قضية الرق راعى فى علاجه وحكمه استمرار مطاردة الرق فى كل زمان ومكان ، لعلمه تبارك وتعالى أن الرق لا ينفك منه البشر ، وهو موجود فى كل زمان ، وان انقطـع فى زمن ما ـ ولم ينقطع ـ فانه يعود فى زمن لاحق .

أما كون العتق كفارة من الكفارات فليس فى هـذا اشـكال مع عدم وجود الرق ، لأن العتق كـكفارة انما طلبه الشرع عند وجوده ، وجعل الأمر فيه راجعـا الى خيار من عليه الكفارة ، فان لم يوجد أو لم يختره انتقل الى غيره ، مماهو منصوص عليه فى الآيات الكريمة وليس هناك ما يستدعى تعديل أو تعطيـل الآية لمجرد تغير الزمان وندرة الرقيق أو انعدامه .

المثال الثـالث : بشأن الآيات الواردة فى عقـوبة جريمـة الزنا قال الدكتور خلف الله : أن جريمـة الزنا لا يمكن اثبـاتها اليوم عن طريق الشـهود الذين يرون العملية رأى العين ، ويترتب على قوله هذا ابطال الآية الثالثة من سورة النور فى عقوبة الجلد للزانى غير المحصن وعقوبة الرجم للزانى المحصن ، الواردة فى السنة .

لقد اعتبر الاسـلام جريمة الزنا من أكبر الجرائم وأخطرها ، لأنها تدخل فى دائرة الاعراض التى اعتبرها الاسلام احدى الضرورات الخمس وهى (الدين والنفس والمال والعرض والعقل) ولكن لـما كانت هذه العقوبة شديدة ، ناسبها أن يتشدد الاسلام فى طريق اثباتها .

ولا يعنى تشديد الاسـلام فى وسائل الاثبات ترك الجريمة تستشرى فى المجتمع المسلم ، لكن اعتبر الجانب الوقائى فى قضايا الأعراض أهم من الجانب العقابى لأن جريمة الزنا والجرائم الخلقية فى جملتهـا جرائم خلقية ، لا تقع الا فى أماكن آمنة كالبيوت التى لا يمكن دخولهـا لغير أهلها ، ولو تساهل فى وسـائل اثباتها ـ والحـال هذه ـ لتناول أناس أعراض آخرين ولشاع فحش القول فى المجتمع ، ولذا اهتم الاسلام بالجانب الوقائى الناجع فسد الذرائع والطرق المؤدية الى وقوع هذه الجريمة » .

أ . هـ

(٥)

(الدكتور خلف الله : لماذا هذه الحيرة والتقلب ؟)

الحقيقة اننـا نرثى للدكتور خلف الله بعد هـذا التاريخ الطويل الذى أمضاه مترددا على ابواب الهيئات والاحزاب من أجل الشـهرة وذهابه الى كل بلد عربى : الكويت ، ابو ظبى ، دمشق ، وغيرها من أجل اعلان آراء مثيرة تزعج السامعين ، وتكشف عن الكراهية الشديدة للاسلام سواء من حيث انتمائه الى الماركسية أو من حيث انتمائه الى البعث ومن حيث تفضيله البعث علىالناصرية ـ وهما فى خصومة الاسلام سواء .

ولقد استهل الدكتور خلف الله حياته بتلك المكيدة الشديدة السـخرية بالاسلام وهى ادعاء أن القصـص القرآنى من عمل الرسول ، وأنه فن يجوز فيه الخيـال والكذب ،وكان لهذه الدعاوى رد فعل شديد ، حتى أن مجلس الجـامعة رفض منحه الدكتـوراه وكان الدكتور خلف الله قد نشأ فى محيط طه حسين وامين الخولى من ناحية وساطع الحصرى وميشيل عفلق من ناحية أخرى فضلا عن اتصاله بالجناح اليسارى المـاركسى فى الوفد القديم ومن هذا الخليط العجيب تكونت ثقافته التى أريد لهـا أن تمثلمن بعد ما يسمى اليسـار الجرىء على الاسلام بدعاواه التى لا تثبت كثيرا أمام المفاهيم الأصيلة والفقه الاسلامى الحقيقى على النحو الذى تكشفت عنه هذه المراجعات التى قام بها أعلام من الفكر الاسلامى ، وقد تطاولت هذه الجراة حتى اعتبرت الاسلام (دين الله الخـالد الخاتم) جزءا من القـومية العربية فى دعاوى عريضة مضللة يقوم بها رجل مسلم مثل الدكتور خلف الله للحصول على اعجاب ورضاء مثل ميشـيل عفلق وغيره وعندما يقترن الفكر الماركسى بالفكر القومى عند مجموعه من الكتاب البارزين اليوم أمثال احمد بهاء الدين وخلفالله وغيرهما فاننا لا نستغرب هـذا الهجوم الذى يجمع بين الشريعة الاسلامية والتاريخ الأسلامى ، فى وقت معا .

ولقـد عاش خلف الله على مفهومه المغلوط الذى كونته هـذه الصلات والثقافات يرى الاسلام (دينـا بمفهوم اللاهوت) ويراه أحـد روافد القومية وعنده أن الاسلام عقيدة وشريعة وليس نظاما للحكم .

وكان يقول بهذا ساطع الحصرى وطه حسـين وامين الخولى وجميع زعماء الشعوبية فى العصر الحديث ولعل الدكتور خلف الله هو الذى كشـف أوراق ساطع الحصرى بعد أن عمل معه فى معهـد الدراسات العربية حيث يقول أن سـاطع الحصرى قال له . أنه لا يؤمن بالقومية العربية (الأهالى ١٩٨٥/١٠/٢٣) .

([illegible] ?)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصل الثانى

دحض شبهات زكى نجيب محمود

١ ــ انكار الثوابت كلية .

٢ ــ افضلية الحاضر على الماضى .

٣ ــ التحول الحضارى .

كتب الرد (**الدكتور احمد عبد الرحمن**)

القضية الأولى : يقرر الدكتور زكى نجيب محمود أن القيم الاسلامية أو العربية ثابتة مطلقة مثل الحقائق الرياضية ، وتبعا لذلك لا تتغير مع تغير الزمان ، لكنه يستنكر الثبات لأنه يصطدم مع الفلسفة النسبية التى تطبع العصر بطابعها . والحق أن بعض القيم دون الكل يتصف بالثبات والاطلاق لكنه يعمم صفة الثبات والاطلاق لتشمل (المبادىء كلها) والقواعد كلها التى تهدى الانسان فى نشاطه ، كائنا ما كان ذلك النشاط من عبادة العابد الى فروسية الفارس ومن توقيعات الموسيقى الغناء الى تخيلاته وتفعيلات الشاعر (ثقافتنا فى مواجهة العصر) .

انه يؤكد خضوع النشاط البشرى كائنا ما كان لحكمه ثم يعدد ضروب النشاط فاذا هى شاملة لكل شىء من عبادة العابد الى تفعيلات الشاعر .

وسر التطرف واضح فى هذا الحكم وضوحا ساطعا فالعقيدة توضع مع الموسيقى فى زمرة واحدة وينزل عليها الحكم الباتر العنيف بالخضوع لمبادىء منزلة من السماء ثابتة مطلقة ، والدكتور زكى يبغى من وراء ذلك افزاع العقول وترويعها من هذه الثقافة الثابتة التى تكبل خلق الله بمبادئها دون تمييز بين عقيدة وأخلاق ونظم ومصالح وشعر وموسيقى ، ثم بعد ذلك يصف لها البديل الأوربى المعاصر وصفا شيقا يقويها على قبوله فيقع فى حكم آخر كلى بتار .

الثابتة فكرة قديمة أخذت بها عصور مضت وحكمه ينصب على كل فكرة وكل قيمة كائنة ما كانت .

ثم انه يعود الى توكيد هذا الحكم القاطع ويزيده احكاما ، فيقول : ان المذاهب المعاصرة (تكاد) كلها تجمع على تحليل كل شىء الى ظواهره المتغيرة دون أن تزعم وجودا لأى كائن ثابت وراء تلك الظواهر فهو يتحرز باستعمال (تكاد) لأنه يعلم يقينا أن المذاهب المعاصرة لم تجمع على (النسبية) لكنه يريد الايحاء الى القارىء بوجود الاجماع ولذلك يتبع لفظ (تجمع) بلفظ (كل) وهما عدة الأحكام الكلية ، لكن تكاد هذه لا ترفع بلاء ، بعد أن أصدر أحكامه البتارة الكلية ، تلك التى جاءت فى العبارات السابقة التى اقتبسناها من كلامه بحروفها ، فمجمل كلامه فى القضية هو الحكم الكلى بأن المذاهب المعاصرة تقرر أن كل (القيم) كائنة ما كانت نسبية أو مجرد وجهات نظر فالعدل والحق والجمال والوفاء للصديق والمعاهد وبر الجار والشجاعة والصدق ، وكل ضروب البر والايثار ليست قيما ثابتة بل هى مجرد وجهات نظر قابلة للتغيير فى أى وقت .

ذلك أن القيم العصرية (على نقيض قيمنا العربية ــ الاسلامية) من صنع البشر ، أى من صنع أيدينا نحن وليست مفروضة علينا من أى جهة .

ويقول الدكتور زكى : أن وقفة العصر من القيم ، تحيل كل قيمه الى وجهة نظر ذاتية ، ويقول أن عصرنا هذا قد استدبر كل فكرة تأخذ بمطلق من المطلقات الكثيرة التى كانت تأخذ بها العصور الماضية ومنها القيم : أخلاقية كانت أو جمالية أو كائنة ما كانت .

ومعنى كلامه هنا أن الفلسفة المعاصرة لم تعد تعترف بشىء اسمه (القيم الثابتة) أو المطلقة ، فقد ثبت لها اذن أن القيم مجرد وجهات نظر تتباين وتتغير من عصر الى عصر بحسب الذوات التى تنظر فان فكرة القيم

والحقيقة التي يعرفها الدكتور زكي ويعرفها دارسو الفلسفة المعاصرة ، والحديثة : ان النسبية ونقيضها موجودان في الفكر الحديث والمعاصر والثلاثة المعاصرون المشهورون الذين تبنوا المذهب المضاد للنسبية هم (ادموند هيرل ، وماكس شيلر ، ونيكولاى هارتمن) هذا فضلا عن كانت ويتلر وسيد حويك ومور في الفلسفة الحديثة .

فنحن هنا بازاء جسارة فظيعة ومجازفة مروعة تتغافل الحقائق المعروفة للجميع من تاريخ الفلسفة الحديثة والمعاصرة فضلا عن تجافيها عن روح العصر والتدقيق اللذين يجب أن يلتزم بهما صغار الكتاب وكبارهم ، أليس هذا هو سر التطرف .

القضية الثانية : يحكم الدكتور زكي نجيب محمود على الماضي عامة بدون تحديد حكما كليا بأنه أقل صلاحية من الحاضر فيقول :

ومعنى ذلك في عبارة صريحة : هو أن الماضي دائما — وفي كل الظروف أقل صلاحية من الحاضر (دائما وفي كل الظروف) .

فانظر الى توكيده القاطع الباب الذي لا يكفيه (كل) فيسبقها بـ (دائما) وعلام يحكم : على الماضي وما الماضي ، أنه كتلة هائلة من العلوم والعقائد والشرائع والنظم والمذاهب الفلسفية والأخلاقية والآداب والفنون والحرف والعادات والتقاليد .. الخ .

هذا الماضي بتنوعاته الهائلة وتبايناته الواسعة ومضامينه الغزيرة يوضع كله تحت حكم واحد كلي ، وكذلك الحاضر ، بقنابله الذرية ، والهيدروجينية ، ومظالمه الاجتماعية وانحرافاته الأخلاقية وعلومه وصناعاته المتقدمة الرائعة ، كل هذا يوضع معا دون تمييز أو تصنيف ، ويطلق عليه حكم واحد صارم حاسم، كأنه يوازن بين مقعد خشبي متهالك أضنى عليه الدهر وآخر من أحدث طراز فلا مجال للتردد في الحكم والاختيار

ونحن نسلم بأن العلوم المادية والتكنولوجية أفضل وأحسن وأعظم من نظائرها في الماضي ، ولكننا ننكر أن يكون الالحاد المعاصر أكثر صلاحية من لتوحيد (التقديم) بالمقاييس المادية الدنيوية وبالمقاييس الأخروية ونحن ننكر أن القيم الخلقية فيها قديم وجديد ونعتقد أن عصرنا هذا (خصوصا في أوربا وأمريكا) أقل التزاما بقيم العدل والوفاء والصدق وبر الجار والايثار من عصور أخرى مضت ويكفي أن نتذكر أنه العصر الذي أجاز زواج الرجل من الرجل قانونا ، وأنه عصر اللواط والايدز ، ولكي نحكم (وان لم نقطع ونعمم مثل الدكتور زكي) بأنه ليس أكبر صلاحية من عصور مضت من هذه الجهة بالذات .

واذا كانت أوربا ابتدعت قيما خلقية جديدة فاننا نرجو من أستاذنا أن يكشف لنا عنها وسوف نشكره على ذلك .

ولكي لا يختلط علينا الأمر عاد الدكتور زكي الى هذه المسألة وأعني أفضلية (الحاضر على الماضي) ليقرر نتيجة مهمة ، وهي : استحالة أن يكون الماضي أكثر رشدا من الحاضر ، وأخصب فكرا وأهدى سبيلا فهو يؤكد على الامتياز في النواحي الأخلاقية والدينية والفكرية والمعنوية ونحن نظن أن التفوق في الرشد والهداية ليس صحيحا ، ويكفي أن نتذكر أن الحرب العالمية الثانية أبادت (٦٠ مليون انسان) والانفاق الجنوني بالملايين على التسليح ووجود بلايين الجياع في العالم ليس دليلا على الرشاد والهداية ولا نحسب أن الاستعمار القديم والجديد — والديون هي آخر أشكاله — هو من قبيل الارشاد والهداية ، اللهم الا اذا كان لكل هذه الألفاظ معان خاصة عند الدكتور زكي نجيب محمود .

ونتيجة للنظرة نفسها يصدر الدكتور زكي حكما يحرر فيه الحاضر من سلطة الماضي فيقول : لا حكم لماض على آت .

والبرهان عنده يمضي هكذا : (اننا في تحول واذن فنحن في تغير واذن فلا حكم لماض على آت) فهذا حكم كلي سالب .

والماضي والآتي ، كما قلنا ، ليسا مجرد جملة واحدة مكونة من مبتدأ وخبر ، حسب تعبير الأستاذ نفسه — بل مركب هائل من المتباينات ولكن الحكم يصدر باتا قاطعا دون اعتبار للحقيقة ليواجهنا (سر التطرف) مرة أخرى .

❀ ❀ ❀

ويحرر الدكتور زكي أعمال المتكلمين والباطنية والفلاسفة الأقدمين والصوفية من كل قيمة منطلقا من نقدات الأمام الغزالي لهذه الطوائف فيقول :

ان المسائل التي تشغل دنيا اليوم ليست هي مسائل المتكلمين والباطنية والفلاسفة الأقدمين والصوفية فكل ما قاله هؤلاء مجتمعين لا يغني فتيلا (لا أقول في دفع

صاروخ فى الفضاء) بل أقول أنه لا يغنى فتيلا فى اعداد المواطن المعاصر تجاه مواطنيه فى قومه وتجاه سائر الناس فى سائر الأقوام فهو هنا يقرر أن المسائل اليوم غيرها فى القرنين الرابع والخامس الهجريين وهذا غير صحيح على اطلاقه فثمة مسائل جديدة تماما ومسائل قديمة مستمرة ، مثل قضايا الوجود والانسان والألوهية والأخلاق والمسائل اللغوية والأدبية والباحث المعاصر يستفيد مما قالوه ، وقد استفاد الدكتور زكى نفسه فى هذه القضية من نقدات الغزالى لمعارضيه وقد استفاد الطلاب والدارسون والمؤلفون من مؤلفات القدماء ابتداء من هومير و (هزلود) الى سارتر وكارل باسبرز فى بناء مذاهبهم الفلسفية والأدبية والاجتماعية لا فى كتابة الفكر الفلسفى فحسب .

* * *

ثم يتناول علم علمائنا وفقهائنا المعاصرين بحكم كلى قاطع ، يقرر أنه كله حفظ ورواياتهم كلها حفظ ، كما قال التوحيدى فى علماء عصره مضروبا فى الف .

وهذا هو سر التطرف ينكشف امامنا فى أزهى صوره ، فعلماء الاسلام وفقهاؤه جميعا يوضعون فى علبة واحدة ، كانهم أعواد لا اختلاف بينهم ولا تمايز (محمد عبده ، رشيد رضا ، مصطفى صادق الرافعى ، حسن البنا ، سيد قطب ، المودودى ، الندوى ، محمد الغزالى وآلاف غيرهم ، كلهم آلات (ريكورد) صماء لاتفهم ولاتعقل ولاتفكر ولاتستطيع تبعا لذلك أن تجتهد أو تبدع ولم يشبع هذا الحكم الباتر نهمة الأستاذ فى التقطع فضربه فى الف ، ولا معنى لذلك مطلقا الا اعطاء الانطباع بأنه لا يفكر بل يتشاجر فليس فى الفكر الموضوعى حكم كلى مضروب فى الف ، موضوعه آلاف مؤلفة من علماء الأمة وفقهائها لهذا قلت واقول : انه سر التطرف يتبدى فى أزهى صورة رسمها فيلسوف .

* * *

٣ ــ التحول الحضارى

وحين يتحدث عن التحول الحضارى فى بلادنا يحكم بأنه لا تحول الا اذا بدأناه من الجذور ، من المبادىء نقتلعها لنضع مكانها مبادىء أخرى فنستبدل مثلا عليا بمثل كانت عليا فى أوانها ولم تعد كذلك .

« لا تحول » هذا هو الحكم الكلى وشرط التحول عنده هو : الاحلال الثقافى الجذرى ، أعنى استبعاد قيمنا العليا واحلال القيم العصرية محلها ، وهذا هو ما يسمى (التغريب) أى صبغ ثقافتنا بالصبغة الغربية بعد عملية (غسيل ثقافى) شامل للأمة .

* * *

ثم يأتى حكمه الذى ينص على أنه (لا معرفة مما يصح أن تسمى علما الا اذا بدأت بتجربة الحواس : ويعرف دارسو الفلسفة أن كبار الفلاسفة يخالفون الدكتور زكى فى هذا الحكم الكلى السالب) .

ويعد كانت وبرجسون وهيرك وسارتر من اهم هؤلاء فهم يؤكدون وجود معرفة غير حسية ، وهى عندهم علم بل أن بعضهم يرى أنها وحدها العلم اليقينى الحق .

(٣)

الدكتور زكى نجيب محمود

رد الدكتور عبد المنعم النمر

لما كانت الثقافة حالة روحية أو معنوية أو وجدانية تتكون من هذه العوامل ، فقد اختلفت الثقافات وكان لكل أمة ثقافة ولكل ثقافة طالبها المميز لها ، وكان الخطر ينقل ثقافة أمة الى أمة تعتز بشخصيتها كما تنتقل ظواهر المدنية من علوم وصناعات وكان من اهدار الأمة لكيانها الخاص بها أن تقبل كل شىء ورد اليها من خصائص ثقافة أجنبية عنها وهو ما يسمى بالغزو الثقافى لهذا كان من خصائص ثقافتنا مثلا هذا التراحم الأسرى فان من الجناية عليها أن ينتقل الينا هذا التقطع الأسرى عند غيرنا ونقول : الغرب أو الشرق يفعل هذا فلنفعله وهذا هو الذى نعنيه حين نناهض ونحارب الغزو الثقافى وليس معنى حفاظنا على ثقافتنا وشخصيتنا أن تهدر الجوانب العلمية او المادية ، بل لابد من رعايتها وتنميتها اقوى ما تكون الرعاية والتنمية على الا يكون هذا على حساب الجانب الروحى والثقافى لنا .

فالمجتمع الاسلامى كما يريد الاسلام يطير بجناحين : روحى ومادى ولابد من التناسق والتوازن بين حركة الجناحين كما يفعل الطائر حتى لا يسقط فنحافظ على الحالة الروحية أو المعنوية لنا وننطلق للحياة وما بها من علوم وصناعات .

لقد كان هذا ما اتفقنا عليه أنا والدكتور سليمان حزين والدكتور زكى نجيب محمود ، غير أن الدكتور زكى

نجيب قد عاب منذ نحو اسبوعين ما حرصت عليه التوصيات من تدعيم المعنى الروحى والحفاظ عليه من الغزو الثقافى وقال قولة غريبة بعيدة جدا عما قرره هو فى البحث المقدم منه قبل ذلك ، حيث اعترض وقال : كيف تحاربون الغزو الثقافى وقد سيقتكم من غزاكم بالتليفزيون والاذاعة والكمبيوتر والطائرة الخ . فهل هذه الأدوات غزو ثقافى أم أنها من المبتكرات الصناعية الشائعة التى لا وطن لها ولا تدخل فى مفهوم الثقافة ومع ذلك لم اسمع أن أحدا عتب عليه ، قلت له ليست هذه من الغزو الثقافى وانما هى علوم وادوات لم تدخلها أنت فى معنى الثقافة الذى حددته من قبل وهى مشاعة بين أمم العالم لأن العلوم والصناعات لا وطن لها ، ومع ذلك فقد كتب بعد ذلك مقالا مطولا تحت عنوان (شبح اسمه الغزو الثقافى) واصر فى هذا المقال على ما قاله من قبل ، ونال ممن يحافظون على ثقافتهم واصالتهم وقال عنهم : انهم الجبناء وقد أسفت أن يخرج هذا من رجل مثله ، فالمعروف عنه أنه يحدد الفاظه ومعانيه واسفت أن يحصل منه ما كنت أرجو الا يحصل ، سواء من محتوى المقال أو من الفاظ وردت فيه ، والتجنى على من يحافظون على ثقافتهم من الغزو الثقافى وهم يعرفون معنى الثقافة ويقفون على حدودها ويدفعون المغير عليها ويتحصنون بالعلوم والمبتكرات التى هى مشاع للجميع .

لقد كنت ارجو من الدكتور زكى الا يقع فى هذا التناقض بين بحثه فى الثقافة من نحو سنتين وبين ما قاله وما كتبه أخيرا ، والا يتصور أن الذين يحافظون على شخصية الأمة وثقافتها انهم منغلقون ، وهو المتفتح وانهم يخشون على حياتهم من العلم ونوره ، وهم الذين يشاركون فيه ويدفعون الأمة اليه حتى تكون أسبق الأمم كما يدعوهم ويريد منهم دينهم ، وأن الذين عبوا من العلم قد أيدوا مفهومنا للثقافة وهم يرفضون تصوره هذا كل الرفض .

من هؤلاء الذين تعنيهم بالجبناء ، هل هم الذين يفهمون معنى الثقافة كما فهمتها أنت أولا ووقفوا بدافعون عنها بشجاعة أمام الغزو الثقافى ، هل هؤلاء هم الجبناء هدانى الله واياك الى اليقين .

***

(٢)

الدكتور زكى نجيب محمود

قال الدكتور زكى نجيب محمود : انه لا وجود لما يسمى بعلم الاجتماع الاسلامى أو علم الاقتصاد الاسلامى وقال أن نهوض المجتمع لن يتم الا بالعلم وحده لأن الاسلام توقف عطاؤه عند عصره الأول ، كما قال أن هناك خلطا بين مفهوم العروبة والاسلام وقال أن مايصل اليه الباحثون فى مجال علم النفس والاجتماع لا علاقة له بالعقيدة وأخيرا دعانا أن نأخذ عن الغرب ثقافته وعلمه دون قيد أو شرط .

ويواجه هذه الأفكار الدكتور عمارة نجيب فيقول :

أولا : بالنسبة للعروبة والاسلام يرى الدكتور زكى نجيب محمود انه مفهوم غامض ولو كان يريد الحقيقة لذاتها أو لهدف نبيل لابتغى معرفة الفرق بين المفهومين من أى كتاب من كتب اللغة والمعروف أن العروبة صلة لمن كان لسانه عربيا وفى الحديث الشريف (من تعلم العربية فهو عربى) ويعرف أن الاسلام صلة لمن كان مبدؤه الاسلام وبالتالى فالذى يطلب الانتماء الى الاسلامية يطلب المبدأ أو الهدف الذى يوحد بين مختلف الألسنة ، أما العروبة فهى صفة للغة واللسان وقد اختلف أهلها وتمايزت الثقافة بين الدول العربية رغم اشاركها فى الجوهر ، فهناك ثقافة مصرية أخرى تضم الهلال الخصيب ، وثالثة تضم بلاد الخليج ورابعة تشترك فيها بلاد المغرب العربى فماذا يضيرها لو اتخذت الاسلامية مبدأ وهدفا وغاية ، أن الاسلام هو النظام الوحيد فى العالم الذى يضمن الفرصة المتكافئة للبشر جميعا كى يظهروا مواهبهم ويجودوها . والاسلام هو النظام الذى يدفع العقل بكل قوة واخلاص للبحث والتجريب والاختراع ، والعلم الذى يظنه الكاتب وارد الثقافة الغربية وحدها ، وهو العلم الذى احتضنه الاسلام ودعا اليه ، فمن استجاب لدعوته حقق ثمرته ومن غفل واستكان فقد الثمرة وهان وذل .

ثانيا : قال الدكتور زكى نجيب محمود : أن الاسلام محور عصره الأول وفكرته الكبرى .

والواقع أن الاسلام لكل العصور ولكل الأمكنة ونهضة هذا العصر لن تكون بالعلم فقط كما يزعم الدكتور زكى نجيب محمود ، بل على العكس : النهضة الحقيقية للأمة الاسلامية لن تكون الا بالاسلام والعلم معا ، لأنهما توأمان لا يفترقان ، فكلاهما اشار لأهمية التقاء الطاقات البشرية بالطاقات والنعم المتعددة فى الكون ، لقاء بحث واختيار وتجريب ينتهى الى اكتشاف يحمد الخالق عليه باللسان وبالعمل ، وهذا يقتضى صيانة ما يكتشفه الانسان من نعم الله واحسان استخدام هذه النعم ، واستثمارها .

وهذا هو الفارق بين علم يدعيه البشر فيسمح

بتبديد واحتكار واسراف ، وبين علم يسميه الاســلام ، يحرم تبديد الطاقات ويوجهها نحو الخير والحق والرشاد

ثالثا : اما انـكار الدكتور زكى نجيب محمود لمـا يسمى بعلم الاقتصاد الاسلامى وعلم الاجتماع الاسلامى وعلم النفس الاسلامى ، وزعمه أن هذه العلوم يجب أن تبحث بعيدا عن العقيدة وبعيدا عن المادة التى وردت فى كتب السالفين ، فهذا رأى يستحق المراجعة .

اذ المفروض أن يكون علم النفس وعلم الاقتصــاد وعلم الاجتماع علوما اسلامية يتوفر العالم الخبير المحيط بهذه المسائل بالنسبة للاسلام وهو الله سبحانه وتعالى ، فى حين لايوجد من البشر من يستطيع الاطلاع على النفس البشرية لمـا تحويه من غيبيــات ، وكل ما يحـاوله من يسمون بعلماء النفس انما هى دراسات على السلوك ، وهذه الدراسات لايمكن أن تصل الى ما يسمى بالعلم لأن العلم معناه اليقين أو الجزم بحيث لا يختلف عليه اثنـان فاذا اختلفا حسمت التجربة قول أحدهما . أما الدراسات الاسلامية التى تتصل بالنفس وعلم الاجتماع والاقتصاد فقد صدرت قواعدها من الله (تبارك وتعالى) العـالم الخبير المحيط ، واقول للدكتور زكى نجيب محمود ، أن القواعد التى وضعها الاسلام لهـذه العلوم ثابتة مجزوم بصحتها ، وتشبه تماما قانون (الحديد يتمدد بالحرارة) فقول الله سبحانه وتعالى بعد ذكر تجربة آدم مع ابليس (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فا ن له معيشة ضنكا) هذا قانون اجتماعى صدر عن تجربة سلوكية متصلة بالنفس البشرية ، واذا اختلف عليها أحد فالمطلوب منه أن يعيد التجربة ليتأكد من صحة القانون مثله مثل الذى ينكر أن الحديد يتمـدد بالحرارة فما عليه الا أن يعيد اجراء التجربة .

ولقد أخطأ الدكتور زكى حين سمى هذه الدراسات الانسانية فى مجالات النفس والاقتصاد والاجتماع بالعلوم الانسانية لانها ما زالت مجرد دراسات يختلف بشأنها بين الباحثين فيها .

أما قول الدكتور زكى نجيب محمود بأن مجال علم النفس والاجتماع لاعلاقة له بالعقيدة فاننى أتحدى الدكتور وكل علماء الاجتماع والنفس أن يتفقوا على قانون يخالف ما صدر عن الله حول المراهقة مثلا .

فالاسلام يقرر وجود الغريزة كدافع وظهورها لدى المراهق يزيد فى الرغبة ، ولكن سلوكه يتبع درجة تمسكه بالاسلام أو عدم تمسكه به ثم درجة بعده عن الدين ولكل من هذه الأصناف سلوك معين اشار اليه القرآن ونصت عليه السنة .

أما بالنسبة لعـالم الاقتصاد فان صفة العلم غير واقعة بالنسبة لمن يتسمون بعلماء الاقتصـاد لأنهم حتى الآن لا يزالون مختلفين فى نظرياتهم ولم يسـتطيعوا أن يصـلوا الى علم يقال عن العـامل به انه على الطريق المستقيم ، ويقال عن رافضه انه على الطريق الخطأ .

فى حين يقرر الخـالق سبحانه وتعـالى من خلال المبادىء الاقتصادية العامة التى هى أسس علم الاقتصاد الاسلامى قدرة كل شعب على حل مشكلاته الاقتصادية وعلى كل من يريد أن يصـل الى علم بشـأن الاجتماع والنفس والاقتصاد أن يتخذ من بين أدواته .

١ ــ خبرات وتجارب الآخرين وخاصة ما رصده القرآن ورصدته السنة فى هذا الشأن . ٢ ــ استخدام قوانين الله (تبارك وتعالى) كمسلمات ينطلق منها ليصل الى القوانين الجزئية التى يريد الحصـول عليها ، ومن لا يفعل فهو كباحث ذهب الى معمـله ونسى المـادة الأساسية لبحثه .

***

السؤال هـو : ما الذى يهدف اليــه الدكتور زكى نجيب محمود من وراء هذه الحملة على الاسلام :

انه يهدف الى ضرورة الاعتماد على الغرب واتباعه فى كل شىء حتى فى ميدان النفس والاجتماع والاقتصـاد لنصل على يده الى التبعية الذليلة المستسلمة فى صـغار وبلا أدنى مقاومة .

والمعروف أن الحضـارة الغربية لم تعط لأحد ممن انحازوا اليها آخر ما وصلت اليه من تكنولوجيا وجعلته سرا من أسرارها الخاصة فى حين انها فتحت الباب على مصراعيه ليأخذ الناس من الغرب الانحلال الخلقى وفنون الهدم المتعددة .

لقد تساءل الدكتور زكى نجيب من أين تبدأ عملية النهـوض فى مجتمعنـا ابتداء من البحـث عن الله ثم فى الانسـان ثم فى الطبيعة وهذا تسـاؤل فى غير محله . فالاســلام قد ثبت بالتجربة العملية صـلاحه لكل زمان ومكان وبالتـالى فهو فكرة العصر الكبرى التى يجب أن ننطلق منها نحو النهوض والتقدم .

أما كيـف تتم عمليـة تحديث الثقـافة العربية

فالتحديث يتم عن طريق احياء أسباب اليقظة الاسلامية مرة أخرى والاسلام والعلم لا يمنعان من استثمار تجارب الآخرين فاذا ثبت من تجارب الآخرين نجاح بعضها وفشل بعضها فعلينا ان نأخذ بأسباب النجاح والفوز لأنه علم مطلوب ، وحديث الرسول «اطلبوا العلم ولو فى الصين» يدلنا على أن اللقاء مع الثقافات الأخرى مطلوب ولكن بشرط أن نتجنب كل ما يخالف الأسلام وعن طريق ذلك يتم تحديث الثقافة .

واذا كان العلمانيون متخوفين من تطبيق الحدود أو سيطرة علماء الدين على الحكم فنحن نقول لهم أن الاسلام اشار الى أن تطبيق الحدود يتصل بالناحية الاقتصادية ويرتبط بها فتطبيقها يحمى الانسان ويحقق له الأمن المنشود لانطلاقة الى تحقيق أعلى معدلات الانتاج التى تطلب من مثله ، فالأمن هو مصدر اسعاد المجتمع ولعل هذا ما يمنيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لحد يقام فى الأرض خير أن تمطروا أربعين ليلة) .

أما بخصوص حكم رجال الدين فان القاعدة التى يعرفها كل مسلم اميا كان أو قارئا أن هدف ومقاصد الشريعة هو تحقيق مصالح العباد ، والمصالح حدودها واضحة ، وهى تسوس النفس من منطلق الحفاظ على الطاقات المنتجة وتحقيق العدل والفرص المتكافئة لهذه الطاقات وكلها أمور لا يختلف عليها اثنان فلا مانع من أن يطبق هذه القواعد المتمرسون بالسياسة والعارفون بأمور دينهم .

(٤)

الى الدكتور زكى نجيب محمود

الحياة العربية التى تريدها هى العودة الى الجذور التى تتمثل الآن فى الصحوة الاسلامية فى كل مكان عربى وغير عربى وتتمثل ايضا فيما يتحمله اولئك القابضون على الجمر فى المشرق والمغرب العربى وكل مكان تحتكره القومية .

ان المنظراتية فى فقه القومية يريدون القومية عقيدة يومية صباحية ومسائية انبثقت من الوطنية التعددية التى هى من الأساس وفى الأساس دواء القلوب خالية من العيوب .

هل فهمتم شيئا ، والى الدهاقنة اقول : لقد قرات كل كتبكم واستوحيت مجمل تحليلاتكم ، لم تخدعنى تفسيراتكم ولا تأويلاتكم ، فقد حصننى الاسلام ضد جاهليتكم وامراضكم فأنتم عن جهل أو علم مع بقايا الصليبيين ومن لف لفهم من المرتدين وسرطان الصهيونيين

أنتم الذين هدمتم صرح الدولة الاسلامية وبعثرتم قواها فانهارت وحدة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتشرذم المسلمون وأولهم العرب وسلبت أراضيهم وخيراتهم .

هشام على حافظ

* * *

الفصل الثالث

دحض شبهات الدكتور فؤاد زكريا

كان السؤال الأكثر الحاحا فى « ندوة الاعتصام » تلك المقالات المسمومة التى كتبها فؤاد زكريا مهاجما الاسلام فى مفاهيمه وشريعته وعقيدته . وكان لابد من تجلية ذلك فنقول :

لو ان رجلا غربيا يهوديا أو نصرانيا أو شيوعيا اراد ان يسىء الى الاسلام ما استطاع ان يفعل بأسوأ مما فعل الدكتور « فؤاد زكريا » الذى كانت كلماته فى مقالاته الخمسة التى نشرها فى جريدة الأهرام تنضح بالحقد والكراهية والكيد لدين ينتسب اليه وراثيا على الاقل . وهذا يعطينا صورة الأبعاد الخطر الذى وقعت فيه أمتنا حين احتوتها التيارات الوافدة فحملت أبناءها الى تغيير معتقدها وشعورها ووجدانها على هذا النحو حتى يصبح أبناء الاسلام حربا عليه فى سبيل الانتقام من شريعة الفطرة والعقل والعلم التى استطاعت أن تزيح عقائد وافدة ظل أصحابها يدافعون عنها بالباطل طويلا ، واتيحت لهم الفرصة يوما لتعلو موجتهم .. ولكن الى حين . وهم يحسون فى أعماق نفوسهم بالحسرة والندامة حين يرون كلمة الحق فى طريقها الى أن تعلو بالرغم من كل المحاولات التى تكتم أنفاسها ، وتردها عن امتلاك ارادتها وقدرتها على الأقل . حتى فى مجال المساجلة والحوار مع الباطل الذى يمتلك ذرا أعلى المنابر وأقوى الساحات .

واعجب للدكتور فؤاد زكريا المسلم وهو يتناول النصوص الاسلامية بازدراء شديد واستهانة كانما يخشى أن تجرى على قلمه ، أو كأنما هى جراثيم يود أن يبتعد عنها . وهو فوق ذلك كما علمته نحلته التى آمن بها له قدرة على الجدل والمغالطة والمناورة والتضليل ، والتمويه واختراق النصوص بغير وجه حق !!.

وهو أولا ليس دارسا للاسلام ونظمه وفقهه على نحو يمكنه من أن يخوض فيه . فضلا عن انه ليس كاتبا محايدا أو متجردا . بل له مفهومه الخاص المستمد من الفلسفة المادية ، والفكر الماركسى ، وانكار ماوراء الغيب والوحى والنبوات . فضلا عن ذلك فانه قد سجل على نفسه منذ وقت بعيد أنه يقف على الطرف الآخر ، وقضيته مع نصر رمضان معروفة وانكاره تأييد الله واصراره على ان النصر كان بالأسلحة وحدها . كل هذا يجعل الدكتور « فؤاد زكريا » ليس موضع ثقة من الغالبية المسلمة المؤمنة المحبة لشريعتها ووطنها . فان كل ما كتب ويكتب ليس الا قبض الريح وحصاد الهشيم .

واخطر ما يتعرض له الدكتور فؤاد زكريا انكاره استمرارية هذه الأمة فى العمل بالشريعة الاسلامية على مدى تاريخها ، وعنده جراة خطيرة فى هذا المجال لايستطيع معها ان يقدم الدليل التاريخى على ذلك . بينما كل صفحات تاريخ الاسلام التى لم يكتبها المستشرقون ومتعصبو اليهود والنصارى تؤكد أن الشريعة الاسلامية كانت قائمة فى هذا المجتمع حتى حصرها النفوذ الأجنبى ، وان مطالعة كتاب (وصف مصر) الذى وضعه رجال الحملة الفرنسية وحده يؤكد كيف كان المجتمع الاسلامى فى مصر يعيش فى ظل النظام الاسلامى . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فانه منذ اليوم الأول الذى حجبت فيه الشريعة الاسلامية ، وغلب القانون الوضعى ، تعالت أصوات العلماء والكتاب والفقهاء تطالب بعودة الشريعة ، وتكشف زيف القانون الوضعى وفساده .. فليس صحيحا ما يقوله الدكتور فؤاد زكريا من أن هذه الدعوة محدثة وأنها بنت هذا العقد من الزمان أو الذى قبله . وتاريخ العودة الى الشريعة الاسلامية مكتوب فى عشرات من المؤلفات والدراسات . بل أن الملتقى الاسلامى فى الجزائر عام ١٩٧٠ جمع مختلف علماء المسلمين واصدر مجلدين كبيرين يرسمان تاريخ هذه الحركة التى بدأتها الدولة العثمانية حين أصدرت (مجلة

الأحكام) وكيف كان موقف العلماء أيام اسماعيل وما قام به فقهاء مصر من تخريج للأحكام فى هـذا الوقت البعيد وماتوالى فى هذا المجال منذ ١٨٨٢ الى ١٩٨٥ من خطوات . فالقول بأن هـذه الدعوة محدثة قول باطـل وزور وضلال ، ولم تكن هذه الخطوات الحاسـمة فى العقود الأخيرة الا تطورا طبيعيا لمشاعر الشعب المسلم الظامىء الى نظامه الأصيل . ولقد كان لادخال مصطلح « الاسلام دين الدولة» منذ أكثر من ستين عاما ومصطلح «الشريعة الاسـلامية مصدر للقوانين » فى جميع دسـاتير البلاد العربية منذ أكثر من ثلاثين عاما هـو حد حاسم لم يعد بعده سبيل الى المزايدات والمناورات حول قبول التطبيق من عدمه . فلم تعد القضية أن يأتى الدكتور فؤاد زكريا أو عشرات غيره من خصوم الاسلام والحـاقدين عليه ليتحدثوا من جديد حول هذا الأمر الذى «قضى فيه الأمر» والذى نتحدث، اليوم فيه عن مرحلة جديدة مختلفة تمـام الاختلاف . وهى ليس « هل نقبل أم لا نقبل » وانمـا هى « كيف نطبق ومتى » وماذا يضر الدكتور فؤاد زكريا من الاستشهاد بعمر بن الخطاب ، أو صـلاح الدين او غيرهما . نحن المسلمين نؤمن بأن التـاريخ لا يعود القهقرى ، وأننا لا نطالب بنموذج اسلامى من هذا النوع .. ولكننا نهتدى بضوء هذا العصر الخالد فى الطريق الى بناء المجتمع الاسلامى الجديد ، مع الفهم العميق لمتغيرات الزمان والبيئة ، ولقدرة الاسلام التى لا يضـاهيها قدرة من قانون وضعى أو ايديولوجية على التجاوب مع ما يجد فى العصـور والبيئات من قضـايا وأوضاع ، وما كان المسلمون يوما على هذا النحو الذى يريد أن يصورهم به وكأنهم جامدون ، أو يريدون الوقوف بالزمن . فالمسلم ابن عصره دون أن يخرج عن حدود الثوابت الأصـيلة الكبرى التى حددها له الاسلام .

ويتحدثون عن عبـارة الامام الشاطبى (عن تغير الأحكام بتغير العصور) وينسون أننا لم ندخل بعد مرحلة الثوابت التى لا يمكن التحدث عن المتغيرات الا بعد بنائها ودعمها . وكيف يمكن التحدث عن تغير الأحكام اذا كانت أصول الأحكام لم توضع موضع التنفيذ .

ان الدكتور فؤاد زكريا على غزارة علمه وعلى براعة أسلوبه لا يستطيع أن يخوض فى هذه القضـية الكبرى ولا يصلح لقيادة تيار معارضة الشريعة الاسـلامية .. لأنه لم يدرس الا الفلسـفة الوضعية والماركسية ، وانه يؤمن بالنظرية المادية التى تنكر تماما كل ما يتعلق بالدين والوحى والنبوة . ولذلك فانه لا يستطيع فى كل ما كتب أن يتحدث عن هذه المعانى ، أو يعرض لهـا . بل انه يذهب الى أسوأ من ذلك حين يتحدث عن (الاحسان) بمعنى الصدقة ، وينسى أن فى الاسلام معلما كالطود هو « الزكاة » وليس الاحسان الذى هو مفهوم لاهوتى يجرى على قلمه نتيجة تأثره بالخلاف الذى وقع بين الكنيسـة وبين العلم فى الغرب ، والذى يدفعهم الى المقـارنة بين الاسلام بوصفه دينا لاهوتيا كالمسيحية . بينما هو ليس دينا بمعنى (ريجن) الغربية بل بمعنى أنه منهج حيـاة ونظام مجتمع .

ان عجـز الدكتور فؤاد زكريا عن فهم الاسـلام ومحاولة تحاكمه الى علمانية الغرب ومناهجه يوقعه فى عديد من الأخطاء ، ويحول بينه وبين الرؤية الصـحيحة . بل لعل ما تهوى الأنفس وما تحمل من أحقاد الصراع بين هزيمة الماركسية وانتصار الاسلام هو الذى يدفعه ويدفع معـه تلك الطائفة من الحـاقدين على الانطلاق المسعور لمهاجمة الاسـلام . بينما لم يجد المسلمون من يسمح لهم بالرد فى نفس المكان . واذا كان الدكتور فؤاد زكريا قد عرض لبعض ما وصله من رسائل فانه قد انتقى ماوجد فيه تأييدا ظاهرا دون غيره من الكتابات والرسائل التى تدحض، وتحطم غروره ..

ان الدكتـور فؤاد زكـريا وقف فى مجال المـادية ولم يتمكن من أن يوسـع نطاق ثقافته ليفهم آفاق الفكر الاسلامى وسعته وسماحته . خاصة فى نطاقه السياسى ومنهجـه الاجتماعى . ليعـلم الدكتور فؤاد زكريا أن جموده على هذه المفـاهيم التى أصبح أهلهـا فى الغرب ينكرونها ، ويتخلون عنها لن تعنيه شيئا . وخير له اذا كان قادرا على المرونة واتساع الأفق والرؤية المستقبلية أن ينظر فى تجرد الى ضوء الفجر الساطع الذى بدأ يخترق حجب الغيب والذى استجاب له من هم أساتذته أمثـال جارودى وبوكاى وغيرهما .

ولقد سقطت التبعية للفكر الغربى بشقيه أو الحضارة المعاصرة وذابت أكاذيب دعاة التغريب من تحويل ولائنا عن أصالة فكرنا ومنابع عقيدتنا التى هى منطلقنا الأصيل والتى تؤكد لنا أنه ليس هناك اليوم غير طريق واحد هو طريق الاسلام الذى اهتدى اليه أعلام الغرب أنفسهم .

لقد سقطت الى الأبد نظرية التبعية ولن يستطيع الدكتور فؤاد زكريا أن يأخـذ مكان الدكتور زكى نجيب محمود فى زعامة معسكر التغريب .. لأنه لا يقبل له رأى اسـاسا لأن معسـكر زكى نجيب محمود قد تراجع الى الوراء فراسخ وأميالا ..

* * *

(١)

دحض شبهات الدكتور فؤاد زكريا حول قيم الاسلام

أشار الدكتور فؤاد زكريا في مقال له الى ما أسماه تناقض المتحمسين للدفاع عن الثقافة العربية الاسلامية ، وقد استعان على تصوير هذا التناقض بمثل تخيله لراهب مسيحي صاح في وجه الثقافة العربية ابان فتح الأندلس عام ٩٢ هـ ويريد الدكتور فؤاد أن يقول : لو أخذ رأى أنصار الثقافة العربية الاسلامية في موقف هذا الراهب لقالوا انه متعصب وهم في نفس الوقت يصيحون في وجه الثقافة الأوربية المعاصرة ويصفونها بأنها غزو فكرى أو ثقافى ومعنى هذا عند الدكتور فؤاد زكريا أن أنصار الثقافة الاسلامية متناقضون لأنهم حكموا على الراهب بما لم يحكموا به على أنفسهم مع أنهم مثله تماما في صيحات النكير والتحذير .

ويتصدى الدكتور عبد العظيم المطعنى لمقولة الدكتور فؤاد زكريا فيقول : هل ما يحذر منه دعاة الثقافة العربية الإسلامية من الفكر الأوربى المعاصر الذى يراد الترويج له في المجتمع الاسلامى المصرى مثلا يرقى في قيمته الى ما حمله المسلمون الى الأندلس بخاصة وأوربا بعامة ، أو بعبارة أدق : هل البضاعة الأوربية التى نسميها غزوا فكريا بلغت درجة الجودة التى كانت تتمتع بها بضاعة المسلمين المصدرة الى أوربا .

ان الاجابة على هذا السؤال تتوقف عليها صحة ما ادعاه الدكتور فؤاد أو بطلانه والاجابة الصحيحة بدورها تتوقف على عنصرين لا ثالث لهما :

أولهما : يتصل بحقائق التاريخ **والثانى** : يتصل بالمقارنة بين حقيقة القيم الاسلامية وبين طبيعة مانرفضه من ثقافة أوربا المعاصرة .

● حقائق التاريخ تقول باعتراف المؤرخين الأوربيين أنفسهم أن الأندلس حين فتحها المسلمون كانت في غاية الفساد والظلم من جميع نواحيها وان حكام البلاد آن ذلك (القوط) بلغوا الذروة في اضطهاد الشعب والتحكم فيه بكل قسوة ، يقول الأستاذ توماس ارنولد في كتابه الدعوة الى الاسلام : ان الفتح الاسلامى لهذه البلاد كان خيرا وبركة على السواد الأعظم من الشعب الذين رحبوا بالمسلمين الفاتحين .

ويؤكد هذا أن من أسباب فتح المسلمين الأندلس أن حاكم مدينة سبتة (لوليان) قد وجه دعوة الى طارق ابن زياد بهذا المعنى بعد فتح شمال أفريقيا ولما عرض الأمر على خليفة المسلمين الوليد بن عبد الملك أبدى تخوفه من أن يكون في الأمر خدعة وأشار على قادة الفتح الاسلامى بأن يختبروا سريرة يوليان بارسال السرايا الصغيرة ولما أكد لهم صدقه عبروا المضيق الى الأندلس وتحقق الفتح الرائع الذى أطاح بعهود الجهل والظلم في الأندلس وبفضل هذا الفتح صارت الأندلس هى الشمعة الوحيدة المضيئة في أوربا ، ومنها انتقلت الى أوربا أنصع حضارة عرفتها الانسانية .

ان عصرا من التحرر والرقى حل بالأندلس مع الفتح الاسلامى وقد غزا الاسلام بعدله وسمو مبادئه القلوب قبل أن تغزو جيوشه القلاع والحصون ، وهذه حقيقة تكاد تعم كل البلدان التى حل بها الاسلام في عصوره الزاهية ، وما تقوله حقائق التاريخ — وحده — تكفى للحكم على مدعيات الدكتور فؤاد كما ترى .

● أما المقارنة بين قيم الإسلام التى تخيل الدكتور فؤاد أن راهبا مسيحيا صاح في وجهها وبين ما نرفضه نحن الآن من ثقافة أوربا الوافدة فيكفى فيه أن الدكتور نفسه قد ذكر نماذج من عطاء الاسلام لأوربا وهو في الواقع أساس من أسس نهضتها الحديثة وهو الثورة الفرنسية التى فصلت حديث أوربا عن قديمها البالى ، كان من دواعيه ما أخذه الغرب عن الشرق الاسلامى من رفض الحجر على العقل والخضوع للكهانة والتحكم في مصير الانسان حيا وميتا وشطر ولائه شطرين أحدهما لرجال الدين من حيث الروح ، وثانيهما لرءوس الاقطاع من حيث الجسد . هذا بعض ما تعلمته أوربا عن الشرق الاسلامى كما يرى صاحب كتاب أشعة خاصة بنور الاسلام (ايتان رينيه) **فما الذى تحاول أوربا** وعملاؤها أن يصدروه الينا نحن المسلمين ؟

انهم يحاولون أن يصدروا الينا ما يهدم كياننا على رءوسنا مثل نظريات داروين وفرويد ودور كيم وجيمس وروسو وميكافيلى وكنت وفصل الدين عن الدولة والحرية الشخصية التى تعنى الاباحية والحرية الدينية التى تعنى التحلل من اتباع الدين وتحرير المرأة الذى يعنى تبذلها وامتهانها ونظرية الفن للفن التى تعنى التملص من تسخير الطاقات الخلاقة المبدعة لخدمة الحياة .

وتصدر الينا أفلام العنف والتمرد التى تعنى تدمير شباب الأمة وصيرورته حربا عليها .

***

هذا بعض ما نرفضه يا سيادة الدكتور من ثقافة أوربا ودعك من الديسكو وصحافة الاثارة الرخيصة فليست هذه ثقافة بل سخافة ونعود فنسألك ونسأل معك كل منصف .

هل ما نرفضه نحن الآن من ثقافة أوربا راق ونبيل مثل ما رفضه الراهب الخيالى من قيم الاسلام .

ان كانت اجابتك بنعم فأنت صادق فى دعواك ولكن صدقك عند نفسك فقط ، وان كانت الاجابة : لا فان أنصار الثقافة الاسلامية ليسوا متعصبين مثل الراهب الأسطورى وليسوا متناقضين كما تزعم وهم اذ يرفضون ما أشرنا اليه من ثقافة أوربا يقبلون وبصدر مفتوح انماطا أخرى من ثقافتها ليس فيها ما يضر بالعقيدة أو الأخلاق والسلوك أو سلامة الأمة فى الداخل والخارج .

* * *

(٢)

موقف الدكتور فؤاد زكريا من الوحى

(رد الدكتور أحمد عبد الرحمن)

أشار الدكتور فؤاد زكريا الى أن قضيته الأساسية هى : هل صحيح أن تطبيق الشريعة هو الحل ؟ .

ويقول الدكتور أحمد عبد الرحمن أنه قد اتخذ المذهب العقلى العلمى وسيلته الى الاجابة على هذا السؤال . وانه قد اتخذ هذا المذهب منذ الخمسينات ولم يتحول عنه الى اليوم وكتاباته شرح لهذا المذهب ودفاع عنه ، ولقد ارتبط مذهبه العقلى العلمى التجريبى بالفلسفة المادية والفلسفة النسبية الجذرية الشاملة ، وكان لابد تبعا لهذا أن يصطدم بالمذاهب الفلسفية والدينية التى تؤكد وجود مصادر أخرى للمعرفة كالوحى فى الأديان السماوية والعقل النظرى البحت عند بعض الفلاسفة مثل برجسون والصوفية المسلمين وغير المسلمين وكان لابد مرة ثانية من التصدى للمذهب المطلق الذى يقول : أن ثمة حقائق وقيما خلقية ثابتة مطلقة لا تتغير ولا تتبدل والاسلام عقيدة وشريعة تقوم على عقيدة ثابتة مطلقة وكثير من شرائعه ثابت مطلق جاء به القرآن الكريم عن طريق الوحى فكان التصادم معه ضربة لازب .

* * *

موقفه من الوحى

وقد اتجه الدكتور فؤاد زكريا الى الأصل ذاته فاذا أسقطه سقط البناء كله وأصل الشريعة هو الوحى او القرآن والسنة أو الأصل الثانى للاسلام (محمد رسول الله) وكما هو معلوم للكافة اسقاط هذا الأصل الثانى معناه اسقاط الدين كله عقيدة وشريعة .

ولكن هيهات فدونه وذلك خرط القتاد كما يقولون

قال الدكتور فؤاد زكريا : (لقد آثرت أن اتحدث عن الوحى الدينى بوصفه السلطة الحقيقية المقابلة للعقل وقال : أما القوة التى تمثل التضاد الحقيقى فهى الوحى الدينى بوصفه مصدرا للسلطة يرى الكثيرون انه يناقض العقل ويتفوق عليه لأن السلطة فى هذه الحالة الهية تعلو على صنف العقل الانسانى وقصوره) .

الفكر المعاصر (سبتمبر ١٩٧١ — آراء نقدية)

اذن الوحى يقابل العقل ويضاده ويتفوق عليه عند الكثيرين) .

وقال : (ففى جميع مجالات الحياة وفى النظام الاقطاعى) توجد سلطة نهائية يرجع اليها وتكون لها الكلمة الأخيرة فى كل أمر يختلف فيه الناس ..

على أن نوع الشخص — ماديا كان أو معنويا — الذى يتخذ منه المجتمع سلطة لا يهمنا بقدر ما يهمنا مبدأ السلطة ذاته .

وهو يرى أن مجتمعنا مجتمع اقطاعى يخضع لمثل تلك السلطة النهائية ، والشخص المادى اذا أحسنا الظن هو الاقطاعى ، هذا مع الاعتراف بأن وصفه لا يصدق على أحد الاقطاعيين المصريين قبل الاصلاح الزراعى أو بعده .

ولكن ماذا يقصد بالشخص المعنوى الذى تتمثل فيه السلطة المقيدة للعقل ، — طبقا لتعبيرات الأستاذ التى اقتبسناها توا ، لابد أن نجيب بانه الوحى ، هذا أيضا مع احسان الظن والعقل — بحسب مذهب الأستاذ — يتناقض مع هذه السلطة لأن العقل ينشد الحرية المطلقة (حتى ازاء مبادئه الأساسية وبديهياته المطلقة فلا مناص من رفض الوحى طبقا لمذهبه . ولم يحاول الدكتور فؤاد زكريا أن يوفق بين العقل والوحى ورفض مدرسة التوفيق نهائيا فى القديم والحديث وهو يوجه اللوم الى بعض

المفكرين المتنورين لانهم اشتركوا فى (لعبة النصوص) او رجعوا الى النصوص ، وهو يسمى الاستشهاد بالنصوص ارهابا فكريا وتخويفا . ولعل هذا التخويف هو السبب الذى حال بين الأستاذ وبين النقد المباشر الصريح للاسلام ذاته (عقيدة وشريعة) وهكذا لم يتعرض مباشرة لمسألة وجود الله او صدق الوحى والاعجاز القرآنى وترتب على ذلك اللجوء الى التعسف والتحكم والرفض الانفعالى الغاضب للوحى).

ونحن نرجو مرة أخرى أن يتذكر الدكتور فؤاد وكل المهتمين بالقضية ان أصل المطالبة بتطبيق الشريعة هو الايمان بالله ورسوله وان الرضا بعدم التطبيق أو رفضه يؤدى الى هدم هذين الأصلين ذاتهما .

فحقيقة التناقض اذن هى وضع المذهب العقلى التجريبى المادى فى مقابل الاسلام شريعة وعقيدة . وفى رد على ذلك أجاب الأستاذ عن السؤال : (هل الاسلام هو الحل) بالنفى فتطبيق الشريعة فى رأيه لا يحل مشكلاتنا بل يضاعفها وقال أن نقده ينصب على محاولات التطبيق والمنادين بها لا على الشريعة ذاتها ، ولكننا نؤكد أنه هاجم الشريعة ذاتها وانتقد طبيعتها نفسها فى هذا المقال نفسه وكان ذلك تكرارا لما جاء فى المقالات التى نشرها فى الأهرام ثم أعاد نشرها فى الكتاب (الحقيقة والوهم فى الحركة الاسلامية المعاصرة) .

لقد قال ان الحاكم بالشريعة بشر فله مصالحه واهواؤه التى تتحكم فى اختياره للنصوص التى يستند اليها وفى طريقة تفسيره لها وهذه الآفة لا خلاص منها الا اذا جئنا بحكام (على مستوى التقوى والتنزه عن الأهواء) يقارب مستوى الأنبياء وهو أمر لا يمكن ضمانه ولا يصح الاعتماد عليه كأساس لسلامة الحكم .

ومعنى كلامه هذا ان العيب كامن فى طبيعة الشريعة وفى طبيعة النصوص القرآنية التى تسمح للأهواء بالعبث بها وتفسيرها حسب الشهوات اذ ليس لها نواة صلبة حسب تعبيره اى هى كتلة من الصلصال اللين الذى لا يستعصى على النزوات والأهواء ، فهل هذه هى حقا طبيعة الشريعة الاسلامية والنصوص القرآنية والحديثية التى تساندها .

هل هى حقا تفتقر الى وجود (نواة صلبة) بحيث يستطيع أى حاكم مغرض أن يختار بعض هذه النصوص وبعض التفسيرات لكى يفصل لنفسه اسلاما خاصا يلائم شهواته وأهوائه . اننا نقول ونؤكد أن كلامه فى هذه القضية ليس حقا أبدا ونقول انه باطل ويتناقض مع كلام آخر له يحرص عليه اشد الحرص ويكرره دون ملل ولم يكن ليغيب عنه هذا التناقض ابدا لولا هذا الحماس وهذا الانفعال وهذا الاندفاع فى هجماته على الشريعة الاسلامية ظانا أنه انما يهاجم الداعين اليها والأمثلة والنصوص كثيرة وقد اخترنا أربعة أمثلة فقط .

١ — قوله تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) .

وقوله (الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى).

وبهذا يتحدد أصل دستورى كبير يصبغ الشريعة الاسلامية بكل جزئياتها بصبغته ، هذا الأصل هو العدل وطبقا لهاتين الآيتين الكريمتين يتعين مفهوم العدل الأسمى على أنه حمل كل عامل ثمرة عمله وتبعة أخطائه، كما يتعين معالم الظلم ايضا فهو سلب العامل ثمرة جهاده بالغصب او الاحتيال أو أى طريقة أخرى .

وليس بوسع احد أن يأتى بنصوص او تفسيرات تبيح الظلم او أكل أموال الناس بالباطل مهما جمحت بهم الأهواء والشهوات وليس بوسع أحد أن يأتى بنصوص تحرم على العامل أن ينال ثمرة عمله فهذه النصوص هى السند العاصم الثابت الخالد ضد نزوات الحكام والطغاة والظلمة وهى المرجع المعنوى والدستورى لكل العاملين المنتجين وكفاحهم من أجل العدالة .

٢ — والمثال الآخر يتمثل فى النصوص التى تكفل حياة كريمة لائقة لغير العاملين من الشيوخ والضعاف والمقعدين من ذلك قوله تعالى :

(خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .

وعلى هذه الآية وغيرها كثير صارت الزكاة فرضا بحكم القرآن الكريم دون خلاف بين أهل القبلة ، وليس بوسع أى طاغية أن يفسر الآيات والأحاديث النبوية على نحو يسقط فرض الزكاة وهى العدل وضروب البر والايثار والبذل والتضحية هى التى تشكل الدستور الاسلامى للنظام الاجتماعى للأمة المؤمنة وتكفل له السعادة والأمن والكرامة فى الدنيا والآخرة .

* * *

ونحن الآن نواجه نقدا مريرا لقواعد شرعية ثابتة

خالدة ليس بوسع احد ان يعبث بها او يغيرها ، من ذلك مثلا شرعية الحجاب فهل استطاع فقيه أو مفسر أن يفتى بحل السفور ، ومن ذلك مسألة ميراث الأنثى تطبيقا لقوله تعالى (وللذكر مثل حظ الأنثيين) هل يمكن العبث بهذه الأمة بحيث يكون للأنثى مثل حظ الذكر ، ومن ذلك قوامة الرجل على المرأة (الرجال قوامون على النســاء) فهل بوسع مفسر أو فقيه أن ينزع حق الرجل فى القوامة دون أن يفكر فى هذه الآية الكريمة .

وهناك نظام الزواج الاسلامى ونظام الطلاق وتعدد الزوجات هل بوسع مفسر او حاكم مهما عظمت اهواءه وشهواته وسلطانه ان يفتى بحل الأخت او العمة والخالة أو زواج الرجل بالرجل كما حدث فى دول أوربا العلمانية دون أن ينتهــك عشرات من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

واحســب أن ما قلناه على ايجــازه كفيل باقناع القــارىء بأن الشريعة كما يزعم الدكتور فــؤاد زكريا ليست كلها عموميات مائعة صلصالية تتيح لكل مستبد أن يعبث بها اويشكلها حسب شهواته ،

(٣)

الدكتور فؤاد زكريا

طرح الدكتور فؤاد زكريا مقولتين باطلتين :

اما احــداهما فهى مقولة : الدين ايا كان ظاهرة اجتماعية نسختها الأفكار البشرية . (الثانية) أن الفلسفة كالعلم حقيقة راسخة لا تبين أحكامها الا على ما يسميه المنطق الدقيق .

وتصدى لهذه المقولات الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطى فقال :

الاسلام ليس ظاهرة اجتماعية نسـختها الأفكار الانسانية بل هو حقيقة موضوعية ذات وجود مســتقل عن الانسان وفكره يتمثل فى الوحى الالهى الذى لا يقبل العقل الانســانى بجلبه ورده ، وليس له نحوه أكثر من دور التلقى ثم الوعى والفهم .

اما الفلســفة فليست مجموعة حقائق قائمة على المنطق الدقيق بل هى فى أكثر ما انتهت اليه وحامت حوله معــاناة فكرية اورثت اخيلة وتصورات تتعلق بمســائل غيبية لا يمكن لطبيعة العقل البشرى أن يستقبلهما فهى محاولة لاضفاء رصانة العلم وقدسيته على الفلسفة .

ولكن الفلســفة ستظل جملة محــاولات للاقتحام بالعقــل البشرى وراء المســاحة المحدودة له حيث ظلام الغيب الخفى المتوارى وراء عمر الأزمنة والدهور أو وراء تلافيف المستقبل الغامض المجهول وخطأ الفلاسفة انهم لا يقيمــون (منهج المعرفة الانســانية) على قاعــدته الأساسية ويكتفون بأن يقيموه على المعقول وحده ولابد للعقل أن يتعثر عندما يساق حرا ولابد من تراجع الباطل امام الحق وفرق بين المكانة التى أحرزتها الفلسفة المثالية والسمعة السيئة التى اكتسبتها الفلسفة المادية وكذلك الوضعية .

ذلك لأن المثالية ترتبط فى أذهان الناس بالجوانب الروحية والمثل العليا فى حين أن المادية ترتبط بالســعى وراء المــاديات . وهناك فلاســفة مثالين مثل (بركلى وهكســلى وكانت وهيجل) وفلاســفة مادين (ماركس وانجلز ويوكنز ولينين) .

والالحاد المادى ليس اكثر سوءا من الالحاد المثالى .

وفــكرة هيجل فى الاتحاد مع ما يســميه الوجود الأبدى الأقدس ، وقد وصــل بها كيركجــارد الى فكرة وجود الوجود .

فيتحدث فخته عن أســبقية الفكر على كل شىء ، وأن منه ينبثق كل المادة وصورتها معــا فان كان هؤلاء فى مقياس الديانات الغربية يجعلهم مؤمنين بالله ، فانهم فى معيــار الحقائق الاسلامية ايمــان وهمى أخرق ، ولون سخيف من الوان الالحاد .

ان الحق فى كثير من الجزئيات التى اختلف فيهــا الماديون والمثاليون انما هو فى جانب الماديين ، وان كانوا يجحدون بالخالق .

وهنــاك فروق عديدة بين قانون الرؤية الاسلامية والرؤى الدينية الأخرى عند الغربيين .

انهم يرون ان الاسلام فقد اقتحم خارج حدوده فى الطبيعيات والكونيات وكان عليه أن يهتدى بهدى الفلسفة وأهلهــا الذين اعترفوا بعجزهم عن الخــوض فى تلك الميادين فوقفوا عندما يعرفون .

واصبح الاتهام هنا تتجه الى القرآن واحكامه التقريرية فى الكونيات كالسماء والأرض والأفلاك والبحار والرياح واللواقح والسحب والأمطار واختزان الأرض للمياه .

ان محاولة التفسير العلمى للقرآن تزعج أمثال فؤاد زكريا ازعاجا شديدا ومن ورائه لأنهم يرونها بابا الى ادخال الناس فى الاسلام فهو يطالب فقهاء النصوص الدينية أن يقطعوا الصلة ما بين هذه النصوص ومعانيها الكونية بأى لون من ألوان التأويل أو التحوير حتى يوقفوا الدين عند حدوده ويبعدوه عما لا يدخل فى اختصاصه .

ومحاولة الدعوة الى ابعاد الدين عما ليس من اختصاصه تعنى أن القرآن انتاج عقل بشرى ، وبذلك يصبح الاسلام فى مجموعه ابداعا انسانيا وتراثا عربيا خاضعا لاحتمالات الخطأ والصواب .

ولا داعى للثورة عليه ، ولكن عليه أن يتخذ طريقه فى المجتمع الى جانب الأديان الأخرى — لكى يتم ابعاده عن السياسة والاقتصاد والعلم وأن يمتنع عن الخوض فيما ليس من شأنه .

٢ — فكرة تحرير محل النزاع فى منهج الجدل (المنهجية) وانها المحور الذى يدور حوله النقاش .

ويقوم ذلك على الاعتقاد بأن الاسلام ديانة وضعية صنعتها عقول بشرية فهى تخضع لاحتمالات الخطأ والصواب والمعرفة والجهل ونحن نجزم بأن الاسلام حقيقة موضوعية ذات وجود مستقل عن فكر الانسان يتمثل فى الوحى الالهى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

٣ — ان الدكتور فؤاد زكريا يرى الاسلام بمفهوم خاص قائم بذهنه هو . أنه يقول أن الفلسفة ترفض اعتقاد وجود معصوم من الخطأ وأيا كان المعصوم شخصا أو مذهبا أو كائنا ما ، بصورة أن الاسلام كالأديان الأخرى نسيج فكر انسانى وبأن الدنيا ليست الا حقلا للأفكار البشرية التى تخطىء وتصيب .

ولذلك فهو ينكر قوله تعالى عن القرآن الكريم :

(لا يأتيه الباطل من بين يديه الا من خلفه)

وينكر اعطاء النص الدينى أى حاكميه أو سلطة فى شىء من ميادين الأحوال الشخصية أو السياسية أو الاقتصاد أو العلم أو الاجتماع ويرى أن قبول هذه الحاكمية يناقض النزعة الانسانية فى التراث الفلسفى .

وهو هنا يخطىء مرتين :

اولا خطأ دعواه بأن الوحى لا يمكن أن ينزل الا على بشر من الناس واذا انسكب الوحى فى الذات الانسانية فانه يفقد ذاتيته ويندمج فى الكيان الانسانى بكل مايتصف به من قصور وضعف وأهواء فيفقد الوحى بذلك عصمته وصلاحه المطلقة . ولابد أن تقف عندئذ هيمنته وحاكمته واذا كان العجز قد بلغ بهذا الاله الى حيث أنه لايستطيع ان يبلغنا وحيه ويعلمنا مضمونه الا ممزوجا بشوائب للتقيد بحكمه والخضوع لسلطانه » ا . هـ .
البشرية مستهلكا وسط كادرات الضعف والعجز الانسانى فأى قيمة تبقى اذن لألوهية هذا الاله وما هو الموجب

وفى هذا المعنى سيحاذر الدكتور فؤاد زكريا كل ما يحق له كمفكر وباحث وانسان ومسلم ان يخوض منه ويصل الى خطأ شديد واثم كبير . وهذه هى الفلسفة المادية فى تجاوزاتها الخفية أمام دين الله الحق .

* * *

احمد بهجت والرد على مفتريات فؤاد زكريا

يلخص منطق الدكتور فؤاد زكريا منطق الرافضين عموما لتطبيق الشريعة ، أو منطق المتخوفين من التطبيق ويقوم هذا المنطق على النظر الى تطبيق الشريعة فى رأيه كجزئية منفصلة عن مشروع النهضة الاسلامية الشامل .

ومن هنا نراه يتوقف طويلا عند البشر والنصوص .

ان البشر هم الذين يوجهون النصوص وليست النصوص هى التى توجههم ، ومن ثم فان تطبيق الشريعة لن يكون هو طوق النجاة الذى ينقذنا وانمايتوقف تأثيرها على نوع البشر الذين يقومون بالتطبيق .

انه ينظر مرة الى القضية فيرى الشريعة دون أن يرى الانسان المسلم وينظر مرة أخرى فيرى الانسان المسلم دون أن يرى الشريعة وفى كل مرة يمضى فى مناقشة القضية فى غياب أحد أطرافها وغياب العلاقات بين الأطراف ولهذا تجىء معظم أحكامه أو معظم تخوفاته على غير أساس أو على أساس خاطىء وليست هذه هى الدقة العلمية فى مناقشة القضايا الحيوية .

يقول الدكتور فؤاد زكريا أن الموجة الحالية برغم انتشارها الواسع ظاهرة جديدة ودخيلة على التدين المصرى .

وكلن ايكون العودة الى الأصول ظاهرة دخيلة .

بماذا اذن نسمى التوجه الى الغرب أو الشرق بدلا من التوجه الى الذات والتاريخ ، وبماذا اذن نسمى الاعتماد على الغير بدلا من الاعتماد على الذات ، أن القضية تكمن فى خوف دعاة التعريب من سقوط الغرب فى قلوبنا نهائيا ، وتبلور الصحوة التى نعود فيها الى الأصول والهوية ، وهى صحوة ليست وليدة اليوم وانما بدأت منذ مائتى عام . ان دهشة المندهشين أو تخوف المتخوفين من الصحوة الاسلامية يرجع الى هزيمتهم الروحية أمام الغرب ، أو عدم فهمهم الصحيح للاسلام أو الاثنين معا ، أن الصحوة الاسلامية مشروع متكامل هدفه انقاذ الانسان وبناء الحضارة والذين يحلمون بنهضة جديدة للاسلام لا يحلمون بجنة وردية يتفتح لهم فيها أسباب التقدم دون جهد منهم .

انهم يعرفون أن الدراسة والتخطيط والضمانات امور بديهية ، كما أن يعرفون أن التضحيات مسألة واردة .

٣ ــ تمتحن النظريات والأفكار عادة بالتطبيق ، ولا تظهر قيمة الفكرة الا بعد التطبيق ، اذا افترضنا أن فكرة ما كانت غاية فى النبل ــ ولكنها لم تطبق قط ، أن هذا يعنى اننا لا نستطيع أن نحكم عليها بالصلاحية أم عدم الصلاحية .

اذا كانت هذه النظرية أو الفكرة قد طبقت ونجحت ولو لفترة محدودة . فان هذا يعنى صلاحيتها للتطبيق فاذا تعثرت الفكرة بعد ذلك فهذا يعنى أن الخلل يرجع لسوء التطبيق لا للفكرة أن دعاة تطبيق الشريعة يشهدون بعهد الخلفاء الراشدين وعصر عمر بن الخطاب موجه هذا وهذا عند الدكتور فؤاد زكريا دليل على أنهم لم يجدوا ما يستشهدون به غير هذا العصر ، لماذا يرفضون فكرة قدمت آلاف النماذج التى يستحيل تقديم غيرها لهم لقد كانت هناك عصور عادلة غير عصر الخلفاء الراشدين ، وكانت هناك عصور استبداد ، ومن الظلم والجهل بتاريخ الاسلام أن يقال أن عصور ما بعد الخلفاء الراشدين كان الحكم كله استبدادا وظلما .

***

(٤)

حول كتاب الدكتور فؤاد زكريا (الحقيقة والوهم فى الحركة الاسلامية المعاصرة)

عرض الدكتور ابراهيم عوض (استاذ الأدب العربى بجامعة عين شمس) لمجموعة الأفكار التى قدمها الدكتور فؤاد زكريا ومن هذه القضايا مكانة العقل ودوره فى بناء الحضارة الانسانية وهو يرى مع ذلك أن العقل البشرى قادر بلا شك وأن نظرياته وكشوفه كثيرة ما تتناقض او يتضح خطورتها بمضى الزمن ولكن عظمة هذا العقل يكون فى سعيه برغم ضعفه هذا ، الى أن يتجاوز نفسه على الدوام وأن من المؤكد انه نجح فى ذلك الى حد غير قليل بدليل أنه نقلنا فى قرن واحد من عصر الخيول الى عصر الصواريخ والطائرات الأسرع من الصوت ، ومن تكنولوجيا الحمام الزاجل الى تكنولوجيا الترانزستور والعقل الألكترونى والتلستار ، وان كان يعترف مع ذلك أن عقلنا ما زال قاصرا وأنه ما زال يقف أمام ظواهر كثيرة .

هذا كله كلام جميل لا نجد فيه مطعنا ، الا أننا لا نوافقه على أن الهجوم على العقل البشرى واتهامه بالقصور أصبح سمة من السمات المميزة للدعوات الاسلامية المعاصرة فان هذا الحكم تعميما مجحفا لا وقت فيه ولا تروى أو ليس كل من يدعو الىالاسلام فى عصرنا هذا يحقر من شأن العقل ويدعو الى تجاهله ويقول انه رجس من عمل الشيطان .

والحقيقة أننى لا أدرى كيف وقع دكتور فؤاد زكريا فى مثل هذ االتعميم غير العلمى وذلك الحكم الظالم وهو استاذ الفلسفة التى كان تنبغى أن يقوده التبصير والتروى قبل أن تحقق الأحكام ولكن يبدو أن البغضاء تحجب العقل بحجاب كثيف يمنعه من تأدية عمله فتنطلق الانفعالات من عقالها وتضيع رؤية الكاتب وفكرته وكلماته .

٢ ــ يبحث الدكتور عند نفسه بصفته ممن يحترمون العقل الانسانى احتراما شديدا ، مؤكدا أن العقل قد توصل بعمله وبمشاهداته وخبراته الى أن الانسان كائن جوهره التغير وعلى القائلين بفكرة صلاحية الشريعة الاسلامية لكل زمان ومكان بمعناها المباشر أن يعترفوا بحقيقة أخرى تتناقض مع قضيتهم هذه تناقضا صارخا وهى أن العقل الذى خلقه الله للبشر والعلم الذى خصهم عليه ودعاهم الى التزود به هو نفسه الذى كشف عن حقيقة التغير الأساسية .

ويقول الدكتور ابراهيم عوض : اهذا كلام العقل ، هل كل شيء في الانســان يتغير وكل شيء أو هذه نظرية أحادية خاطئة ترى جانبا واحدا ولا تســتطيع أن تبصر الجانب الآخر ، أن تركيب الجسد الانساني مازال هو هو ومازال الانسان عقل يميزه عن الكائنات الأخرى من حوله وما زالت غــرائز البشر هي غرائز الطعــام والشراب والجنس والرغبة في التملك أم ترى هــذا كله قد تغـير ونحن لا ندري ، وعرفه وحــده من دون البشر جميعــا الأســتاذ الدكتور صحيح أن طراز الملابس والبيوت مثلا تتغير من عصر الى عصر ، وصحيح أن معلومات الانسان قــد نمت واتســعت وعمقت ، وصــحيح أن وســائل المواصلات قد أصبحت أسرع وافعل باختصار ، لقد تغير كثير من انماط الحضارة البشرية لكن القول بهــذا شيء والزعيم بأن الانسان كائن جوهره التغير شيء آخر الم نقل أن البغضاء تعمى وتصم .

٣ ــ ويهدف الدكتور من زعمه هــذا الى أن يقول أن أحكام الشريعة الاســلامية التي كانت تصلح لعهــد الرسول صلى الله عليه وســلم لم تعد تصلح لانســان العصر الحديث لأن هذا الانسان تغير فيه كل شيء ، أن الشريعة الاسلامية مثلا توجب التراحم بين الناس ، وان يساعد غنيهم فقيرهم ، وتقويهم ضعيفهم ، وتأمر بالعدل والاحسان والمساواة ، وندعو الى العمــل والجد وترى الذوق السليم واللياقة الاجتماعية من الأمور الأساسية التي يجب على المســلم مراعاتها وهي كذلك تحرم الزنا والخمر والقمار والقتل والظلم والسرقة والغيبة والنميمة، فما الذي تغير في الانسان بحيث يستوجب تغيير هــذه الواجبات والمحرمات ، بالعكس لقد اثبت العقل البشري، أن هــذه القيم الاســلامية هي أساس بنــاء الحضارة الانسانية وأن ما حذرت منه الشريعة الاسلامية وحرمته ما هو الا سوس ينخر في هذا البناء ولا يتركه حتى ينهار.

والغريب أن الأستاذ الدكتور بعد هذا كله ينبه الى تعاليم الأسلام المتعلقة بالعمل والمساواة والتنديد باكتناز الثروة والبر بالفقراء والضــعفاء بل يمجد ما تدعو اليه الأديان كلها ــ لا الاسلام وحده ــ من خير وعدل اى أن ما نقوله للأســتاذ الدكتور من أن بعض المتدينين يهتمون بالشكل اهتماما مبالغــا فيه وان ذلك يكون في كثير من الأحيان على حســاب المضمون ، لكن ليس كل المتدينين يقينا هكذا ، ثم أن هذا لا ينبغي أن يزهدنا في مبــادىء الشريعة الاســلامية واحكامهــا ، بل بالعكس ينبغي أن يدفعنــا الى أن نبين لهم خطأ فهمهم للدين وانهم غفلوا عما فيه من أساسيات وتمسكوا بالهوامش ، والتفاهات، ان هؤلاء ليســوا أصحاب الدين ولا ما يكتبه حتى نترك الدين لهم وننصرف عنه ، لقد جاء الدين لنا جميعــا ومن خطل الرأى أن نفرط فيه .

ان واجبنا أن نبسط وجهــات نظرنا ونلح في دعاء الآخرين اليها حتى يقتنعوا بها اقتنــاعا حرا كاملا ، اما رفض الدين جمــلة والادعاء بأن الحــكم الالهي لا يمكن تطبيقه الا في عهود الرسل والأنبياء (كما يقول الدكتور فؤاد زكريا)وبالتالي فلا داعي لمحاولة تطبيق الشريعة ، لأن الهدف الأصلي أن نسـعى الى تحقيقه دعوة تطبيق الشريعة هو هدف يستحيل بلوغه فأصحاب هذه الدعوة الذين تتملــكهم رغبة حقيقيــة في الاصــلاح يريدون أن يتخلصوا من ضعف البشر وتخبطهم بالالتجــاء الى حكم الهي يسمو على كل ما يصل اليه البشر بالقانون ، ولكن المشكلة الكبرى هي أن ضعف البشر وتحيزهم بلوفسادهم وانحلالهم سيظل ملازما لنا حتى عندما نحتكم الى الشرع الالهي ، أن مثل هذا الادعاء دليل علىالهزيمة من الداخل وهي التهمة التي يرمى بها الدكتور فؤاد زكريا أصحاب هذه الدعوة واتباعهم .

٤ ــ أن الدكتور فؤاد زكريا كما نفهم من ظاهــر كلامه يؤمن بالأديان والرسل ، وعلى هذا فانى احب أن يجيب على هذا السؤال :

لمــاذا ارسل الله هؤلاء الأنبياء والرسل بالشرائع للبشر ، الرســلهم بها ليطبقوها في عهــودهم فقط فاذا ماتوا ماتت معهم وكان شيئا لم يكن أم ارسلهم لها ليكون لتطبيقهم لها مثالا يحتذيه اتباعهم من بعدهم ، أن الاجابة على هذا السؤال فيما أقدر من شــأنها أن تضعني واياه وجها لوجه فاذا ما اتفقنا على نقطة انطلاق واحدة واما افترقنا كل في سبيل . انني أسأله هذا السؤال لأن ظاهر كلامه يوحي بأنه يؤمن بالله ورســوله ومعناه أنني واياه تضمنا دائرة واحدة وهي دائرة الاســلام ولكن المشكلة هي : هل سنتفق أو سنختلف حول نقطة الانطلاق : لعله يرى أن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية لا تمنع من الانحراف وهذا صحيح ، مائة في المائة ولكن صحيح مثله مائة في المائة ان ذلك غير مقصــور على نصوص القرآن الحــديث بل يمتد لشمل كل نص وقد قال هو نفسه آن اسمى المبادىء الدستورية لا تحول دون قيام حاكم طاغية باضطهــاد رعيته ونشر الرعب والظلم بينهم ، فلمــاذا لم يرتب على هذه المقدمة أن يهمل الناس الدساتير وان يكفوا عن محاولة تطبيقها ، ويرتب على المقدمة السابقة ان يكف المسلمون عن المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية اليس هذا موقفا متحيزا .

* * *

وهو يرى أن مبادىء الاسلام وشريعته لم تطبق على مدى التاريخ الاسلامى وهو يتخذ هذا ذريعة للانصراف عن هذه المحاولة المقضى عليها فى نظره سلفا بالفشل ، وليس هذا فى الحقيقة موقف الانصاف ، وانما الانصاف والمنطق يقتضينا أن نعرف أن كانت هذه المبادىء جديرة بمحاولة استلهامها وتطبيقها أم لا ، وهل هى بطبيعتها قابلة للتطبيق أم أن فى أصل تركيبها ما يجعل هذا التطبيق مستحيلا . لقد قلت أن كلام الدكتور يومىء الى انه يؤمن بألهية المصدر الذى نبعت منه الشريعة الاسلامية فكيف يمكن التوفيق بين هذا الايمان والحكم المسبق بالفشل على كل محاولة لتطبيق الشريعة ، اليس معنى هذا أننا نرى فى ارسال الرسل وتطبيقهم للمبادىء العظيمة التى جاءوا بها عبثا غير مفهوم ، وتضييعا لوقت الانسانية فى أمر لن يؤدى بهم بعد انتهائه الى شىء لأنه غير قابل للتطبيق الا مرة واحدة فى أضيق نطاق طبعا من الناحية الجغرافية والعمرانية وهو نطاق المدنية أو على أوسع تقدير نطاق الجزيرة العربية كلها .

***

رد عبد الكريم عبد الله نيازى

(مكة المكرمة)

الأســـتاذ فؤاد زكريا اصبح الآن يشـــكل ظاهرة عجيبـــة فى وطننا العربى .. فهو لون من المثقفـــين .. لا لون له .. ولا طعم .. ولا رائحـــة .. ولـــكنه دائم التسلل الى ساحة الأفكار الوافدة المخربة يقننها ويؤصل لها وينشرها فى وطننا العربى وهـــذا الرجل ليس له اى قيمة علميـــة عندى .. ولا قيمة اخلاقية .. لانه التقط بعض العبارات التى ناقشته فيها من قبل وحولهـــا الى شىء كريه وبغيض جرح شعورى الدينى .. ولا ينسى القراء مقالته ـــ البترو اسلام ـــ التى كتبهـــا والتى رد عليها اخونا الأكبر الأستاذ العطار محللا ومفندا فى جريدة ـــ المدينة ـــ هذا الرجل كتب مقالا فى مجلة العربى العدد رقم « ٣١٦ » بعنوان (وهم الأصالة والمعاصرة) وقد هالنى ما فيه من فهاهة عقلية .. وســذاجة فكرية .. وتحلل من كل علم وموضوعية .. وكيف يكتب رجل مثل هذا الكلام الذى يسىء الى سمعته العلمية .. ومناصبه الكبيرة التى يتربع عليها .

* واتهمت نفسى بالتحـــامل لمـــا دار بينى وبين الدكتور فؤاد زكريا فقـــررت ان اعرض المشـــكلة على الأستاذ الأديب الدكتور عبد العزيز الدسوقى وانا اعرف ان هذا الصديق قد ظل يصك وجه الدكتور فؤاد زكريا .. ويذيبه بعنف فى متابعاته التى كان ينشرها فى مجلة الثقافة على امتداد عشر ســـنوات من عام ١٩٧٣ م ـــ ١٩٨٢ م ـــ وكان هـــدفى الأول أن اثر المقـــال على الصـــديق ـــ عبد العزيز الدسوقى .. لأســـتثيره مرة أخرى ثم أختفى انا واتركه ـــ مع فؤاد زكريا ـــ يصفعه بالأدلة العلمية ..ولكن وجدت الأمر مختلفا كل الاختلاف .. فقد رد على بشكل حاسم ـــ أن الأستاذ الدكتور فؤاد زكريا .. يستفيد من هـــذه الحدة .. ولذلك اعتقد انك تفيد الفكر العربى والاسلامى اذا رددت عليه بشـــكل هادىء وعلمى ..

فقلت للدكتور الدسوقى .. ولكن هذا شىء خطير .. ان يقول عن قيمنا الأصيلة انها وهم وخرافة .. فرد على قائلا .. يا اخى ان هذا المقال الذى كتبه ـــ فؤاد زكريا ـــ يرد على نفسه بنفسه ـــ ثم هو لا يشكل تناولا علميا للقضية التى يتناولها .. ولهذا يصعب ان تناقشه مناقشة علمية لأن الحيثيات التى يقدمها بين يدى افكاره متناقضة اولا ثم هى بعد ذلك متهـــافتة فكيف ترد على هذا ..

فقلت له ولكن الرجل يثير افكارا كثيرة اعتقد انه يخفى خلفها هدفا خبيثا لا يستطيع ان يفصـــح عنه .. فقال لى مثل ماذا ؟ ؟ .

قلت له .. مثلا .. البدل الذى اقترحـــه بدل ـــ الأصالة ـــ والمعاصرة ـــ هو ـــ الاتباع ـــ والابتداع ..

فقـــال لى مبتســـما .. المقـــال ـــ مجموعة من الكلمات المتناقضة الواهنة .. فلا تجعل لها باطنا خلاف ظاهرها .. لأن ظاهرها غير متماسك اصلا ..

والا فكيف نفسر موقف رجـــل يأتى الى قضـــية حقيقية تمثل أعمق مشكلاتنا الحضارية .. فينكرها .. ويقول عنهـــا انها وهم .. وان الصـــياغة لهـــا باسم الأصالة والمعاصرة ـــ حولها الى مجرد الفـــاظ متباينة لا تعبر عن شىء .. ثم تفلســـف وقال .. ان القضية كانت مطروحة على شـــكل الاختيار بين ثلاثة بدائل .. أعنى اختيار الأصالة .. او المعاصرة او محاولة التوفيق بينهما ..

* * *

* ومع ان تشخيص هذه القضـــية يدل على أنه لم يفهمها جيدا وراح يطلق بعض التعليمات غير المحدودة ويزعم أن هناك اناسا يقولون بالأصالة .. وهناك أناس يقولون بالمعاصرة .. وهناك أناس يحاولون التوفيق بين هذين القطبين المتنافرين .. ومع أن هذا التشـــخيص خطأ كما سنعرف فانه قرر فى ايقان وحزم أن هذه الصيغة فى طرح المشكلة مسؤولة عن قدر كبير من التخبط الفكرى الذى تتســـع به معالجاتنا لهذا الموضـــوع بل ان هـــذه الصـــيغة لابد ان تؤدى الى استمرار المناقشـــات حول الأصالة والمعاصرة الى مالا نهاية دون أن يتقدم تحليلنا للمشكلة .. وفهمنا لأبعادها خطوة واحدة الى الأمام ..

فقلت للدكتور الدسوقى .. ولكن ما رأيك فى هذه الأفكار فرد على ! ! او تسمى هذه افكارا لو تأملت جيدا هذا التشخيص للدكتور فؤاد زكريا على ضوء قراءة مقاله كله لوجدته يصطنع شيئا من عنده لا يتعلق تماما بهـــذه القضية .. ويرتب على ذلك نتائج .. تنتهى الى الذين يناقشون حول الأصالة والمعاصرة يطرحون بدائل ثلاثة على حد تعبيره .. التمسك بالأصالة .. او السير فى

طريق المعاصرة .. او القيام بمحاولة توفيقية للجمع بين الاثنين ..

واعتقد انك يا اخى تتذكر أننا تناقشنا حول هذه القضية اكثر من مرة .. وأنك كتبت انت ترد على كلام الدكتور عبد القادر القط .. ولهذا احتكم اليك أنت لتعرف أن الدكتور فؤاد زكريا لم يفهم القضية على وجهها الصحيح .

فقلت للدكتور — الدسوقى — هذا صحيح .. واعتقد انك قرات ملخص ما دار بينى وبين الدكتور زكى نجيب محمود .. عندما قلت له أن أول من حدد فكرة الأصالة والمعاصرة على هذا النحو الدقيق هو الدكتور الدسوقى ووافقنى الرجل على ذلك .. واعترف فى منزل الأستاذ عبد المقصود خوجه انه أخذ هذه الفكرة لأنها اعجبته ولا يرى ضيرا أن يعترف بهذا على ملأ من رواد — الاثنينية :

* وقلت — ان الدكتور الدسوقى حدد هذه القضية بعمق وابدى فيها رايا متماسكا يكاد يشكل نظرية اصيلة فى حياتنا الثقافية والفكرية .

فالرجل يرى أن المفكر .. والفنان .. والأديب العربى الذى يعيش فى هذه المنطقة تمتد فى وجدانه وروحه كل القيم الفكرية والأدبية والأخلاقية التى تتمثل فى تراث هذه الأمة منذ اقدم العصور ثم هو يقرا ما يدور فى الحاضر .. ويتأثر بما يتفق مع فكره وثقافته .. وتحدث بعد ذلك عملية المزج اللاشعورية بين اجمل ما فى الماضى .. واجمل ما فى الحاضر .. ويتكون من هذا — المزج اللاشعورى — المركب الجديد .. الذى يختلف عن الماضى والحاضر لأنه مزاج منهما له خصائص المركب وهى خصائص جديدة لا توجد على حده فى كل أفراد هذا المركب ..

وقال لى الدكتور عبد العزيز الدسوقى .. يا اخى اشكرك على هذا .. واقر لك انك حددت ما اعنى من فكرة الأصالة والمعاصرة .. ولا تنسى أن هذه الفكرة عندما بدات أرأس تحرير مجلة الثقافة فى سنة ١٩٧٣ م جعلتها شعارا لهذه المجلة تحت اسمها واضفت اليها محورا ثالثا فاصبح الشعار على النحو التالى :

(الحرية — الأصالة — المعاصرة)

واعتقد أن اضافة الحرية الى هذه الفكرة تشكل محور النظرية كما رأيت انت لأننا يمكن بهذا المركب الجديد أن نحارب من خلاله معركة الثقافة العربية بالوضوح بعيدا عن هذا الابتذال الذى يحاول ان يجرنا اليه الأستاذ الدكتور فؤاد زكريا . الذى لو فهم القضية لما كتب هذا المقال أصلا — ولما قدم فكرة — الاتباع — والابتداع — فهى الفكرة الوهمية .. لا فكرة الأصالة .. والمعاصرة .. أنه يتصور أن الذين يقولون بالأصالة يقولون بفكرة العيش فى الماضى .. والذين يقولون بالمعاصرة .. يقولون بفكرة العيش فى الحاضر .. وقد سبق ان فندت هذا وقلت أن هذا الأمر مستحيل للطرفين لأن الذى يعيش فى الحاضر يفكر باللغة وهى من آثار الماضى .. ويمتلىء وجدانه بالقيم الروحية وهى من قيم الماضى .. ولا يستطيع أن ينفصل عن هذا الماضى الذى يحل فيه بطريقة لا شعورية وكذلك الانسان الذى يؤمن بالأصالة يعيش بصورة يومية على مبتكرات الحاضر .. فهو يذهب الى الجامعة راكبا سيارته ويحاضر فى الميكرفون ويستخدم الآلة الحاسبة .. فلو اراد ان ينفصل عن الحاضر ليعيش فى الماضى لما استطاع .. لأن كل هذه المبتكرات الحديثة تشكل باللاشعور ذوقه .. وطريقة تفكيره .. اذن الذى يحدث أن الماضى يحل باستمرار فى الحاضر .. ويتأثر فى الناس سواء أكانوا ادباء أم فلاسفة أم مفكرين ..

كما أن الحاضر يعدل الماضى الذى ينتقل الينا ويحل فينا باستمرار ..

* هى عملية مركبة معقدة لاشعورية تمزج أجمل ما فى الماضى بأجمل ما فى الحاضر ليتكون من هذا المزيج المركب الجديد .. الذى يطور الثقافة العربية باستمرار .

وقاطعت الدكتور الدسوقى .. قائلا .. ولكن ما رايك فى فكرة الاتباع والابتداع .. فرد على قائلا .. يا اخى .

هذه ليست فكرة على الاطلاق .. فبعد أن يقرا الدكتور فؤاد زكريا هذا الكلام سيرى أن كل المقومات التى بنى عليها هذا الوهم .. وهم الفكرة البديلة . لا اساس له من الواقع .. والا فليقل لنا اسماء من قالوا بالعيش فى الماضى واسماء من قالوا .. بالعيش فى الحاضر وأسماء من وفقوا بين الماضى والحاضر .

بطبيعة الحال لن يستطيع الرد على ذلك وهذا مربط الفرس أن الدكتور فؤاد زكريا يريد أن يصفى حساباته معنا فله مشكلة مع الدكتور زكى نجيب محمود

وله معى هذا التاريخ الطويل من الهجوم عليك .. وله معك معارك أدبية كبيرة ..

ان فكرة ـ الاتباع ـ والابتداع ـ هى التى تثير كل المشكلات لأن الاتباع والابتداع ـ بناه اساسا على ان هناك تناقضا بين العيش فى الماضى .. والعيش فى الحاضر .. وهذا التناقض الموهوم الذى لا يوجد الا فى ذهن الدكتور فؤاد زكريا هو الذى جعله يتصور أن هذه الصيغة الجديدة ـ الاتباع ـ والابتداع ـ هى التى تحل المشكلة ـ مع أن الأمر غير هذا تماما لأننا بفكرة المركب الجديد حللنا كل المشكلات فليس هناك أطراف يتصارعون حول الماضى والحاضر .. ولكن هنا عملية دنياميكية مستمرة تمزج أجمل ما فى الماضى بأجمل ما فى الحاضر فيخرج هذا المركب الجديد متألقا باهرا وهذا المركب يختلف من فرد لآخر بحسب مفردات الماضى والحاضر .. التى يمتلىء بها عقله ووجدانه.. أما قضية الاتباع او الابتداع فهى القضية المشكلة فنحن جميعا سواء أكنا مجددين أم سلفيين لابد لنا من اتباع مجموعة من القيم الفكرية والروحية التى جاء بها ديننا .. كل الغيبيات مثلا لابد أن نؤمن بها .. ونتبع الرسول الذى جاء بها وهذه عملية الايمان .. وقد أكون مؤمنا عالى الايمان .. ناصع العقيدة .. ومع ذلك فأنا شاعر مبدع .. ورحم الله الشاعر على محمود طه الذى وصف الشاعر بقوله :

هبط الأرض كالشعاع السنى
بعصا ساحر وقلب نبى

* فالشاعر ـ على محمود طه هو صورة من الايمان والابداع .. ولهذا اعتقد أن الابداع لا يصلح «قسيما» للاتباع ومن هنا تنهار فكرة فؤاد زكريا المنطبق الكبير .. أنه يتوهم مشكلة من فكرة الأصالة والمعاصرة فيحاول أن يحلها فتتعقد الأمور بين يديه .. وتتهافت الأفكار.. أن فكرة الاتباع والابتداع لاتصلح بديلا للأصالة والمعاصرة لأنها قد تكون بشقيها فى فكرة الأصالة وتكون بشقيها ايضا وفى بعض الأحايين فى فكرة المعاصرة .. اما اذا قلنا الأصالة فلا تعنى ابدا المعاصرة واذا قلنا المعاصرة فلا تعنى ابدا الأصالة .. فهما قسيمان موجودان فى الواقع يمتزجان فيكونان مركبا جديدا .. وتلك هى الفكرة .. اما الاتباع والابتداع فلا يرى لهما وجها الا فى ذهن الدكتور فؤاد زكريا .. فالأستاذ / أحمد حسن الزيات ـ عندما حاول أن يطلق كلمة عربية على ـ الكلاسيكية ـ أطلق عليها كلمة اتباع .. وعندما أراد أن يطلق كلمة على الرومانتيكية ـ أطلق عليها كلمة ـ الابتداع ـ ولم يعش هذا الاطلاق .. ولم يشتهر لأن المصطلحين غامضان . فهل يأتى ـ فؤاد زكريا ـ بعد خمسين عاما ليطلقها على أخطر قضايا حضارتنا العربية .. وهى الأصالة والمعاصرة فهذا شىء مضحك ..

* كنت اتصور ـ ايها القراء الأعزاء .. أننى عندما اتصدى للانحرافات التى بدأت تهب علينا من كل جانب .. وكنت اتصور أننى عندما أواجه الأفكار الشاذة بالنقد الصريح والتفنيد الدامغ .. كنت أتصور أننى أقف على ثغر من ثغور هذا الوطن أرد عنه كيد الكائدين .. وأزود أفكار المنحرفين والضالين ـ كنت أتصور أننى بهذا الصنيع سأنال تقديرا من الرجال الأحرار الذين يدافعون عن قيمنا الاسلامية .. وتقاليدنا الحضارية الأصيلة .. مهما كانت الحدة التى أواجه بها عناصر الانحراف .. فيشهد الله أنها حدة مبعثها الغيرة على مستقبل هذا الجيل من شباب وطننا الغالى الذى يعيش فى وطن فيه أغلى المقدسات وأغلى الحرمات .. هذا الوطن الذى يتميز بأنه يحمل راية الاسلام عالية خفاقة ويعمل فى سبيل الله لابد أن نحصن شبابه من كل التيارات العادية التى تحاول أن تقتلع هذه الأمة من جذورها .

* كانت رسالة ـ ايها القراء الأعزاء ـ أعمل لها واضحى فى سبيلها بكل شىء .. كنت احتمل الهجمات العنيفة التى تأتينى ممن يسمون أنفسهم الحداثيين أو المجددين أو غيرهم .. وكان هذا الهجوم يسعدنى ويجعلنى أعتقد أننى أسير فى الطريق السليم ولكن الذى أثار حزنى واعتصر قلبى وملأنى بالشجن ما أحسسته أخيرا من أن بعض الذين كنت أنتظر منهم أن يدعم موقفى تحولوا الى حرب على .. وأنا لا أحزن أيها الأعزاء من الحرب والنضال .. فمنذ وهبت نفسى للعمل العام وأنا أخوض المعارك بكل قوة وضراوة .. لا أهاب شيئا الا الله .. وكان يمكن أن أتصدى لهؤلاء فى ساحة معركة شريفة متكافئة واضحة وضوح الشمس .. ولكن أقول : والأسف يملأ نفسى أن هؤلاء جميعا آثروا أن يكونوا كالخفافيش. .يعملون لحربى فى الظلام ويفحون كالأفاعى ويدسون الدسائس .. ويدبرون المكايد .. والله يشهد أنهم لكاذبون . تلك هى القضية التى أحببت أن أشير اليها فى حلقة اليوم فى ضوء الحرية .. لا أريد أن أقول أنها مأساة الحرية .. فما أكثر ما تحمل المجاهدون فى سبيل الله من كيد الكائدين .. ودس الدساسين .. وصنيع خفافيش الظلام .. التى لا تستطيع أن تعمل فى النور ..

* أيها القراء الأعزاء .. بقيت كلمة واحدة ..

وعهد .. هذه الكلمة هي أنني سأفوض أمرى الى الله .

وأما العهد .. الذى أخذه على نفسى أننى سأظل كما كنت دائما أخطب وأكتب فى الصحف .. وأؤلف الكتب

[illegible]

وأواجه كل الأخطاء .. والانحرافات بنفس القوة .. ولن أكف مهما كانت العقبات .. لأتمكن من أيصال صوتى اليهم ولن أكل أو أمل أو أتخاذل مهما طال الطريق .. والله غالب على أمره .. والى اللقاء ان شاء الله

[illegible]

* * *

[illegible]

الفصل الرابع

دحض شبهات الدكتور لويس عوض
قيم الإسلام : القيم المظلمة

وصف الدكتور لويس عوض قيم الاسلام بأنها قيم مظلمة وجامدة تشوه نفوس النشء ، وأنها قيم مزيفة تعادى للتقدم والحضارة وهى قيم ناسفة للحرية ومهدرة لحقوق الانسان وهى قيم مهدرة لكل شعور بالأخوة الوطنية والانسانية .

وقد واجه الدكتور احمد عبد الرحمن ابراهيم هذه الحملة الشعواء فقال :

اطلق الكاتب هذا السيل الجارف من الأوصاف المقذعة دون أن يتفضل ببيان القيم (الجامدة المظلمة) التى كان لها هذا القدر الموفى من القدح الذميم ، ومن جهة اخرى أورد اشارات سريعة مبهجة للقيم المستنيرة العصرية ، لا تفيد علما ولا تنور طريقا ولا تشكل فكرا يمكن أن يهتدى به تطوير التعليم ، وليس هذا من المنهج العلمى الموضوعى فى شىء ، فالعلم تحديد دقيق ومنطق محكم ، وبرهان مقنع ، ولا مكان فيه للابهام والمراوغة والغمز واللمز .

ونحن نجد عذرا لكاتبنا الكبير الشهير فهو قد جرب مرة المنهج العلمى الدقيق فتصدى له فتيان أكفاء زيفوا له كل قول وأفحموا له كل رأى ، ففكر كاتبنا الشهير وقدر ثم همز ولمز ولف ودار ، ثم أطلق عبارته الأخيرة الزاعقة محملة بكل ما تنوء به نفسه من مشاعر الكراهية لقيمنا العليا (الجامدة المظلمة) .

ونحن لا ننتظر منه أن يعلمنا قيمنا ونحن كذلك لا ننتظر أن يفيدنا بشىء صحيح عن قيم العصر (النيرة المرنة) وانما كنا نتمنى أن يصرح ويحدد حتى تواجه الصراحة بمثلها وتقارع التجديد بتجديدات .

كنا نتمنى أن يفتح نقاشا واسعا حول هذا الموضوع الخطير أو الأخطر ، ولكنه مني — بكل أسف — أن يتعاطى الفكر والعلم ولجأ الى الالتواء والتهويم .

وتقول له : لقد دعينا ما تريد على الرغم من ذلك .

وهذه يا سيدى بعض قيمنا (المظلمة الجامدة) نعرضها عليك ونرجوك أن تشغب عليها وتكشف للناس من ظلامها وظلمتها وجمودها وتحجرها :

١ — وأول قيمنا (الجامدة المظلمة) العدل الذى أرسل الله رسله وانزل كتبه من أجل اقامته بين الناس فلكل انسان ثمرة عمله وعليه تبعة أخطائه (من عمل صالحا لنفسه ومن أساء فعليها) هذه هى القيمة العليا التى تضبط كل تشريع وتقنين وتنظيم فى أمتنا وهى لا تعرف تفرقة عنصرية ولا ثقافية ، تنزل آيات القرآن يوما لتحرر يهوديا من الظلم فى المدينة المنورة وتدين مسلما من الأنصار كان هو المعتدى على الحقيقة ، ونحن لا نعرف أن القيم العصرية (النيرة المرنة) تضاد قيمنا العليا هذه ، بل نعلم يقينا أن العالم كله والأمم المستضعفة على وجه الخصوص تنشد هذه القيمة العليا وتشخص بأبصارها فى كل أفق ، بحثا عنها ، فلا تجد من الدول العصرية — المنيرة المرنة — سوى العدوان والنهب والسلب والاستغلال والعربدة الحربية فى البر والبحر والجو .

ونحن لا نعتزم التخلى عن قيمنا هذه الجامدة المظلمة ، ونرى أنها عزنا وفخرنا وسعادتنا ولسوف نسعى يوما لغرسها فى النشء من أولادنا ولسوف نقدمها الى كل شعب مظلوم فى حب وثقة بانتصارها فى نهاية المطاف .

٢ — والحرية : عندنا تتجسد فى طاعة ربنا ، لا فى التمرد عليه ومعصية دينه وهى واحدة من القيم العليا (الجامدة المظلمة) التى نعتز بها أنها جزء لا يتجزأ من كياننا الروحى ، وهى التى اثارت أمتنا ضد القهر الداخلى والعدوان الخارجى ، هى التى أشعلت ثورات القاهرة ضد بونابرت وهى التى أشعلت ثورة ١٩١٩ وهى التى

أوقدت ثورة الجزائر وهى التى ستوقد كل ثورة فى بلادنا ضد الاستبداد والطغيان والجور .

وهـذه القيمة العليـا هى التى مهـدت الأرض للديمقراطية الليبرالية وهى التى أهلكت انصار الفاشية والنازية وجعلتهم نسيا منسيا على الرغم من كل الكتب والخطب والمقالات والدعاوى التى روجت لهـا سنوات طوال فى طول البلاد وعرضها وكنت انت للأسـف واحدا من أعلامها وقبضـت منها الراتب الكبير ونلت فى ظلهـا المنصب الرفيع .

٣ ــ والعفة عندنا قيمة عالية رفيعة وهى التى صانت أمتنا العريقة من شرور الفحشاء وضمنت حقوق الأزواج والأولاد ووطدت اركان الأسرة والمجتمع كله من بعـد ذلك ، وهى التى طهرت قرانا ومـدننا من امتهان البغـاء على شاكله (المادامز) التى ننشر مواجيزها فى روما وباريس ونيويورك وحمت شـبابنا من اللواط وكل ما يجره من ويلات الايدز والزهرى والسـيلان ، فضلا عن انتهـاك قيمة الانسان ولولا هـذه القيمة (المظلمة الجامدة) لأفلح نابليون فى تعميم البغاء فى بلادنا ، وهو الذى جلب معه (٤٠٠ بغى) أطلقهن فى شوارع القاهرة لنشر القيم العصرية (النيرة المرنة) بين المصريات .

لكن العفة ضاربة بجذورها فى تربة مصر ويسقيها ضميرها بعصارة نقية من حضارتها العريقة التالدة .

٤ ــ والسلام عندنا من القيم العليا واسم ربنـا (السلام) وتحيتنا السلام وقرآننا يدين العدوان والحرب والتدمير ويحثنا على البر بكل ما يسالمنا ويحاورنا والوفاء لكل من يعاهدنا ويعاقدنا ، ولذلك نحن لا نسيغ النفاق الأوربى المعاصر ، الذى يتشدق بألفاظ السلام وفى الوقت نفسه يمعن فى العدوان التدمير والتخريب ويجند من أجل ذلك شياطين الجن والانس الذين يطلق علهم العلمـاء والخبراء زورا وبهتانا .

* * *

٥ ــ والأخوة الانسانية قيمة عليا عندنا وقد كان حول رسولنا صلى الله عليه وسـلم الحبشى والرومى والفـارسى الى جانب العربى القرشى ، وتاريخ امتنـا يشـهد بأننا لا نجتمع على عرق أو قبيلة أو لون ، بل على عقيدة وديانة وفكرة ، كانت امتنا دائما بوتقة تصهر الأجناس المتباينة فى كيان واحد لا رابطة بين عنـاصره سوى الأخوة الاسلامية وبذلك سـبقنا العصر الحديث الذى عرف هذه الحقيقة مؤخرا فطبقها الروس ليشكلوا الاتحاد السوفييتى وطبقها الأمريكيون ليشكلوا (العالم الحر) .

ونحن مأمورون من ربنـا بأن نبر بأهل الكتـاب ونحبهم ما لم يخرجـونا من ديانتنا أو يعقـدوا علينـا ونحن نتمنى أن ينشر التدين المسيحى واليهودى ويطفى على الالحـاد الذى يروج له نفر ينتسـبون زورا الى اليهودية والمسيحية .

هذا هو فى ايجـاز معنى الأخوة الانسانية عندنا وهو كما ترى جزء من ديننا لا مجرد رأى لكاتب او سياسى أو صحافى .

٦ ــ والايمـان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد ، قيمة من القيم عندنا وقد عرفنا ما عرفنا من علوم العصر وفلسفاته مما وجدنا فيها ما يخدش من توحيدنا شيئا ، ولقد بدأ بعض المشتغلين بالفلسفة يزينون للناس الالحاد وينفرونهم من التوحيد فنفر الناس منهم وهجروهم حتى ماتوا غيظا وكمدا .

هذه بعض قيمنا (المظلمة الجامدة) التى يطالبنـا الكاتب الشهير بأن ننبذها لكى نشـخص بأبصارنا نحو لندن وباريس وموسكو ونيويورك نلتمس القيم العصرية النيرة المرنة من عبقريتها .

ولا احسب أن أحدا من القائمين على تطوير التعليم فى بلادنا يمكن ان يلتفت الى مثل هذا الشباب المتنع ضد قيمنا العليا والأمة كلها من ورائهم يقظة متحفزة ، تطالب فى اصرار باحترام قيمها العليـا وتريد أن تراها ماثلة فى كل درس وكل كتاب وكل قصيدة شعر .

اباطيل واسمار .

يقول لويس عوض كلاما فى تفسير القرآن دون أن ينظر فى مراجع التفسير الكبرى فيكذب ، فتصويره للورود السماوية وهى مريم العذراء ، (روزا مستيكا) يوصى بأن له صلة بما جاء فى سورة الرحمن (فانشقت السماء فـكانت ورده كالدهان) وقد اتخـذ دانتى من ورده الفردوس رمزا لمريم العذراء ووصف الوردة بأن أوراقها من الملائكة .

وهكذا سقط لويس عوض فظن أن وردة ليسـت عبارة عن اللون فجعلها (روزا مستيكا) .

هاجم شاكر اقحامه هذه المعانى عند ادبينا بآيات

عذاب يوم القيامة لمجرد اشتراك فى اللفظ بين الاسم والصفة ثم يعود الى قضية سقط الزند التى أخذ منها بيتا من خلال أبيات يذكر فيها شيخ المعره الابل ويصف ما لاقته نهارا فى البيداء من هجير وظمأ وما رعت ليلا من (صليان) وهو نبات له جذور ضخمة ، فلم ير فى الكلمة غير الصلبان جمع صليب وينشرها بحروف كثيرة (تغص بالصلبان) وتغص أى تشرق بالصلبان النبات .

يسمى لويس عوض الأوراق التى استغلها وثائق وهى تقارير جواسيس وملفات مباحث ضمت تقارير مخبر من انجلترا وهى المراجع الجديدة التى استعد لها فى دراسته والتى وضعتها الادارة الانجليزية فى حجره ليضعها على اعظم الباحثين فى شأن الرجل .

وهكذا اعتمد لويس عوض على وثائق وزارة الخارجية الانجليزية فى شأن الرجل القبطى اللعين يعقوب الذى كون جيشا من ارازل القبط . وشن بهم حربا على ناس سبت لحساب الحملة الفرنسية نجعله خبرا لا يكتب وثيقة استقلال مصر وهو فى حالة هذيان من حمى الموت على السفينة التى تقله الى فرنسا .

عبد العظيم باسم

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

الفصل الخامس

دحض شبهات محمود أمين العالم

نريد أن نحيا بحضارة الاسلام

رد : دكتور احمد عبد الرحمن

اول ما نأخذه عليه اصدار الأحكام العامة على الفكر الدينى الأصولى السلفى فى حين ان هذا الفكر يتمثل فى تيار عريض متنوع متباين ، وتجدد الخلافات بين أهله الى الأصول نفسها وتبعا لذلك ليس من الانصاف أن تصدر عليه حكما واحدا شاملا كما فعل الأستاذ العالم حين نسب اليه مساندة السياسات والممارسات الرسمية .

ان عقيدتنا فى مصر كما يعلم الجميع سلفية مع ميل الى الأشعرية لدى البعض والقسمةالكبرى بين المصريين اليوم تضعهم فى صنفين : الأول يصر على الاسلام الشامل كنظام حياة لا مجرد عقائد وعبادات . والثانى : رضى بالاسلام الجزئى الذى يقنع بالعبادات والعقائد والأحوال الشخصية والجميع سلفى فليس فى مصر شيعة ولا خوارج ولا مرجئه ولا معتزلة . وربما يصدق على الراضين بالاسلام الجزئى انهم ساندوا ويساندون السياسات والممارسات الرسمية فى مجال الفكر والعمل، أما انصار الاسلام الشامل فلا يمكن أن يصدق عليهم ذلك بحال ، ولقد ذاقوا من الحكام فى عهد عبد الناصر بالذات الوانا من العسف والتنكيل على حين عاش الآخرون فى سلام وادع وهذا كله معروف للناس .

٢ ـ اعتبر الأستاذ العالم ان الفكر القومى الناصرى ثقافة غير رسمية . وأظن ان القومية مجرد جزء من الثقافة العلمانية ، اريد له أن يقف فى وجه الخلافة الاسلامية فى الصدام الشامل بين الثقافتين الأوربية والاسلامية ولا يمكن ان توضع الناصرية الى جانب السلفية والماركسية بوصفها تيارا ثقافيا .

٣ ـ عاب الأستاذ العالم على الفكر الاسلامى انه لا يقدم اجابات لأسئلة الواقع ـ يعنى لا يقدم حلولا لمشكلات الديون والاسكان والمرافق ، الخ واظن ان من الاجحاف أن تطالب السلفيين بحل المشكلات الموروثة للناصرية وهم لا يزالون مطاردين خارج الحقل السياسى وتضن الدولة عليهم بتنظيم يجمعهم أو حتى مجلة تعبر عنهم ، ويضطر بعضهم فرارا من الحضارة الى التحالف مع حزبى العمل والأحرار ، ويبقى البعض الآخر صامتا محاصرا .

ويعلم الأستاذ العالم أن السلفيين من انصار الاسلام الشامل لا يسعهم تقديم أى حلول لمشكلات تنشأ فى المجتمع بسبب التطبيق الجزئى للاسلام ، ومتى نجح نظام ما فى تحقيق نتائج ايجابية ملموسة فى الوقت الذى تستبعد منه اهم آلياته الاجتماعية والسياسية .

ان الفكر القومى الناصرى المشبع بالماركسية هو الذى أبرز لنا الديون والنكسات وازمات الأزمات والمرافق وغيرها .

وما أظنه يستطيع أن نتخلص منها ومن التبعية المترتبة عليها ونحن لا نزال نستدين دون توقف .

٤ ـ ويقول فى وصفه أزمة الفكر العربى المعاصر .

ان هذا الفكر يحتقر نفسه ويرى ان امته أمة عقيم بلهاء مفلسة وتبعا لذلك يقعد كل أمل فى أصوله وامكاناته ويفتح فى كل جامعة مكتبا للاستيراد الثقافى بين امريكا أو روسيا ويقذف كل من تسول له نفسه أن يعكف على الأصول أو ينمى الجذور باتهامات الرجعية والتخلف والتعصب والظلام .

هذه هى الجرثومة الثقافية والمنهجية لأزمة الفكر العربى وهو لن يتعافى الا بالخلاص منها فتعود النقطة المفقودة وتذهب عقده الدونية .

ويتصل بهذا ما ارتابته من وجود حضارة معاصرة

واحدة وليس لنا اذن حضارة مستمدة مستقلة . ثم انك أدنت النموذج الغربى منها ، الاستعمارى الاستغلالى ماديا وثقافيا ، ولكن اليس النموذج الشرقى : استعمارى استغلالى أيضا ألم يلتهم الاتحاد السوفييتى سبعين مليونا من المسلمين فى القوقاز وغيره أفلم يرسل أسلحته العصرية الى أفغانستان لكى يفرض عليها الشيوعية كرها ، وهل نسينا ما فعله الروس فى المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولنده أخيرا .

أما فى المجال الاقتصادى فالنموذج الشرقى — الذى تنتسب اليه ثقافيا ويشكل النصف فى الحضارة الوحيدة فان جورباتشوف يراجع الأوراق كلها وهو يشطب الكثير من كتابات ماركس ولينين ويقول بعضهم : أن اتمام الاصلاح لن يتحقق الا بتمام القضاء على الماركسية .

فالحضارة الوحيدة فى رأيك هى روسيا وأمريكا او العالم الشرقى والعالم الراسمالى وأنتم تنكرون حضارة الغرب والغرب ينكرون حضارتكم المشمولية أما نحن فنظن والله أعلم أن لدينا حضارة متميزة حضارة مبادىء وقيم لا حضارة مصالح مادية نفعية ، فردية أو طبقية أو قومية ، وهى لست حاكمة اليوم ولكنها موجودة وفعالة وعالم عريض هو العالم الاسلامى ولذلك فنحن نختلف معكم فى النظر الى اصولنا فأنت ترى أن نستلهمها فقط ونحن نرى أن نحياها ولا نحييها لأنها لم تمت أبدا ، نريد أن نحيا على التوحيد ونطرد الالحاد ، ونريد الا يثار ونبرأ من الأنانية ونطبق العدل ونحارب الظلم .

***

الفصل السادس

كمال الملاخ
وإحياء نظرية الفرعونية الباطلة

كان الحديث فى ندوة الاحتصام عن دعاوى كمال الملاخ بمناسبة وفاته ولقد افضى الأستاذ كمال الملاخ الى ما قدم وانتهى بذلك شوط طويل امتد أكثر من ثلاثين عاما كان يعمل خلاله يوما بعد يوم على تغذيه نظرية خاطئة فى محاولة جبارة متصلة على صفحات كبرى الصحف العربية ليجعل من فكرة وثنية قديمة جاءت المسيحية المنزلة بعدها لتدحضها وتكشف زيفها وتزيل آثارها ثم جاء القرآن الكريم ليكشف زيف فرعون وفرعونيته وادعائه الالوهية وتكذيبه لنبوة موسى عليه السلام وتدمر هذه المحاولة التى كانت ترمى الى تألية الحاكم المستبد ذلك أن الفكر الاسلامى لا يرد (تاريخ مصر الفرعونية) ولكنه يضعه فى مكانه الصحيح فى عصور ما قبل الاسلام ، ايمانا بالدور الذى قام به الأنبياء عليهم السلام جميعا قبل بعثه محمد صلى الله عليه وسلم ، ويذكر لهم الايمان بالبعث والحساب ، وهو يعتبر هذه المرحلة جزءا من تاريخ مصر اختلطت فيه ملامح الايمان بالبعث والجزاء بالوثنية على النحو الذى صوره نبى الله يوسف حين قال (أارباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) .

ولكن الفكر الاسلامى يقف موقف واضحا من المؤامرة التى قام بها النفوذ الأجنبى فى ثلاثينات القرن الميلادى من اجل اعادة لون مصر الفرعونى باحياء تراث الفرعونية الوثنى واحلال الصبغة الفرعونية فى المبانى والملابس والأغانى والفن (وخاصة فى رموز الجامعة وبنك مصر من كليوباترة الى الكاتب الجالس القرفصاء) محل الطابع الاسلامى وهى محاولة لم يستطع المتصدرون لها الا أن يعلنوا هزيمتهم المبكرة وفشلهم السريع بعد أن فتحت نها أبواب الصحف وقامت جماعات تدعو لها ، لأمر بسيط يسير هو أن الفرعونية لم تخلف تراثا تاريخيا أوثقافيا (من فلكلور أو شعر أو أغانى) يمكن أن يمثل أدبا أو تراثا أو شيئا من ذلك ومع سقوط المحاولة فان هناك من كان حريصا على اشاعة هذه الروح الفرعونية واحياء هذا التراث والاذاعة به وفى ظل تشجيع السياحة تعالت الصيحة فى هذا الاتجاه وجرت محاولات كثيرة لجعله مقابلا للاسلام أو بديلا له فى أخلاقيات المجتمع وتقاليده .

وقد استخف كمال الملاخ قومه فاندفع فى هذا الاتجاه اندفاعا شديدا وكانت هناك قوى تحاول أن تفرض هذا التيار فقد استخدموه فى بعث تاريخ الفراعنة وفتحوا له الأبواب واعطوه الهدايا والنياشين والدرجات العلمية ونسبوا اليه اكتشاف مراكب الشمس على الرغم من الشبهات المحيطة بدوره فى هذا الأمر ، وكان يظن أنه بهذا الطريق الذى يسلكه يخدم ثقافة ما أو عقيدة ما ، ولكنه لم يكن يعرف أنه يزيف تاريخا ناصعا مشرقا متصل بألف مليون من المسلمين ، وأن هدفه يرمى الى تمزيق ثقافة الأمة التى تنتسب كلها الى تراث الفكر الاسلامى الذى استصفى كل تراث الأديان السماوية وفكرها وفلسفاتها باعتراف عشرات من الباحثين المتصفين من غير المسلمين .

كان هدفه احياء فكر وثنى قام على الأصنام والتماثيل وانحرف عن عبادة الله الواحد الأحد وما كان يمكن أن يكون هذا التراث الزائف مرتبط بالدين المنزل ، نعم كان موسوعة فى هذا الركام من الزيف وحصاد الهشيم وقبض الريح ، فى محاولة لاحياء عصر وفكر وعقائد جاءت الأديان المنزلة لكشف زيفها ، وحماية العقل البشرى من فسادها واضطرابها وكان كمال الملاخ الذى أفضى الى ما قدم يتعامل مع الناس من خلال مفهوم عابد فى معابد الأصنام التى أزالتها الديانة المسيحية ولم يستطع أن يحرر نفسه من الولاء الوثنى فى عناد وتعصب شديدين وكان يردد هذه الكلمات التى دفنها التاريخ من الفكر الوثنى القديم ومن ذلك دعواه الباطلة فى مقال له فى الأهرام ١٩٨٧/٥/٦ بأن ١٦٢ كلمة أجنبية دخلت القرآن الكريم من بينها كلمة فرعون فى دعاوى عريضة لتأصيلها من أيام البطالمة وقبلها وكذلك ادعائه أن عددا من الألفاظ المتداولة فى اللغة العربية قد انحدرت من اللغة المصرية القديمة وقد دحض مقولته الدكتور أحمد حسين الصباوى الذى قال انه لمن المؤسف أن الأستاذ الملاخ قد جانبه

التوفيق فى حكمه ولعل هذا راجع الى فرط تحمسه لكل ما هو مصرى قديم وقلة احتفاله بما هو عربى أصيل وقد اختار الدكتور الصاوى عددا من الألفاظ التى أوردها فكشف عن أنها من الألفاظ العربية العريقة منها كلمات (لقمة ، خبز ، الرقاق ، كال ، واحد ، اثنتان . دمس) .

ونبه الدكتور الصاوى الى من زعموا أن اسم القاهرة الذى أطلقه المعز لدين الله على هذه المدينة ليس فى الحقيقة من اللغة المصرية القديمة وأن كثيرا من الكلمات موجودة فى اللغات الآرامية والسريانية والعبرية فهل يجيز ذلك أن نقول أن تلك الألفاظ اشتقت من اللغة المصرية القديمة ؟ وقال الدكتور الصاوى فى دحض مقولة الملاخ .

(ان العنصر العربى الخالص متمثلا فى بعض موجات الهجرة من قبائل شبه الجزيرة العربية ، كان من الروافد التى كونت شعب مصر القديمة ، وكان من نتائج ذلك التأثير الحضارى لذلك دخول بعض الألفاظ العربية الى اللغة المصرية القديمة وليس العكس) . ا . هـ

ومن ناحية أخرى نقول أن مسألة الكلمات الأعجمية التى ادعى البعض أنها دخلت الى القرآن ، قد ناقشها عشرات الباحثين وانتهوا الى حقيقة لا يداخلها الشك بأن كلمات القرآن كانت عربية أصلا ، ومن الجائز انها استعملت فى لغات أخرى ولكنها من اللغة العربية القديمة التى هى أساس كل هذه اللغات التى ظهرت من بعد وان القرآن الكريم برىء تماما من الألفاظ الأعجمية وهو ما نقول به . ولكن كمال الملاخ كان يرمى الى غمز هذه الثقافة الاسلامية .

ونحن نتساءل لماذا هذا التوسع فى تاريخ مصر القديمة وبمفاهيم الفرعونية والوثنية والادعاء بأنها دخلت كل ميادين الثقافة والتاريخ والطب والأطعمة مع أن هذه المرحلة مرتبطة بعصر طفولة البشرية وصراع الملوك والفراعنة التى كان كل من يجىء بعد الآخر يمحو اسمه ويثبت الاسم الجديد . وما يهللون به عن توحيد اخناتون الذى وحد عبادة الفراعنة من الأصنام الى عبادة قرص الشمس وسمى هذا توحيدا وتتردد دعاوى هذه الصراعات دون أن ترتفع اعلاء الأنبياء الذى دعوا الى التوحيد الخالص ادريس وابراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام .

وكفى فى هذا المجال أن نردد ما كتبه المؤرخ العالمى ارنولد توينبى : عبثا بحثت فى الحضارة الفرعونية فى كيان مصر الحديثة ، وأعلن أن الحضارة الفرعونية قد ماتت من قديم وهذه حقيقة يجب أن تكون موضع نظر الخادعين والمخدوعين على السواء فليست الفرعونية الا تلك التماثيل المكدسة فى المتاحف أو المعلقة على سفوح الجبال اما فى الوادى فقد انقرضت كما يقول دكتور جمال حمدان كما انقرضت من قبل تماسيح النيل فى النهر وأن انتقال مصر الى الاسلام بعد أن مرت بها الدعوة الابراهيمية الحنيفية ودين موسى ودين عيسى ليعطى الصورة النهائية لحضارة كونها الاسلام ولثقافة بناها القرآن واللغة العربية ويمثل وضعها هذا انقطاعا طبيعيا لا سبيل الى استعادته مع العصور الحديثة والديانات القديمة ولم تكن العروبة والعربية حديثة على مصر بدخول الاسلام بل كانت موجات متوالية خرجت من الجزيرة العربية قبل آلاف السنين ووسدت هذه المنطقة وأعدتها للنقلة الى المرحلة الأخيرة .

* * *

وهذا الكلام الذى يردده الملاخ يقال لجماعة من الكارهين للاسلام الذين يحاولون أن يصوروا وقد تشكلت تقاليدها من خارج عطاء الدين الحق ، ويدعون أن مصر هى التى شكلت وجودها الذى أعطاها طابقها القائم من القدرة على المقاومة وحماية ذاتيتها ونحن نقول لذلك أن هذا التشكل انما تم فى ظل العقيدة التى جاء بها ابراهيم وادريس ويوسف وموسى (وهى دين التوحيد الخالص) وعن كل ماكان فى عصور ما قبل الاسلام من معالم الايمان أو الثبات أو الخلق الكريم فهو من الحنيفية السمحاء التى استكملت وجودها بالاسلام ، هذا هو العطاء الحقيقى الذى صنع لمصر كيانها القوى القادر على حماية وجودها فهى بالاسلام واللغة العربية قد أقامت هذا الصرح العظيم وكل تفسير غير هذا فهو من أضاليل الشعوبية واهواء الشعوب .

ومن ناحية أخرى فان ما ادعاه طه حسين وغيره من ان الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين ، هذا القول قد كذبته ابحاث العلماء وحفريات الآثار وقيام قاعدة (الانقطاع الحضارى) التى أشار اليها علماء الجغرافيا والآثار تدحض دعاوى الشعوبيين أعداء الاسلام ولعل هذا هو سر ذلك الولاء العجيب الذى كان قائما بين الملاخ وطه حسين .

هذا وتقول أحدث النظريات واقواها أن الفراعنة موجة من موجات الجزيرة العربية التى هاجرت وانه توجد

روابط سلالية بين العرب والفراعنة ترجع الى يربو عن خمسة آلاف ســـنة مضت ، وأن هنـــاك آثار باقية حتى يومنا ، هذا يدل على أن مصر كانت متصلة ببلاد العرب الجنوبية ، هذه حقائق يقتضينا الانصاف أن نسجلها ولقد كان هدف دعاة الفرعونية ادخال مفاهيم الوثنية المرتبطة باليوثنية اليونانية وتجديد عبـــادة البشر بعـــد أن حطم الاســـلام هذه العبودية واعلى من شأن الله وحده جـــل شأنه .

وتؤكد ابحاث دقيقة أن الامتداد الفرعونى قد انقطع تماما قبل الف سنة من دخول الاسلام .

ولقد كان من الضرورى تصفية هذه القضية فى هذه المناسبة .. وبالله التوفيق .

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

الفصل السابع

نقض شبهات عبد الرحمن الشرقاوى

كان السؤال الهام فى الندوة عن الدور الذى قام به (عبد الرحمن الشرقاوى) فى تزييف التاريخ بين كتبه الثلاث: «محمد رسول الحرية»، «على امام المتقين» و «الفاروق عمر بن الخطاب» الخ وما لاحظه الباحثون على هذه الكتابات من تحريف، وتزييف، وتصرف، تحت اسم الفن، والكتابة القصصية التى يحاولون أن يعطوا صاحبها الحق فى أن يغير الوقائع .. ولقد شهد عبد الرحمن الشرقاوى على نفسه فى كتابات كثيرة أنه يسارى الوجهة، وأنه ينظر الى الاسلام على أنه دعوة الى تحرير العبيد، ومقاومة الأثرياء .. وقد استغل «أبا ذر الغفارى» فى هذا الصدد استغلالا كبيرا فى محاولة لجعله «اشتراكيا» ومنطلقا للذين يريدون أن يأخذوا من تاريخ الاسلام وتراثه مدخلا لغايات أبعد .. وكذلك كان الأمر بالنسبة للامام الحسين .. فقد أراد له الشرقاوى أن يكون شبيها بجيفارا، أو بديلا له .. وتلك رغبة الماركسيين فى استغلال تاريخ الشعوب وتراثها فى كل أمة ولغة لادخال مفاهيمهم، وابراز دعوتهم من وراء قلوب وعقول ونفوس طامحة ذات أهواء وآمال فى التبريز والظهور والصدارة.

ولقد كان عبد الرحمن الشرقاوى على هذا النحو، ومن هذا القبيل .. وربما كانت البيئة نفسها، وما يتصل بالاقطاع فى العصر الفائت، وما جرى من مظالم الأمراء والسراة فى القرى المصرية وقصورهم وحشمهم وسلطانهم كان بعيد الأثر فى نفوس هؤلاء الكتاب الذين أرادوا أن يصوروا ذلك من خلال قصص تحت أسماء براقة خادعة تحت أسم «الأدب الواقعى» واستغلال مصطلحات براقة .. كالحرية والعدل ! !.

هؤلاء الذين ظهروا فى مرحلة الأربعينات تحت «عباءة الوفد» بقيادة «الدكتور محمد مندور» الذى اتخذ من جريدة صوت الأمة مركزا لتجمعهم من أمثال أحمد بهاء الدين، نعمان عاشور، عزيز فهمى، عبد الرحمن الشرقاوى.

ولقد كانت هناك محاولة للاستفادة من الوسائل الفنية الحديثة .. كالشعر، والمسرح، والرواية استغلها أمثال عبد الرحمن الشرقاوى، وصلاح عبد الصبور، ونعمان عاشور .. وقد ترددت بين الماركسيين دعوة لينين الى تفسير الاسلام وتاريخه تفسيرا ماركسيا من خلال التفسير المادى للتاريخ .. وهى المحاولة التى حاولها بالكتابة أحمد عباس صالح حين اصطنع فكرة اليمين واليسار فى الاسلام، وجرى وراءها حسن حنفى وغيره .. بينما ذهب عبد الرحمن الشرقاوى ليكمل الطريق (الثغرة) التى شقها الدكتور طه حسين فى تاريخ الاسلام وتصوير كبار الصحابة على انهم جماعة من محترفى السياسة .. وقد خاض عبد الرحمن الشرقاوى هذه الثغرة بجراة بالغة، واستطاع أن يجمع كل ما جاء فى كتب الرواة والباطنية والشعوبية، واتكأ على مصدر مرفوض تماما هو (كتاب الأغانى) الذى ألفه رجل زنديق فاسق شعوبى هو «أبو الفرج الأصفهانى» الذي كان باطنيا مجوسى الفكر، وجعله مصدرا لكثير من رواياته عن الصحابة .. وكان الدكتور طه حسين هو دعا طلبته بكلية الآداب الى اتخاذه مصدرا ومرجعا، واعتمد عليه هو فيما كتب فى كتابه «حديث الأربعاء» عن الزنادقة أمثال «أبو نواس» و «بشار بن برد» و «الضحاك» و «حماد عجرد».

ولقد كان وراء هذا الاتجاه فى العصر الحديث قوى تغريبية قوية راغبة فى ترويج هذه المفاهيم .. وجاءت رغبة الماركسيين الى استغلال تاريخ الاسلام اضافة جديدة.

ولو كان عبد الرحمن الشرقاوى قد درس الاسلام باخلاص كما يدعى رفاقه الذين تكاثروا على الدفاع عنه بعد موته لرجع الى مصادر الاسلام الأصيلة، ولصحح الشبهات التى أخذت على كتابه «محمد رسول الحرية» الذى كشف فساد وجهته الامام محمد أبو زهرة، أو

صحيح مفاهيم كتابه « على امام المتقين » الذى كشف الشيخ محمد الغزالى أخطاءه وكان هو قد أعطى عهـدا بتصحيح ما راجعه فيه العلماء .. ولكنه كان يضمر فى نفسه الوجهة والهدف التى توسع فيها من بعد فى كتابه عن « الفاروق عمر » .. ولم يكن هذا لحساب الاسلام .. بل على حسابه .. لأنه كان يميز بطل كتابه بصورة عالية ثم يحول كل من حوله الى لصـوص ، وأفاقين ، وطامعين ، فى محاولة لتصوير المجتمع الاسلامى فى عهد الراشدين بصورة فاسدة شديدة الفسـاد .. ولم يكن الاسلام على هذا النحو دينا نزل من أجل حرب الأغنياء ، أو ثورة الفقراء .. ولـكنه جاء بمنهج جامع يشـمل السياسة والاقتصاد والاجتماع .. وليس العدل الاجتماعى الا فرعا من فروع هذه العقيدة .. وليست حرية الانسان فى المجتمع الا حرية منضـبطة .. وهو فى منطلق وجهته يسـير على نحو أصيل ربانى جامع ، يجمع بين الروح والمـادة ، والعقل والقلب ، والدنيـا والآخرة ، ويقيم المسئولية الفردية ، والجزاء الأخروى ، ويرسم أصول العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة ، والميزان الدقيق للتعامل فى مجال التجارة والزراعة والصـناعة .. وهو منهج يختلف عن تلك المطروحات المضللة الخـادعة التى طرحها فلاسفة الفكر البشرى من قادة الفكر الراسمالى والماركسى والوجودى والبرجماتى الخ .

وقـد قرض هؤلاء الشـعر ، وكتبوا المسرحية ، واستغلوا فنون الأدب الغربى المستحدثة فى سبيـل اشاعة هذه المفـاهيم المضطربة تحت اسم الدفاع عن « الجماهير الكادحة والفلاحين » ، وانطلقوا من هذا الى ضرب مفهوم البلاغة العربية ، والبيان العربى ، فدعوا الى التحرر من الالتزام بالوزن فى الشعر ، وترك القافية ، والروى فى محاولة اتسـع نطاقها من بعد حتى سميت بالشـعر الحر ، وترك القوافى فى سـبيل هدم قاعـدة أساسية ، ثم فتحت أبواب الدعوة الى الحداثة بمفهوم هدم البيان العربى ، وتحطيم النموذج البلاغى القرآنى تحطيما فى دعوة عريضـة الى التحرر الكامل من ضوابط الشعر .. وكان هذا أحد أهداف الدعوات المنطلقة على أقلام هذه الطبقة التى جاءت ووزعت الأدوار بينها حول التراث ، وتاريخ الاسـلام ، والبيان العـربى ، والقيم الاسلامية الأسـاسـية .. وهكذا حاول عبد الرحمـن الشرقاوى اضـفاء طابع ماركسى على تاريخ الخلفـاء فيما رسمه من صور عن حياة أبى بكر ، وعمـر ، وعلى (رضى الله عنهم) فى محاولة لتصوير الحياة الاجتماعية الاسلامية فى مرحلة الراشدين على انها صراع اجتماعى ، وصراع طبقى .. فهو ينحى شخصية الخليفة ، ويضرب كل من حوله من الشخصيات على نحو تبدو فيه الصورة كريهة مضطربة ، فاذا ذهبت ترجعها الى النصوص والى المصادر وجدت التجاوز فى عرض الروايات البـاطلة ، والأقاصيص الزائفة واضحا ، ووجدت من ورائهـا تلك الفـكرة المسمومة التى تقـول بأن الروائى أن ينصرف ويتجاوز وقائع التاريخ من أجل العقدة الفنية ، والحبكة الروائية .. وهذه هى مصيبة ما يسمى بالدراما .. وقد ظن الداعون الى هذا ، والراغبون فيه انه سيرضى بعض النحل المحاربة لأهل السنة والجماعة ، أو أنه سيسحب « البساط » من تحت أقدام التاريخ الاسلامى ، أو يزيل من نفوس الشباب المسـلم ايمانهم العميق بتاريخهم ، وبالاعجاز الواضح فى انتصاراتهم ، والتى قامت أساسا على الايمان والتضحية والاستشهاد وتحقيق وعد الله عز وجـل بالنصر للفئة المؤمنة القليلة على الفئة البـاغية الكبيرة .

ولقد حقق عبد الرحمن الشرقاوى مطمح « لينين » فى وصيته بتفسير التاريخ الاسلامى تفسيرا ماركسـيا وماديا على النحو الذى اتجه أصحاب المذاهب المـادية والمـاركسية اليه باتخاذ التـاريخ الاسلامى مادة لدس أفكارهم فى أمثال : « الفتى مهران » و «مصرع الحسين» لعبد الرحمـن الشرقاوى حيث تتيح المسرحيـة لهم أن يقولوا ما لا يستطيعون ان يقولوه فى الكتابة العامة .. ولذلك فالتاريخ عندهم ليس أكثر من اطار للحركة ، وهم لايحترمون وقائعه ولأحداثه ويستهينون بطابع البطولة فيها فيفرغـونه من مضمونه ، ويصبـون عليه من السـخرية والتهكم ما جعله موضـع استخفاف قارئه وسامعه ، ويرون مع ذلك أن مواقف الاسـلام مضت وانتهت ولا قيمة لها ! !

ولا ريب أن اخضاع تاريخ الاسلام للتفسير المادى للتاريخ ، أو التفسير القومى للتاريخ من شأنه أن يحجب نور التاريخ ويطفىء وهج البطولة ، ويحيل الى أوضاع مادية جافة .. فضلا عن تجاهله التام لمفاهيم الألوهية ، والنبـوة ، والغيب ، والبعث ، وهى قيم أساسـية فى التصور الاسلامى .. وهم يصدرون من منطلق القاعدة الحسية التى ترى أن كل ما لا يمكن ادراكه بالحس فهو لا يدخل دائرة الوجود .. وهى نظرية باطلة تماما وظالمة للتاريخ الاسلامى .

ولا ريب أن أخطر ما ارتكبه عبد الرحمن الشرقاوى هو تصويره للرسول الكريم صلى الله عليه وسـلم وهو خاتم المسلين . وصاحب الرسالة الخـاتمة ، والقرآن العظيم المهين على كل الكتب السماوية السابقة بجزئية منه أنه رسول الحرية أو انه بشر لاقتطاع الآية القرآنية **(قل انما انا بشر مثلكم)** والوقوف عندها دون تكملتهـا **(يوحى الى)** وكان هذا هو منطلق محـاولة الشرقاوى الجريئة على الله والحق التى هاجم فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراسة وانتقص من اقدارهم ، وحولهم الى سياسيين محترفين ! !

الماركسية وتوظيف التاريخ لخدمة المذهبيات الطارئة
(الدكتورة : بنت الشاطىء)

وظف الماركسيون التاريخ الاسلامى لخدمة (أيديولوجيتهم) فخرجت فى المرحلة الماضية كتب جامعية أعطت الصحابى الجليل (أبا ذر الغفارى) رضى الله عنه لقب (زعيم المعارضة والداعية الأول الى الاشتراكية) وفسرت حركة الخوارج بتمرد مبكر على الأوضاع التقليدية ، أسقط هيبة الخلافة وأرخص دماء الصحابة رضى الله عنهم ، فدية للتغيير وضريبة للتطور .

واعتسفت توجيها أيديولوجيا بالغ الغرابة والفحش لحركات المغامرين السفاحين الذين خرجوا على الدين والأمة فى العصر العباسى وعاشوا فى الأرض فسادا .

فى القرن الثالث للهجرة ظهر فى البصرة مغامر ادعى النسب الى العلويين فجمع من فيها من الدف والزنج والسودان واختار لهم شعارا (انكم قد بليتم بقبح فنظر فأعينوه بقبح مخبر ، اجعلوا كل عامر فقرا وكل دار قبرا فوطئوا البصرة وقتلوا فى يوم واحد أربعة وعشرين ألفا من أهلها ، واندفعوا كاعصار جامح يخربون ويذبحون وطالت بهم المحنة خمسة عشر سنة (٢٥٥ — ٢٧٠ هـ) .

حركة الزنج هذه تفسيرها الأيدلوجى : ثورة على الوضع الطبقى الأوتوقراطى ، قامت على أهاجة الفتن والحروب بين الطبقات قبل الثورة الشيوعية بأكثر من عشرة قرون .

بعدها فى أواخر القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع عاثوا فى الأرض فسادا وقطعوا طريق الحاج وقتلوا وسبوا وما القوا ممكنا بلفظ مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبى .

وادعى ابو طاهر الجنابى القرمطى الألوهية ، وهاجم مكة فقتل الوفا واستملك النساء والعلماء من ضاق بهم الفضاء كثرة وانتزع الحجر الأسود وحمله الى عاصمة ملكه وزعم أنه مغناطيس القلوب ثم اعادة بعد سنتين وقد ساومه عليه أحد أمراء المسلمين بخمسين الف دينار ذهبا . هذه الحركة تفسيرها الأيدلوجى لأحد الجامعيين : حركة تقدمية رائدة لتحرير الناس من أفيون الشعوب .

الظاهرة ليست جديدة فمن قديم كانت الطوائف والأحزاب والعصبيات تسخر الدين والأدب لخدمتها ولكن ليس على هذا النمط اليائس من خدمة متغيرات متلاحقة ومذهبيات طارئة ، بسقوط مصطلحاتها على تاريخ مضى من قبل أن تسمع الدنيا بلفظ واحد مما يقولون ثم أن الناس فيما مضى كانوا يعرفون لكل حزب مقاصده ومنابره وارانا اليوم نلتقى بضاعة الفكر والأدب مختلطة يدور فيها المفتون والكتاب والأدباء مع الريح ويتمركسون ويتأمركون فيما بين يوم وآخر اشبه ما يكون بعارضة أزياء ليس بين ظهورها على المسرح فى زى وآخر الا دقائق معدودات لتبديل ما تعرضه أكثر الدائرين مع الريح ، يحتالون على تغطية تلونهم المقوت ونفاقهم البغيض الى الناس بأقنعة التمويه بطلاسم الرموز المحتملة للشىء ونقيضه .

* * *

الفصل الثامن

الدكتور محمد نور فرحات والفلسفة النسبية

الثبات فى العقيدة الاسلامية قضيــة أساسية ويحاول خصوم الاسلام أن يحولوا الاســلام الى متغيرات خاضعة لظروف الزمن

اكتشف ذلك الدكتور أحمد عبد الرحمن فى كتابات الدكتور محمد نور فرحات حول الشريعة الاســلامية ، ويرى أن الفلسفة النسبية ، هى الســند الفكرى الأخير والمرجع النهائى لكل التيارات المناوئة لمبدأ (الثبــات) الاسلامى فى العقيدة والشريعة والأخلاق والنظم ، سواء كانت وضــعية منطقية أو ماركســية أو وجــودية أو براخمانية .

فالنسبية تزعم أن الحقائق العلمية والقيم الخلقية والمبادىء التشريعية والنظم الاجتماعية والسياسية كلها تتبدل وتتغير بتغيير الزمان والمكان .

لا فرق فى ذلك بين قانون وضعى وشريعة دينيــة وبهــذا التصور الشامل للفلسفة النسبية يقــرر أنصار التجديد أن الشعر المقفى واللغة الفصحى والعمــــارة الاسلامية والشريعة الاسلامية والعقيدة الاســلامية ، كانت صالحة لعصر النبوة والراشدين ولكنها لا يمكن أن تصلح لنا اليوم ولا مفر أمامنا من أحد أمرين : اما نقل نظائرها الأوربيــة العصرية واما التخلــف عن العصر والفناء تبعا لذلك .

هــذه هى الحقيقة التى أطلت علينا على استحياء من كلام الدكتــور نور الدين فرحات والتى تبرز بقــوة ووضوح فى كتابات أنصار التجديد على اختلاف مشاربهم وكان الأستاذ طارق البشرى على حق حين أبدى تخوفه من امتدادات النسبية الى ثوابت الاسلام وأصوله .

لقد ولدت النسبية فى حجر السوفسطائيين الذين صاغوها فى العبارة المشهورة : الانسان معيار كل شىء بمعنى أنه هو الذى يحدد الحقائق العلمية والقيم الخلقية وبوسعه ان يعد لها أو يلغيها أو يستبدل بها غيرها وقد تصدى لهم سقراط مدافعا عن موضوعية الحقيقة والقيمة واســتقلالها عن ارادة الانســان وشهواته وقد ماتت النسبية دهــرا طويلا ، ثم بدأت من جــديد وشاعت فى الفكر الفلسفى الأوربى الحديث ولعل (نيتشه) هو أبرز من عبر عنها بأسلوبه الخطابى الزاعق وتبنتها المذاهب الفلسفية المادية الأوربية .

وفى الشرق الاسلامى لقيت النســبية ترحيبا حارا من انصار التجديد الذين نشطوا فى الترويج لها بوصفها البوابة الفكرية الواسعة للنقل من أوربا والتف حــول النسبية كبار الكتاب من أمثال السيد ســيد أحمد خان (الهند) وضياء كوك الب (تركيا) واســماعيل مظهر (مصر) وســلامة موسى والدكتور زكى نجيب محمود والدكتور لويس عوض وكثير غيرهم .

يقول الدكتور زكى نجيب محمود فى وصفه للفلسفة النسبية : (ان المذاهب الفلسفية المعاصرة تكاد كلهــا تجمع على تحليل كل شىء الى ظواهره المتغيرة دون أن تزعم وجودا لأى كائن ثابت وراء تلك الظواهر (ثقافتنا فى مواجهة العصر) .

فهى فلسفة الغضر وتبعا لذلك فهى شرط المعاصرة ولا مهرب لنا من الأخذ بها والتضحية بكل ما يتطلبه هذا الأخذ مهما كان عزيزا علينا والحق أن الفلسفة المعاصرة والحديثة والوسيطة والقديمة لم تجمع كلهــا على شىء أبدا والا ما كانت لتسمى فلسفة .

فالتباين والتنوع يطبع تاريخ الفلسفة كله ويميزها على غيرها من العلوم والمعارف وفضلا عن هذا فان آخر صيحة فى الفلسفة الأوربية المعاصرة هى (مذهب الثبات) التى تبناه كل من (هرل وماكس شيد ونيكولاى هاريمن) وهؤلاء أعلام كبــار فى عالم الفكر والفلاسفة المعــاصرة ومذهب الثبات أو المذهب المطلق عند هؤلاء هو المذهب

المناقض للنسبية فهــو يؤكد أن الحقيقة العلمية والقيمة الخلقية ثابتة مطلقة ، لا تخضع للبعد التاريخى ولا للبعد المكانى وانمــا الذى يتغير هو معرفة النــاس بالحقيقة والقيمة وتبعا لهذا يمكن القول بدون مبالغة : أن الفلسفة النسبية الجذرية الشاملة قد سقطت نهائيــا وأصبحت كغيرها من الأفكار الفلسفية مجرد تاريخ .

غير ان انصــار النقل من أوربا مضــوا فى الخط القديم بهمة ونشاط على الرغم من انقطاع قوة الدفع عبر البحار وكان المنتظر أن يتريثوا قليلا ويفكروا ويحوروا من مواقفهم لكن شيئا من ذلك لم يحدث وبدا للمراقب المحايد أن الأهواء والمصالح والأحكام المســبقة قد هيمنت على الفكر الحر المتفتح الموضوعى .

ان الاعتراف بمذهب الثبات أو المذهب المطلق يعنى الكثير بالنسبة لهم ، انه يعنى التراجع عن افكار أساسية افنوا أعمارهم فى الترويج لهــا وبنوا أمجادهم الفــكرية استنادا اليها وهو ســند فكرى قوى للسلفيين يأتى من عالم ملحد لا يهمه من أمر هؤلاء وأولئك شيئا فهذا واحد من طلائعهم يتبنى المذهب النسبى الشــامل على اطول الخط يورطه بعض القراء الأذكياء فى حوار هادىء فاذا به يقرر أن العــدل قيمة ثابتة ويثب القارىء فزعا ويكتب اليه مذكرا بأنه تخلى عن النسبية (الحبيبة) فلايستطيع المجدد الكبير أن يثبت أن العدل قيمة نسبية وبدلا من ذلك يجذب القارىء الى مسألة مفتعلة كل الافتعال ، بعيدة كل البعــد ، فيقول أن مضمون العدل نســبى فقد كان القاضى فى القديم يعدل فى قضايا تتعلق بالخيل والشعير والعدس وهو اليوم يعدل فى مسائل تتعلق بالسيارات والآلات والمعدات .

* * *

فلماذا هذا الاصرار وهذا العناد ازاء حقيقة تفرض نفسها فرضا على عقولهم لا شىء غير المصالح والأهواء والأحكام المسبقة والعداء الدفين لكل ما من شأنه أن يدعم موقف الاسلاميين فى مطالبتهم الدعوية بالعودة الى الاسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا ونظاما شاملا للحياة .

ان العدل هو القيمة الكبرى الحــاكمة فى التشريع الاسلامى فكل تشريع عادل ولو لم يستند الى كتاب أو سنــة هو تشريع اســلامى مشروع وكل تشريع ظالم فالإسلام برىء منه .

ونحن نسأل أنصار النسبية :

هل ترون ان النسبية تشمل هذا التصور الاسلامى للعـــدل .

اذا اثبتم ذلك بصرف النظر عن تطبيق الشريعة فى التاريخ كان لكم أن تطالبوا بتجاوزها وأن عجزتم — وأنتم عاجزون لا محالة — فليس لكم سند فى أيه مطالبات من هذا القبيل .

والحق ان القضــية لا تنحسم بالتعميم ولابد من البحث فى الجزئيات .

ولا شــك أن الاسلاميين يعلمون ما يجــوز عليه التغير ، وما لا يجوز عليه ، لأن الأصوليين انضــجوا هذه المسائل عبر العصور ، أما انصار النسبية فيميلون الى التعميم ورسم المخططات ، وقلما يبحثون فى الجزئيات لأن ذلك يقودهم حتى الى انكار آيات قرآنيــة قطعية الدلالة مثل آيات المــيراث والقوامة والتعدد والحجــاب وتبعا لذلك يحكم عليهم القارىء المسلم بالتنصل من الاسلام ويعاملهم على هذا الأساس ، وهم لايجيبون ذلك بطبيعة الحــال ، وعلى الاســلاميين أن ينهجوا النهج المضــاد ويركزوا على الجزئيات فيبنوا تصــادم الآراء المناوئة مع آيات الكتاب والسنة ويدعوا الأمر للأمة لتحكم بين الفريقين .

ومن الواجبات المهمة للطرف الاسلامى ايضا أن يتصدى للتهويل الزائف من جانب انصار التجديد فهم قد دابوا على تصــور الشريعة على انها تحــكم بالتحجر والجمود والموت على كل نواحى الحياة من عبادة العابد الى غرفة العازف .

ومن اليسر القيــام بهذا الواجب لأن الثبــات فى الاسلام ليس له هــذه الامتدادات الخرافية الرافضــة الزائفة .

ان النصوص تصنف الى نصوص قطعية الدلالة واخرى ظنية وهــذه الأخيرة تسمح بقدر من الاجتهــاد والتغيير تبعا لذلك فى مجالات التشريع والتنظيم .

ولكن النصوص لا تشــمل كل شىء فى الحيــاة ، وهناك مجال واسع جدا يسميه الأصوليون (ما لا نص فيه) وهو المجال الذى يتسع للتغيير والتبديل والتطوير أعمالا لمبدأ المصلحة وبشرط أن يأخذ المجتهد فى إعتبــاره

مقاصد الشرعة العليا ولا يخالف نصا من كتاب ولا سنة .

وهنا يتعرض الموقف الاسلامى للعبث ، اذ نجد أنصار التجديد يستندون الى مبدأ المصلحة لا كما عرفه الأصوليون وكما شرطوا له بل بوصفه حاكما على النصوص مهددا لها وهذه جريمة دينية وعلمية تكررت ولا تزال تتكرر الى اليوم . ان الاسلام يتبنى الثبات الجزئى الذى يسمح بالتغيير والتطور فيما لا تحكمه النصوص وانصار التجديد يريدونها نسبية شاملة لاتبقى ولا تذر ومن المؤسف أنهم جرجروا بعض الأقلام الاسلامية لدعم هذه الفلسفة النسبية وهدفهم النهائى هو الاحلال الثقافى الكامل . الفلسفة تحل محل العقيدة ، والقانون الوضعى محل الشريعة ، والأخلاق النفعية محل الايثار ، والقومية محل الأخوة الاسلامية والربا محل المضاربة والمشاركة والاباحية محل العفة والفاشية محل الشورى والحروف اللاتينية محل العربية ، وبصفة عامة ، كل ما هو أوربى أن يحل كل ما هو اسلامى .

* * *

هذا هو موقف فلاسفة التجديد ، ولا نتجنى على أحد فقد أوضحوا هذا الموقف تماما استنادا الى النسبية الشاملة واعترضوا على عقيدة القدر وعلى قوامه الزوج وعلى تعدد الزوجات واعتبروا الحجاب رده على الرغم من النصوص القرآنية والحديثية الفظيعة ولعل هذا وغيره يكشف عن تغلغل النسبية فى معظم مشكلاتنا الثقافية .

يقول طارق البشرى : أن الموقف الاسلامى من الثبات يستند الى العقيدة وان أسس التشريع الاسلامى تستمد فى النهاية من الأساس العقدى الخاص بالايمان بالغيب والايمان بالربوبية وبالرسالة المحمدية كما أنها تستمد من أساس تاريخى حضارى .

وهذا حق دون ريب ، ولكنا نخشى أن يساء فهمه فربما توهم البعض أن الثبات فى الاسلام لا سند له من العقل وانه مجرد نتيجة للايمان بالغيب ولا يمكن الدفاع عنه فى مواجهة الفلسفة النسبية التى تتشدق بمصطلحات العلم الحديث وتنتسب اليه فلابد أن نشير فى ايجاز الى السند العقلى ، والسند الاجتماعى الذى يدعم تصور الاسلام للثبات .

فقد بينا أن الفلسفة المعاصرة تتجه بقوة الى نبذ النسبية واحتضان المذهب المطلق ، على الرغم من أنها لا تصدر فى ذلك عن وحى أو دين ، وفضلا عن هذا فان الأصلين الأساسيين للاسلام (لا اله الا الله محمد رسول الله) يستندان الى براهين عقلية محكمة ، فالتوحيد الاسلامى موقف عقلانى واختيار فكرى ، يلفظ الالحاد والأثنية والتثليث والشرك استنادا الى منطق العقل ، والقرآن الكريم حافل بالأدلة العقلية ، وكذلك الأصل الثانى للاسلام قائم على قناعة عقلية بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى من يريد التفاصيل ان يطلبها فى مظانها .

وهناك السند الاجتماعى التطبيقى الذى يتمثل فى الاخفاق الذريع للمجتمعات التى طبقت النسبية وتخلت عن القيم الخلقية الصحيحة ، فى أمريكا وأوربا فقد ضاع من الأمريكيين والأوربيين الأمن والسعادة على الرغم من الوفرة المادية وأطبقت عليهم الجريمة السوداء ، كل هذا يشهد بأن الفلسفة النسبية مهلكة وأن الثبات على القيم الصحيحة منجاة وهى طريقنا واختيارنا بصرف النظر عن مدى تطبيق الشريعة عبر التاريخ . ا . هـ

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

* * *

الفصل التاسع

دحض شبهات أدونيس

كان السؤال عن زيارة ادونيس (على احمد سعيد اسير) للقاهرة ، والضجة التى أحدثها بوصفه — كما وصف نفسه — شعوبيا رافضيا ، عدوا لدودا للتراث الاسلامى ، داعية الى المذاهب الباطنية والطائفية ، منكرا لدور أصحاب مذهب أهل السنة والجماعة ، نشأ فى احضان الارساليات التبشيرية فى بيروت ، واعد كما أعد غيره كثيرون من أصحاب الأسماء التى لمعت وخدعت لتقوم بمهمة اختراق حركة اليقظة ، وتثبيت دعائم الدعوة الباطلة الزائفة الى هدم وحدة الأمة الاسلامية ، وضرب العروبة من خلال حركة «الحزب السورى القومى» الذى اقامه أنطون سعادة . وهو حزب فاشى عنصرى معاد اشد العداوة للعروبة والاسلام . وكان أنطون سعادة هو الذى اختار (على أحمد سعيد) ليكون « شاعر القافلة » وهو الذى أطلق عليه اسم أدونيس (الذى هو اله قديم من آلهة البابليين) وادونيس فى الأسطورة ثمرة علاقة آثمة نشأت بين الملك القديم « نياس » وابنته « ميزها » وقد تحولت ميرها عقابا لها على خطيئتها مع ابيها الى شجرة ومن جوف هذه الشجرة خرج أدونيس رمزا للحياة الجديدة الخالية من الاثم والرذيلة . وكان انطون سعادة ولوعا باحياء هذه الأساطير القديمة ارتباطا بمشروع « سوريا الكبرى » وقد أعدم أنطون سعادة لخيانته . وبقى أدونيس يردد أوهامه وخطاياه ايمانا بتلك الأخطار التى تجاوزها الزمن ، وتخطاها التاريخ بعد أن مكن الله تبارك وتعالى فى الأرض لدعوة الحق ، وجاءت الصحوة الاسلامية لتطمس كل آمال ومطامح هذه المدرسة التى تولاها القس يوسف الخال ، والتى شغلت الناس طويلا من خلال « هدم عامود الشعر » و «الحرب على بلاغة القرآن » و « التنكر للخليل بن احمد ومنهجه على النحو الذى عرف من بعد فى شعر التفعيلة » فى خطة جانحة شاملة لهدم التراث الاسلامى ، ورفض الماضى والانقطاع عنه ، والحملة على التاريخ الاسلامى والادعاء بانه متناقض ، والتنكر للقوالب الشعرية ، ووصفها بانها قوالب سلفية مرتبطة بالرجعية . ولقد اطلق على ادونيس فى الأخير «قائد حركة اليسار فى الشعر الحديث» وهذه واحدة من جيوب الغزو الفكرى وحركة التغريب التى تتمثل اليوم فى عديد من الجيوب ، والتى تواجه الاسلام وفكره ومفاهيمه بحرب كاسرة بعد أن استجيب للاسلام ، وعلت راياته ، وتشكلت له قاعدة فكرية رصينة .

ومنذ عقد الستينات اللعين وادونيس — ومعه جماعة من الباطنية — يسبح ضد التيار فى حقد شديد بعد ان فقد كل أحلامه ولم يعد يجد الا خلفاء « يوسف الخال » الذين صنعوه وباعوه ، وحاولوا ان يتوجوه أميرا للشعر المستمد من تراتيل التوراة والانجيل . فليكن اميرا على هذه الظاهرة التى سوف يسجل لها التاريخ حكم الخزى والعار ! ! .

ان ادونيس لم يجد فى تراثنا الا تلك الصفحات المسمومة التى كتبها الباطنية والملاحدة وأهل التصوف الفلسفى . هؤلاء الذين أولاهم اهتمامه من قبل عبدالرحمن بدوى فى كتابه (شخصيات قلقة) وغيرهم ممن اعتبر هؤلاء الزنادقة قادة لتيار العدل الاجتماعى المتمثل فى القرامطة والزنج والمزدكية وغيرها فهم كما قيل بحق « الزنادقة الجدد » .

ان عيب ادونيس انه اخذ (موقتا) براقا طموحا ثم تجاوزته الأيام والأحداث . فما يزال قلبه يغلى بالأحقاد من حيث بارت تجارته ، وضاعت عبقريته (ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) .

* فقد خرج عن عقيدته أولا حين احتفل باعتناق النصرانية .

* ثم خرج عن عروبته ثانيا ، ثم خرج عن الأصالة فى المرحلة التى عادت فيها الروح الى الأمة الاسلامية ، وتعالت صيحة الصحوة ، وعرف الناس وآمنوا أن هذا والذى يتآمر به خلفاء « القس يوسف الخال » والذى امتد الى كثيرين من امثال عبد الوهاب البياتى ، وصلاح عبد الصبور ، والسياب ، والمسمى « أمل دنقل » انما هو باطل وهو قبض الريح ! ! .

كلمة .. للتاريخ :

وكلمة للتاريخ فان (أدونيس) سيظل رمزا على هذه المرحلة المضطربة التى تحاول أن توقف تيار الصحوة وتطفىء نورها .

وليعلم هو وجماعته الصفوة أنهم يسبحون ضد التيار ، وأنهم يمثلون مرحلة التراجع المضلل ، والرفض المنقوص ، الذى ربما يستطيع ان يكشف بعض الذين باعوا أقلامهم واوطانهم وعقائدهم تجار الكلمة فى كل قطر الذين يفسحون لهذه الأفكار المسمومة من صحف ومجلات هم لا يملكونها . ولكنهم يشرفون عليها بالأمانةلهذه الأمة فيخونون هذه الأمانة ! ! .

ومع ذلك . ولانهم على الباطل مهما كان الورق صقيلا فان هذه الصيحة ستذهب أدراج الرياح ، وسيحتاجها الزمن ويسفى عليها من رمال الصحراء ما يزكمها ويردمها .

وبعد .. فما رأيك فى رجل مسلم يستطيع أن ينسلخ من تراثه وعقيدته فيكون جريا عليهما ، وعونا صادقا وسابقا فى حماس الآخرين من أمثال لويس عوض ويوسف الخال وعتاة الكلية الكاثوليكية فى بيروت الذين منحوه الدكتوراه . لقد خدمه (انطون سعادة) تحت تأثير الشهرة والتبريز فخرج على أمته وعقيدته ، وخسرته دوائر الفكر والأدب الأصيل حين حمل لواء نظرية زائفة باطلة أراد بها هدم مقررات الأدب العربى ، والفكر الأسلامى حين جعل مرجعه تلك النصوص المليئة بالصلب والخطيئة والأيقونات ، ونأى عن أنوار الروح ، وشفافية الوحى ، وصدق النبوة ؟ ! !

ربما يظن أدونيس أن القاء هذه الطقوس المسمومة فى بحر الأدب العربى والشعر العربى يستطيع أن يحقق مطمحه ومطمح القوى التى تسانده فى هدم أصالة الأدب العربى الذى يستمد وجوده الحقيقى من القرآن الكريم . وربما رأى فى بعض هؤلاء الأقزام الذين تابعوه مدرسة او شبه مدرسة يمكن أن تسمى مدرسة أو دعوة . ولكنه واهم وسوف تكشف له الأيام القريبة القادمة حقيقة الموقف الغامض ،، وسوف تهزمه الأصالة هزيمة منكرة تمزقه وتدفن فكره فى رمال الصحراء الى الأبد ! !

وسوف يعود الشعر العربى الى أصالته بالرغم من هذه المرحلة المظلمة التى اعانت عليها بعض القوى اليسارية والماركسية التى تسلطت فترة على الصحافة والاعلام والنشر فى مصر والوطن العربى .

ان أدونيس بمداخله الغربية والعلمانية ، المعادية للاصلاح والروح الاسلامى تماما لا يستطيع أن يجد طريقه الى نظرية أصيلة يتقبلها المثقف المسلم الذى يتميز اليوم بالوعى والفهم ، والذى لن يخدع تحت بريق المغريات . كما أنه لايستطيع أن يضع قوانين لفهم التراث الاسلامى . لأنه يحتقر هذا التراث ، ويكرهه ، ويعمل على تدميره . وقد أعانه على ذلك قوم آخرون . فهو مرفوض أساسا لهويته السياسية القديمة ، ولهويته التغريبية المستحدثة . فليعلم هذا وليوفر على نفسه الجهد الفكرى والدعم المادى ! ! .

وليقل لنا ادونيس : ما هى المعانى الجديدة والمبتكرة والمبدعة التى يقدمها الشاعر الذى يؤمن بفكرته والكافر بكل قيم العقائد والوطن والخلق ، والذى يعيش حياة التحلل والضياع ، متحررا من كل قيم الاسلام الأصيلة التى يسميها السلفية والماضى والرجعية والتقليد ماذا سيقول اذا لم تكن له أى قضية حقيقية يدافع عنها الا قضية واحدة لا تحتاج الى دفاع ؟.

* * *

ان ادونيس يعيش عيشة من ترك عقيدته وترك وطنه . فأى انتماء له يمكن أن يصدر عنه ، أو أى منطلق جديد يشكل له وجهة ، ويقرر له زعامة يمكن أن يجتمع حولها الحواريون الا زعامة واحدة هو يعرفها فى هذا العصر ، ويعرفها الذين يحيطون به ؟ ! ! .

ان الذين شاهدوا أدونيس فى القاهرة قد عجبوا لهذا التحول الذى وصل اليه ، وهذه السحنة الشاحبة الضامرة ، والعيون الزائغة ، والنظرة الحائرة الى الأفق المجهول . وهو فى وطن تعلو فيه « كلمة الله » وتشكل الذوق والعقل والوجدان . انه يتماسك وهو منهار من الداخل تماما . وما الذين احتفلوا به لا الذين كانوا يسخرون منه . لقد دمرته سنوات السباحة ضد التيار . ضد الفطرة . ضد الأصالة . ان أدونيس يجهل انه يحاول أن يصعد على أكتاف تراث أصيل . تراث قرآنى المصدر حفظه من غواشى الزمن اربعة عشر قرنا . ولا يزال قادرا على الحفظ ، تحوطه قلوب وعقول مليئة بالايمان والصدق ، والقدرة على المقاومة . وهى فى نفس الوقت موقنة بأن الأصالة تنبعث من داخلها ، وأن المنابع تستعيد اهلها .

فليقتصر أدونيس أمله على اليأس من ان يصل الى شيء مما يريد هو ومن وراءه مهما كانت وسـائل الاغراء المضـللة أو بريق الكلمة الخـادعة ، أو تغطية الاعلام الكاذبة ! ! .

* * *

ونحن اذا ذهبنا ندرس هويته من خلال كتـاباته ووجهته فلن نجده الا ماركسيا . أو باطنيا . أو علمانيا على احسن الأحوال . منكرا للعقيدة التى ولد بها . مهدما فى العقيدة التى تحول اليهـا ، حائرا زائغ البصر تفشى حياته أزمة فى الأعماق ! ! .

وربما أفاق فى ساعاته الأخيرة . ولكن هل سيكون ذلك بعد فوات الأوان ؟ ! ! .

* * *

ليالهما أو . ليتغلب أو . ليسجلها إلا عنه في التوجيه لصحفه، لكن عنه من التي الصحفية المرحلة . الأخرى أسمى على مشقة الحديث الثالث : التي الصحفية التي المتخصصة في دعاية الأخرى في الخارج ! ! .

وجميع على الأخرى . العربية الدولية في تلك لمستوى الدولي ماذا عن هذا ؟ ! ! .

حقيقة الحقيقة على أن هذا الليالي من أن يحظى الى الأخرى بالسلام تكتنفه كلها دولية من جهة وجهة لها والأخرى التي تخدم أو : الانحطاط الكبرى أو الاستقلال الكبرى ! ! .

❋ ❋ ❋

ماليـة اللبنانية في تغيير ويبتعد لتنمو الا يعني

❋ ❋ ❋

الفصل العاشر

دحض شبهات توفيق الحكيم

كان الحديث فى ندوة الاعتصام عن توفيق الحكيم الذى مضى الى ربه ، وافضى الى ما قدم بعد أن أثار حوله زوابع كثـيرة ، وتراجع عن افـكار كثيرة ، وحاول أن يفرض مفاهيم الفكر الغربى الوافدة من خلال « المسرح والقصة والحوار » الى أبعد حد ممكن .

أولا : اعتمدفى كتاباته عن « نبى اللهسليمان » وعن اهل الكهف على مفهوم التوراة والكتب القـديمة ، ولم يعتمـد مفهوم القرآن الـكريم الذى جاء مصـححا لكل ما أوردته الكتب السابقة .

ثانيا : دعا الى لبس القبعة ، وطالب بالخروج عن الشرق ، والانتساب الى الغرب ، وأعلى من شأن الكتب التى كانت مقررة فى كلية الآداب على عهد طه حسـين وفيها اساءة الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثالثـا : أجرى حوارا متخيلا مع الله عز وجل على نحو لا يقره مفهوم الاسلام . وبالرغم مما وجه اليه من انتقـادات العلماء ، فقد أصر على وجهـة نظره ، وكان يرمى الى كسر قيد من قيود قدسـية النص ، والخروج عن مفهوم الاسلام القاصر على المناجاة ، بمحاولة كتابة حوار يخترعه ينسب فيه الى الحق تبارك وتعالى اجابات وهمية خيالية ! تعالى الله علوا كبيرا .

وفى عديد من الكتابات يبدو واضحا موقفه العلمانى والمادى من مفهوم النبوة والوحى والغيب .. واخطـر مواقفه فى هذا الصدد هى دعوته الى تطوير الشريعة .. وهى دعـوة مسمومة ترمى الى قبـول مفاهيم الحضارة العصرية ، وفىمقدمتها الربا ، وحرية الأخلاق .

يقول توفيق الحكيم :

« الخطأ كل الخطأ أن نجعـل آثار المـاضى تكبلنا باغلالها علينا دائما أن نضع كل تحفة قديمة فىموضعها من الزمان والمكان .. وهذه غلطة شبـاب الأيام الذين ينظرون الى الأفكار والآثار السابقة منفصلة عـن الوقت والظروف والملابسات التى نشأت فيها .. وحين تجدون هذه الأفكار لا تساير عصركم رميتم بها وراء ظهوركم . فى حين أنها كانت فى وقتها وبيئتها خطوات متقدمة بالنسبة الى ما سبقها » ..

وهذه هى سموم فكر (أوجستكونت) زعيم الدعوة الى انكار دور الأديان فى تشكيل حياة الناس والادعاء بأن الأديان قامت بدور فى الماضى ، وأن هذا الدور قـد انتهى وانه يجب أن ينظر اليها على أنها جزء من التاريخ الذىمضى وانقضى .. ولا ريب أن هذا المعنى يتعارض تماما مع مفهوم الاسلام : دين الانسانية الخالد الباقى على الزمن . والذى لا يناله ما ينـال أديانا ودعوات وأفكارا أخرى من تجاوز الزمن له . وتلك دعـوى كانت منشورة عندما كان توفيق الحكيم بين أيدى صانعيه فى الغرب من أجل أن يضعوه على رأس الصفوة المفكرة فى البلاد العربية .. وهو الذى صارع طه حسين وقال له : انه قرأ فى الفلسفات الغربية أكثر مما قرأ ، وانه لا يقبل وصايته عليه .. وصمت طه حسين واستسلم .. فقد عرف اتجاه الريح ! .

- يقول توفيق الحكيم فى ندوة نشرت فى مجلة صباح الخير ١٩٧٤/٦/١٢ :

« الزواج فى رأيى قيد على حرية الرجل ويجب أن نبحث عن وسيلة أخرى للارتباط بين الرجل والمرأة غـير الزواج » .

ويرد نجيب محفوظ فى هذه الندوة قائلا :

(أنا لا مانع عندى فى أن يكون للفتاة صديق من الجنس الآخر حتى ولو خالف ذلك رغبة الأهل) .

ولا ريب أن هذه الآراء هى بمثابة دعوة الى الفسق والفجور ، ومعارضة النظام الاجتماعى الاسلامى القائم

على العلاقة الزوجية ، ودعوة الى الاباحية الجنسية ، ومهاجمة الطليعة المسلمة من الفتيات !!

ومن العجيب أن هؤلاء القـوم يدعون الناس الى هذه الأفكار ، ثم يعتصمون تماما وراء حياة خاصـة لها طابع الانفصـال عن المجتمع .. وكيف يتفق هـذا مع الدعوة الى فتح أبواب الشبهات أمام فتيات المجتمع ، واثارة الكراهية للدين والنظام الاجتماعى ، ثم يقفون موقف المعارضة لما يدعون اليه فى حياتهم الخاصـة !!

يقول توفيق الحكيم :

« ان علماء الدين يريدون ان يكون لهم وحدهم حق تشكيل عقلية الأمة على أساس العلم الدينى الذى درسـوه فى الكتب المعتمدة عندهم طبقا للنصوص التى قراوها على طريقتهم واقروها وحـدها دون أن يقبلوا تطورا فى أصولها او فى أى شىء من المعارف التى تتصل بتفكيرهم فى الحيـاة على النحـو الذى يعيش عليـه الجزويت » .

ولا ريب أن هذه المقولة تكشف فى جراة عن الهدف الذى يسـعى اليه رجال التغريب ، ودعاة الحداثة ، وحملة الوية العلمانية والاباحية .. وهى الحد من دور الاسلام فى المجتمع تحت مظلة الهجوم على علماء الدين، والادعاء بأنهم هم الذين لهم حق تشكيل عقلية الأمة .. والحقيقة أن كل المسلمين علماء دين بفهمهم للاسلام الفهم الصحيح الجامع من حيث هو منهج حياة ونظام مجتمع .. ومن هنا فان هـذا المفهوم هو وحده القادر على تشـكيل عقلية الأمة من أن تغير عقيـدة الأمة أو أعرافها بتلك الدعوات الباطلة الى الحرية الأخـلاقية ، والاباحية ، واغراء المراة بأهواء المجتمعات ، ودفعها الى ترك ابنائها وأسرتها لتحقيق المطامع المادية التى لا تلبث أن تكون وبالاً عليها .. ولا شك أن تجارب كثير من هؤلاء العصريين الذين خدعتـهم الحضارة الغربية قد كشفت عن المآسى التى وقعوا فيها ، وتحطمت على صخرتهـا حيـاتهم لو كانوا قادرين على تدبر عبرة الأحداث !!!

ان هذه العبارات تكشف عن أن هؤلاء التغريبيين يعملون على السيطرة على عقـلية الأمة ، ومحـاولة توجيهها الى احتقار قيم الاسـلام والحط من شـأنها تحت عنوان كاذب مضلل هو ما يسـمونه « النصوص الدينية التى فى الكتب القديمة » بدعوى أنها لاتقبـل التطور فى أصولها .. وقد كانت دعوى توفيق الحكيم المسـيطرة على نفسه هى العمل على تجاوز أصول النصـوص وتطويرها .. وهـو يعلم تماما أنه انما يطالب بأمر خطير .. ذلك أن الاسـلام قابل للمرونة والتجاوب مع العصور والبيئات فى الفروع وفى المتغيرات (عن طـريق اجتهاد الفقهاء) ولكنه لا تطـوير للثوابت التى جاءت بها الشريعة الاسلامية الغراء .

فان كان توفيق الحكيم يسـمى هذا جمودا فهو حر فى رأيه .. ولكن هذا ليس فى الحقيقة جمودا .. ولكنه أصالة .. أما نظرية تطوير الدين ليتقبل الحياة الاجتماعية المنحرفة المعاصرة ، فتلك دعوى من دعاوى الماسـونية والفكر العلمـانى الذى كان توفيق الحكيم يغلفه فى ذكاء ومكر بكلمات تحت اسم الدين أو الاسلام أو غيرهما مما حاول الكتاب الذين رثوه أن يتصـيدوه ليدفعوا عنه مقولة الانحراف عن مفهوم الاسـلام .. وذلك أمر بينه وبين الله تبارك وتعالى ولكنا نحاول أن ندفع عن شـبابنا مظنة الثقة فى هذه الكلمات المسمومة التى يحاول أن يهاجم بها تقبل عقلية الأمة لمفهوم الاسلام فى هذا العصر ، والخروج عن كل تلك المقولات الباطلة التى عاش توفيق الحكيم سـنوات عمره يبثها فى كتبه ومسرحياته فى محاولة لتضليل الشباب المسلم وافساده واخراجه من مفهوم الاسلام الصحيح .

* * *

الفصل الحادى عشر

نجيب محفوظ

لماذا أعطيت جائزة نوبل لنجيب محفوظ
هل هى ثمن بضاعة الغرب التى رُدَّت إليه ؟

كان السؤال الاهم يدور حول جائزة نوبل التى اعطيت لأول مره الى اديب عربى يحيثنا وراء الاسباب والظروف .

ولقد قيل فى شرح هذه الاسباب الظروف الكثير وكان اهمه :

اولا : ان القصة التى رجحت كفة الروائى العربى تشكل مفهومها عقديا قريبا من المفاهم التى تحملها كتب الغرب وكتب المستشرقين ، على النحو الذى عرف عن قصة (اولاد حارتنا) وتصويرها الله تبارك وتعالى والأنبياء والمرسلين بصورة ساخرة .

وقد قيل فى هذا انه كان مطلوبا ان تنشر قصة تمهد لذلك التيار الذى اقتحم آفاق الفكر الاسلامى فى ذلك الوقت بقوة وهو الشيوعية او الماركسية فقد اعطيت هذه الرواية التمهيد لهذه الافكار التى تتردد من ان الشيوعية قادرة على القضاء على الأديان واحلال دين جديد ، ومن هنا كانت السخرية بالأديان جميعا .

وفى هذا المجال تحدث نجيب محفوظ عن اولياته فذكرطه حسنين والعقاد ولم يذكرسلامه موسى الذى كان قد التقى به قبل هؤلاء ، وانه له هو الذى وجهه لدخول قسم الفلسفة وافسح له فى (المجلة الجديدة) فكان اول ما كتب فى (اكتوبر ١٩٣٠) مقاله الخطير (احتضار معتقدات وتولد معتقدات) .

ومن يطالع هذا المقال يجد ان قصة (اولاد حارتنا) بعد عقدين من الزمن هى تفسير هذا المقال الذى يقول فى صراحة ان الأديان قد عجزت عن العطاء وأن الاشتراكية هى التى تعمل الآن على ان تحل بديلا من الأديان .

ثانيا : ما يقال من ان اتجاه نجيب محفوظ القصصى نحو التفسير الجنسى للمجتمعات والعلاقات بين الرجل والمرأة على النحو الذى ارساه (فرويد) هو الذى اعطى قصص نجيب محفوظ هذا ايضا الذى يعمل على تحويل بعض الصور العارضة الى ظاهرة عامة واخطر ما فى ذلك صورة المرأة فى ادبه ، فهى امرأة لا تعرف الدين ولا الخلق ويتبع عرضا رخيصا فى سبيل التمتع — لا بلقمة العيش — بل بالمتاع الوفير والترف .

وهذه الصورة اذا كانت موجودة فهى نادرة ولا يمكن ان تمثل ظاهرة ، فالمجتمع المصري مسلم فى اعماقه لا اثر ابدا هذا التصور ومفهومنا نحن المسلمين للشرف والعرض والكرامة كما رسمه الاسلام قائم وحقيقى ويدمغ محاولة التغريب والماسونية .

ثالثا : رغبة الغرب فى ان يقدر القصة العربية القائمة على مفاهيمه الإباحية وقيمه الملحدة فى محاولة الاعجاب باى صورة فردية لمجتمعنا توحى بأنه قد خلع تماما لباس القيم الاسلامية واصبح مقربا متحررا مندفعا وراء الأهواء الى ابعد مدى ، وهذا هو الفن القصصى العالمى الذى يتطلع اليه المستشرقون من وراء البحر ، وهو ما يطمعون فيه وما يعدونه املا كبيرا (وهذه هى رسالة الأدب العالمى والانفتاح .

فالغرب ينتظر الى قصص نجيب محفوظ ويقول : هذه على النفاقات التى دعا اليها اخيرا نجيب محفوظ بعد الجائزة بضاعتنا ردت الينا .

رابعا : ما قيل من ان القوى المتحكمة فى جائزة نوبل

هى قوى صهيونية بالدرجة الأولى وهم يعتبرون أن نجيب محفوظ قد حمل لواء قيادة الدعوة الى كامب ديفيد ، وأن اعطائه الجائزة سيفتح الباب واسعا أمام احتواء القوى الصهيونية للفكر العربى الاسلامى ويغرى الكثيرين بكتابة الأدب المكشوف والاباحى للحصول على الجائزة .

خامسا : كذبت دعاوى القائلين بأن الاستشراق العالمى قد ترجم أمثال هذه القصص لأنه وجدها جديرة بالعالمية أو الاصالة بل لأنها مغرية تحمل أهوائه ومزاجه، فان الذين ترجموا هذه الآثار هم المستشرقون الذين يفاخرون بأن منهجهم فى الكتابة قد نقل الى العربية وفرضه على المسلمين فرضا وأن نصوصا غربية فى الأسلوب وفى المضمون قد دخلت اللغة العربية ، واخطر من ذلك أن منهج (الدراما) المسموم الذى رفضه المسلمون فى القرن الثالث الهجرى وانكروه ، قد فرض عليهم اليوم ودخل الى الأدب العربى وكتبت به مسرحيات من خلال مضمون غربى ووافد ، فتوفيق الحكيم لم يعتمد فى كتاباته الا على مضامين الفكر الغربى المستمد من الفكر اليونانى الوثنى (فكر طفولة البشرية وعلم الأصنام) واهمه ما نقله من التوراة المكتوبة — لا المنزلة — عن أهل الكهف وسليمان الحكيم ، وقد تجاهل تماما وجهة نظر القرآن الكريم فى هذين الموضوعين واعتمد مقولة التوراة وأعمال كتاب الغرب ووجهة نظرهم ، ومن هنا فقد كان لاعجاب بآثاره بالغا قدره وقد ترجموه ليقولوا : أن بضاعتهم ردت اليهم وأن كتاب العرب والمسلمين وباللغة العربية قد قبلوا مفاهيم علم الأصنام فى الأدب اليونانى وكل ما تختلف مع القرآن الكريم الذى هداهم الى المفاهيم الأصيلة ، وهو التحول الذى يطمعون فيه والذى لن يتحقق لهم أبداً .

وكذلك الأمر فى كتابات نجيب محفوظ التى فرضت أسلوب قصاصى اباحى الغرب ومنهج فرويد وسارتر فى بحثه النفس والاخلاق وقدمت المرأة العربية بمفهوم المرأة الغربية التى تبيع جسدها من أجل الطعام مع أن المثل العربى يقول :

(تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها) وهو يستمد هذا الاتجاه من المفهوم الماركسى للمجتمعات فهو يخلط الفكر الليبرالى بالفكر الوثنى القديم ، بالفكر الماركسى ، ولا يجعل لمفاهيم الاسلام أى مكان فى مسرحياته وتصاعده مع الموجات يجعله عاجزا عن تقديم تصور أصيل للمجتمع الذى يعيش فيه .

سادسا : ان أخطر ما تمثله هذه الجائزة هى فرض مفهوم القصة الغربى الوافد على اللغة العربية وتقبل البناء الدرامى الغربى للرواية بما فيه من مساوىء ومخالفة لطبيعة الاسلام الذى يرفض مفهوم الصراع والفن للفن من ناحية ومفهوم تغيير الحقائق الاجتماعية والتاريخية من أجل حرية الفن بما يتفق مع أهواء كانت القصة أو الغاية التى رسمت لها ويكشف ذلك محاذير العمل القصصى كله كمخدر يقدم للناس ليحولهم عن ما يجرى فى مجتمعاتهم أو ما يجب أن يقصدوا اليه .

سابعا : أن أخطر ما فى العمل القصصى انه لايملك فيما ثابته فهو اداة فى يد من يملك التوجيه لفرض قيم معينة أو هدم قيم معينة على النحو الذى كتبت به (أولاد حارتنا) فى ظل تحول اشتراكى مضلل بهدف أن توجد مجالا فكريا للمفاهيم الماركسية وما يسمى (موت الاله) على النحو الذى رسمته الغايات المقصودة من الماسونية والعلمانية والفكر الوثنى الاباحى والالحادى الذى يسمونه الأدب العالمى ويطمعون أن يصهروننا فى بوتقته نحن المسلمين .

فاذا أضفنا الى هذا عدم التزام القصة بالتاريخ والواقع من أجل ما يسمى فن صياغة القصة كان لنا أن ننظر الى فن القصة الغربى الوافد نظرة تضعه مكانه الصحيح .

* * *

يبقى بعد هذا القول بأن أى مصرى هو ابن حضارتين : الفرعونية والاسلامية ، هو قول مردود وليس دقيقا ، فان الذين درسوا التاريخ القديم والمعاصر قد تأكد لهم (**الانقطاع الحضارى**) بين عصر الاسلام وما قبله وقد أعلن كبير مؤرخى العصر (أرنولد توينبى) بعد دراسة واسعة بالبحث عن الحضارة الفرعونية فى كيان مصر الحديثة قال : أن الحضارة الفرعونية قد ماتت منذ قديم .

وقال الدكتور جمال حمدان فى كتابه الضخم : لم تعد مصر الفرعونية موجودة الا فى المتاحف أما فى الوادى فقد انقرضت كما انقرضت تماسيح النيل فى النهر » .

والواقع أن الذين أهملوا دعوة الفرعونية فى العصر الذى كتب فيه نجيب محفوظ قصصه الفرعونية الثلاث لم يجدوا أى تراث حقيقى يمكن الاعتماد عليه فى دعواهم هذا وبالله التوفيق ..

* * *

قصة أولاد حارتنا (موت الاله)

سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وأن من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا . (الاسراء)

كان السؤال الأهم فى ندوة الاعتصام عن قصة أولاد حارتنا التى اطلق عليها فى الترجمة الانجليزية (موت الآله) وكان موضع الدهشة أن يقول سكرتير الأكاديمية السويدية التى قررت اختيار الأستاذ نجيب محفوظ لجائزة نوبل ان (اولاد حارتنا) هى العمل الذى رجح كفه الفوز وقالت اللجنة انها تصور الأنبياء والأديان وقال ستورى اليد السكرتير الدائم للأكاديمية السويدية هى البحث الأزلى للانسان عن القيم الروحية (وقد قسمه الرواية الى فصول بقدر سور القرآن الكريم أى ١١٤ فصلا كما وصفها (مترجمها الى اللغة الانجليزية) فيليب ستيوارت :

بانها تتناول بجراة المفهوم الحديث لموت الآله وانها تمثل رؤية لوجهة نظر مسلم معاصر عن موسى وعيسى ومحمد .

ويمكن النظر فى هذه الرواية من خلال منطلقات أربع :

أولا : منطلق الفكر الحر الذى صنعه الملاحده تلاميذ مدرسة التنوير وكتاب الموسوعة وبناة الفكر الماسونى ، هؤلاء الذين وصفوا المسيحية الغربية (لا المنزلة) بمختلف صفات الخصوم ، وكان الفيلسوف نيتشه هو الذى ابتدع عبارة (موت الآله) وهى عبارة لم يكن يقصد بها الا مفهوم الآلهة الذى كان موجودا فى الفكر الغربى ونيتشه فيلسوف مضطرب العقل ، كانت حياته مليئة بالتعاسة وكان الحزن والعزلة يضربان عليه حصارا قويا انتهى به الى الجنون ومات وهو يعانى من اشد حالات مرض السلفس وقد ظلت آثاره اكثر من خمسين سنة منكره مهملة حتى جاءت جماعة التنوير التى حملت لواء الالحاد فأحيت هذا الفكر من جديد ،ثم تلقفت الفكرة جماعات غربية معادية للمسيحية وقد جمعت الافكار التى روجها اليهود ضد السيد المسيح ودينه .

وقد طرحت مجلة (تايم) أوسع المجلات السياسية انتشارا فى الغرب هذا الموضوع من جديد وأبرزته على غلاف عددها الذى صدر بمناسبة عيد الفصح وانطلقت هذه الفكرة من جمعية أمريكية تضم بعض علماء الدين بعد أن بشرت بها المجالس العلمية واختارت لنفسها اسما مناسبا تماما (جمعية موت الآله) وقد انضم اليهم عشرات المثقفين يعيدون الى الوجود فى نسخة أمريكية جديدة العبارة التى قالها زرادشت الشيخ العجوز فى بداية كتاب نيتشه (هكذا تكلم زرادشت) هل هذا معقول : ان هذا الشيخ العجوز لا يعلم بعد أن (الآله) قد مات والفكرة الرئيسية التى يدور حولها اجتهادات جمعية (موت الآله) هى أن الانسانية تطورت وأصبحت ناضجة ولم تعد بحاجة الى الدين لتفسير وشرح الظواهر الطبيعية وغير الطبيعية فى العالم ، ان الله لم يعد يتدخل فى سير التاريخ والطقوس والشعارات الدينية فقدت جميع معانيها والعلم الذى كشف غوامض واسرار العالم قد نجح فى تغيير مكان الله فى نفوس البشر » .

هذا منطلق . .

ومنطلق آخر هو منطلق جماعة التجديد . وفى مقدمتها طرح نظرية (الشك الفلسفى) التى حمل لوائها الدكتور طه حسين حين فتح الباب امام دعوة شبابية الجامعات الى نقد القرآن الكريم بوصفه كتاب أدبى ودعا الى أن ينظر الى القرآن كما ينظر الغربيون الى الكتب المقدسة بوصفها نصا بشريا، وما دعا اليه سلامة موسى من أن الأديان القديمة قد عجزت عن العطاء وأن دين البشرية هو القادر على أن يحقق للبشر سعادتهم ، واحتضن كلا منهما عددا من الشباب المسلم وكان نجيب محفوظ من أولياء وجهة سلامة موسى وقد كتب عن الاشتراكية بوصفها الدين الجديد القادر على العطاء .

وهكذا نجد وراء كتابة هذه القصة خلفية مريضة

من الفكر المادى والوثنى الذى نشر فى مصر خلال السنوات فيما بين الحربين العالميتين من خلال الماسونية، والاشتراكية ، والعلمانية .

وقد وجدت هذه البيئة فى طموح نجيب محفوظ الى البتريز والظهور منطلقا فى مرحلة ارتفاع المد الماركسى والمادى الذى كان فى حاجة الى بعض الأعمال الفنية التى تخدم وجهة نظره وتمضى الخطة التغريبية مرحلة بعد مرحلة من الشعر الجاهلى لطه حسين الى الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق الى الفن القصصى لخلف الله الى اولاد حارتنا لتكون قمة هذا الاتجاه كله لقد كان التركيز أساسا على الدين لهدمه من نفوس الشباب ، وكان هدم الاسلام هو المرحلة التالية ، فالدين بكل ما فيه يدخل فى باب الأسطورة حيث لا يعترف العلم الا بالمحسوس ، وجاء دور كتاب الغرب للنظر فى القرآن الكريم من وجهة نظرهم الى التوراة على انه نتاج بشرى يمكن نقده وتقويمه حسبما رسم لهم الدكتور طه حسين من قبل ثم كان للفكر الماركسى مداخل اخرى جديدة على الفلسفة المادية الغربية .

وهكذا جاءت (أولاد حارتنا) كمرحلة تالية وطبيعية للفكر الحر الذي رسمته نظرية الشك الفلسفي .

ونحن حين ننظر الى (أولاد حارتنا) نجد الملاحظات التالية :

أولاً : لقد وصف الرواية عدد من الباحثين (فى مقدمتهم الأستاذ مصطفى عدنان الذى جمع أطراف ماكتب عنها) بأنها فكر مضلل من الأدب المحرم شرعا واساءة بالغة للمقدسات الدينية وفكر خاطىء ضار يعبث بالقيم ويلوث العقل وينشر الزيف والباطل ومثل حرية العبث والهدم والتخريف ويسخر من الله تبارك وتعالى وانبيائه وتعد كفرا بواحا صريحا لا يجب نشره على الاطلاق لأنها تشوه العقيدة وتغير للحقائق .

ثانيا : اخطر ما فى قضية (أولاد حارتنا) انها تقوم على مقولة واحدة اساسية تخدمها : هى التركيز على مقولة ماركس :

* * *

(الدين افيون الشعوب)

فيجرى تصوير الأنبياء كلهم فى غرز حشيش .

(والمؤلف له خبرة واسعة فى هذا الفن فقد كتب فى رسائله الى صديقه فلان يتحدث عن تجربته مع الحشيش) ولا يتوقف الأمر عند الحشيش ، بل تجد فى هذه الصور (شراب البوظة ، الغرزة ـــ كودية زار) الخ .

(يقول : جرت البوظة انهارا وانعقدت فى سماء الحجرات سحب الحشيش) .

ثالثاً : حاربت الرواية مختلف القيم والمبادىء الاسلامية وعملت على ترويج مفهوم مختلف واعلاء فشل جميع الديانات المنزلة وان الحل الأمثل الذى ننتظره الشعوب الآن هو استيلاء الشيوعى الملحد على مقاليد الأمور لاصلاح العالم .

رابعاً : اذاعة مفاهيم اليهود فى المسيحية وفى غيرها .

فقد كانت محاربة الدين هى ابرز اهداف الفلسفة المادية التى صنعها اليهود ووضعوا قوانينها فى فلسفة الماسونية ونظموا مخططها فى البروتوكولات من خلال مخطط يقوم على تصدر ماركس .

وفى القصة ترى تاثير المصالح اليهودية ضد المسيحية والاسلام حيث يرى الكاتب انه لو سلمت مقاليد تنظيم العالم لآل جبل (اليهود) لما استمرت المظالم .

خامساً : الطعن فى ذات الله ورسله وانبيائه واتهام شرائعه بانها وهم للمساطيل وانها فاشلة ، والسخرية من المؤمن بها وباليوم الآخر والطعن فى أصول العقيدة والشرائع المنزلة بأقذع الأوصاف والإتهامات المنافية لحقائق التاريخ والاستهذاء بالكتب المقدسة .

القاسم المشترك الأعظم على الرواية كلها (المسطول) فهو يرمز للدين بالحشيش . ويصور الأنبياء بأنهم حواه ، أو مساطيل ، او معهم جوزة حشيش ، اما الملائكة فهم يلعبون القمار فوق سطح البيت (السماء) .

ويصف السيدة مريم بأوصاف كريهة تردد ما يقوله اليهود ضد المسيح عليه السلام .

وابرز ظواهر العمل الفنى هو التشكيك فى وجود الله تبارك وتعالى وابرز ما يتصل بالأنبياء السخرية من مهنتهم ، والخيانة .

سادسا : يسمى المسلمين اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالجرابيع وتمتد سخريته الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته .

ولا نريد ان نطيل فى تصوير هذا العمل الذى ينتهى بقتل الشيوعى للآله .

ويقول مصطفى عدنان : بعد فحص النص الذى امامنا (لأولاد حارتنا) نجد انه حين كتبه كان يكتبه خدمة للشيوعية فقد انتصر الشيوعى الملحد الذى قتل الآله وفى الحلقة الخاتمة للرواية يتضح فيها جليا الهدف من الرواية وينكشف حيث يقول نجيب محفوظ :

ان هذا الشيوعى الملحد الذى قتل الآله هو المصلح الأخير للبشرية وهو الأمل الذى سيقود العالم الى يوم الخلاص ، لأنه زعم فشل شرائع السماء المنزلة للأبد على يدى هذا الملحد أن يكون للظلم من آخر .

***

وهكذا يتضح ان قصة (أولاد حارتنا) التى أطلق عليها (موت الآله)قد حققت مقولة ماركس : الدين افيون الشعوب فرسم صورة جميع انبياء الله وهم يتعاطون المخدرات والمسكرات .

وهذا يحقق هدف البرتوكول الرابع لحكماء صهيون الذى يقول :

يتحتم علينا أن ننتزع فكرة الله وعندها يصير المجتمع منحلا ومبغضا من الدين) .

ويبدو اعلاء نجيب محفوظ لليهوددة فى الحلقة (١٩٥٩/١٠/٢٥) الآله بانها القادرة على تنظيم حياة الشعوب دون شرائع الديانات السماوية ويحاول نجيب محفوظ أن يدافع عن (حرية الفن) ويردد كلمات قديمة طالما لاكها طه حسين وتوفيق الحكيم عن أكذوبة (قداسة الفن وأهدافه السامية وأن معارضة ذلك جريمة ترتكب ضد الحضارة) .

اى حضارة : حضارة الفساد والاباحة والانهيار الخلقى .

ونحن نسأل معمصطفى عدنان : كيف تجرد ذات الله من كل صفة حسنة فى رواياتك وتجرد من اصطفاهم ربنا من رسله وانبيائه من كل القيم وتلحق بهم كل المثالب التى لا تستطيع أن تلحقها باى شخصية عامة دون أن يطولك سيف القانون وبعد فنحن نؤمن بأن هذه المحاولة قد فشلت ولن تحقق هدف الماكرين أعداء الدين وأعداء الاسلام والله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لايعلمون.

***

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

* * *

فهرس الكتاب

الموضوع الصفحة

الباب الخامس

دار العلوم للطباعة
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى - قصر العينى -
ت ٣٥٥١٧٤٨٠

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٩/٢٠٢٣٠

دار الإعتصام
٨ شارع حسين حجازى ـ ت ٣٥٤٦٠٣١/٣٥٥١٧٤٨ ص.ب ٤٧٠ القاهرة
للطبع والنشر والتوزيع